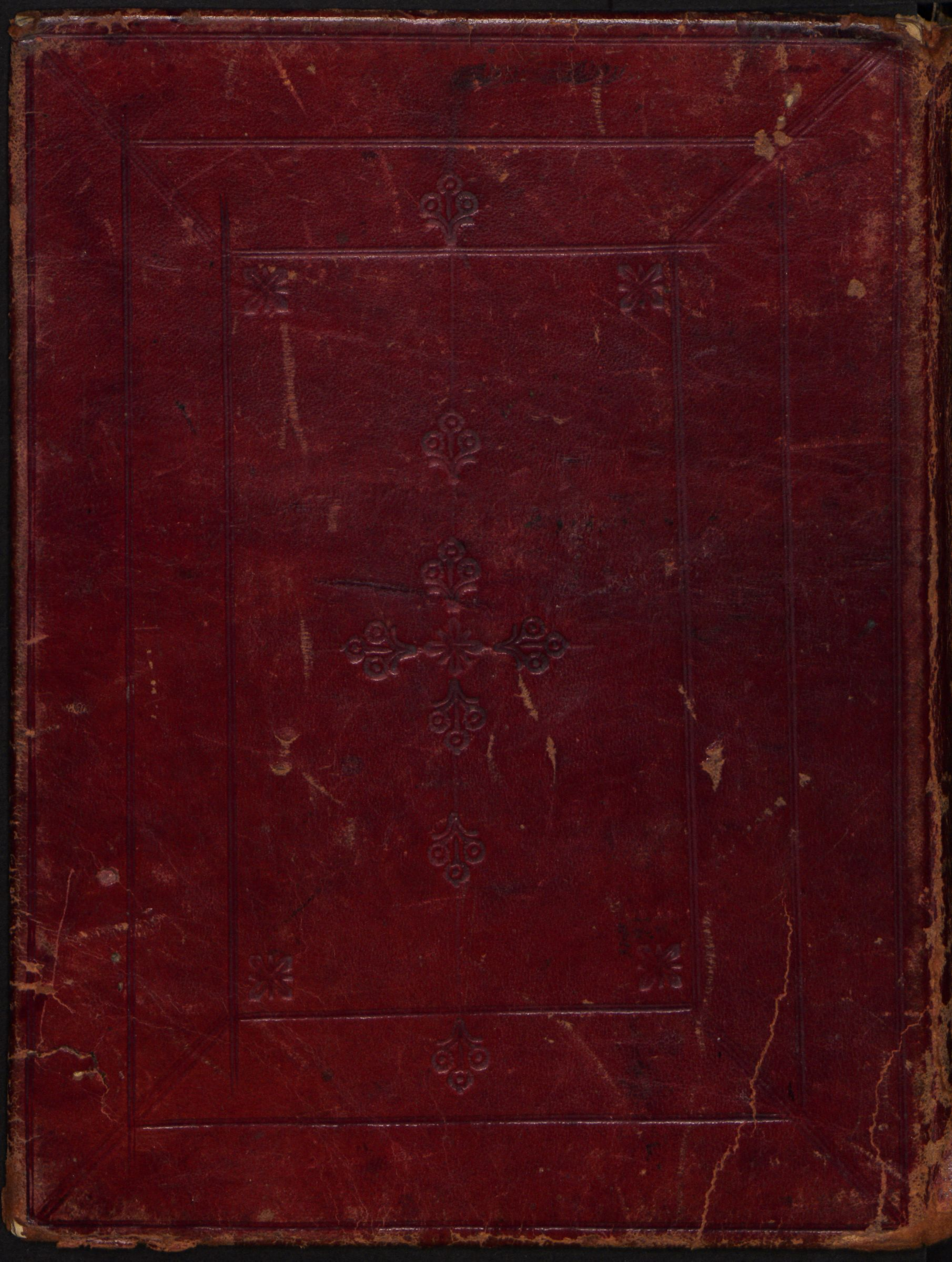


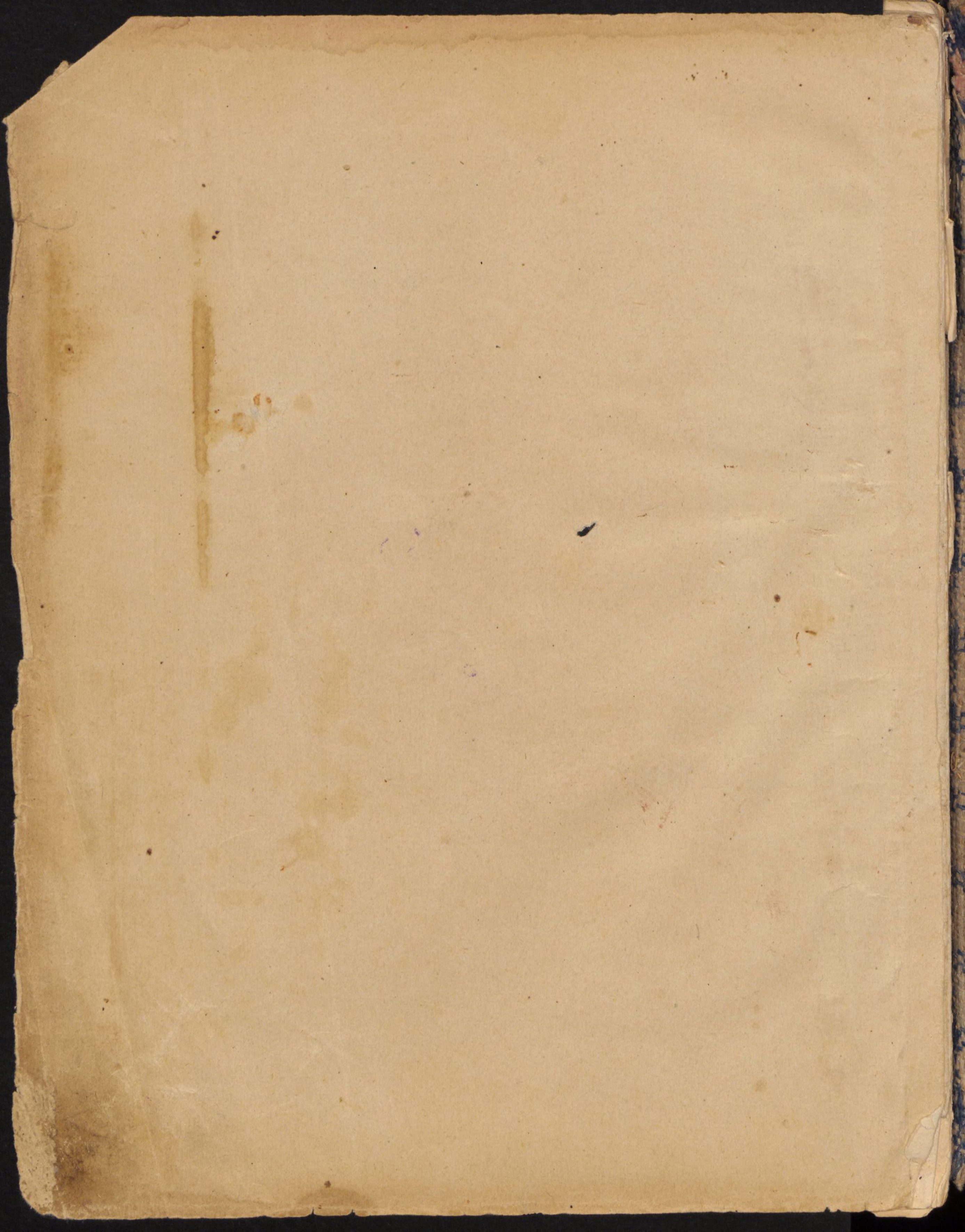
74
2
148

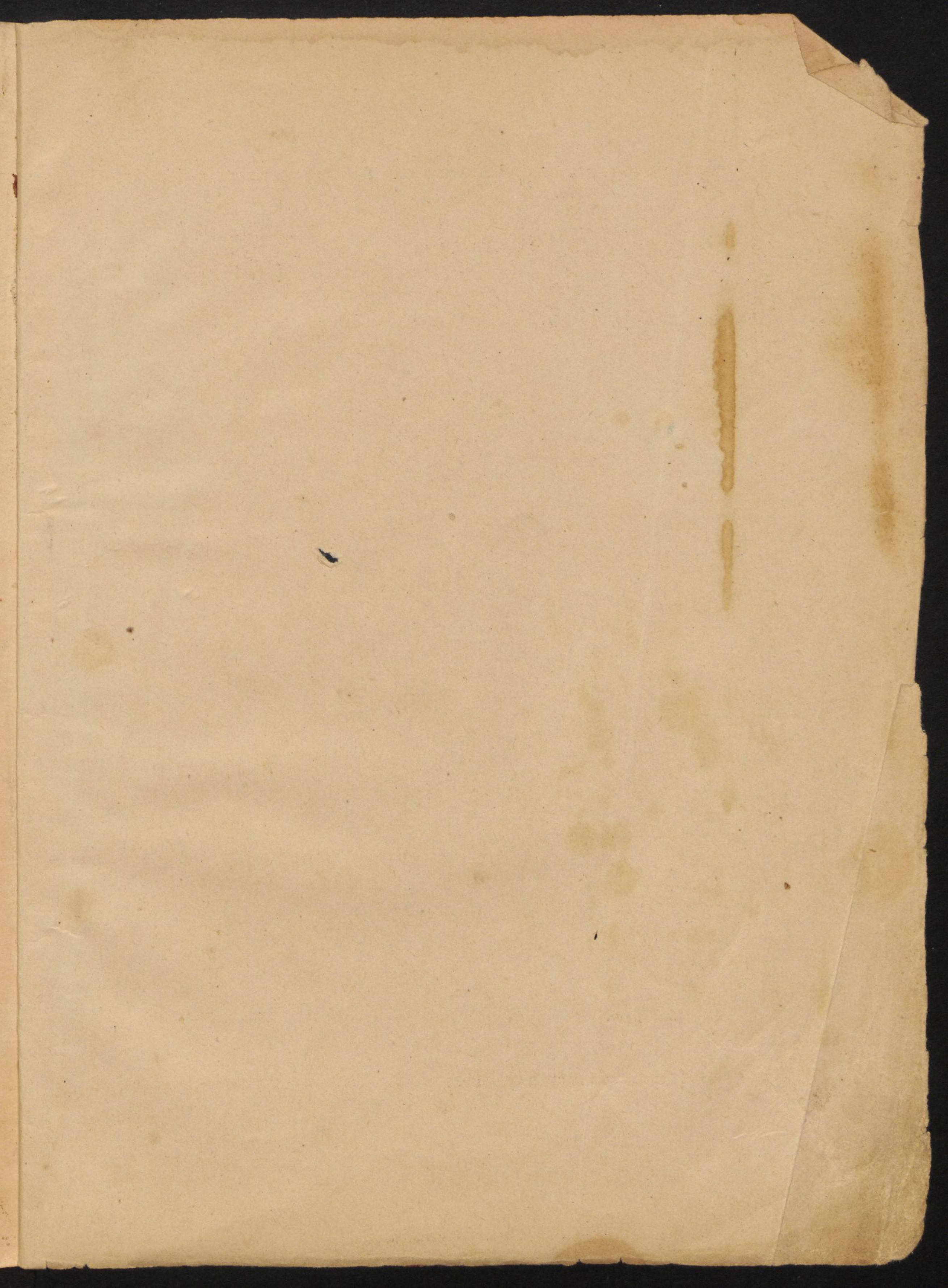
74
22
148
148
1628

74
23
1212
41
8
1702

74
15
320
75
4
1110

74
25
1320
45
8
1850





من [illegible] عبد ربه [illegible]
[illegible]

الجزء الثاني من زهر الأفنان من حديقة ابن الونان

للفقيه العلامة الأديب أبي العباس سيدي احمد بن خالد
الناصري السلاوي على شمقمقية العلامة
الشهير سيدي احمد بن محمد الونان
رحمه الله
تعالى
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكن نديم الفرقدين تنج من * منغص ومن كدر الرنق *

اللغة قوله كن نديم الفرقدين نديم الرجل جليسه على الشراب ويحادثك عليه جمعه ندام بالكسر وندماء ككرام وكرماء ويقال للجمع ايضا ندمان قال

اذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني * ولا تسقني بالأصغر المتثلم

وجمعه ندامى والمنادمة مشتقة من الندامة لان معاقر الخمر اذا سكر تكلم بما يندم عليه وحسبك بقصة حمزة الآتية شاهدا عليه وقيل من المداومة فانه يدوم على الشرب مع نديمه والقلب في كلامهم كثير كجذب وجبذ وضب اللحم وخرق ونحو ذلك والفرقدان كوكبان يدوران على القطب الشمالي قريبا منه يضرب بهما المثل في طول الصحبة قال الشاعر

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قوله تنج من منغص التنغيص التكدير يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اي كدره وتنغصت عيشته اي تكدرت وقد نغص الشراب نغصا من باب فرح اذا لم يتم ونغص زيد نغصا اذا لم يتم مراده وكذلك البعير اذا لم يتم شربه قال لبيد

فأرسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على نغص الدخال

قوله ومن كدر الرنق الرنق الكدر والمعاجلة والرنق بالتحريك مصدر قولك رنق الماء بالكسر اذا كدر رنقا ورنقته انا ترنيقا وارنقته كدرته وعيش رنق اي كدر والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله وكن نديم الفرقدين امر وقوله تنج من منغص جوابه مجزوم بحذف آخره واصل كدر وكدره بالتمييز

على وزن مفعول ثم ابدلت الهمزة واوا وادغمت الواو في الواو تخفيفا ويجوز
ابقاؤه على اصله من الهمزة لان التخفيف افصح والله اعلم فمعنى
الكلام ان اقرب في البيت السابق مجانبة الاشرار وكان ان خيار
الذين ترتضى صحبتهم اقل من القليل بالنسبة اليهم بشهادة قوله صلى الله
عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة لا سيما
في هذا الزمان الذي لا ترفع الشكوى منه الا الى الله فالاقرب معنا بالتخلي عن الناس
والانعزال عنهم جملة اذ لا فائدة في الخلطة على ما يعتقد وجوده او يتعذر
واذا كمل الانسان النبوغ بالغ في الله فلا يخ الاحوال ينزل على الله تعالى بفعله
ومقاله ببركته من بابه خرق العادة فليحمد الله كثيرا على ذلك وكلام الناس في
هذا كثير ولقد اجاد ابو الطيب في قوله

ولما صار ود الناس خبا ... جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه ... لعلمي انه بعض الانام

ولقد اصبح في عزيمة عن ترك نصر لمنادمته بكلام منه اليه فاستمعه فريد
وذكر في الاحياء ان بعض الفقراء كان يلازم شجرا ويقول من تبرح فيه ثلاث
خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل مني وان عزبت عليه
لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وقال ابو الحسين احمد
ابن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة

وقالوا كيف حالك قلت خير ... تقضى حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا ... عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وانيس نفسي ... دفاتر لي ومعشوقي السراج

واعلم ان الناس اختلفوا في ايهما افضل العزلة ام المخالطة وقال الشيخ
ابو حامد الغزالي في الاحياء ان المخالطة افضل بشرط ان تنتفي افاتها فان
وجدت افاتها او بعضها كانت العزلة افضل لان درء المفسدة مقدم على جلب
المصلحة وهذا هو الذي يفهم من كلام الناظم فانه علل العزلة بالنجاة من نقص
ومن كدر والذي يؤخذ منه انه مع الامن من ذلك لا داعي الى العزلة والله اعلم
ثم ذكر نوعا من الفرق ان نوعها كالي ــــــ في اخره

نديمي الدهر فريقين من ازمنة جذيمة الوضاح الذي قتلته الزباء وقد ضرب بهما في
ذلك المثل واما منادمته للعمر فيرين وكان السبب فيها ان جذيمة المذكور كان قد
تكبر وافتخر حتى يقال انهما النجم تارة يستسقي بهما ويستنصر على اعدائه
وكانت اياد فخرج فوج منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين الفرات والكوفة
وتمكنوا فيما يلي الحيرة وكثروا بغير انتفاع فخرج جذيمة غازيا لهم وكان فيهم
غلام يقال له عدي بن نصر اللخمي نشأ في اخواله من اياد وكان له جمال وظرف
وهو جد الملوك اللخميين اصحاب الحيرة فنزل جذيمة بساحتهم فبعثت اياد قوما
منهم الى صنمي جذيمة فسقوا سدنتهما الخمر وسرقوهما فاصبحا فيهم فبعثت اياد
الى جذيمة تقول ان صنميك فراغبا فينا زهدا فيك ورغبة فينا فان واعدتنا ان
لا تغزونا رددناهما عليك فقال جذيمة وتعطوني ايضا عدي بن نصر ففعلوا
وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وامر مجلسه
وكان لجذيمة اخت تسمى رقاش بكرا فاحبت عديا واحبها فراسلته وسألته
ان يخطبها من جذيمة فقال لا اجترئ على ذلك فقالت له اذا سقيت القوم
فامزج لهم وعرق للملك اي امزج له قليلا كالعرق فاذا اخذت الخمر منه
فاخطبني اليه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل ففعل الغلام وخطبها
فزوجه جذيمة واشهد عليه وانصرف اليها فاعرس بها من ليلته فقالت ادخل باهلك
فلما اصبح غدا على جذيمة متضمخا بالخلوق فقال له ما هذه الآثار يا عدي
قال آثار العرس قال واي عرس قال عرس رقاش فقال من زوجكها فنخر واكب
الى الارض ورفع عدي جراميزه فلما افاق جذيمة طلبه فلم يجده وارسل جذيمة
الى اخته يقول

*   *

خبريني رقاش لا تكذبيني أبحر زنيت ام بهجين
ام بعبد فانت اهل لعبد ام بدون فانت اهل لدون

فقالت له بل انت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستامرني في نفسي ويقال
انها اجابته بقولها

*   *

انت زوجتني وما كنت ادري وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك في الصبى والمجون

ثم نقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره وقد اشتملت على حمل واما عدي فحسن
نظره فقال ابن الاثير انه رجع الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين
فرمى به فتى منهم بين جبلين فتكسر فمات واقسم جذيمة بعد نزول الواقعة ان
لا ينادم الا الفرقدين فكان يشرب كاسا ويصب لهما كاسين ولما اتمت مدة
الحمل باشهر ولدت غلاما فسمته عمرا وربته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته
والبسته حلة فاخرة ثم ازارته خاله فاعجب به والقيت عليه محبة منه
ومخالطة بولده وقيل انه لم يكن له ولد وتبناه ثم ان جذيمة خرج في سنة
ذات كماة فبسط له في روضة وخرج عمرو في غلمة يجتنون الكماة فكانوا اذا اصابوا
كماة طيبة اكلوها واذا اصابها عمرو خباها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم
ويقول   هذا جناي وخياره فيه   اذ كل جان يده الى فيه
فالتزمه جذيمة سرورا به وتفرس فيه النجابة فحلاه بحلي من فضة فكان اول
عربي لبس الطوق ثم ان الجن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر
عليه وايس منه الى ان اقبل رجلان من قضاعة من بلقين يقال لهما مالك وعقيل
ابنا فارج بن مالك فاقبلا من الشام يريدان جذيمة وقد اهديا له تحفا فلما
كانا ببعض السماوة نزلا يتغديان ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا
وهيات لهما طعاما فبينما هما ياكلان اذ اقبل فتى اشعث اغبر قد ساءت
حاله وتلبد شعره وطالت اظفاره فجلس مزجر الكلب ومد يده فناولته
القينة كراعا فاكلها ثم استزادها فقالت لا تطعم العبد الكراع فيطمع في
الذراع فارسلتها مثلا ثم سقتهما من شراب كان معها واوكت زقها فقال عمرو

ابن عدي صددت الكاس عنا ام عمرو   وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا

ويروى هذين البيتين والعبد المعروف ويروى من الشعر ايضا لعمرو بن كلثوم
التغلبي ويقال ان عمرو بن كلثوم ادخله في شعره ويروى انها لعمرو بن عدي كرر
والله اعلم فقال له الرجلان من انت فقال لهما ان تنكراني فلن تنكرا نسبي انا عمرو
ابن عدي اللخمي ابن اخت جذيمة فقاما اليه فغسلاه وانظفاه واصلحا من شانه وقلما
اظفاره وقصا من لمته والبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا لنهدي الى الملك

شربةً من أنفس عندك ولا مرّ علينا أحسن منها فأمر ابن أخته فردّه الله عليه فجاءا به حتى إذا وقفا بباب الملك بشّراه به فسُرّ به سرورا عظيما وصرفه إلى أمه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام حتى إذا خرج ألبسته من ثياب الملك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى لحيته والطوق في عنقه قال شبّ عمرو عن الطوق وروى أبو عبيدة أن أمه أرادت أن تعيد عليه الطوق فقال لها جذيمة كبر عمرو عن الطوق فأرسلها مثلا وأقام عمرو مع خاله جذيمة وتحمّل عنه عامة أموره حتى كان من أمره مع الزباء ما كان فأخذ عمرو منها ثأره وقتلها لما مرّ الخبر عن ذلك مستوفى وأما مالك وعقيل فإنهما لما أتيا جذيمة بابن أخته قال لهما حكمكما فقالا الاحكمنا ما بقيت وبقينا فقال لكما ذلك فنادماه مدة أربعين سنة فما أعادا عليه حديثا أعاداه فبهما ضرب ندمانا جذيمة المضروب بهما المثل في طول الصحبة وإياهما عنى متمم بن نويرة بقوله

منادمة

وكنا كندماني جذيمة حقبة ** من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ** لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وسيأتي من الشعر بالطول إن شاء الله وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه عروة

تقول أراه بعد عروة لاهيا ** وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيت عهده ** ولكن صبري يا أميم جميل
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ** نديما صفاء مالك وعقيل

وقال بعض الهذليين

نحن كنا في التصافي ** مثل ندماني جذيمه
فأتى الدهر بيوم ** دونه يوم حليمه
تفرق الأيام حتى ** في المروءات الغريبه

وقيل إن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما وبنى عليهما الغريين تثنية غري كغني بناءان بكربلا بقرب من الحيرة وقيل إن صاحب الغريين هو المنذر بن ماء السماء والله تعالى أعلم

أو ذكر كعب وحبه مع من ** عليه قلبه اقتلا بالحسن

ثمّت لا تعجل وكرانكها من * غراب نوح او كعبد الموسيقي
مضى لناد كدأبنا وبعد عا * م جاءهما يثب برك الفلق

اللغة قوله وكركعقرب وصف في العقرب والضمير في الكلام فيهما قوله امتلا بالعتو الامتلاء مغروره والعتو بالتحريك النعيم او شرته قوله ثمّت لا تعجل من ثمّ العاطفة وفيها لغات اربع ثمّ وهي لغة الفصحى وفمّ بالفاء بدل الثاء وثمّت بتاء التانيث الساكنة التي تلحق الافعال وثمّتَ بتحريكها بالفتح كما تلحق به الناكث وعليها قول الشاعر * ولقد امرّ على اللئيم يسبني * فمضيت ثمّت قلت لا يعنيني مما كرا انشده النحويون قوله وكرانكها من غراب نوح قال الشيخ اليوسي رحمه الله اعلم ان البكرة بلا هو وربما يقال بكرة بضم الكاف بكرا وبكرات وابكار مثل اشرع ثم يقال لهو اتبعها منه فان كان دهرها من البلاد فعسى اتفاقا وان كان من الريان فهو جائز اتفاقا عند سيبويه في مثل النرزح ونوح عليه السلام هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ ومعناه ادريس عليه السلام بن يرد بن مهلاييل بن قينان ابن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وفي مثل الاسماء اختلاف في الضبط وبعض الحروف لانها عجمية الوضع يكثر تصحيفها قوله او كعبد الموسيقي اعبد بن بكسر فسكون اسم رجل يانه ضرب واما الموسيقي فمعناه المغني نسبة الى فن الموسيقى الذي هو هنا صنعة الاغاني قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن عمر الحجازي ثم المصري في كتابه الموضوع في صناعة الاغاني الموسوم بسفينة الملك بعد ان ذكر ان الموسيقى اسم لاحد العلوم الرياضية فانه وفي لغتان احداهما موسيقي بمثناتين تحتيتين بينهما قاف مكسورة والاخرى موسيقي بحذف الياء الاولى وعلى كل من اللغتين هو بضم الميم وسكون الواو وكسر السين المهملة كلمة يونانية معناها علم النغمات والاوتار هـ وانما حذف رحمه الله لما نسب اليه حذف الياء الاخيرة منه تخفيفا لمن اللاحقة للياء النسب كما حذف الاولى على احدى اللغتين لأن الوزن لا يستقيم الا بذلك والله تعالى اعلم الاعراب والتصريف قوله وكر كعقرب وصف في جملة معترضة بين التي قبلت وقوله بعد قوله فعل متعلق بكرانكها والتشبيه على احد القولين في كل منهما ومن موصولة وقلبه مبتدا وجملة اشكا

بالمضمون خبره والجملة الكبرى صلة الموصول والرابط منه الضمير المضاف اليه قلب
وقوله عليك جار ومجرور متعلق بالمثل او بالمضمون وابدل همزة امتلا الفا
ساكنة للضرورة وهو ابدال شاذ لان الهمزة متطرفة بالحركة والقياس في كيفية
تخفيف الهمزة ان الهمزة اذا كانت ساكنة فكيفية تخفيفها بابدالها حرفا ساكنا من
جنس حركة ما قبلها واذا كانت متحركة فكيفية تخفيفها بالتسهيل بين بين هذا على
سبيل التقريب ويتشعب عن ذلك اصول وفروع تذكر في محلها ويجاب عن
الناظم رحمه الله بان الهمزة لما كانت طرفا سهل عليه تغييرها بان سكنها
اولا اجراء للوصل مجرى الوقف ثم ابدلها ثانيا وهذا معنى قوله ثمت لا تجعل
جملة معطوفة على التي قبلها وجملة ذرابها خبر معطوفة عليها قوله او كعنبر
المرسغ منعوت ونعته وحذف التنوين من عنبر لالتقاء الساكنين قال الجعدي في
الكامل ولبشر بالوحيد وانما يحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين
فاما التنوين فانما جاز فيه ذلك لانه نون في اللفظ والنون تدغم في الياء
والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين وتبدل بعضها من بعض فشابهتها فابدلت زيدا
وتبدل الالف من التنوين وتعرب في النسب الى صنعاء وبهراء صنعاني وبهراني فحذف
النون من الحرف الثاني ومثل هذا من الشعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال

حميد الذي أمج داره ... أخو الخمرة والشيبة الأصلع

وقرا بعض القراء قل هو الله احد الله الصمد كلام الجعدي باختصار قوله
قصر لنا اي جملة مستانفة استينافا بيانيا كانه قيل فما بعد هذا فقال قصر لنا
كما لبانه والف قصر عن ياء فتكتب كذلك وكما لبانه حال من فاعل قصر ولنا يتعلق
به قوله وبعض عند جواب ما والواو داخلة في التقرير على الجملة وبعض عند كذا في
يتعلق بها وحذف همزة جاء التي هي لام الكلمة ضرورة ومن حذف شاذ وانما
يجوز حذف الهمزة بقياس اذا التقت بهمزة اخرى موافقة لها في الحركة نحو جا
اجلهم فقد قرا ابو عمرو ونافع من رواية قالون عنه وابن كثير من رواية البزي عنه
بحذف الهمزة من جاء ويجاب عن الناظم بانه اجرى الوصل مجرى الوقف فسكن ثم
ابدل ثم حذف لاجتماع الساكنين على ما عهد من وقف حمزة وهشام في الهمز المتطرف

التواضع في الفقراء، وإلى ذلك أشار أبو القاسم الشاطبي رحمه الله بقوله

ويبدأه مهما تكرر مثله * ويغضي إن يحظى على الجار كوة *

نادرة في المستظرف قال نقمة تغرمت امرأة إلى قاضي فقال القاضي أمعك
شهود فسكتت فقال لكاتبه إن القاضي يقول لك أجاءت شهودك معك فقالت
نعم فلا قلت مثل ما قال كاتبه كبر شأنه وقل عقله وضحكت خجلا حتى
ضحكت على لحيتك ما رأيت شيئا يقضي من الأشياء غير ذه وجملة حسب حال
من فاعل جاء ومن كان الغلو مفعول أي جملة في لعزم الغلو والله أعلم

معنى الكلام يقول إذا أغضبك سفيه فلا تغضب وإذا حاول
من أثبته فلا تفعل إذ ليس ذلك من شأن الأخيار ولا من طبع ذوي الأقدار
بل الرأي في ذلك أن تذكره حتى تطبع به وأن تلاينه حتى تتمكن منه قال المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان

وفي ضرب الناظم المثل للرذائل بالضب والضفدع وجهان يوضعان بالمكر كما سيأتي
فإن قلت فما بال الناظم ضرب المثل للرذائل بالضب والضفدع ونحوهما من أخس
الأشياء **قلت** هذا من الأمر الذي أنكرته اليهود على النبي صلى الله
عليه وسلم حين تلا عليهم قوله تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا الآية
وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت الآية وقالوا ما يشبه أن يكون هذا
كلام الله لعنا وتقبيحا لذكر الأشياء فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحيي أن
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وأنكر الكشاف ولابن قيم إقرار الناظم
بأنه إذا آذاك الماكر فهذا الرفق وابن ختيال على هذا البعض وتربص في عمله
وتأن في أمره حتى تطلع به وتتمكن منه **قال** صلى الله عليه وسلم ليس
الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وقالوا الثبات
يكسر الوثبات وقالوا العجول مخطئ وإن ملك والمتأني مصيب وإن هلك وقال
بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول
قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويمضي قبل أن يخبر ولم تصحب
هذه الصفة أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامة **قلت** ويكفي في قبح

العجلة وحسن التأني اذ ان تعلم ان العجلة طبع النار التي هي عنصر الشيطان
والتأني طبع التراب الذي هو عنصر الانسان وبهذا يظهر قول النبي صلى
الله عليه وسلم العجلة من الشيطان واستثنى امره الله امورا يطلب فيها
التعجيل منها التوبة ورد المظالم والصلاة في اول الوقت على تفصيل مذكور
في كتب الفقه وبذل الزكاة عند حلول الحول وما يخاف فواته وتجهيز الميت
وانكاح البكر وقرى الضيف وبكور الطالب واوبة المسافر وقضاء الدين والله
اعلم

ذكر الضب والعقرب وما قيل فيهما *

الضب حيوان معروف قيل انه يعيش سبعمائة سنة ولا يشرب الماء والعرب تضرب
به المثل في اشياء كثيرة منها الخداع قالوا اخدع من ضب قال الحيراني قال بعض
اصحاب المعاني العرب تذكر الضب والعقرب وغيرهما في مجاري كلامها على طريق
الاستعارة فاما الضب فانهم يقولون فلان خب ضب فيشبهون الحقد الكامن
في قلبه الذي يسري ضرره بضرع الضب في جحره واما العقرب فانهم يقولون سرت
عقارب فلان وفلان تدب عقاربه اذا اخبر مكان شره قلت الظاهر ان هذا
المعنى هو الذي قصده الناظم وايضا فان العرب تزعم ان بين الضب والعقرب الفة
تاوي الى جحره فتذب عنه قال المبرد في الكامل العرب تزعم انه ليس من ضب
الا وفي جحره عقرب فهو لا ياكل ولد العقرب وهي لا تلسعه فهو مسالمة لها
وهو مسالم لها فمتى جاءه المحترش وادخل يده في جحره لسعته العقرب قال الشاعر

وان الضب ذو ود بغير مكنر * كما اليربوع والذيب اللعين
يروم نداته من ان يصيب ا ويامن سيل بارقة عشوب
ويدخل عقربا تحت الزنابى * رواغ القنر من اشر كمين

وقال آخر *

واخدع من ضب اذا جاء حارش * اعد له عند الذنابة عقربا

ومما يناسب من حكايات العقرب هنا ما ذكره ابن خلكان قال كان في دار نصر
ابن حجاج السلمي عقارب اذا لسعت قتلت فدب عليه لتم اني بعض اهل الدار
فلسعته عقرب في مذاكيره فقال نصر فيه شعرا *

ودارى اذا نام سكانها * اقام الحدود بها العقرب

إذا غفل الناس عن عيبي ينبههم * فإن غفا ربنا تغرب
فلا تأمن شري عقرب * بليل إذا الغراب المغرب

في غراب نوح وبيتين نظمهما

أما الغراب فقال العلماء بالسير لما استقرت السفينة على الجودي بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض هل جفت أم لا فوقع على جيفة فلم يرجع إليه فضرب به المثل ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح عليه السلام أن الماء قد ذهب ودعا على الغراب فغلظت رجلاه وخاف من الناس فلذلك لا يألف البيوت وإذا وقع لا يلبث أن يطير وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمن فمن ثم تألف البيوت وقال الجاحظ قد أكثر العرب وأن غراب والشعراء على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح عليه السلام ورائده وهي التي استجعلت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تلك الزينة ومنحها تلك الحلية بدعاء نوح عليه السلام قلت إرسال نوح عليه السلام للغراب أولا وللحمامة ثانيا مذكور في التوراة بالكلية وجميع والتي بأرض وأشعار العرب في ذلك كثيرة يطول جلبها وأما فند فهو أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومنشأه بالمدينة وكان خليعا متهتكا ومن أحذق المغنين المجيدين وكانت عائشة مولاته أرسلته ليأتيها بنار فخرج لذلك فلقي عيرا تخرج إلى مصر فخرج معها فأقام بها وبعد سنة رجع فأخذ نارا ودخل على عائشة وهو يعدو فعثر وفرق منها وتبدد الجمر فقال تعست العجلة فأرسلها مثلا وهذا هو السبب الذي ذكره الناس لم يضرب به المثل وقيل أبطأ من فند كما قيل أبطأ من غراب نوح وقال بعض الشعراء في رجل كان مثل فند في الحال

ما رأينا لسعير مثلا * إذ بعثناه يجي بالمشملة
غير فند أرسلوه قابسا * فثوى حولا وسب العجلة

المشملة بكسر الميم كساء دون القطيفة يشتمل به والله أعلم

(وغزبتا رثة وكن أنثى * فالجيش خلف سحر قد ورى)

اللغة قوله وخذ بثار رجل الثار الدم والطلب به وقاتل حميمك والمراد
هنا الاول او الثاني القتيل وثأرت به من باب نفع اذا قتلت قاتله قوله
كذا انثر بالجيش حانيا ان معروف والجيش الجمع الكثير السائرون لحرب او غيرها من
جاش البحر والقدر وغيرهما جيش جيشا وجيوشا وجيشانا غلى والشجر معروف
وكذا النهر والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله وخذ
بثار رجل جملة معطوفة على ما قبلها ولعلك خذ امر وهو احد الافعال الثلاثة
التي شذت عن نظائرها من حيث ان ثاني مضارعها ساكن ولم يتوصلوا الى الفعل
بهمزة وصل مضمومة بل حذفوا ثانيها الساكن فنقلوا في الامر من باب اخذ ويأمر
ويأكل التي هي على وزن يفعل وبدخل اخذوه وحذف تخفيفا لكثرة استعمالهم لها
وكان مقتضى قياس نظائرها من مثلها ان يقال أوخذ وأومر واوكل بهمزة وصل مضمومة
مع همزة ساكنة هي فاء الكلمة ولكن الثاني قلبت همزة ساكنة فيجوز النطق
بهما كذلك كالرأس والبأس ويجوز تخفيفها بابدالها الفا ساكنة من جنس
حركة ما قبلها وبه قرأ ابو عمرو من رواية السوسي عنه فيما سكن من همزات الفاء
على تفصيل مذكور في محله قوله ونحن كذا انثر جملة اخرى معطوفة كذلك
وبالجيش متعلق بانثر وخلف شجر كذلك في محل الحال منه وفيه وصف للشجر والله
اعلم **معنى الكلام** هذا ايضا من معنى ما تقدم لانه انثر بالجيش
خلف الشجر ضرب من المكر والخديعة والأمر في قوله وخذ بثار للاباحة
كقوله تعالى كلوا من الطيبات لأن الانسان فيه كلمة نفس يثأر ويأخذ بثاره
منه ويثار ان يعفو عنه والعفو افضل للتقوى ولأن بكر العفو سببا لمزيد جراءة
الجاني وتمرده والاوجب الا تنقلع حينئذ وقد قال ابو الطيب *

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد مدح الله تعالى عباده المومنين بقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون ومدح
من خصهم بقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وقال العلماء ان المدح
في الاية منزل على حالين كما قررنا فتأمل قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
فمن عفا واصلح فأجره على الله الى قوله ان ذلك لمن عزم الامور ولمن صبر وغفر

من الله من ولي وليس وراء بيانه بيان ويتعين على المعتني بقول ابن الشاط بعض
والناظر في اصولها مراجعة ما للامام فخر الدين الرازي في منزلة الاية الكريمة
والله اعلم

ذكر طسم وجديس وهلكهما *

طسم وجديس قبيلتان من العرب العاربة اما طسم فهو ابن لاوذ بن ارم بن
سام بن نوح عليه السلام واما جديس فهو ابن كاثر بن ارم بن سام بن نوح
عليه السلام فهما ابنا عم وقيل انهما اخوان كلاهما ولد لاوذ ولما تبلبلت
الالسن وتفرقت الامم بعد سقوط صرح بابل وهو المراد بقوله تعالى فاتى
الله بنيانهم من القواعد فمن اخذ جهة من الاقاليم فنزلت طسم وجديس
ارض اليمامة من اعمال الحجاز واسمها يومئذ جو وكانت من افضل البلاد واكثرها
نخيلا واعنابا فعمروا بها دهرا طويلا وكثرت طسم وصار الملك فيهم الى ان
ملكوا عليهم عمليق بن جديس وكان ملكا على القبيلتين معا فعظم امره وقويت
شوكته وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اضراره وعسفه
بجديس وهم في ايامه فلم يزل على ذلك حتى اتته امراة من جديس يقال لها
هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه ماشق وكان قد فارقها واراد اخذ ولده
منها فابت عليه فترافعا الى عمليق ليحكم بينهما فقالت المراة ايها الملك
هذا ابني حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شبعا ولم انل منه نفعا
حتى اذا تمت اوصاله واستوت خصاله ودنا فصاله اراد ان ياخذه
مني كرها ويتركني بعده ولها فقال الرجل قد اخذت المهر كاملا ولم اصب
منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك ان يقبض
الولد منهما فيجعل في غلمانه وقال لهزيلة ابغيه ولدا واجزيه صفدا ولا تنكحي
احدا فقالت اما النكاح فبالمهر واما السفاح فبالقهر وما لي فيهما من
امر فلما سمع ذلك عمليق امر بان تباع هي وزوجها فيعطى زوجها خمس
ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها فانشات تقول *

أتينا اخا طسم ليحكم بيننا * فابرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم اقدر على متزحزح * واصبح بعلي عائر الراي نادما

فبلغ عملوقا قول ابرزيلة فغضب وأمر ألا تتزوج امرأة من جديس وتزف إلى
زوجها إلا بعد أن يحمل إليه فيفتضها قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاء وذلا كثيرا
ولم تزل فيهم هذه حتى تزوجت الشموس وهي عفيرة بنت عفار الجديسية
وهي أخت الأسود بن عفار سيد جديس في قومه وكبيرها وهو الذي انتقل إلى جبل
طي فقتلته طي وسكنوا الجبل من بعده فلما كانت ليلة زفافها انطلقوا بها
إلى عملوق لينالها قبل زوجها على عادته ومعها القيان يغنين ويقلن

ابدئي بعملوق وقومي فاركبي * وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي * فما لبكر بعده من مهرب

يقلن انها اخت سيدكم فإذا كانت ممن يفعل بها ذلك فغيرها أولى فلما
أدخلت على عملوق افترعها وخلى سبيلها فخرجت عفيرة على قومها في دمائها
شاقة جيبها عن قبلها ومن دبرها والدم يسيل وهي في أقبح منظر وتقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذه الموت كذا بنفسه * خير من أن يفعل ذا بعرسه

واستغاثت من أخيها بأن زوجها وقالت تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة * صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تغب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما * خلقتم لأثواب العرائس والغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كراما واصبروا لعدوكم * بحرب تلظى بالضرام وبالجزل
ولا تجزعوا للحرب يا قوم إنما * تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس مواكل * ويفلت فيها ذو النجابة والفضل
وإن تقتلوا بكتها وتحملوا * إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللموت خير من حياة على الأذى * وللبين خير من مقام على الذل

فلما سمع الأسود أخته مقالتها وكان سيدا مطاعا فيهم قال لقومه يا معشر
جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من قبل صاحبهم
علينا وعليهم ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا وعليكم ولو
امتنعنا لكان لنا منه النصف فأطيعوني فيما آمركم به فإنه عز الدهر وذهاب
ذل العمر واقبلوا رأيي وإني أتكأت على شيء حتى يخرج من كنز وكانت جديس
قد حميت مما سمعوا من قول الشموس فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر وأقوى
فقال فإني صانع لعملوق وقومه طعاما فإذا جاءهم فإذا جاءوا متفضلين
في الحلل وانتعلنا إليهم بأسيافنا فانفرد ثم أنا بالملك وانفرد كل رجل
منكم برجل منهم قالوا فافعل ما بدا لك واجمع رأيهم على ذلك فقالت
الشموس لأخيها الأسود لا تفعل فإن الغدر عار وغائلته بوار ولكن
كاثروا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما قالوا لا ولكن نمكر بهم فيكون
ذلك أمكن من نواصيهم فقالت الشموس في ذلك شعرا تنهاهم عن الغدر
فلم يلتفتوا إليها ثم إن الأسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا
سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام وكان ذلك بظاهر البلد
ثم قال لهم إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم فخذوا سيوفكم ثم شدوا عليهم
قبل أن يأخذوا مجالسهم وابدءوا بالرؤساء فإنكم إذا قتلتموهم لم تبالوا
بالسفلة ولم تكن بعد ذلك منهم عادية تكرهونها قالوا نفعل ثم دعا الأسود
عملوقا ومن معه من رؤسائه كلهم بالبادية فأسرعوا الإجابة لدعوة الأسود
فلما توافوا إلى الجفنة وثب جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا
على عملوق وأصحابه فأشتاتا فقتلوهم إلا قليلا ثم مضوا إلى ديارهم فنهبوها
وقال الأسود في ذلك شعرا أيضا كثيرا ويذكر بغيهما وفعل عملوق بهم ثم كثر
اختصارا ثم إن بقية طسم لجأوا إلى حسان بن تبع كرب أحد التبابعة من حمير
وذلك أن رياح بن مرة الطسمي أخا اليمامة الزرقاء نجا من الوقعة فقصد
حسان المذكور فاستغاث به وكان قد أهدى إلى جديس نخل رطبة فجعل عليها
كلبا رطبا وحملها معه واستصحب معه كلبة فلما قرب من صنعاء كسر يد
الكلبة ونزع الكبير من الجريدة فخرجت خضراء ودخل على حسان فاستغاث به

واخبر الباقين ما صنعت جديس بقومه فقال له الملك للذين اتوه ومن اين افضل مجيئك
فقال جئت ابيت اللعن من ارض الى جنبك ومن عند قوم اتبعك منهم فلاح فيتهمك
من اخر انا رياح بن مرة الطسمي فغشتنا جديس الى ما عادة لهم فاجبناهم
متفضلين في الحلل وقد اعدوا لنا السلاح عند جفانهم فجاذفنا الطعام فهم حتى
صرنا حطما فما بلا كلب دعي ولا ترك سلبت فروخت ابيت اللعن فوقنا فقطعوا
ارحامنا وسفكوا دماءنا وفيهم مع ذلك بالنعم ذو در وتبر وبشيد وعبير
وفيهم امرأة لم تطلع الشمس على مثلها حسنا وجمالا ونعومة بدن وغضاضة
عيش فقال حسان ام بلطف جئت بمنزل الجزيرة ومنزل الكلبة وكانت حمير
قد سئمت الغزو مع ملوكها فقال نعم فقال حسان ان كنت صدقت فلقد جئت من
ارض قريبة وعدة النصر فسمع ناديه جميعهم بالمسير واعلمهم بما صنع بطسم
فقالوا من يعاد ذلك فهم ابيت اللعن فان عشيرهم قالوا فما لنا في ذلك من ارب
هم اخواننا بلا نعير بعضنا على بعض وهم بعد عشيرة ايها الملك فقال حسان
فلا تزالا بحسرة ابتم لو كان هذا فيكم اكان حسنا لملككم ان تبرد دماءكم وما
علينا في حكم الله ان ننتصف بعضنا من بعض فنقطع رؤوسا ثم فقالوا ان قد
اقر ابيت اللعن فمرنا بما احببت فامرهم بالمسير اليهم فتجهزوا وسار حسان
بجيشه يقدمهم رياح بن مرة حتى اذا كانوا من اليمامة على ثلاث قال رياح
ابن مرة لحسان ابيت اللعن ان لي اختا متزوجة في جديس ليس على الارض ابصر
منها انها لتبصر الراكب على مسيرة ثلاثة ايام واني اخاف ان تنذر القوم
بك والرأي ان تامر كل رجل من اصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها
امامه ثم يسير فامر بهم حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم اخت رياح
يمامة بنت مرة وسميت الزرقاء وقيل من جديس وقيل اسمها عنز وانها من
ولد لقمان بن عاد والصحيح الاول فصعدت على منارلها فرأت الشجر مقبلة
فارتابت وقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر او لقد غزتكم حمير فقالوا وما
ذاك قالت ارى شجرا من ورائها بشر واني لارى رجلا من خلف شجرة ينهش
كتفا او يخصف نعلا وكان كذلك فكذبوها فقالت في ذلك

اني ارى شجرا من خلفه بشر * وكيف تجتمع الاشجار والبشر

في ابيات اخر تحرضهم فيها على الثأر فاجملوا اقوالها واقبل حسان حتى اذا كان
من الجو على مسيرة ليلة عبا جيشه ثم هجمها فاستباح اهلها من جديس
فابادهم قتلا وسبا نساءهم وخرب قصورهم وفر الاسود بن غفار فنزل بجبلي
طيء حتى قتلته طيء بعد حين ولما فرغ حسان من جديس امر باليمامة بنت مرة
وكانت زرقاء فنزعت عيناها فاذا في داخلهما عروق سود فسالها عن ذلك
فقالت حجر اسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فيقال انها اول من اكتحل به فاتخذه
الناس كحلا بعد ذلك وامر حسان باليمامة فصلبت على باب مدينة جو فمن يومئذ
سميت المدينة باليمامة وكان حسان قد حمل في جملة السبي امرأة من جديس اسمها
عنز وهي غير الزرقاء لم ير مثلها جمالا وكمالا وهي التي دله عليها رياح بن
مرة فلما قرب اليها الجمل لتركبه لم تدر كيف تركبه فحملت في الهودج والكعث
بالغزل وهم يلومونها بالنزول فقالت

شر يوميها واغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

تقول ان شر ايامي حين عرضت اكرع للسباء وقال الاعشى في هذه القصة

اخلق الدهر بطسم فبلا * مثل ما اخلق سيف خللا
كان طسم وجديس اخوة * هما بغا احدهما فاقتتلا
فبغى ذا الحي على هذا قبلهم * اذ ضر من ذا فيهما ما فعلا
ولقد اعجبني قول التي * ضربت للقوم شيئا مثلا
قول عنز واستوت راكبة * فوق صعب لم يقتل ذللا
شر يوميها واغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا
وحملنا بعدها اخرى على * فاكمر النابين ما ان نزلا
خشن المركب تثنيه شعرا * ومغري فعطينه ما انتفلا

يعني بالاخرى اليمامة وقال رياح بن مرة يذكر اخته بشعاره

غدرا فتى من جديس بكم * ان طسما لما ترانا تريس
فاتينا بهم بيوم كيوم * تركوا فيه مثل ما تركوني
ليت طسما على ما زلها تعـ * ـلم اني قضيت عني ديوني

وقد ذكر شعراء العرب هذه القصة وضربوا المثل بالزرقاء في اشعار كثيرة منها

قول النمر بن تولب ويحمي للرزايا عمرا ... لا *

وقبلهم عمر غداة تبينت * من بعد موت في العشاء ومشبع

فلاث ازرى رجلا يغلب تغلبه * تغليب في وقل له ومشبع

وراث معرفة التمييز ونشا * ركض الجياد الى الصباح بشبع

(وانتهز الفرصة مثل ينتهس * وبالحزر كنتم الغزاة شرو)

اللغة قوله وانتهز الفرصة في اصل الفرصة بالضم النوبة اسهم تعارض
القوم الماء القليل اذ يجعلون لكل منهم نوبة فيقال يا فلان جاءت فرصتك
اي نوبتك ووقتك الذي تسقي فيه فيسارع اليها والانتهاز الاغتنام وفي القاموس
انتهز فلان الفرصة اي اغتنمها فبادر اليها واغتنمها فاصله في الماء ثم
توسع فيه فاستعمل في كل ما يتكرر ويتأتى مما يخاف فواته في وقت دائم وينهس
بالخبز قوله وبالحزري جمع حزية بالضم الشفرة وبنو فنينه بكسر الميم
ويجمع على فرى بالضم والكسر على التغيير وفي القاموس المزية مثلثة الميم
وقوله كنتم الغزاة بالضم جمع غاز بمعنى الغزو والاسم الغزاة ضد الغرافة
وقوله شرواني فكيع وقيرة اذا التشريق تقطيع اللحم وتقديده ومنه ايام
التشريق وهي ثلاثة بعد يوم النحر سميت بذلك لان لحوم الاضاحي تشرق فيها
اي تقدد وتشرح وقيل في وجه تسميتها غير هذا والله اعلم **الاعراب**
والتصريف قوله وانتهز الفرصة جملة معطوفة على ما قبلها والفرصة
مفعول انتهز ومثل ينهس حال من ها عليه قوله وبالحزري الواو داخلة على الفعل
في آخر البيت ومن شرو وبالحزر متعلق به وكنتم الغزاة مفعوله والف الحزرى
عزيا فتكتب ياء والف الغزاة عمرا وتكتب الفا لزاليك ولو فرعه حشوا
والله تعالى اعلم **المعنى الكلام** هذا كالاستثناء مما تقدم فانه
لما امر بالتأني في قوله ثم انت بتعجل البيت افاد هنا ان التأني مطلوب
فلا يخرج بصاحبه الى حد التفريط والتواني وتضييع الفرص فالتأني محمود
والتواني مذموم **قال** علي رضي الله عنه انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر
السحاب ولا تطلبوا اثرا بعد عين **وكان** عمر رضي الله عنه احوذيا سريع
وخذه فرأى غزلا للامور افرانها **وقال** الفارسي بادر الفرصة قبل ان تصير غصة

وقالوا من العجز أن تترك العزمة حتى تفوت ومن العجز أن تطلبها وقد فاتت
وفي مثل هذا التعاجز يقول الشاعر

والمرء تلقاه مضيعا لعزمته ... حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر

تتبع المرء بعد الفوت تغرير ... وتركه مقبلا عجز وتقصير

وقال آخر

وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

ومن كلام وأما قوله وفي المشورة نجم العقل شورة فمعناه أنك إذا قنعت بعقلك واستبددت
العزمة منه بفكرك وميلك فأنت تميل وهذا في العقوبة لرأيه وقد تنبو عليك
وهذا رأي يسلكه الشعراء والأدباء ويعدونه من الحزم والإصابة في الرأي
وإياه أراد المتنبي بقوله

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وهو رأي منبوذ في نظر الشرع وإن العقوبة إنما تكون على قدر الجريمة من غير
زيادة وقد نفهم أن هذا مقال العرب وسوء التأمل وإسراف والله لا يحب
المسرفين قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وقال تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
نزلت في المثلة وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره
على الله ومثله في الكتاب والسنة كثير وقد يقتضي الحال الإغراق في العقو والكا
والإبلاغ في نكايته وليس ذلك من الإسراف الذي ينصره هؤلاء الشعراء
ومن هذا المعنى أيضا ما ذكره الفقهاء من أن للإمام أن يؤدب ويعزر في حقوق الله
وحقوق عباده بحسب اجتهاده وإن زاد على الحد أو أتى على النفس وليس ذلك
من الإسراف أيضا بل إذا اقتضاه الحال والمصلحة الشرعية وأوجبته السياسة
والعدل الذي لا تقوم السماوات والأرض إلا به وهذا مبحث طويل الذيل واسع
المرجع أنه في قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تحدث للناس أقضية بقدر ما
أحدثوا من الفجور ويظهر لي عليه ما قرره الفقهاء في هذا المعنى مثل القرافي وغيره

والمقصود منه درء المفسدة وجلب المصلحة مع مراعاة الشرع في كيفية الدرء
والجلب والله الموفق

في ثكل بيهس وقبح صنعه

قال المفضل كان من حديث بيهس انه كان رجلا من بني فزارة بن ذبيان
بن بغيض وكان سابع سبعة اخوة فاغار عليهم ناس من اشجع بينهم وبينهم
حرب وهم في ابلهم بموضع يقال له الاثلاث ويقال ان اخوة بيهس خرجوا
مغيرين على بني ضبيعة فلقيهم القوم من اشجع فقتلوهم الا بيهسا وكان
اصغرهم وكان يحمق فارادوا قتله ثم قالوا وما تريدون من قتل هذا يحسب
عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني اتوصل معكم الى اهلي فانكم ان
تركتموني وحدي اكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فاقبل معهم فلما كان من
الغد نزلوا فنحروا جزورا من سيقتهم في يوم شديد الحر فقالوا ظللوا لحمكم
لا يفسد فقال بيهس لكن بالاثلاث لحم لا يظلل يعني
لحم اخوته فارسلها مثلا فقال احدهم اني اسمع من هذا الا تبسلا امرا
يوشك ان يكون من ورائه شر فاقتلوه فقال زعيم القوم ايقتل علينا هذا
فقتيل فتركوه وجعلوا يشتوون من لحم الجزور فياكلون فقال احدهم ما اطيب
يومنا واخصبه فقال بيهس لكن على بلدح قوم عجفى فارسلها مثلا ثم انشعب
طريقهم فسار حتى اتى امه فقالت له اين اخوتك امروا انتاع معهم قال بل
معهم واخبرها بما الخبر فقالت فما جاء بك من بين اخوتك فقال بيهس لو خيرت
لاخترت فارسلها مثلا وكانت امه تبغضه وتحب اخوته ثم انها عطفت
عليه ورقت له فقال الناس لقد احبت ام بيهس بيهسا فقال بيهس
ثكل ارامها ولدا اي انما عطفها على ثكلها به ولدا فيما ولو بقوا ما احبتني
فارسلها مثلا ثم ان امه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب اخوته فيلبسها
ويقول يا حبذا التراث لولا الذلة فارسلها مثلا ثم انه اتى على ذلك ما
شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امراة منهن يردن ان يهدينها لبعض القوم
الذين قتلوا اخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به راسه وقيل انه تجرد
وجعل يرقص مع النساء فقلن له ويحك ما تصنع يا بيهس فقال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

فارسلها

فارسلها مثلا ثم ان امه نسيا مكانه وعنيت بما يصنع له طعاما فجعل ياكل
ويقول احبذا كثرة الايدي في غير طعام فارسلها مثلا فقالت امه لا يطلب
من ابنها ابدا فقالت الكنانية لا تامن الاحمق وفي يده سكين فارسلتها مثلا
ثم انه ذات يوم بينما هو يرعى غنما له سائرا في الحر اذ اقبل اذ انتهى الى غار
يستكن فيه فرأى قتلة اخوته وهم عشرة فعقلوا ابلهم على فم الغار وحلبوها
وشربوا منها حتى سكروا اجمع ثم رقدوا فترك غنمه وجاء يبغي خبرهم فاستطلع
وانتهى الى اخ له في الحي يقال له ابو حنبل وكان من انجب العرب اي اشجعهم
فلبثا فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها شيئا ويروى انه
قال له هل لك في غنيمة باردة فارسلها مثلا فقال نعم فقال فتنكب قوسه وتقلد
سيفه وجعل يتلو وراءه ثم جاء بيهس بابي حنبل حتى اوقفه على فم الغار
ثم دفعه فيه فاداه ويسكه ثم قال ضربا ابا حنبل فلما علم ابو حنبل انه قد
تورط وانه لا ينجيه الا الضرب اعمل سيفه فيهم يقول بعضهم ان ابا حنبل
لم يكن فيقول ابو حنبل مكره اخاك لا بطل فارسلها مثلا ويروى اخاك على لغة
القصر ويروى اخوك على لغة الاعراب بالحروف فما زال بيهس وابو حنبل يقتلانهم
حتى فرغا منهم ورجعا بالابل الى الحي وعرفت العرب شجاعة بيهس
وهو امتده وانه ادرك ثاره وفي ذلك يقول المتلمس

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه ‖ تبين في اثوابه كيف يلبس

قوله نعامة يعني بيهسا وكان يلقب نعامة قيل لانه كان طويل الرجلين
مراته امه ليلا فقالت نعامة والله فقال النعامة عرفني نسأ منا القدم
وقيل لانه كان اصم والعرب تصف النعام بالصمم لانه مصلوم الاذنين ويزعمون
ان النعامة ذهبت تطلب قرونا فقطعوا اذنيها ولهذا سموا الذكر ظليما يعنون
انه ظلم بقطع اذنيه والله اعلم

وكان فيهم كرثومة * وليمة شهيرة كالعلق
يدعو ملاكه بلا فرق ‖ يعرف كل ذات اربع لقي

اللغة قوله كرثومة الوليمة اسم لكل طعام يتخذ لجمع وقال ابن فارس هي

لطعام العرس وأول من أولم زين منع وليمة وفي الحديث أولم ولو بشاة. وقد جمع
بعضهم أسماء الولائم فقال

وليمة إعراس وخرس ولادة … عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة … عذيرة ختن مأدبات المكارم

قوله كالعلوق هو بالتحريك ضرب من الصمغ وفي المثل أشهر من علوق الصمغ قال
الميداني يجوز أن يكون فعل بمعنى مفعول كأنه من معلوق الصمغ والأصل من الصمغ
المعلوق في أبي الله تعالى بالبدء وأن يعلق العلوق الصمغ نفسه كما قال ذو الرمة

حتى إذا ما انجلى عن وجهه فلق … هاديه في أخريات الليل منتصب

فالإضافة في المثل باختلاف اللفظين قوله يوم ملاكه قال في القاموس
شمرنا أملاكه وملاكه بكسرهما وبفتح الثاني تزوجه أو عقدة وأملكته إياها
زوجته إياها ولا يقال ملك بها ه وقال في المصباح من يقال أملكت بامرأة
على لغة من قال تزوجت بامرأة ه وعليه عبارة الناظم وأتى مزدوة يأتي ضبطها
قوله عرقب كل ذات أربع يقال عرقب الدابة إذا قطع عرقوبها وهو العصب
الغليظ الموتر يكون في رجلي الدابة بمنزلة الركبتين في يديها قال الأصمعي كل ذي
أربعة عرقوباه في رجليه وركبتاه في يديه والله تعالى أعلم **الأعراف**
قوله وكأن بني قيس العواد أهله على فعل الأمر ومؤكدا واسمها ضمير الجمع كهف
وهو لما أخبر بها وكأن بني قيس حال من اسمها وبهم حال ردية ومجرور يتعلق بهما وفيه تقديم
معمول الخبر كان عليها ومرجاي بن قال الله تعالى وأنفسهم كانوا يظلمون وقوله
وليمة مفعول مطلق وشعيرة صفة له وكالعلوق صفة ثانية قوله عرقب كل ذات
أربع جملة مستأنفة اشتينافا بيانيا كأنه قيل ما كانت وليمة ابن قيس فقال
عرقب كل ذات أربع ويوم ملاكه ظرف يتعلق بعرقب وبأمر مزدوة يتعلق بملاكه
أي يوم تزوجه بها وجملة لطعمي في آخر البيت نعت لذات أربع والعائد محذوف
أي لغيرها على حد قوله

حميت خمسا فما يعز بحير … وما شيء حميت بمستباح

ومعنى الكلام من هذا أيضا من معنى ما قبله وأن الإنسان إذا أخبر بعدوه
بالغ في تنكيله ولا يرحم شيئا من التمثيل به وقد تقدم ما فيه والمثلة حرام حتى

في قول الكفار ويكتفى بغيرهم وما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين
إنما فعل كما في الصحيح لأنهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله
ورسوله كما قال أبو قلابة وأيضا فقد قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وأيضا فهو قضية عين
لا يقاس عليها والله أعلم

ذكر ابن قيس وولايتها *

أما ابن قيس فهو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن
ربيعة بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة
الكندي الصحابي الشجاع الرئيس المشهور يكنى أبا محمد قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم سنة عشر في وفد كندة وكانوا ستين قال ابن عبد البر كان
الأشعث بن قيس في الجاهلية رئيسا مطاعا في كندة وكان في الإسلام وجيها
في قومه إلا أنه كان ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم راجع الإسلام
في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأتي به أبو بكر أسيرا فدار بينه وبين أبي بكر
كلام فقال له الأشعث استبقني لحربك وزوجني أختك ففعل أبو بكر وقال ابن
الأثير قال له أبو بكر ما تراني أصنع بك قال تحتسب بي خيرا فتطلق إساري وتقيلني
عثرتي وتفعل بي مثل ما فعلت بأمثالي وترد علي زوجتي وقد كان خطب أم فروة
أخت أبي بكر أختا أبي بكر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم تأخر العقد قال
فإن فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادي لدين الله فحقن دمه ورد عليه أهله ثم
خرج من عند أبي بكر ودخل السوق واخترط سيفه ثم لم تلقه ذات أربع إلا عقرها
من بعير وبقرة وفرس وغنم ونحو ذلك فصاح الناس حتى سرى إلى أبي بكر
فقالوا ارتد الأشعث مرة ثانية فبعث أبو بكر رضي الله عنه إليه فأشرف
من السطح وقال يا أهل المدينة إني غريب ببلدكم وإنا والله لو كنا ببلدنا لأولمنا
فما اجتزروا من هذه الأنعام ونضاده فوافى الأثمان وليغد على من كان له قبلي حق
فلم تبق دار من دور المدينة إلا دخلها من ذلك اللحم ولا رؤي يوم أشبه بيوم
الأضحى من ذلك اليوم فضرب أهل المدينة به المثل فقالوا أولم ولمة الأشعث
ثم شهد الأشعث اليرموك بالشام والقادسية وشاهد حروب العراق ومع سعد
ابن أبي وقاص من سكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعده [illegible]

فأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل كانت وفاة الأشعث سنة اثنتين وأربعين والله أعلم وفي وليمة الأشعث يقول الشاعر

لقد أولم الكندي يوم ملاكه * وليمة حمال لثقل العظائم
لقد سل سيفا كان مذ كان مغمدا * لدى الحرب منه في الطلى والجماجم
فأغمده في كل بكر وسابح * وعير وثور في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكندي إما لقيته * نعمت بأسنى نحر أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي مستنكرا للعزلة الحماقة التي فعل مثلها أبو بكر مع الأشعث

أتيت بكندي قد ارتد وانتهى * إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه * وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
ولو أنه يأبى عليك نكاحها * وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنه رام الزيادة مثلها * لأنكحته عشرا وأتبعتها عشرا
فقل لأبي بكر لقد شنت بعدها * قريشا وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرة واحد * تزوجه لولا أردت به الفخرا
ولو كنت لما أن أتاك قتلته * لأحرزتها ذكرا وقدمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة * عليك فلا حمدا حويت ولا أجرا

وقد أخطأ هذا القائل وحمله على ذلك غلوه في الجاهلية والصواب ما فعله أبو بكر رضي الله عنه فإنه تألف به جماعة كثيرة من قومه فأدخلهم في الإسلام وحببه إليهم ولأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس

ولا تدع وإن قدرت حيلة * بقيا أهل عسكر مدمدم

اللغة قوله حيلة الحيلة بكسر الحاء الحذق في تدبير الأمور وهو تقليب الفكر في العواقب حتى يهتدي إلى المقصود واحتال طلب الحيلة قوله فهو أهل عسكر العسكر الجيش والكثير من كل شيء فارسي معرب وعسكر القوم تجمعوا والموضع معسكر بفتح الكاف قوله مدمدم قال ابن الأعرابي دمدم الشيء ألصقه بالأرض وطحطحه وكذلك دمدمته وأنشد ليحيى بن خالد

تدمدم وتضع اللين للنيل والثرى * وبعضهم يقوله بزاي معناه فيه

الاعراب والتصريف فقوله ولا تدع لا ناهية وتدع مجزوم بعد
حيلة مفعوله وبادوا منقلبة عن واو لأنه من التحول وان فررت جملة شرطية
معترضة بين العامل ومعموله وجوابها محذوف لدلالة ما تقدم عليه فقوله
من اجل فالفاء تعليلية اي لأجلها اجل ومن مبتدأ واجل خبره **ومعنى
الكلام** يقول العاقل ينبغي له ان يستعمل الحيلة مع عدوه وان كان قادرا
على ان يتمكن منه بقتال ونحوه فان الحيلة من ابواب الآراء المحكمة
ومن حسنة ما لم يستبح بها محظور والا حرمت وكتاب الحيل عقده البخاري
في صحيحه للرد على ابي حنيفة لأنه كثيرا ما يستعمل الحيلة في فتياه مع انه
قد وجد فيها ما يخالف النص وقصد البخاري رحمه الله بيان ذلك **وقد**
سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها **وكان** يقول الحرب خدعة **وقال تعالى** واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الآية فقوله ما استطعتم يشمل كل ما هو في مقدور
البشر من عدة وآلة وحيلة وغير ذلك **قال** المولى ابو السعود اي من كل
ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان **و**قصر النبي صلى الله عليه وسلم القوة
بالرمي ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من
القوى ومن امثلتهم رب حيلة انفع من قبيلة وقيل اذا لم تغلب فاخلب
وقال بعضهم كن بحيلتك اوثق منك بشدتك وبحذرك افرح منك بنجدتك فان
الحرب حتف للمتهور وغنيمة للمتحرز وقال ابو الطيب

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران

وقال ابن الرومي

تتلقاهم بسيف من العزم * وريح من صنعة الآراء
وسيوف العقول امضى من الصمصام * في كف حاسر الغبراء
وان كان في سعد ذي العز الشفا * شبكة ذي البرق غير ذي التيور

اللغة قوله ان كان في سقفه يقال سقفت الدرع والدرع سقفا من باب
ضرب وفي لغة من باب قتل اذ رفقتهما وانقيا على ساقيك وسقفاه فبالغة والسقاه
ايضا السقاح ومنه انقاذ على الكلام قوله دم العدا هو بكسر العين
مقصورا جمع عدو ومنه جمع نكير له بل هو جعله بعضهم اسم جمع قال
ابن السكيت ولم يأت فعل في النعوت الا حرفا واحدا يقال هؤلاء قوم عدا
اي غرباء وقوم عدا اي اعداء وانشد لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان

اذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

قال ويقال قوم عدا وعدا اي اعداء مثل سوى وسوى قال الاخطل

الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وان كان حيانا عدى آخر الدهر

يروى بالضم والكسر وقال ثعلب يقال قوم اعداء وعدا بكسر العين فان ادخلت
الهاء قلت عداة بالضم والشقاء بالكسر والمد الرداء والجمع اشقية
والبريء البري لا تبعة عليه والجلب يقال انا منه براء وخلاء بفتح اوليهما
لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل فاذا قلت انا منه بريء وخلي ثنيت
وجمعت قال الله تعالى انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون الاعراب
والتصريف قوله ان كان في سقفه جملة شرطية مستانفة لا محل لها
من الاعراب وفي سقفه دم يتعلق بمحذوف خبر كان مقدما والشقاء اسمها مؤخرا
وقصره ضرورة وسهل ذلك ان انقلاب الالف تاء عند تعمد بالوقف كما هو ابدا
وعليه فهو لغة والفه عن ياء واما الف العدا فهي عن واو لانه من العداوة
قوله سقفه دم البري جملة في محل جزم جواب الشرط لا قترانها بالفاء
وحذفها منه ضرورة كقوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

والبري يجوز قراءته تبعا للهمزة ويجوز تخفيفه بالقلب والادغام وهو خبر المبتدا
خبر المبتدا والمراد غير لا بريء فافعل التفضيل على بابه من التفضيل كقوله تعالى
هو اعلم بكم ومنه اهون عليه قال في التسهيل وهو مكروه عند ابي العباس المبرد
لكثرة الوارد منه والاصح قصره على السماع ه والله اعلم ومعنى
الكلام ظاهر اعلم ان هذا البيت تضمن لما مر في الابيات السابقة من ان

إذ الظن بعدوله فيبالغ في عقابه ويشدد في نكاله فإنه ربما يفهم منه أنه يحسن
أن يجازى بالعقاب أمثال الجرائم التي فيهم من البذاء فأفاد بهذا البيت أن مجازاة
ذي الذنب إن قل إذنابه محظور وغير لائق شرعا وطبعا وستأتي شواهد ذلك
وإنما جعل الذي يتقلع من الأمراء شفاء فيما يدركه الإنسان بالغضب من أنه ما دام
لم يأخذ بثأره يكون كمزاح فكأن في قلبه قرحة دامية أو جمرة ملتهبة حتى
إذا أخذ بثأره سكن ما فيه من ألم واستراح ولذلك قال الشاعر

تعلم شفاء النفس قهر عدوها * فبالغ بلطف في التحيل والمكر

وقال الغزالي رضي الله عنه قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان
دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات
قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه
القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به. واعلم أن ما ذكره الناظم
من أن أخذ البريء بالسقيم غير لائق هو كذلك على تفصيل إذ المسألة قد
تعارضت فيها الأدلة واختلفت فيها آراء الفقهاء فمن دونهم من الأدباء
والعامة أما الأدلة فقد قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع
مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال تعالى في آية أخرى
وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وقالت زينب بنت جحش للنبي صلى الله عليه وسلم
أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وفي الصحيحين وغيرهما أن نبيا
من الأنبياء صلوات الله عليهم نزل تحت شجرة فلدغته نملة فأمر
بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا
نملة واحدة. قال أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول لم يعاتبه الله على
تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البريء بغير البريء وقال القرطبي في
هذا النبي هو موسى بن عمران عليه السلام وأنه قال يا رب تعذب أهل
قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده
فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها وعندها قرية النمل
فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لدغته نملة من كثرة بقدمه فأهلكهن

وآخرون مسكنهم فأزال الله الإباية في ذلك عبرة لما الرغبة فيه فانظر كيف أصيب
الأبناء فورا بعقوبتها بريئين تعالى أن ينبههم على أن العقوبة من الله تعم الكافة
فتصيب رحمة وكفارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابا على العاصي ه
ومنها تأويل الحديث كما ترون كذا قال العلماء فأما الآية الأولى وهي قول
الله مع عمل البريء البري أن يصيبها الإثم فقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى في الإسراء
أن جماعة من قدماء الفقهاء استدلوا من قرب الآية على الغافلة وقالوا إن
ذلك يقتضي مؤاخذة الإنسان بسبب فعل الغير وذلك على خلاف ما دلت
الآية وأجيبت عنه بأن المنفي ليس مؤاخذة على ذلك الفعل يكفي بعين
غيره مؤاخذة بسبب ذلك الفعل بأن ذلك تكليفا وإنما على سبيل الابتلاء من
الله تعالى ه وفي الكشاف عن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين إبراهيم يؤخذ
الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد
بسيده فأول من خالفهم إبراهيم عليه السلام ه وفي كتاب ذم الغضب
من الإحياء أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له فقال له
إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين
أتخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين
إبراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر
وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته ه وكذلك
استدلت عائشة رضي الله عنها بالآية على أن الميت لا يعذب ببكاء أهله
عليه وأولت ما رواه ابن عمر رضي الله عنه من ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم بأنه في غير الكافر والصواب ما قاله البخاري من أن ذلك في من جرت
عادة أهله بالنياحة فلم ينههم فأما قولها أن الآية ولا تزر وازرة وزر أخرى
محكمة وما عارضها مؤول هكذا أطلقوا القول في المسألة والصواب التفصيل كما
يأتي فقد روي في صحيح مسلم وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن ثقيفا
كانت حلفاء لبني عقيل في الجاهلية فأصاب المسلمون رجلا من بني عقيل ومعه
ناقة له وأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم أخذتني وأخذت
سابقة الحاج فقال أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف وقد كانوا أسروا رجلين

من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به وهو محبوس فيقول يا محمد اني
مسلم فيقول له لو كنت قلت ذلك وانت تملك امرك افلحت ففداه رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجلين من المسلمين واستحل الناقة لنفسه ه **قال المازري**
اجاب الناس عن هذا الحديث الكريم بثلاثة اجوبة **احدها** ان يكونوا قوما عاهدوا
ان لا يتعرضوا لابل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بسرح ولا حلب وهم بنقض
عهدهم العقد وهدروا بذلك فاستبيحوا **والثاني** انهم كانوا لا عهد لهم
فهم على الاباحة **والثالث** ان في الكلام حذفا ومعناه اخذت لاداء دين
من حلفائك ه ذكر فرسا وان من خرج في تبيين هذا الحديث مسلم هذا مختصرا بكلام مبين
على جواز اعمال السياسة في استخراج الحقوق واداء تبعات الجماعة الحقا والعشيرة
انه لا يحق الحق لا عوض فيه ولا امتنا وقد حرر ذلك بعض المتأخرين من فقهاء
فاس وهو الفقيه ابو الحسن علي بن عبد السلام التسولي في بعض اجوبته وجعل
المسألة على ثلاثة اوجه **احدها** ان يكون الغير من الاباعد عن المجرم ولا يحتمى
به واذا اخذ ذلك الغير به لم ينكف هذا المجرم عن جرمه فهذا مما لا يؤخذ
الغير به كتابا وسنة واجماعا **ثانيها** ان يكون ذلك الغير من الاباعد عن
المجرم ولا يحتمى به كالاول ولكنه اذا اخذ به انكف المجرم عن جرمه وانحسمت
مفسدته لكون ذلك الغير يقدر على الانتصاف منه بقرابة ونحوها فهذا يجوز
ان يؤخذ الغير به سدا للذريعة وحسما لمادة الفساد **ثالثها** ان يكون ذلك
المجرم من ابا اليه المذنب ويحتمى به فهذا يؤخذ ذلك الغير بجريرته وبجميع
ما اخذه ولا يلتفت فيه لاخذ باختصاصه ورضى الآخذ بفعله نعم وفقنا الله على
كلمه ومن هذا الاخذ بالرفقة من اهل البادية ومن في معناهم فان بعضهم
ينصر بعضا على النهب والسراح الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما
هم فعليك بهذا التفصيل ولا تتجاوزه فتكون مضيعا للحقوق ومخلا بالشرع فان
وضع الشرائع اه الشرائع كلها انما جاءت لدرء المفاسد وجلب المصالح
فيجب علينا القيام بذلك ما امكن والتوصل اليه بكل وجه خال عن مفسدة مساوية
او اعظم وفي اشتراط الملاءمة لتصرفات الشرع المنصوصة خلاف يتكثر في تعليله هذا
ما هو ما يتعلق بنظر الشرع في المسألة واما ما للامراء والسعاة ومن في معناهم

فيها فقد روي ان الحجاج لما قدم العراق واميرا عليه وصعد منبر جامع الكوفة وخطب خطبته المشهورة قال في اثنائها والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ولاخذن البريء بالسقيم والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصي حتى تستقيم لي قناتكم او كما قال وقال الشاعر

مولدة فزمت علينا وقد * ثغر الصلاح فبادرنا الحجر
ولكن فاخذوه بذنب قريبه * وينجو المقارف صاحب الذنب

ومن النوادر المناسبة لهذا الموضوع ما روي ان امرابيا جاء الى امرائه وقد اغتالهم واشتهرت شهرته بافعاله وراوده ما قالت فاتاها الحما فقالت ابي حايض فقال لها ما ابن الهنة الاخرى يعني دبرها ثم حمل عليها ومن تشهده وتراجعه ومن ماض على امره وتقول

كلا ورب البيت ذي الاستار * لاهتكن حلقة الحتار
قد يؤخذ الجار بذنب الجار

والحتار بالفتح حلقة الدبر والكوز ونحوه وحكى الجاحظ ان امراة اتت الى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبي عاق لا يطيع فاحب ان تفزعه فاخذ المعلم لحيته والتقمها في فيه وحرك راسه وصاح صيحة هائلة ففزعت المراة من الفزع وقالت له انما قلت لك افزع الصبي ليس اياي فقال لها يا هذه ان العذاب اذا نزل اهلك الصالح والطالح فهذا راي من يرى مؤاخذة البريء بالمذنب واما من لا يرى ذلك فمنه ما روي ان قتيبة بن مسلم الباهلي لما فرغ من اسارى اهل حرب اعطيهما من قبل الحجاج قال اليه بعض الشعراء فانشد

شر العقاب على البريء وما جنى * حتى يكون لغيره تنكيلا
والحلم في بعض الامور وان غلا * فستنزع للجاهلين عقولا

فقال قتيبة فسمعت الله من قائل والله لا قمت معه في بلد ثم اخرجه من حساب
وقال امرؤ القيس مما يقرب من هذا المعنى

الا يا لهف هند اثر قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم

وقائمهم حرمهم بثني ابيهم * وبالاشعرين ما كان العقاب
فلم يستيسروا ذلك وقال النابغة للنعمان بن المنذر *
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وهل يأثمن ذو امة وهو طائع
لكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو راتع
والشعر في هذا المعنى كثير وقد علمت الحق والصواب في ذلك والله اعلم

(ولا تغاربي سائفكم الغدر بكم * من شيعة قد غلبت ببيذق)

اللغة قوله بكم من شيعة الشيعة بوزن عدة والمراد بها عدة من اعداد
رقعة الشطرنج يبتدا من شاه بها منزلة المليك من الرعية والمعروف شاه
بشين معجمة فالف فهاء ساكنة ومعناه في لغة الفرس الملك واما الشيعة كما هو
في النسخ فقول لزعامين وبعضهم يغلط في لفظ الشاه فيجعل مكان الهاء تاء كالشاة
التي هي واحدة الغنم وقد وقع ذلك لابي بكر بن اللبانة شاعر المعتمد بن عباد
في قوله الذي منه اخذ النساخ *

والدهر في صبغة الحرباء منغمس * الوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وربما قمرت بالبيذق الشاة

وقول الفرس شاهانشاه معناه ملك الملوك لانهم يقدمون المضاف
اليه على المضاف ويجعلون علامة الجمع الفا ونونا في الاخير كما ان علامة
الجمع في لغة العرب ميم ساكنة في الاخير وفي العجمانية نون ساكنة في الاخير
وقوله ببيذق هو بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة بينهما تحتية ساكنة
المراد به هنا عود الشطرنج الذي هو في اخر مرتبة منها وهو في الاصل معرب
بيذه بالهاء ومعناه في لغة الفرس الراجل في الحرب ويجمع البيذق على بياذق
وبياذقة والهاء فيه للنقل كما في زوجة واصل البياذقة الرجالة في الحرب كما
قلنا فاستعير لعود الشطرنج ثم صار حقيقة عرفية وقد ادخل النساخ من على
تمييز كم الخبرية وهو كثير ومنه قوله تعالى وكم من ملك والله اعلم *

* القول في الشطرنج والنرد وما يتعلق بهما *

ويتعلق الكلام بهما من وجوه اربعة تفسير لفظيهما وبيان واضعهما والكشف
عن سرهما وحكم اللعب بهما اما لفظهما فالنرد بفتح النون وسكون الراء وجمعه

معرب ويقال له النردشير نسبة الى واضعه اردشير بن بابك من الساسانية وتفسير
اردشير بالعربية دقيق وحليب فارد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة واما
الشطرنج فهو بكسر الشين وفتحها من لحن العامة كما نص عليه ابن هشام اللخمي
وحكى ابن جني ان الصواب الكسر ليكون على بناء جردحل لانه ليس في اوزان
العرب فعلل بفتح الفاء وغيره جوزوا فيه ان يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه
من المشاطرة وان يقال بالسين المهملة لجواز ان يكون اشتق من التسطير عند
التعبية قاله في درة الغواص وتعقب ذلك ابن بري بان الاسماء العجمية
لا تشتق من الاسماء العربية وبانه خماسي واشتقاقه من الشكل يوجب انه
ثلاثي فتكون الشين والجيم زائدتين وهذا بين الفساد ه وذكر ابو البقاء في شرح
ديوان المتنبي انه معرب من شش رنج يعني ان من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا
وحكى الجواليقي ان اصل شطرنج ششرنك ومعناه ستة الوان لان شش
عندهم ستة ورنك لون وكانهم قالوا ستة الوان فالشاه لون والفرزان لون
والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون فهذه ستة وهذا من الاعاجم والاول
والله اعلم واما واضعهما فالنرد وضعه اردشير بن بابك اول الملوك
الساسانية الذين قام عليهم الاسلام وضربه مثلا للقضاء والقدر كما
سنشرحه واما الشطرنج فقد وضعه الحكيم صصه بن داهر الهندي ولفظ صصه
بصادين مهملتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وقرأته بكلام ابن
خلكان في اسم الملك الذي وضعه له هذا الحكيم فتارة سماه شهرام بكسر الشين
المعجمة وتارة سماه بلهيت بباء مثلثة في اوله كما عند غيره وابن عبد
البر كذا هو ونقله الكمال الدميري عن شيخه اليافعي وغيره انه بلهيث واختلف
في السبب الذي من اجله وضعه فقيل ان الفرس لما وضعت النرد افتخرت بذلك
فوضع الحكيم صصه الهندي لملك عصره الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر
بترجيحه على النرد لامور يطول شرحها وقيل ان ملك الهند احب ان يرى الحرب
ويرى ما في خدعه ومكره فوضع له الحكيم المذكور الشطرنج وفي المستطرف
ان ملوك الهند كانوا لا يرون القتال بين الملوك فاذا تنازع ملكان في كورة او
مملكة تلاعبا بالشطرنج فياخذها الغالب من غير قتال وقيل ان السبب

في وضعه ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه اغراه بعض الجهلة بقتل
فيها فهاب الناس ان يعلموه بموته فوضع لهم حكيمهم الشطرنج ولعب به الوزير مع
الملك فقال الملك شاه مات فقال الوزير من الملك سمعتها فعلم الملك ان ولده قد
مات وامر ان يعزى فيه فلذلك ولما عرض الشطرنج على ملك الهند اعجبه وفرح به كثيرا
وامر ان يكون في بيوت الديانة ورءاه افضل ما علم لانه ءالة للحرب وعز للدين
والدنيا واساس لكل عدل واظهر الشكر والسرور على ما انعم الله عليه في ملكه به
وقال لصاحبه اقترح علي ما تشتهي فقال له اشتهي ان تضع حبة بر في البيت الاول
ولا تزال تضعفها حتى تنتهي الى ءاخر البيوت فما بلغ تضعيفه فاستصغر الملك ذلك
وانكر عليه لكونه قابله بالنزر اليسير وقال له كنت اكثر لرجاحة عقلك ان تطلب
شيئا نفيسا فقال ايها الملك انك لما امرتني الى التمني لم يكن ببالي غير ذلك واستثقل
الرجوع عنه فانعم له الملك بما سال وامر باحضار المحاسبين وامرهم باستخراج
ذلك فلم ياتوا فيه بشيء لا تفي به ممالك الدنيا لو كانت قمحا فقال الملك لا ادري ايهما
اعجب ءالشطرنج ام الامنية واعلم ان عدد التضعيف كلية هذا الحكيم عدده لا
حسبما حققه صاحبنا فلكي العصر وحاسبه الشريف ابو العلاء ادريس بن محمد
الجعيدي السلاوي ثمانية عشر الف الف الف الف الف الف ست مرات واربعمائة الف
الف الف الف الف خمس مرات وستة واربعون الف الف الف الف الف خمس مرات
وسبعمائة الف الف الف الف اربع مرات واربعة واربعون الف الف الف الف
اربع مرات وثلاثة وسبعون الف الف الف ثلاث مرات وسبعمائة الف الف مرتين
وتسعة ءالاف الف وخمسمائة الف وواحد وخمسون الفا وستمائة وخمسة عشر
18446744073709551615 : عشرين منزلة والله تعالى اعلم
واما سرهما فقد قدمنا ان ازدشير واضع النرد وضع به مثلا للقضاء والقدر وان
الانسان مجبور في قالب مختار وهذا بعينه مذهب الاشعرية وهو المذهب الحق
فجعله مثالا للدنيا واهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة والكلاب
ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر واختلاف الوانهما كاختلاف سواد الليل وبياض
النهار وجعل منازل الرقعة اربعا وعشرين بعدد ساعات الليل والنهار ثم قسم
المنازل على اربع مراتب كعدد الفصول الاربعة التي هي الشتاء والربيع والصيف

زعم الانتقال في

ذلك

والغربية وشبه جوانب كل مربع من ستة بالجهات الست التي من فوق وتحت
وأمام وخلف ويمين وشمال وجعل الفصين بحيث يجمع جوانبهما معا اثنا عشر
شكلا كعدد بروج الفلك والكلاب الموزعة عليهما كدرج البروج لأن نقطها
ثلاثون ثم جعل نكت الفصين اللذين يرمى بهما عند اللعب كلها اثنتين
وأربعين وهو تكسير الجهات الست في النكت السبع التي إذا جمعت جانبين متقابلين
من الفصين المشروعة من عليهما وجدتها سبعا وشبه تلك السبع بأيام الأسبوع
فإذا فرقت السبع المذكورة في مراتب منازل الرفعة وهي أربع مراتب ثمانية
وعشرين كعدد منازل القمر التي نصفها فوق الأرض ونصفها تحت الأرض في كل حال
والفصوص مثل الأفلاك وحركتها مثل تقلباتها ودورانها والنقط فيهما كعدد
الكواكب السيارة كل وجه منها سبع الشش ومعناه الست ويقابله اليك
ومعناه الواحد والبنج ومعناه الخمس ويقابله الدو ومعناه الاثنان والجهار ومعناه
الأربع ويقابله السيه ومعناه الثلاث وجعل ما يأتي به اللعب من النقوش كالقضاء
والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارة على ما جاءت به النقوش لكنه
إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يأتي ويتحيل على الغلب ويقهر خصمه مع الوقوف
عند ما حكمت به الفصوص وهذا مذهب الأشاعرة لأن اللاعب يعترف بالقضاء
والقدر وشبه فراغ اللاعب بالمعاد وفلج القامر بما حصل للمجتهد من الثواب
وشبه ما يلحق المقمور من الحسرة بحسرة المقصر في الآخرة لأن محل الاختيار
وجود التدبير في اللعب وعكس ذلك موكول إلى الضارب بالفصين فقد يكون
حسن اللعب ولا يواتيه القضاء فهذا كالمؤمن الذي يرزق شيئا يسيرا فيحسن التدبير
فيه حتى يحسن حاله ويستغني أمره وقد يواتيه القضاء ولا يحسن اللعب فهذا
بمنزلة الأحمق الذي يرزق شيئا كثيرا فلا يزال يسرف فيه ويبذره حتى يفتقر
وتسوء حاله وقد يجتمع على الضارب الأمران جهل منه باللعب وجور من الفصين
عليه فهذا كالجاهل المحروم وقد يكون حسن اللعب ويساعده القضاء فهذا بمنزلة
العاقل والمحظوظ والذي لا يساعده القضاء فقد يرضى بذلك فهو بمنزلة العاقل الراضي
بحكم مولاه الشاكر تحت مجاري الأقدار وقد يتسخط ويضجر ويسب الفصين فهذا
بمنزلة العاقل الجاهل المتسخط للمقدور ومع ذلك فإن تسخطه لا ينفعه

فيما يمر له التقدير شيئا وإنما تحمل به الكدر لنفسه فإن الأمر ليس إليه بل
لغيره وهما الفصان اللذان جعلا مثالا للقضاء والقدر إلى غير هذا مما يقول
وإنما أوضحناه بعض الشيء فإن اللعب بالنرد مجهول لأكثر الناس مع ما ورد من
التشديد فيه من الشارع كما يأتي وأما الشطرنج فاللعب به معروف وتحته
رموز وأسرار حكمية يرجع إلى مكايد الحرب ولما وضع أردشير النرد وأشار فيه
إلى أن الإنسان مجبور وضع الهندي الشطرنج وعارضه فيه بأن لا قضاء ولا قدر
وأن العبد متمكن من العقل فإذا عقل أن ينال بسعيه واجتهاده المراتب العلية
والحكم السنية وإن هو أهمل نفسه وترك الاجتهاد والسعي هوت به نفسه
إلى الحضيض وأبى الله الكريم برفض العبد إلا رفعه والدليل على ذلك أن البيدق قد
ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان وكذا الواحد من كل الرعية إذا أعطى
الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه كان حريا بأن ينال رتبة الوزارة وكذا الوزير
قد تسمو نفسه إلى الاستبداد بحمل الملك وقد يحمل على ذلك حتى يصل إليه إلى غير
ذلك مما هو مبسوط في محله فالنرد جامع لحكم القضاء والقدر ومثيل للكسب
بحسن اختيار اللاعب وسوء اختياره بخلاف الشطرنج فهو مقصور على عقل
اللاعب وتصرفه فالجبر والنرد ولهذا يقولون الشطرنج معتزلي والنرد مجبر
وفي تفضيل الشطرنج على النرد من هذه الحيثية نظر كما قال العلامة الدميري رحمه
الله فإن قلت إذا كان الأمر هكذا فلم كان النرد أشد في الحرمة من الشطرنج
قلت اتباعا للشرع وسيأتي بيان ذلك وقد وصف الشعراء النرد والشطرنج
فأكثروا ومن أحسن ما قيل في ذلك قول السري الرفاء يصف النرد *

ومحكمين على النفوس وربما * لم يحكما فيمن حكما عادلا
أحوال قد رسما على قسميهما * سمة تنبه على الفطين غوافلا
يلقاهما المرزوق سعدا كالحيا * ويراهما المحروم سعدا آفلا
فإذا هما اصطحبا على كيد فتى * ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

* وقال في الشطرنج *

وكتيبتين زنج وروم أذكيا * حربا تشب بغير الذكاء مناصلا
في معرك فسح البراز بقاعه * بين الكماة المعلمين منازلا

لم يشفعكما فيه دفاع وإنما * رش الرقاة أعاليها وأسافلا
تم لعقيد كلما لا حكمتها * فمن يشتري جاها لا يفتقرها ويغافلا
فكان ذا صلاح يسيم فقرها * وكان ذا انشراح يفكر قابلا
فيا عجبا لعالم يأتيه إذا التقت * بفضل الرجال ولا تثني فساد هلا

وقد شرح صاحب كتاب الصلاح والنافع ومولانا الشريف أبو يعلى الهاشمي المعروف بابن المبارك بعض أبيات النوعين ومن ذلك في مقالة وقعت من شخص عن أعرابي منسوب للأعرابي فأرسل فقال

وكان قول الشيخ فوق النفس * الحكماء العلماء الأكبر
لهم علوم وحلوم ويقس * وحكمة بالغة إذ تمتحن
لوم بكر وتعليم لو تعتبر * بفضل الرجال منعق وتعتبر
إلا الذي أبرزه في الشكر نعم * للناس من علم شريف النهج
حق عظيم لقوله منزلا * يصيب الرأي الأديب جزلا
فيه إشارة أرقوا بمنهج * نابعة لكل واع حاجه
فقد سموه للشريعة الأولى * إن الحكيم يضرب الأمثالا
يعنون أن العيش بالتدبير * وليس بالقسمة والتقدير
والمرء للأفعال مستطيع * فحكمه يجمعه أو يضيع
وذلك العقل بلا خلاف * لوقوع الرجال للانتصاف
قال لي الكمال وفوق العرش * الحكماء ما بزال أيس
لهم سياسة وترتيب حسن * كالشرع عن لا في الفروع والسنن
وكلهم تعتصر بالحكمة * كأنهم قد أيدوا بالعصمة
لا تعتبر الأطباع والأرمانا * ولا نرى الشر ولا الفقر وإنما
وهم يقولون بلا نكير * العيش بالرزق وبالتقدير
وليس بالرأي ولا التدبير * فاسمع لما قيل وكن بصير
وقد رفعنا النرد للمثال * لو فطنت فيما يرى الجهال
وما نصرنا بالقصور اللعبا * حاشا لنا لاكن فهمنا الأدبا
وإنما نهى لغتنا حيلة * يغني بها ما فيه من فضيلة

وإنما يعشقه الرجال ... لأنه لعب كما يقال
ولو دروا أن امرأة الأدب ... برفعه ووضعه ما لعبوا
فاعرف فمن تعلمه ثقيل ... فإن ذاك ابن نقد قليل

وأما أن النظر في هذا المعنى أكثر من ضرر فوائد الشطرنج فلينظر من أراد ذلك
وأما حكم اللعب بهما ففي صحيح مسلم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه **وفي الموطأ** عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب
بالنرد فقد عصى الله ورسوله واختلف في علة تحريمه فقيل لأنه يوقع
العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغل القلب فيحرم
اللعب به اتفاقا والسلف بل حكى بعضهم عليه الإجماع ونوزع فيه وقيل في
علة تحريمه أن فيه إحياء سنة المجوس المتحكمين على الله وأما الشطرنج
فمذهب جمهور العلماء أن تحريم اللعب به وعليه الأئمة الثلاثة مالك
وأبو حنيفة وأحمد وحكى البيهقي إجماع الصحابة على ذلك قال بعضهم فمن
نقل عن أحد منهم أنه رخص فيه فهو غالط فالبيهقي وغيره من علماء الحديث
أعلم بأقوال الصحابة ممن ينقل أقوالا بلا إسناد وأجابوا عما كان في الصحيحة
وقد ورد فيه أحاديث وإن كان في بعضها ضعف وإرسال فذلك لا يمنع من
الاستشهاد بها والاعتبار لاسيما مع كثرة الطرق واشتهارها فما كان منها
ضعيفا فمجبور بانجراره وما كان مرسلا فإنه يقوى بتعدد طرقه وتغاير
شيوخ مرسليه وبالقياس على النرد بجامع الصد بل هو كما قال ابن عمر ومالك
وغيرهما شر منه لأنه أبلغ في إفساد القلوب من النرد لاحتياجه إلى فكر
وتدبير وحساب النقلات قبل النقل بخلاف النرد يلعب به صاحبه ثم يحسب
قلت ولأنه جار على طريقة أهل الاعتزال بخلاف النرد كما مر وذهب
الشافعي إلى كراهته تنزيها على الصحيح المشهور عنه **قال النووي** وشذ من روى
عن جماعة من أئمتنا تحريمه لا كما ذكر صاحب المفردات فإن روي مرة ذلك عن أئمتنا فيعني
وقال من أحاديث كذا أصل لها من أحاديث الكوفة وكان من أهل فيهما دار القرب
فشمل الكراهة عند الشافعي وقيدها بما إذا لم يقترن به محرم وتعتبر المواظبة

بالعرف وما لم يلعب مع معتقد تحريمه أو يكن على شكل الحيوان أو يتعود عليه
بل مع مخففي اللسان عن الخنى والحلف والشتم وما لم يقترن به قمار وكره بلعبه
على الطريق ولم يؤخر به صلاة والادمان في الجميع وما اقتضاه كلام مختصر
الشيخ خليل من ان اللعب به غير حرام حيث جعله من افراد ما لا يليق خلاف المذهب
وفي الحطاب قول بجوازه مع نظيره في خلوة لا مع الناس ويباشر على كل حال والادمان
عليه قادحة في الشهادة لا بان يلعبه مرة في السنة فاكثر والله الموفق

(وكم حبارى أفعى صقر قلم * يكفيه بغير حتفه بالزرق
وكم غيور للأسود قد مبيت * بالعقر من بعوضها المتلتهي)

اللغة قوله وكم حبارى والحبارى بالضم طائر معروف يقع على الذكر والانثى
والجمع بلفظ واحد والفه للتانيث خلافا للجوهري اذ لو لم تكن له لانصرفت
ويصغر على حبيرى وحبير قال في الخلاصة

وعند تصغير حبارى خير * بين الحبيرى فادر والحبير

ومن امثال العرب كيف انا والحبارى وذلك انها تصاد بالبصرة فيوجد
في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام
قوله افعى صقر الافعى بالفتح الحية يقال افعى وافعوة وتافعة اذا اخضرت
وشر الحيات يأتي ويقال حيمة وتيممة ومنه التيمم للصلاة والصقر بفتح الصاد
قال الزجاج يقع على كل صائد من البزاة والشواهين ويقال بالصاد والسين
والزاي قال في نظم كثيرا ما يبدلون الصاد سينا اذا كان في الكلمة قاف او طاء
او غين او خاء قاله الجوهري وقال الدميري في شرح مختصر المزني كل كلمة
فيها صاد وقاف ففيها اللغات الثلاث كالبصاق والبساق والبزاق قوله
بغير حتفه الحتف الهلاك قال ابن فارس وتبعه الجوهري ولا يبنى منه فعل
وحكاه ابن القوطية فقال حتفه الله يحتفه حتفا من باب ضرب ومات حتف
انفه اذا مات على فراشه بتنفس حتى يموت ولذا خص الانف قوله بالزرق زرق
الطائر بالزاي المعجمة وسكون الراء خرؤه وفعله زرق يزرق ويزرق ويقال بالذال
بدل الزاي في جميع تصاريفه وقال حسان بن ثابت لما سأله عمر رضي الله
عنه عن هجاء الحطيئة الزبرقان بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاعل يبدأ البازل وعليه فقوله بالقضم من بعضها القضم أخذ الشيء بأسنانك
واقتضائك عليه والبعوض فعروه فالكوا وسق على خلقة الفيل إلا أنه أكثر
أعضاء منه قال الزمخشري واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب يقال بعضته البعوض وأنشد *

لنعم البيت بيت أبي دثار * إذا ما خاف بعض القوم بعضا

أبو دثار هو الكلة التي يتوقى بها من البعوض وتسميها العامة الناموسية
نسبة إلى الناموس الذي هو البعوض والبعض في آخر البيت المراد به عض
البعوض يقال بعضه البعوض إذا عضه فالبعوض في الأول صفة على فعول
كالقطوع وقوله الملتهم يقال بالطاء وبالتاء وبالزاي على اللغات
التي ذكرناها آنفا **الإعرابات والتصريف** قوله وكم جبار في جملة
معطوفة على قوله بكم من شعة وكم مبتدأ وجملة أعماه خبر له ويجوز في كم
النصب على الاشتغال إلا أن الابتدائية أولى لتوافق الجملة ما قبلها وما
بعدها في الاسمية وقوله فلم يكفه اللقاء عطفة سببية وجملة لم يكفه
معطوفة على جملة أعماه وغير أداة استثناء والعامل فيه هو العامل في المستثنى
لا كما زعم ابن الحاجب بالإضافة غير التي جرت مجرى إلا كان يستحق أن يجر بعدها ما على
الإعراب بغير والتقدير فلم يكفه إلا بحتفه وبالنزر يتعلق بحتفه وهو ساكن
الزاي لا كثر الناظم حركه بالفتح ضرورة كما حرك زوبعة القاف من الخفق ضرورة
في قوله * وقاتم الأعماق خاوي المخترق * مشتبه الأعلام لماع الخفق
قوله وكم عيون الأسود جملة معطوفة على الجملة من البيت ويجوز في
لفظ عيون ضم العين على الأصل وكسرها لمناسبة الياء وذلك في نكرة جمع
كان وثلاثه من البيوت والشيوخ والجيوب والعيون ونحوه الخ وقوم هي أبا للعين
في السبع والأسود في محل النعت لعيون وجملة مبتدأ خبر كم عيون والفاء في قوله
بالعين سببية ومن بعوضها صفة للعين أو حال منه وهو الكلام ومن ابتدائية
والملتهم نعت للبعوض وأما وصفه بذلك لأن ذلك شأنه فكأن البعوضة أو
الزبابة تقع على الفريسة الرامية إذ في قول العين الرامقة فلا تكاد تخفى حتى تقع كما

في المستثنى

ومن لا همة وذلك لما فيهما من التزلزل والله اعلم **معنى الكلام** منها
ذكر الناظم رحمه الله في البيت الشاهد ان الفاضل سيما من كان من الافراد
كالملك ومن في معناه ينبغي له ان يمتاز من الافاضل بان يبادر ويفاتله
لما في ذلك من المعرة عليه اذا كان مغلوبا ومن عدم المزية اذا كان غالبا
واحتج لذلك بقوله وكم من شقة فن غلبنا ببيتين وادركه الحجيج اذ كلمة عربية
في المراد وهذا نعمة للاستشهاد حسبما نبينه فيها ومن هذا المعنى ما حكاه
ابن خلكان من ان ابا جعفر المنصور العباسي كان يهاجر يحيى بن عمر بن هبيرة الفزاري
فكان ابو جعفر يقول ان ابن هبيرة يختزن على نفسه مثل النساء وبلغ ابن هبيرة ذلك
فارسل اليه انت القائل كذا وكذا ابرز الي لترى فارسل اليه المنصور ما اجد
في ولك مثلا الا كاسد لقي خنزيرا فقال له الخنزير بارزني فقال له الاسد لست
ما انت لي بكفؤ فان بارزتك فنالني منك شر كان ذلك عارا علي وان قتلتك
قتلت خنزيرا فلم احصل على حمد ولا في قتلك فخر فقال له الخنزير ان لم
تبارزني لأخبرن السباع انك جبنت عني فقال له الاسد احتمال عار كذبك ايسر
من تلطيخ براثني بدمك هـ واشار الناظم بقوله وكم خبار في البيت الى ما حكاه
الجاحظ فان الحبارى في خزانة في دبرها واعد لها ابدا فيها سلح رقيق منتن
اذا الح عليها الصقر سلحت عليه فينتتف ريشه كله وفي ذلك هلاكه فقد جعل
الله تعالى سلحها سلاحا لها وقال في ثمار القلوب سلاح الحبارى يضرب مثلا
للضعيف يستعين بالالة الخسيسة على دفع مضرة من اقوى منه من جملة ما يغلبه بها وذلك
ان الحبارى يسلح سلاحا اذا اراد الصقر ان يصيدها رمته بذرقها فيرمي
جناحيه فيتعطل كيد انه ويجتمع عليه الحبارى فيتنتف ريشه كله فهافة
فيموت الصقر وقد احسن ما قال ابو فراس الحمداني في المعنى

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو

وقال ابن علباء الجيمي يرد على جرير بن الخطفي في هجائه بني تميم

فانك من هجاء بني تميم كمزداد الغرام الى الغرام
فهم تركوك اسلح من حبارى رأت صقرا واشرد من نعام
وهم ضربوك ام الراس حتى بدت ام الشؤون من العظام

ثمَّ

وأما قول الناظم وكم عيون للأسود من البيت فهو مأخوذ من قول القائل

لا تحقرن ضعيفا في عداوته ... إن البعوضة تدمي مقلة الأسد
وللشرارة نار حين تحقرها ... وربما أضرمت نارا على بلد

ومما استحسن قول أبي الفتح البستي في هذا المعنى *

لا تستحقرن الفتى بعداوة ... أبدا وإن كان العدو ذليلا
إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض الفيلا

ونحوه قول أبي نصر الشعري *

فلا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر

ومما يذكر في هذا السبيل ما ذكره الميداني عند قولهم في المثل أشرى الشر صغاره فإن أشرى افعل تفضيل من شري العرق إذا لج في سيره قال الميداني وأصل المثل أن صيادا أخرج بعكة من عسل ومعه كلب له فدخل على صاحب حانوت فعرض عليه العسل ليبيعه منه فقطرت من العسل قطرة فوقع عليها زنبور وكان لصاحب الحانوت ابن عرس فوثب ابن عرس على الزنبور فأخذه فوثب كلب الصياد على ابن عرس فقتله فوثب صاحب الحانوت على الكلب فضربه بعصى فقتله فوثب صاحب الكلب على صاحب الحانوت فقتله فاجتمع أهل قرية صاحب الحانوت فوثبوا على صاحب الكلب فقتلوه فلما بلغ ذلك أهل قرية صاحب الكلب اجتمعوا فاقتتلوا هم وأهل قرية صاحب الحانوت حتى تفانوا فقيل هذا المثل في ذلك *

(والخلد قد قرض أفواه سبأ * وهد سدا محكم التأسيس)

اللغة قوله والخلد قد قرض هو بضم الخاء وسكون اللام ونقل في الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها وضبطه شراح مختصر الشيخ خليل عند قوله في المباح كيربوع وخلد بتثليث الخاء مع فتح اللام وسكونها قال الجاحظ هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها وهو تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتي الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها حتى تعرف

لذلك في السماعات التي يكون فيها الذباب أكثر وقال ابن مسكويه في كتاب الفوز
كل حيوان له جفنان إلا الذباب وإنما خلق كذلك لأنه ترابي جعل الله له الأرجل
كالمداري للتمسح ويغدو له من يديها وليس له في كفه بما فرق ولا انشاء فعلمه
العلامة الدميري وفيه لغة كما قاله الجاحظ وأيضا مسيلة في اشارة الحيوان
عن الشيرازي المناجذ لغة الخلد والمناجذ بالجيم والذال المعجمة جمع الخلد من غير
لفظه كما في القاموس قال الله تعالى فقوله تمزق والتمزيق التقطيع والتفريق
يكون في الثوب ونحوه ويستعار لغيره إلى كما هنا قال أبو السعود في قوله
تعالى ومزقناهم كل ممزق التفريق بالتمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل
الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقا لا غاية
وراءه بحيث يضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال فقوله ومن شذا
من أنباء مزقه بشدة حوت والسد بناء بفعال في وجه الماء والجمع أسداد
والسد كالحاجز بين الشيئين بالضم فيهما والفتح لغة وقيل المضموم ما كان من
خلق الله كالجبل والمفتوح ما كان من عمل بني آدم كما هنا وفي قوله تعالى على أن
تجعل بيننا وبينهم سدا بالوجهين وقوله محكم البنا أي متقنا من أتقن الشيء إذا أحكمه
بلا تفاوت والمحكمة كمتقن وقاله في القاموس والله أعلم **ومعنى الكلام**
هذا أيضا من معنى ما قبله ومن جملته سوا معه ومن أن الشيء الحقير قد يكون في
الشيء العظيم حتى يهلكه كما أثرت هذه الفارة مع ضعفها ونقصها في ذلك
السد العظيم الذي بنته الملوك العظام بهممها الجليلة في الأمد الطويلة فأهلكت
به أمما وكسرت منهم معالما قال الفقيه عمارة اليمني من قصيدة لـــــه

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الأفاعي من سموم العقارب
وقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب

ومن ذلك ما لخليفة أبي العباس السفاح فوقع من أخواله من بني الحارث بن كعب وبني
اليمن ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم في كلام طويل وخالد بن صفوان بن الأهتم التميمي
حاضر ساكت فقال السفاح ما للراجب الغوي قال أخوال أمير المؤمنين قال لابد أن
تجيب فقال أخا الذين هم بين كلاع ذكر فيه مناقب معروفة لأهل اليمن قال ما أقول في قوم
هم ما بين حائك برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد فرقتهم فارة دل عليهم هدهد وملكتهم

امرأة

امرأة وعن خثعم جارية فلم يزل يغزوا بغيرها راسا ولا نسبوا بكلمة وقوله وراكب
عدد فيهم الى ما كان رابعا ملكهم بعد بعض المتغلبين عليهم من ملوك الابناء فملوكهم لبلاد
يملكوا حسبما تقدم ذكره في اخبار التبابعة والله اعلم وقال الخوارزمي

لا تعجبوا من حمير مغرورا زينا ... ان الأسود تصاد بالخرفان
فمن عرفت اقيال حمير قارة ... ويعوفها ازدت بني كنعان

والشعر في ذلك كثير ذكر تبع واهل سبا وخراب السد والسبب في ذلك
من القصة فقد ذكرها الله في كتابه العزيز فقال تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم
آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق
عن فروة بن مسيك المرادي قال لما انزل الله في سبا ما انزل قال رجل يا رسول
الله وما سبا ارض ام امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من
الولد فتيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان
وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار
فقال الرجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي
مع زيادة وقال حديث حسن غريب فسبا لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
اخو ملوك اليمن العظام كما مر في ذكره وذكر قلبهم وتعداد ملوكهم واما السد فهو سد
مارب بفتح الميم وسكون الهمزة المبدلة ألفا وكسر الراء وباء موحدة في آخره وهي
بلدة اذنظر باليمن بينه وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام قال البغوي في تفسير قوله
تعالى بلدة طيبة ورب غفور قال ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا
برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل
من طيب الهواء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة الآية قال ابن عباس ووهب وغيرهم
كان سد مارب قد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وذلك انهم كانوا
يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بما بين الجبلين بالصخر والقار
وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا
استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع عليهم ماء اودية اليمن فاحتبس السيل
من وراء السد فامرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يستقون

من البلاد الأعلى ثم من البلاد التي تلي ثم من البلاد التي تليها الأسفل فلا ينقطع الماء
حتى يشرب الماء من السنة المقبلة وكانت تقسمه بينهم على ذلك فبغوا بعد ذلك
بعد ما قدرت فطغوا وكفروا وكانوا يعبدون الشمس قال وهب فأرسل الله اليهم
ثلاثة عشر نبيا من قومهم الى الله تعالى وذكروهم نعمة عليهم وأنذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس عنا هذه النعمة
ان استطاع قال المسعودي وفي ذلك تقول امرأة منهم

* إن كان ما نحن فيه فضلا له * من ربكم فلينقله عنا له
إليه عنا وإن عاد له *

من ذلك قوله تعالى فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم واعلم ان ما وقع في من ١
الخبر من ان الذي بنى السد هو بلقيس هو أحد أقوال ثلاثة وقال المسعودي الذي
بناه هو لقمان الأكبر وهو لقمان بن عاد قلت وقد تقدم ذكره في ملوك حمير وانه
أخو شداد بن عاد وقال السهيلي كان السد من بناء سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وكان قد ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يتمه فأتمته ملوك حمير قال ابن
خلدون وهو الأثبت والأصوب فإن أمثال هذه المباني العظيمة
والهياكل الشامخة لا يستقل بها الواحد كما قررناه في الكتاب الأول وقد
بسط المسعودي في مروج الذهب قصة خراب السد وأحوال السبب في ذلك فليطالع
ما شاء فلنذكر منه ما تيسر ذكره فنقول ذكر المسعودي ان أرض سبا كانت
في القديم من أخصب أرض اليمن وأثراها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا
وبنيانا وكانت أشجارها متكاثفة وكذلك لها متنزه أكثر من مسيرة شهر في مثله
للراكب المجد ذاهبا وعائدا وكانت المرأة تخرج ومعها مغزلها والمكتل على رأسها
وهي تمشي تحت أغصان الشجر وتغزل فلا ترجع الى بيتها الا وقد امتلأ المكتل من
الثمار وكان لهم ملك عظيم وشوكة تامة وكانوا تاج الأرض وزينة الدنيا وكانت
أرضهم كثيرة الأنهار والمياه وكانت السيول تركبهم في بعض الأحيان وربما
أضرت بهم وكان ملكهم في ذلك الزمان من أكابر ملوك حمير يقرب الحكماء ويحسن
اليهم ويعرف لهم حقهم فجمع منهم طائفة واستشارهم فيما يصلح بلاده
ويدفع عنها أذى تلك السيول فأشاروا أن يجعل مصارف ومجاري للماء تذهب به

إلى الأنهار ثم تغوص في البحر فأمر الملك بحفر تلك المغارات حتى انحدر الماء
فيها وتفرق في جهات لا ضرر عليهم فيها ثم بعد مدة أمر باتخاذ الشير في الموضع
الذي كان منه ابتداء جريان الماء فيما بين الجبلين فبنوه من الحجر الصلد والحديد
وأنفذوا في جوفه منافذ أين يخرج منه الماء المحبوس خلف الشير بين الجبلين
وكان عرض الشير فرسخا في فرسخ طولا وبزالات الحجر في جوفه حتى إذا احتاجوا نفوذه
من الجهة الأخرى التي فيها الجنات فتحوا فيه ثلاثين ثقبا فتنتشر في استدارة
الزرع طولا وعرضا مدروزة على أقسام مدروسة وأكمل تقدير فكانت المياه تخرج
من ثقب الشعب في مجاريها حتى تأتي الجنان فتروي بها سقيا وتعم الغروس شربا ومن
الصفة التي ذكر في الشير قد بالغ فيما ذكره البكري وغيره من المعتبرين ممن كان من أبناء
فالله أعلم أن ذلك كان قال ثم إن تلك الأمم بادت وخلفها الروم بعد بنيانه
وكثرها بكلكله وعمل الماء في أصول ذلك الحجر وأضعفه مر السنين عليه وتراكم
المياه حوله وقد قيل في المثل إن تؤثر قطرات الماء على الحجر الصلد تؤثر فيه
فما ظنك بسيل متراكم في حجر وحجر مصنوع فلما انقرضت دولة حمير وخلفتها
دولة كهلان قال ابن خلدون وكانوا بادية لم تعلم اللائق في اعتبار الشير وضعف
الحجارة فلم يتداركوا بناء الماء عند رقته مع الشير والحجارة في الضعف فتغرز
به في جريه ورمى به في تيارها وذلك في أوان زيادته فاستولى الماء على تلك
الديار والجنات فخربها وذهب بها قال المسعودي ولاختلاف بين أهل الرواية فيهم
أن العرم هو المسناة التي أحكموا عملها لتكون حاجزا بين قبائلهم وبين السيول
فيجري فيه فارة ليكون ذلك أظهر في الآية عجوبة كما جاء في الآثار من جرف
التنور وذلك مذكور في أشعارهم متواتر عند عامتهم وخاصتهم ثم قال وكان
للملك عمرو بن عامر أخ كاهن يقال له عمران وكانت لعمرو زوجة كاهنة من
أشراف ملوك حمير يقال لها ظريفة بنت الخير **قلت** عمرو بن عامر هذا هو عمرو
المعروف بمزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البهلول
ابن ثعلبة البهكري بن مازن السراج بن الأزد بن الغوث كان من كبار ملوك كهلان وإنما
قيل له مزيقيا لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فإذا أمسى مزقهما
أنفة أن يعود فيهما أو يلبسهما أحد غيره وقيل لأبيه عامر ماء السماء لجوده وسخائه

وأما المنذر ابن ماء السماء اللخمي فتلك أمة من النمر بن قاسط لقبت بذلك
لحسنها وجمالها قال المسعودي وكان أول شيء عرف من أمر سيل العرم أن عمران
الكاهن مرة أخبر أخاه أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ونبأ عمرو بن عامر أشياء من ذكر
ذلك فجيء عمرو الملك وهو مزيقيا الذي كانت محنة العرم في أيامه وبينما زوجته
طريفة بنت الخير الكاهنة ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت
أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت ما وقعت عليه فخرجت طريفة
لذلك وذعرت ذعرا شديدا وأتت الملك عمرا وهي تقول ما رأيت كاليوم قد
أذهب عني النوم رأيت غيما أبرق وأرعد طويلا ثم أصعق فما وقع على شيء إلا
أحرق فما بعد هذا إلا الغرق فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها
من جأشها حتى سكنت ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان
له فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما
برزت من بيتها عارضها ثلاث مناجذ منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على
أعينهن وهي دواب تشبه اليرابيع فلما رأتهن طريفة وضعت يديها
على عينيها وقعدت إلى الأرض وقالت لوصيفها إذا ذهبت هذه المناجذ فأعلمني
فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها
عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب
فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبيها وتقذف بالبول
فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت
طريفة إلى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها
فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح فنفذت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان له على
الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال هلمي
يا طريفة إلى فراشي فكهنت وقالت والنور والظلماء والأرض والسماء
إن الشجر لتالف وليعودن الماء كما كان في الدهر السالف قال عمرو ومن خبرك
بهذا قالت أخبرتني المناجذ بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ما
تقولين قالت أقول قول الندمان لهفي قد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا
وتقذف بالبول قذفا ودخلت الحديقة فإذا الشجر يتكفأ قال عمرو وما ترين

ذلك قالت مزنة ادهيمة ركيمة : وقصيمة عكيمة : بأمور جسيمة قال وما هي
ويلك قالت أجل إن لي فيها الويل وما لك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء
به السيل فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال ما هذا يا طريفة قالت هو خطب
جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ما
تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر بيديه فيه الحفر : ويقلب برجليه
من الجبل الصخر فاعلم أن الحفر عقر وأن قد وقع الأمر قال وما هذا الأمر الذي
يقع قالت وعد من الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نكل فبغيرك يا عمرو فليكن
الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها
خمسون رجلا فرجع الى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول *

أبصرت أمرا عادني منه ألم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير أجم * أو تيس صرم من أفارير الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قصم * كأنما يرعى حصيدا من سلم

فقالت له طريفة إن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس في مجلسك بين الجنتين
ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فإن الريح ستملأها من تراب البطحاء من سهلة
الوادي ورمله وقد علمت أن الجنان مظللة ما تدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو
بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء
فذهب عمرو الى طريفة فأخبرها بذلك وقال متى تري خراب السد قالت فيما
بينك وبين سبع سنين قال في أيها يكون قالت لا يعلم بذلك الا الله ولو
علمه أحد لعلمته ولا تأتي علي ليلة فيما بيني وبين السبع سنين الا ظننت
أن هلاكه في غدها أو في تلك الليلة ورأى عمرو في النوم سيل العرم وقيل
له آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل وكربه فذهب الى
النخل فوجد الحصباء قد ظهرت في سعفه وكربه فعلم أن ذلك واقع وأن بلادهم
ستخرب فكتم ذلك وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده
ثم خشي أن يستنكر الناس ذلك فصنع طعاما وأمر بإبل فنحرت وبغنم فذبحت
وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب إن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

كعادته ثم دعا ابنا له فقال له قد اتاك ونقال ان كان رايتها في حجره فقال له اذا
جلست اطعم الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث واردده علي وافعل بي
مثل ما افعل بك ففعل له الغلام ما امره فلما جلسوا اطعم الناس وجلس عنده
ابنه الذي امره بما امره به فجعل ينازعه الحديث ويرده عليه فلطم عمرو
وجهه وشتمه فصنع ابنه بعمرو مثل ما صنع به فصاح عمرو واذلاه يوم
فخر عمرو يشتمه صبي ويلطم وجهه وحلف ليقتلنه فلم يزالوا به حتى تركه
وقال والله لا اقيم ببلد صنع في فيه مثل هذا فلابيعن عقاري الذي فيه واموالي
فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه امواله قبل
ان يرضى فابتاع الناس منه كل ما له بارض مارب وفشا بعض حديثه فيما
بلغه من شان سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا اموالهم فلما اكثروا
البيع استنكر ذلك الناس فامسكوا ايديهم عن الشراء فلما اجتمعت لعمرو
بن عامر امواله اخبر الناس بشان سيل العرم ثم تحمل في اهله وولده وتبعه
جل اهل سبا ثم نقب الخلد السد من اسفله فغرق وانهدت جناتهم واخربت
ارضهم وانقطع نفعهم فسار اولهم راوا فيما بين عمرو ويعرب ورجع علمهم
ان الذي يعرب سرتهم فما زال فلم يثق كل امرهم فيه حتى جبر بن الاربعون اعند مسا
مرة فلما جاء زمان ما اراد الله بهم من التفرق بيوا فيلك فيما بين كثير وقليل
عمرا كبيرة الى مدة من تلك الدهور فما زالت حتى استاخرت عنها الهرة
من خلف في العرجة التي كانت عندهما فتغلغلت في السد وعم فاحتالوا وصفه
المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع
السد وملأ الماء حتى علا اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم في الرمل وغرقوا
ومزقوا كل ممزق وحتى صاروا امثالا عند العرب يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا
ايادي سبا ولما فصل مزيقيا فيمن تبعه من قبائل سبا قالت لهم كاهنة لا تفرقوا
مكة حتى اقول وما علمني ما اقول الا الحكيم المحكم :. رب جميع الامم :. من عرب وعجم :.
قالوا لها ما شانك يا كاهنة قالت خذوا البعير الشدقم :. فخضبوه بالدم :.
تكن لكم ارض جرهم :. جيران بيته المحرم :. فلما انتهوا الى مكة واهلها يومئذ جرهم
وكانوا قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسماعيل عليه السلام

ارسل

ارسل اليهم عمرو مزيقيا ابنه ثعلبة يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه
رواده الذين ارسلهم الى افاق البلاد يلتمسون له موضعا يسعه ومن معه
من قومه فابوا عليه فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا
الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم
الحمى وما كانوا يدرون ما الحمى ببلادهم فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليهم
روادهم فافترقوا باشارة طريفة وقيل باشارة عمران الكاهن بن قيس وفرقة
توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام
فنزل الاوس والخزرج ابناء حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وغسان ماء قرب زبيد مروا به في طريقهم من اليمن الى الحجاز فشربوا
منه فسموا به وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا
وربيعة هو لحي بالتصغير فولي امر مكة وابنه عمرو بن لحي هو اول من غير الحنيفية
دين ابراهيم عليه السلام وهلكت طريفة ايام مقام زوجها عمرو مزيقيا بمكة
وفي يوم وفاتها ولد شق وسطيح الكاهنان المشهوران اللذان بشرا بظهور النبي
صلى الله عليه وسلم ولما ولدا دعت بكل واحد منهما وتفلت في فيه وزعمت انه
سيخلفها في علمها وكهانتها ثم ماتت من يومها ودفنت بالجحفة وعاش كل
واحد من شق وسطيح ستمائة سنة قاله ابن خلكان وقال غيره اكثر من ذلك
والله اعلم ولما افترقت الازد جملة عمان وازد دبا وازد السراة ومرجع
الكل الى الازد بن الغوث كما قدمنا فلا يتكرر هذا ان الازد مختلفة باختلاف
المواضع التي وقد قال الشاعر النجاشي

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التي صحت فازد شنوءة ... واما التي شلت فازد عمان

واعلم ان جماعة من المقيم يرون ان واقعة سيل العرم كانت في الفترة
التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول مشكل من وجوه احدها
ان المدة التي بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام
ستمائة سنة تزيد قليلا او تنقص قليلا وهذا امر لا شك ثم الجمهور على ان
الغسانيين والانصار يلتقي نسبهم في عامر بن شالخ [illegible]

ع تفرقوا ايضا فنزلت كل طائفة في ناحية واضيفت اليها فقيل ازد شنوءة وازد عمان وازد ع منه

من يعفر الى عابر وهو متقدم عليه عندهم وجدنا بينه وبينه احد عشر ابا
واذا عددنا نسب سليمان بن داود عليهما السلام الى عابر ايضا وجدنا له يزيد
عليه باربعة اباء فبان ان من يعفر على هذا متقدم على زمان سليمان عليه السلام
فكيف يكون بعد عيسى عليه السلام مع ان زمان عيسى متأخر عن زمان سليمان
عليهما السلام باكثر من الف سنة بكثير ثم انهم ذكروا ان ابا كرب احد
التبابعة المشهورين قد حارب الاوس والخزرج بالمدينة في حقه من المشرق
وذكر ابن الاثير وغيره انه كان وقعا هذا ليشتاسب احد ملوك الفرس الكيانية
وزمان يشتاسب كان قبل الاسلام باكثر من الف سنة ومعلوم ان الاوس والخزرج
ما كانت بالمدينة الا بعد تفرق واهل سبا بسيل العرم فكيف يكون ذلك بعد
عيسى عليه السلام ثم انهم قالوا ان ملك اهل سبا وقع فيهم كان بسبب
تكذيبهم للرسل الذين بعثهم الله اليهم فيكون ذلك قبل عيسى قطعا اذ لم
يكن بعد عيسى رسول ولذا لما سمي ذلك الزمان زمان فترة وبقيت وجوه
اخر لم نذكرها فالصواب ان زمان ملك التبابعة قديم جدا وكذا قولهم ان
الشعر من بناء بلقيس فكيف وانه غير صواب لما ذكرناه من ان نسبها من يعفر يقتضي
انه متقدم على زمان سليمان عليه السلام والله تعالى اعلم *

(ولا تنتقص احدا فكلنا * من جاهل واقلنا من علا)

هذا كالتفسير لقوله سابقا ولا تجادل سافك الغدر كانه يقول اذا رفعت
نفسك عن مجادلة الدني وفي ادريته فاياك ان يكون منك تنقيص لاحد لا باللسان
ولا بالجنان اذ لا تلازم بين ان يكف الانسان نفسه عن مبادرة مخاصمته
وبين ان ينسبه الى نقص في دينه او عرضه او بدنه او شيء مما يتعلق به فالاول
ان وقع فهو كف النفس عن متابعة الدني مطلوب والثاني وهو نسبة عباد
الله الى النقص حرام قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن الاية
وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت ان احول كلبا وعن محمد ابن علي رضي الله عنهما انه قال لابنه
يا بني ان الله خبأ ثلاثا في ثلاث اخفى رضاه في طاعته فلا تحقرن

من الكمال عمه شيئا فلعل رضاه فيهما واخفى سخطه في معصيته فلا تحقرن من
المعصية شيئا فلعل سخطه فيها واخفى وليه في خلقه فلا تحقرن من عباد الله
احدا فلعله ذلك الولي ه والى هذا القسم الاخير اشار من قال

فلا تحقرن شخصا من الناس علّه ... ولي اله العالمين ولا تدري
فذو القدر عند الله خاف عن الورى ... كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

وقال آخر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم ... وما عليك اذا اذنبت من باس
الا اثنتين فلا تقربهما ابدا ... الشرك بالله والاضرار بالناس

وان اضر اضرار بكم من ان تنسب عبدا من عباد الله الى النقص لا تدري ما حاله مع
الله فلا تحقرن احدا واما قول الناس فكلنا من طين واصلنا من علق فهما جملتان
اتى بهما لغرضين مختلفين اما الاولى فافادة ان الناس متساوون في الاصل
ومتحدون في الاب الاول واذا كان كذلك فلا معنى لافتخار بعضهم على بعض
وتنقيص بعضهم بعضا واما الثانية فافادة بطلان اصل الانسان شيء حقير
مذر مهين واذا كان كذلك فلا معنى لافتخاره وترفعه لا بالنسب ولا بغيره بل
بالتكبر الذي اتى على المخلوق واما دليل الاولى فقوله تعالى يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية وروى
ابو داود والترمذي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل قد اذهب عنكم عبية الجاهلية
وفخرها بالآباء مومن تقي وفاجر شقي انتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن
رجال فخرهم باقوام انما هم فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان
التي تدفع بانفها النتن وروى ان عيسى عليه السلام سئل اي الناس اشرف
فقبض قبضتين من تراب وقال اي هاتين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس
كلهم من تراب ه فالناس في اصل نشاتهم سواء وفي الانسانية متماثلون فلا
يفضل احد احدا الا بالتقوى والدين قال الشاعر *

اذا كان اصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين اقاربي

واما دليل الثانية فقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من

نطفة خلقه بعد ذلك الآية وقال علي رضي الله عنه ما لابن آدم والفخر
وانما اوله نطفة وآخره جيفة وقيل الاوله نطفة مذرة وآخره جيفة
قذرة وهو فيما بينهما حامل للعذرة وقد نظر الشاعر الكلام الاول فقال

فما بال من اوله نطفة * وجيفة آخره يفخر

ثم ذكر الناظم هذا المعنى بقوله *

ولا تلزم المرء عيوب اهله فالمسك اصله دم في العنق
والخمر منها كرمة فبينهما وبين اهلها بحكم فرق

اللغة قوله لا تلزم المرء المرء بفتح الميم وقد تضم وتكسر الرجل فان لم
تات بالالف واللام قلت امرؤ والجمع رجال من غير لفظه والمسك بكسر الميم
طيب معروف فارسي معرب وكانت العرب تسميه المشموم والخمر ما اسكر من عصير
العنب خاصة هذا مذهب ابي حنيفة وقال مالك والشافعي وعامة اهل الحجاز
كل شراب مسكر فهو خمر وهو الاصح لانها حرمت وما بالمدينة خمر عنب قال ابن
الاعرابي سميت الخمر خمرا لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل
سميت بذلك لمخامرتها العقل وما عند فلان خل ولا خمر اي خير ولا شر قال الشاعر

اذا المرء لم يغرم بخل معايشه * وانت لا خل معك ولا خمر

قال ابو عمرو وبعض العرب يجعل الخمر للانثى تناخين او اخل خمرو فهما شرا
ويقضي بعكسه **الاعراب** قوله لا تلزم المرء في جملة وقعت بدلا
من التي قبلها اعني قوله ولا تنفر احدا وانما ابدلها منها ولم يعطفها عليها
لانها ابدلت منها فانها في الاولى غير انها اوفى بتادية المراد منها فكانه
يقول لا تنفر احدا وان كان اهله نافعا نكيف فانها لوله في قول الشاعر

اقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما

من الثانية اوضح في اظهار كراهة اقامته من الاولى وتلزم مضارع لزم
الرباعي مجزوم بلا الناهية والمرء مفعوله الاول وعيوب اهله مفعوله الثاني
وقوله فالمسك اصله دم علة للنهي والمسك مبتدا اول واصله مبتدا ثان
ودم خبر المبتدا الثاني والجملة الصغرى من المبتدا وخبره خبر المبتدا الاول والرابط
الضمير في اصله قوله والخمر منها كرمة في الخمر مبتدا وجملة الشرط بعده خبر له

وقد استعمل الناظم منها فيهما بمعنى الظرف أي متى ظهرت وممرات ابن مالك
وقد تفرع التنبيه على ذلك عند قوله ولم تخف مرشدا عن فيهما انتهى البيت
وقوله ففيهما وفي أصلها أي الفاء والواو أصله في التقرير على جعل الأمر الواقع في آخر
البيت أعني قوله قد وفيهما وفي أصلها متعلق به وحكم كذلك والفاء فيه
يحتمل أن تكون بمعنى في ويحتمل أن تكون للدلالة على جعل الحكم في آخر التنبيه فيه مجازا
وأصله في محل جزم جواب الشرط لافتقار الفاء وفي الكلام استخدام فإنه أعاد
الضمير على المهمل لا باعتبار معناه الحقيقي بل باعتبار أنه أصل والله أعلم
ومعنى الكلام من يفعل لا تفقد أجرا من خلق الله وإنما وأصله نافعا
لأن التعميم بالاداء من أصله وإنما مبنية كالافتقار بهم **وقد قال** رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه بلال بأمه أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك
جاهلية أي خصلة من خصالها ولأن ذلك غير لازم ولا مطرد فقد يكون الأصل
خسيسا والفرع شريفا نفيسا كالمسك فإن أصله الدم الغزير وقد أثنى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كما في صحيح مسلم المسك أطيب
الطيب وكالخمر فإن أصله الثمر النجسة **وقد** أثنى عليه صلى الله عليه وسلم
كما في الصحيح أيضا بقوله نعم الإدام الخل وقد أحسن ابن الرومي في قوله

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان

والبيت الأول للناظم مأخوذ من قول أبي الطيب *

رأيتك في الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم في محال
فإن تفق الأنام وأنت منهم * فإن المسك بعض دم الغزال

وللبيت حكاية **قال** الزاهي قال أبو الحسن محمد بن أحمد النساج كان سيف
الدولة يسر بمن يحفظ شعر أبي الطيب فأنشدته يوما : رأيتك في الذين أرى ملوكا
فقلت وكان أبو الطيب حاضرا هذا البيت وأنه يطلب له بيتا يليه
فقال سيف الدولة كذا أحفظ البيت أن أبا الفضل محمد بن الحسن قال لما قلت
فأعجب أبو الطيب وأنشد فأردت أن أحركه فقلت الآن فيه عيب في الصنعة
فالتفت أبو الطيب التفات حنق وقال وما هو قلت قولك مستقيم في محال والمحال
ليس من ضد الاستقامة بل ضده الاعوجاج فقال الأديب صاحب التفسير حمية

وكيف تعمل في تغيير فايحة النتن فقلت فعلا كرجع الكرة :: قال الشيخ بعض
من الزجاج :: فهمت ثم فيه فائدة الاذفر وقال آخر مع مزية السرعة الا انه
يصلح ان يباع في سوق الكيس لا فيما يفرح به افنالنا يا ابا الحسن وقد
ضمن بعضهم معنى بيت الكتب تضمينا حسنا حيث قال

وقالوا با العذار تسل عنه * وما انا عن غزال الانس سال
وان ابدى العذار سواد مسك * فان المسك بعض دم الغزال

وقال آخر

جرحت بناظري خديه لما * فقالوا خاله اثر اندمال
ولما فاح طيبا قيل مسك * فقلت المسك بعض دم الغزال

القول في المسك وحقيقته

اعلم ان في كلام الناس كثير اختلاف فيما اتى ذكر ان المسك اصله دم في سبب
العشق ومن ان من ذكره الكد وابن ذكره الاثبات من نقلة الاخبار وغيرهم من ان
اصله دم في سرة الظبي فقال الجاحظ فارة المسك تريد بها ان النوع ابن ولد
دويبة تكون في بلاد التبت تصاد لنوافجها وسررها فاذا صيدت شدت بعصائب
وتبقى متدلية فيجتمع فيها دمها فاذا احكم ذلك ذبحت فاذا ماتت قورت
السرة التي عصبت ثم تدفن في الشعير حينا حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن
هناك الجامد بعد موتها مسكا ذكيا بعد ان كان لا يرام نتنا وما اكثر ما كانها
عندنا بعض الفار والنوع الثاني ذا سرة تكون في البيوت ليس عندها
الا تلك الرائحة اللازقة لها وهذا النوع رائحته كرائحة المسك الا انه
لا يؤخذ منه المسك وقال المسعودي في مروج الذهب لا فرق بين غزلاننا
وغزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن وانما تفترق في ان غزلان المسك
لها انياب كانياب الفيلة لكل ظبي نابان خارجان من الفك الاسفل قائمان
منتصبان ابيضان نحو الشبر فينصب لها في بلاد التبت الحبائل والشرك
فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها ويقطعون منها نوافجها
والدم في سررها خام لم ينضج وطري لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا
حتى تزول عنه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل مسكا ويستحيل الى سبيل الثمار

اذا قطعت من اشجارها قبل استحكام نضجها وجنيت المسك ما نضج في وعائه
والحل في سرته واستحكم في حيوانه بعد تمام موادّه وذلك ان الطبيعة تدفع
مواد الدم التي في سرته فاذا استحكم تكوّن الدم فيها ونضج فاذا اذ ذالك
واستحب حكه فيقع في حينئذ الى الصخور والاحجار الحارة من الشمس فيمتد بها
مستلذة الدم فينضج ويسيل على تلك الاحجار كانصباب الخراج والدمل اذا انضج قبل
فيه عند تراكم المواد عليه فيصير بخروجه لذة وراحة فاذا الدم قد جعل فيه
وتقسيم ذلك الشرك ومقاسمه فارسي الذي قال حينئذ نعم دفعت اليه مواد من
الدم تجتمع ثانية كاجتماعها اولا فتخرج رجال التبت وبعض من اصحابها
من تلك الجبال والاحجار فيصير الدم فرجعت على تلك الصخور وهذا حكمته
المواد وانضجته الطبيعة في حيوانه وحققته الشمس واثر فيه الهواء فما اخذ
من ذلك افضل المسك فهو عندهم نوافج عند نعم فما اخذوها من غزلان اصطادوها
معلقة معهم فذلك المسك الذي تستعمله ملوكهم وتتهاداه بينهم وتحمله التجار
في البلاد من بلاده بيّنه كلام المسعودي وهو حكى اول الانطاكي في التذكرة
عن المروج بعض هذا الفصل فما نقلناه عنه ولعله ذكره في موضع اخر نقلته
عليه والله اعلم وقال الحافظ ابن حجر في الفتح المشهور ان غزال المسك
كالظبي لكنه لونه اسود وله نابان لطيفان ابيضان في فكه الاسفل وان
المسك دم يجتمع في سرته في وقت معلوم من السنة فاذا اجتمع ورم الموضع
فيمرض الغزال الى ان يسقط منه ويقال ان اهل تلك البلاد يجعلون له اوتادا
في البرية يحتك بها ليسقط ونقل ابن الصلاح ان النافجة في جوف الظبي
كالانفحة في جوف الجدي وعن الكبير انها تلقيها من جوفها كما تلقي الدجاجة
البيضة ويمكن الجمع بانها تلقيها من سرتها فتتعلق بها الى ان تحتك واما
البحث الثاني فانه ذكر ان الخمر منها كما ترى اي تخللت وجبت التبع فيها
ومن اصلها في الحكم بان يحكم على الاصل بالنجاسة والحرمة وعلى الفرع بالطهارة
والحلية وفي المقام تفصيل وخلاف قال النووي اجمعوا على ان الخمر اذا انقلبت
بنفسها خلا طهرت وحكي عن سحنون ان المسك انها لا تطهر فان صح عنه فهو محجوج
بالاجماع من قبله قلت المذكور في كتب المالكية ان الخلاف في ذلك مواتر وظاهر

وسموه مثلثا لذلك وإذا خللت بعلاج فمذهب الشافعي وأحمد والجمهور
أن ذلك لا يجوز وإذا وقع ونزل فلا تطهر لأن الخمر يجب إراقتها وقال الأوزاعي
والليث وأبو حنيفة تطهر وعن مالك ثلاث روايات أحدها أن التخليل حرام
فلو خللها عصى وطهرت والثانية حرام ولا تطهر والثالثة حلال وتطهر
قاله النووي رحمه الله وإنما جعل الثنا ثم الخمر أصلا للخل لأنهم يقولون
إن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا ذكره الشيخ أبو عبد الله المغربي في كتابه
المسمى بنظم اللآلئ في سلوك الأمالي **قلت** والعرب تكني الخمر أم الخل ومن
عقال البنات بمزة امر بن حزام الأسدي فاستسقاه لبنا فجلب له خمرا وعلله منها
بلبن يشربه فسكر ولم يفق ثلاثة أيام فقال مزرد أسى في ذلك

سقيت عقالا بالعشية شربة ... فمالت بعقل الكاهلي عقال
رميت بأم الخل حبة قلبه ... فلم ينتعش منها ثلاث ليال

وممن جعل أبو الأسود الدؤلي نبيذ الزبيب أخا الخمر فقال يخاطب عبد الله
كان مولعا بشربها

دع الخمر يشربها الغواة فإنني ... رأيت أخاها مغنيا عن مكانها
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه ... أخوها غذته أمه بلبانها

ومما يتعلق بتخليل الخمر ما حكي أن أبا بكر بن المنكدر كان قد أعد خمرا ليشربها
فتخللت فقال فيها

أبا حسن إني فجعت بخمرة ... تروق وتنفي الهم عند احتلالها
غدت بنت بسطام بن قيس بن خالد ... وأمست كجسم الشنفري بعد خاله

كان بسطام بن قيس الشيباني الفارس المشهور يكنى أبا الصهباء فلذا قال
غدت بنت بسطام بن قيس أي غدت صهباء وهي من أسماء الخمر وقوله وأمست
كجسم الشنفري بعد خاله يشير إلى قول الشنفري يرثي خاله

إسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي من بعد خالي لخل

والخل معناه النحيف المهزول وكان أبو بكر بن عمرو قد اصطبغ بخمرة وترك
بعضها إلى الليل فصارت خلا فقال

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة ... أتتنا بطعم عهده غير ثابت

عند

حكت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وأفنت بجسم الشنفرى بعد ثابت

وثابت هو خال الشنفرى وهذا من البحر المسمى بالجناس المعنوي في كلام أصحاب البديعيات والله تعالى أعلم

ولا تؤيسن كما يئسا في رتبة * لنيلهما نظيرا لمن يرتقي

فالزرد يوم الغار لم يثبت له * بمثل وكان الفضل للخدرنق

اللغة قوله ولا تؤيسن كما معناه الاياس ككتاب القنوط كالياس بتقديم الياء على الهمزة وهذا هو الأصل والأول مقلوب منه في قول بعضهم وآيسني منه وأيأسني كأقنطني وقنطني وزنا ومعنى وقد قرئ انه لا ييأس من روح الله ونكتة إيراده بتقديم الياء على الهمزة على الأصل وبالعكس على القلب قوله في رتبة الرتبة بالضم المنزلة والمكانة والجمع رتب كغرفة وغرف قوله لنيلهما أي إدراكها وأصلها بتمها قوله نظيرا أي النظير والنظير كالمثيل والمثل وزنا ومعنى واعلم أن هذه الثلاثة الألفاظ النظير والشبيه والمثيل واحد عند اللغويين الثلاثة وأما في عرف المتكلمين فالنظير المشارك في بعض الأوصاف ولو من وجه واحد والشبيه المشارك في أكثرها والمثيل المشارك في جميعها قاله السيوطي في جواب له في الفرق بين هذه الثلاثة ويجب حمل كلام الناظم على عرف المتكلمين ليصح معناه قوله فالزرد يوم الغار أما الزرد فبالتحريك وهو الدرع المزرودة والزراد صانعها وسكنه الناظم ضرورة والغار قال الزمخشري نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ثلاثا والخدرنق بخاء معجمة مفتوحة بعدها دال مهملة قاله الجوهري وقال في درة الغواص يجوز فيه الدال المهملة والمعجمة وهو العنكبوت والعظيم منها قال الراجز

ومنهل طام عليه الغلفق * ينير أو يسدي به الخدرنق

وقال المتنبي يصف رماحا

قواض مواض نسج داود عندها * إذا وقعت فيه كنسج الخدرنق

ويجمع الخدرنق على خدارق والله أعلم **الإعراب والنحو** يا قوله وغراوي

ولا تنوين لا ثانية وتنوين مجزوم بها ويجوز ابدال همزته واوا مخففة من
جنس حركة ما قبلها وعليها قراءة نافع من رواية ورش عنه والله يؤيد
بنصره من يشاء وما اشبهه وكلاهما مفعوله وفي رتبة متعلق به وتنكيره مبتدا
وجملة لم يزن توخبره ولنيلها متعلق به واللام بمعنى الى والجملة الكبرى في محل
النعت لرتبة والرابط منها الضمير في نيلها قوله فالزرد يوم الغار الفاء
تعليلية والزرد مبتدا وسكن الثناء بكم عينه ومن الراء ضرورة كقول الراجز

يا عمرو يا ابن الاكرمين نسبا * قد نحب المجد عليك نحبا

وسكن الياء من نسبا ضرورة وجملة لم يثبت له في محل خبر المبتدا ويوم الغار
ظرف يتعلق به فدع عليه والف الغار منقلبة عن واو وجملة وكان الفضل
للمجد ربه معطوفة على الجملة الواقعة خبرا والله اعلم **ومعنى الكلام**
هذا ايضا من معنى ما قبله لانه كما لا تلازم بين خساسة الاصل وبين عدمه كذلك
لا تلازم من باب اولى بين شغوفه بهمة النكيف وتكبيره ويجب ان يعين النكيف مثلا
بالمساوي في بعض الاوصاف دون بعض كما مر كالمساوي في السن او في النسب او في
النسب او غير ذلك اما المساواة في السن فكم رأينا من شخصين تربين فسمت
باحدهما همته الى المعالي فبلغها شابا وقعدت بالآخر نذالته حتى بقي في الحضيض
ومما يستطرف في هذا المعنى ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ان يحيى بن اكثم قاضي
المامون كان قد ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة او نحوها فاستصغره اهل
البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم انه قد استصغر فقال انا اكبر من عتاب بن
اسيد الذي وجهه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وانا اكبر
من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وانا اكبر
من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على البصرة
فجعل جوابه احتجاجا له واما المساواة في النسب فكم من اخوين كان بينهما من
التفاوت والتباين ما بين الضب والنون كما قال الشاعر

علي وعبد الله يجمعنا اب * وشتان ما بين الكتابيع والفعل
الم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه علي على البخل

وقال الآخر

وشتان

لشتان ما بين اليزيدين في الندى — يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى — فتى الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله — وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وقال آخر

أبو اليسر الكئيب ومقتفيه — أبو البركات في كرم بن نعيض
بمنزلة التواضع في الثريا — ومنزلة التكبر في الحضيض

وقصد ابن أبي عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فبعث إليه داود بن يزيد بن حاتم فبر عطاه وأحسن إليه فقال في ذلك *

داود محمود وأنت مذمم — عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد — نصفا وباقيه لحش يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد — كم بين موضع مسلح وسجود

ومن ذا كثير وإنما مر من سوابق سمعنا وحفظوه فيمت وأقدار نعرفها وقدمنا في رتبة من أربع واشتد انتباهكم على ما ذكرنا بحجة أخروية ويبين أن نسج العنكبوت أفاد ما لم تفده دروع الحديد مع أنه لا نسبة بينه وبينها فضلا عن أن يكون بكثير أشد والله أعلم

ذكر حديث الغار *

وذلك أن قريشا كانوا قد تعاقدوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى بالخروج من بين أظهرهم فخرج هو وأبو بكر رضي الله عنه من أول الليل إلى الغار الذي بجبل ثور وأمر عليا أن يضطجع على فراشه ليمنعهم سواده من طلبه فلما علمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في طلبه فلما قربوا من فم الغار بكى أبو بكر رضي الله عنه خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام لا تحزن إن الله معنا وقيل لما صعد المشركون فوق الغار أشفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وبعث الله حمامتين باضتا على فم الغار وأمر العنكبوت فنسجت عليه وقال عليه السلام اللهم أعم عنا أبصارهم فقال أحدهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفسخ العنكبوت

قال في المواهب وهذا أبلغ في الإعجاز من مفاوتة القوم بالجنود وإلى ذلك يشير الشرف البوصيري رحمه الله بقوله

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وقال ابن النقيب

ودود القز إن نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شيء
فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على رأس النبي

وقال غيره

نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

قلت وهذا البيت من أبيات نكتة معناها التناكيف وإيالة فصل وله خبر ممتع قال ابن خلكان وقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعر أبي يوسف يعقوب بن صابر المنجنيقي ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما

الغني في لكن فإن غيري تغني فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

قال فعمل ابن صابر جوابهما فقال

أيها المدعي الفخار دع الفخـ ر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذا النعام يلتقم الجمـ ر وما الجمر للنعام بقوت

ه وما ذكره من أن البيتين لم يعرف قائلهما وأن الجواب عنهما لابن صابر يخالف ما ذكره البلوي في رحلته عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عيسى الكناني من أن الخليفة الناصر كان وزيره ناصر بن مهدي كثير المخالفة له والاعتراض عليه فأقسم الخليفة لئن عاد للاعتراض ليستبدلن به أول من يحضر فعاد الوزير المذكور لما نهي عنه فبرز الخليفة من بعض أبوابه فنظر في جرة أشياء لمضجع اللؤلؤ بالتعظم تعاظم ف المواهب فاستوزره فكان من أمر الخلافة أحسن تدبير فكتب الوزير المعزول إلى الخليفة

بالبشير وقال الغنمي البلوي كان اسمه ياقوت فلذا ورى عن نفسه به فلما اطلع
الخليفة عليهما الوزير ابن حريز فاجاب عنهما بالابيات الاربعة والله اعلم
بحقيقة الامر ثم تكلم ابن خلكان على الابيات فقال اما البيت الاول فان
الياقوت من خاصيته ان النار لا تؤثر فيه والى ذلك اشار الحريري بقوله

وكما اني اصلي الياقوت جمر غضى ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

واما قول ابن هانئ في البيت الثالث وبقاء السمندر في لهب النار فالسمندر بفتح
السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال السمندل بزيادة اللام
ذكروا انه حيوان يقع في النار فلا تؤثر فيه **قلت** وكونه حيوانا هو المشهور
وقد قيل انه دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العينين ذات ذنب طويل
ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت القيت في النار فتنصلح ولا تحترق وقال البلوي
بانه حيوان يكون ببلاد الهند فيبيض ويفرخ في النار وهو بالخاصية لا تؤثر
فيه النار ويعمل من ريشه مناديل تحمل الى بلاد الشام فاذا اتسخ بعضها طرح في
النار فتأكل النار وسخه الذي عليه ولا يحترق المنديل وقال اخر ورأيت كلاما
اذا امرؤ دخل نار الاتون وهو من الفخار او نارا اجاجة غير متقادمة فيمكث ساعات فيعود
سالما واياه عنى البحتري بقوله *

وكمن يتسبّح في جاحم كأنما يسبح في جمر

قال القاضي وفي السمندل اية غريبة وصنعة عجيبة وهذا مما يدعو الى التفكر
وسبب للتعجب وذلك انه يدخل اتون النار فلا تحترق له ريشة قال ابن خلكان
ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهي في طول الحزام
وعرضه فجعلوه على النار فما عملت فيه فغمسوا احد جوانبه في الزيت وتركوه
على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زمانا طويلا يشتعل ثم اطفؤوه وهو على حاله
ما تغير منه شيء ويقولون انه يجلب من بلاد الهند وان هذا الكلام يكون منها
وفيه نكتة ينبغي ان نذكرها وهي ان تلك القطعة لما وضعوه على السراج
تركوه زمانا طويلا والنار فيه تعمل فيه فقال بعض العلماء هذا ما تعمل فيه النار
ولاكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل
فكم من هذا ان النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لابد من غمسه في شيء من الادهان

ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي
جعله لنفسه سيرة انه قدم للملك الكامل بن الملك الناصر صلاح الدين صاحب
حلب قطعة سمندل عرضه ذراع في طول ذراعين فغمسوها في الزيت
وقربوها حتى يشتعل الزيت وترجع بيضاء كما كانت والله اعلم ه كلام ابن
خلكان **واعلم** ان مثل ما ذكروه في السمندل ذكروه ايضا في الشرفوت بوزن برغوث
كما عند صاحب القاموس او بوزن ملكوت كما عند ابن خلكان وهي دويبة تعيش
في كور الزجاجين في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها الا في
موضع النار المستمرة الدائمة قاله ابن خلكان وقال في القاموس هي دويبة
كنساج ابرص تتولد في كور الزجاجين لا تزال حية ما دامت النار متضرمة فاذا
خمدت ماتت ه **تتمة** مما يذكر في هذا السبيل ما ذكره صاحب القاموس
في السين فقال القفنس كعملس طائر حسن عظيم المنقار فيه اربعون ثقبا يصوت بكل
الانغام والالحان العجيبة المطربة ياتي الى راس جبل فيجمع من شاء ويقعد ينوح
على نفسه اربعين يوما ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد
الى الحطب ويصفق بجناحيه فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى
رمادا فيتكون منه مثله ه ذكره ابن سينا في الشفاء ه وذكر المسعودي
في مروج الذهب عن كثير من حكماء الترك قال الذي ابصرناه انا اذا سافرنا ايام
من الصيف وقطعنا من البحار الى الفضاء حتى في الجو الى الهواء البارد الكثيف
فانزلت دواب تشكو منها بعضها ببعض فلا تلبث ان تعود وتنصرف نحو الغذاء فيها
وانهم ربما وجدوا في اوكارها من تلك الدواب اشلاء وقد قال جالينوس ان الهواء
حار رطب والبرد يعرض فيه لقوة الرياح المرتفعة ولا يخلو الجو من شيء فيه
وساكن وعن بلينوس انه قال الواجب اذا كان لعنصرين الاسطقسين يعني الارض
والماء خلق وساكن ان يكون للاسطقسين العاليين يعني الهواء والنار خلق وساكن
ووجدت في بعض اخبار الرشيد انه خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل
وعلى يده باز ابيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم
اقبل بعد اليأس منه وقد علق براثنه تشبه الحية او السمكة ولها ريش كاجنحة
السمك فامر الرشيد فوضعت في طست فلما عاد من قنصه احضر العلماء فسألهم

الحطب ما

متى تعلمون ذلك في الهواء، فسكتنا، فقال: قلت يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله
ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق، وفيه سكان، فربما هاجت فيه رياح
تبيض في الهواء وتفرخ فيه، ويرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ في هيئة
الحيات أو السمك، لها أجنحة ليست بذات ريش، فأخذتها البزاة بيض تكون بأرمينية
فأخرج الرشيد الكشتوان اليهم، وأراهم الدابة، وأجازهم بالجوائز. وقد أخبر في غير
واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم رأوا في الجو حيات تشعى
كالبرق، وما يكون من الجو بيضاء، وأنها ربما وقعت على الحيوان في الأرض فتقتله
وربما سمع لكثير منها من الليل وهي كحيات في الهواء هفيف كنشيش ثوب جديد، ومن هنا يقول
من لا علم عنده إن من الهفيف ساحرة تطير ذات أجنحة من قصب، وللناس في كلام كثير
فيما ذكرنا، واستدلالهم بما يحدث في الاستحالات من الحيوان، وأنه يجب على منزله
الفضة أن يحدث من العنم بنات عفير، ومنها الهواء والنار حشو وحيوان يكون فيه
من التفليس، ومنها الأرض، وإنما هذا كلام المسعودي، وقد ذكر في قصة الرشيد
مثله عن هاجب أنهم روى عنه، وقد تناسبت مثل الأخبار في عجائب المخلوقات
وارتبط بعضها ببعض فاكتفينا بهذا القدر، والله تعالى الموفق *

(وقوس حاجب برهنها كسرى * كسرى الكماة فليبكه بما لقي)

اللغة قوله وقوس حاجب القوس بفتح القاف الذي يرمى عنها معروفة تذكر
وتؤنث بغير أنث، فإن في تصغيرها قويسة، ومن ذكر قال قويس، والجمع قسي على القلب
بتقديم اللام على العين، وأقواس وقياس، وهو القياس، ورميتهم عن قوس واحدة
مثل في الاتفاق، وحاجب رجل يأتي خبره. قوله برهنها لدى كسرى، الرهن بفتح
مسكون مصدر رهنه المتاع بالدين رهنا حبسه به، وهو من هنو، وقد تسمية بالمصدر
وهو مأخوذ من رهن الشيء رهونا إذا ثبت ودام. وكسرى بكسر الكاف وبفتح
لقب لملك الفرس معرب خسرو بضم الخاء وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون
الواو، ومعناه واسع الملك، وكل من ملك الفرس يقال له كسرى كقيصر لملك الروم
وتبع لملك اليمن، وفرعون لملك القبط، وخاقان لملك الترك، وبلهرى بكسر الموحدة
وفتح اللام وسكون الهاء ومقصورا لملك الهند، كذا عند الغزالي، نقله عن بعض شيوخه
من يعول عليه وعلى ضبطه، وأتى في القاموس أن لقب ملك الهند بلور كسنور

فقال المسعودي وهو بقبور بغير معجمة بين قوم من بني كعب مقبور بمنى الحيرة وقد ذكروا
القفا نبا اخ. بملوك اخ. لا يتعلق من نكر فقوله اطمأن قلبه الاطمئنان القلب سكونه
وعدم قلقه والاسم الطمأنينة بضم الطاء وفتح الميم وسكون الهمزة وتبدل
ياء واطمأن بالموضع أقام به واتخذه وطنا والموضع مطمئن منخفض والله
اعلم **الاعراب والتصريف** قوله وقوس حاجب مبتدأ وجملة
اطمأن قلبه خبره وبرهنها متعلق باطمأن فيرتفع عليه والضمير المضاف اليه
ومعه الرابط بين المبتدأ والخبر والمعنى ان قوس حاجب قد حصل له الاطمئنان
القلب كما جمعها بسبب رهنها ولدى كسرى متعلق برهن وكسرى مضاف اليه مجرور
بفتحة مقدرة في الالف لكونه ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة او للعلمية
والالف الزائدة **وقد غلب** الكثير لفظة كسرى لقبا لكل من ملك الفرس فهو شائع
بحيث يكون علما **فلقب** هو علم جنس وعلم الجنس مساو لعلم الشخص
في الاحكام اللفظية واختلف علماء الخط في كيفية كتب كسرى فمنهم من كتبها
بالالف بناء على انها الف مجهولة الاصل غير ممالة ومنهم من كتبها بالياء بناء على انها
ترجع الى الياء عند اضافتها الى الضمير في كسريك وكسريه وقوله بما لقي جار
ومجرور يتعلق باطمأن وضمن اطمأن معنى امن وبعد الجر ابتدائية وما موصول
اسمي وجملة لقي صلته والعائد محذوف اي لقيه والذي لقيه هو الجزاء والتخفيف
اي الحماية ازمن قومه كما ياتي في القصة والله اعلم **ومعنى الكلام** من ارادبط
شاء منه واخ لما ذكره الناظم رحمه الله من ان التميمي فر بعدو نكبه لا حتى
ينتهي الامر الى اقر منها بعد وبيتهم ان بعض الالعاب من الجنس دواحدث بعد ذلك الفرس
كانت من جملة الافراس التي ان تسعة وعشرين درهما وقع ذلك بعد حملت لهذه
مزية كبيرة . واكتسبت صاحبها فيعيبه حكيمة . واحييت امة من الامم . وانتم
ذكرتها عند العرب والعجم . ولنذكر القصة فنقول *

خبر حاجب وقوسه

هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن
مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي من الدارميين احد اشراف بني تميم وسادتهم في
الجاهلية وهو الذي عمل اله العرزه وبغزله

ومنها ابن احيا الورى بن وغالب * وتميم ومنها حاجب والاقارع
وكان حاجب ممن عاش عشرين اخوة له ومنهم اشهر من وانبههم قال الحميدي حاجب
ابن زرارة سيد بني تميم في الجاهلية غير مدافع وقال ايضا بيوتات العرب ثلاث
فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة وبيت بكر
ابن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذي الجدين هـ واقام من سنه فكان ممن خرج منها حاجبا
كان ممن وفد على كسرى وهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان في جدب اصاب مضر بدعوة
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فاتى حاجب كسرى لما منع تميما من ريف العراق واستاذن عليه
فاوصل اليه اسيد العرب انت قال لا فقال اسيد مضر انت قال لا فقال اسيد بني ابيك
انت قال لا فاذن له فلما دخل عليه قال من انت قال سيد العرب قال اليس قد
اوصيت اليك اسيد العرب انت فقلت لا حتى اقتصرت بك على بني ابيك فقلت لا
قال ايها الملك اني لم اكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت
سيد العرب فقال كسرى املؤوا فاه درا ثم سأله حاجب ان ياذن له ولقومه
في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا اذ قد اصابهم الجدب الى المطر فقال كسرى انكم
معاشر العرب قوم غدر فاذا اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد
واذيتموني قال حاجب اني ضامن للملك ان لا يفعلوا قال له فمن لي بان تفي انت
قال ارهنك قوسي فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا له الملك لهذه العصي يفي
فقال كسرى ما كان ليسلمها في شيء ابدا فقبضها منه واذن لهم ان يدخلوا الريف
ثم ان مضر اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من قبلك
فوقد واكلتهم الضبع يريدون السنة الشديدة فادع الله لهم فدعا لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فاحيوا اي اصابهم الحيا فعادوا ربيعه واخصبوا
وان هلك تميم الى بلادها وقد هلك حاجب فارتحل ابنه عطارد بن حاجب
رضي الله عنه ووفد على كسرى يطلب منه قوس ابيه فقال له ما انت بالذي
رهنتها قال اجل ايها الملك قال فما فعل قال هلك وانا ابنه وقد وفى
له قومه ووفى هو للملك فردها عليه وكساه حلة فلما وفد عطارد رضي
الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد تميم وحرره يسمع اسلم مع

واستجابه واغتر ابنه تلك الحلة فلم يقبلها صلى الله عليه وسلم فباعها
من اليهود بأربعة آلاف درهم وتمامها وقصة القصة في القاموس قال
بعدما ذكر والقوس سنان رمح عامر به بعد رهن قوسه على ألف بعير في الحرب
ابن ظالم عند النعمان الأكبر قال في ثمار القلوب يذكرون كسرى قال لحاجب إن
قوسك منزلة لعظيم لها معروفة فعند الإيفاء الملك بأرسلها في الكوفة مستقيمة وبقيت
تلك القوس عند كسرى حتى مات حاجب بن زرارة ثم ردها وصارت مفخرة لبني
تميم وقد افتخر أبو العلاء المعري حيث يقول عمى الناس بالرأس على منزلة القوس
فقال * عمى الناس أجمعين من رقم عامر وأشهر عند العرب من قوس حاجب
الإشارة بذلك إلى يوم القيامة وعادة من شرح ملاعب الأسنة وقد أبدع أبو تمام
في ذكر قوس حاجب من تعبيرته المشهورة التي مدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى
العجلي وهو من بديعه فقال

رجل من

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقال آخر في التغزل

ترهو علينا بقوس حاجبها ... زهو تميم بقوس حاجبها

(لا تغشى دار الكلم واعلم أننا ... أخرب من جوف حمار خلق)

اللغة قوله لا تغشى دار الكلم بمشيان المنزل وغشوه إتيانه غشيه
يغشاه أي جاءه والغاشية السؤال يأتونك والزوار ينتابونك والكلم
بالضم وضع الشيء في غير موضعه وهو اسم مصدر وأما المصدر الحقيقي
فبالفتح على القياس قوله أخرب من جوف حمار أخرب أفعل من الخراب ضد العمران
وقد يوصف به فيقال دار خراب ومنزل خراب وقد خرب كفرح فهو خرب أي خال
لا شيء فيه وأخربه الله وخربه وفعل به ذلك والجوف من الحيوان بطنه
وواد بأرض عاد حماه رجل اسمه حمار يأتي الكلام فيه في بابه وقوله خلق بالتحريك
صفة مشبهة من خلق الثوب بالضم إذا بلي وقد تفتح عين الفعل وتكسر وقد
يقال أخلق بالهمزة وفي الصحاح وثوب خلق يعني بالتحريك أي بال يستوي فيه
المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر والأخلاق وهو الإفلاس والجمع خلقان ويعني

بالصحة والله تعالى اعلم **ومعنى الكلام** وجه ترتيب هذا البيت على ما
قبله انه لما ذكر وفاة ابن الحاجب على كبره وما ترتب على ذلك من رفع منزلته
وقبول شفاعته وانتعاش قومه به خشي ان يتوهم متوهم ان اتيان الملوك
وغشيان منازلهم والتكالب على اعتابهم محمود مطلقا وانه لا ينبغي قبح فيه ولا بأس
عليه وكان الامر ليس كذلك فان اهل الفضل منهم لا ينبغي لهم المروءة والدين سيما
اهل العلم الذين هم مظنة للخصال بهذا الكلام ان ياتيهم ولا ان يرغب في ملاقاتهم
والاجتماع بهم كما كان حال السلف الصالح رضي الله عنهم فاتى بهذا الكلام تحذيرا
من ذلك وتنبيها على الاولى باهل الفضل للعز والدين فقال لا تغترن ان الفضل اثبت
بهذا المتن ذا قرب السلطان وانه لم يكن عليه اركانه من اهل الفقه واهل الدين والصلاح
من كان حاله تنافي ذلك ولا سيما بعد السنة وان كان من اهل العلم والاقتداء فكذلك
بل الشأن لان يكون العالم ينفك بما عاصم فاذا رآه العامة يتغيرون الى الملوك ويغشونهم
كانوا ذلك صوابا وقالوا لو كان في ذلك اثم او مكروه ما فعله هذا العالم وسلكوا
سبيله في ذلك وانغمسوا فيما انغمس فيه وان كان من اهل المروءة والتصاون
وارتفاع الهمة فقد ازرى بنفسه واسقط منزلته ووضع قدره بما فضل به من ان ينزله
السلطان وعسى ان يكون على خطر انه كثيرا ما يسمع للانسان كلاما فيه ولا
يحصل منه فائدة دينية ولا دنيوية وماء وجهه الذي باعه لا قيمة له قال الشاعر

وما انا في وجهي العزيز الصونه * حقنت في ماء وجهي او حقنت دمي

فما يفعله اهل غشيان الملوك من غير حاجة دينية ولا استدعاء لا ينبغي الآخي
لا قيمة له ولا مروءة قال الغزالي رضي الله عنه من علامات علماء الآخرة
ان يكونوا منقبضين عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار منهم
سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة
وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة
قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار
ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله
عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه كلاما
لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او ان يطمع في ان ينال من دنياهم

وذلك هو السمت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين
يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة
لا تغش ابواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم الا اصابوا من دينك
افضل منه واما قول ابنا كلهم انهما اخرجا من جوف حمار فيعني انهما عن قليل
سيخرجان فعبر عن مستقبل الوقوع بصيغة ما هو واقع كقوله تعالى كل من عليها فان
ويرى انهما لهم دار الفسق وحربهما حرب وقالوا لا شيء اشنع في
تغيير النعم وتعجيل النقم من الاقامة على الظلم وقيل في قوله تعالى ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ويروى ان
الحجاج حبس رجلا ظلما فكتب اليه رقعة يقول فيها قد مضى من بؤسنا ايام
ومن نعيمك ايام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة
والكلام في هذا المعنى كثير شهير والله الموفق *

ذكر جوف حمار وما قيل فيه

اعلم ان العرب تقول في جملة امثالها اخرب من جوف حمار واخلى من جوف حمار
واختلف الناس في المراد بحمار في هذا المثل فقيل هو رجل من بقية عاد يقال
له حمار بن مويلع وقال الشرقي هو حمار بن مالك بن نصر الازدي كان مسلما
اربعين سنة في كرم وجود وكان له واد يقال له جوف طوله مسيرة يوم في عرض
اربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب اخصب منه فيه من كل الثمرات فخرج بنوه يتصيدون
وهم عشرة فاصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال لا اعبد من فعل هذا ببني
ثم دعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله فاهلكه الله واخرب واديه فضربت
العرب به المثل في الخراب والخلاء فقالوا اخرب من جوف حمار واخلى من جوف حمار
وضربوا به المثل ايضا في الكفر فقالوا اكفر من حمار وقد ذكر ذلك الشعراء في
اشعارهم قال الافوه الاودي

وبشؤم البغي والغشم قديما * ما خلا جوف ولم يبق حمار

وقال آخر *

الم تر ان حارثة بن بدر * يصلي وهو اكفر من حمار

هذا قول هشام بن محمد الكلبي وقال غيره ليس حمار هنا اسم رجل بل هو الحمار

بعينه واحتج بقول من يقول اخلى من جوف العير وقال امرؤ القيس ايضا

ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل

قال ومعنى ذلك ان الحمار اذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه بل يرمى به ولا يؤكل فجوف الحمار عنده بمنزلة الوادي القفر الذي لا منفعة للناس والبهائم فيه ونسب هذا القول الى الاصمعي كما عند الميداني وعلى هذا القول مشى الناظم بدليل وصفه بقوله خلو واراد به انه جيفة وهو وصف بليغ افاد به تاكيدا ومبالغة في المعنى المقصود من المثل وان لم يكن فيه وليس هذا من باب تغيير الامثال الذي هو ممنوع عند بعض لان ذلك يرجع الى لفظها فيتكلم بها كما جاءت واما زيادة كلمة افادت في الكلام تقوية فلا وهو العذر المسمى بالايغال وقد شرحناه صدر الكتاب وهذا يدل ايضا على ان الناظم مشى على قول الاصمعي انه وصف الجوف بالنكرة فدل على انه عنده نكرة ولو كان حمار علما لكان جوف معرفة بالاضافة اليه فلا يصح وصفه بالنكرة لوجوب المطابقة بين النعت والمنعوت في التعريف والتنكير وقد قيل بجواز النكرة نعتا للمعرفة في قول النابغة

فبت كاني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

وهو مؤول بما يوقف عليه في محله والله اعلم *

ولا تبع عرضك بقصد ابـ * غبشان في بيع الغبن والتلطف

باع السدانة فصيا ذا خزا * بوضعها بعينا من زق زنبق

اللغة قوله ولا تبع عرضك العرض بالكسر النفس والحسب يقال اكرمت عنه عرضي اي صنت عنه نفسي وفلان نقي العرض اي بريء من ان يشتم او يعاب وابو غبشان ياتي الخبر عنه قوله بيع الغبن الغبن بالتسكين في البيع والغبن بالتحريك في الراي يقال غبنته في البيع بالفتح اي خدعته وقد غبن فهو مغبون ويوم التغابن يوم القيامة لان اهل الجنة يغبنون اهل النار والتلطف كالتلطف الشيء في خفاء ولطف ومكر قوله باع السدانة فصيا السدانة بالكسر خدمة الكعبة وبيت الصنم جاءت على فعالة كسائر الحرف كالتجارة والحياكة وقد سدنها سدنا من باب قتل اذا خدمها فالواحد سادن والجمع سدنة وقصي بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء هو ابن كلاب بن مرة احد

أعداء النبي صلى الله عليه وسلم واسمه زيد وإنما قيل له قصي لتقصيه عن
بلاده قريبه مع أمه وتزوجه بكلب ونشوئه في بلاد غربة وكان يدعى مجمعا لجمعه
أشياء قريش وأنزلهم بمكة وفي ذلك يقول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

والنجر بكسر النون وسكون الجيم المهملة وقد تفتح النون الزرقاء وما كان للشمس
خاصة قاله في القاموس وعلى القول الأول مشى الشارح فجعله للنجم وأما زنبق
فيعم النجم والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله ولا تبغ
مجزوم بلا الناهية وعرضت مفعول له وتبعة في غبشان مفعول مكمل معمول
لتبع وتبع الغبن بدل منه وفي الكلام حذف مضاف وهو في تبعة مثل تبعة في
غبشان ويصح أن يكون تبع الغبن معمولا لتبعة في غبشان وإن المضمر المجرور
بالتاء يدل بعمل وجملة قوله باع السدانة تفسير لتبعة في غبشان وجواب عن
سؤال مقدر تقديره ما كانت تبعة في غبشان فأجاب بقوله باع السدانة في
وعلى كل حال فلا محل لها من الإعراب ثم كان الأصل أن يقول باع قصيا السدانة
فيقدم قصيا لأنه الفاعل في المعنى ولعله قدم السدانة اهتماما بها لأن
التعريض إنما يتوقف على فعلها والغبن إنما تحقق ببيعها لا بكونها صنيعة من قصي أو
من غيره ولا يبيع غبن هنا له وقوله بأخسر حال من ما على باع ويجوز كونها مفعولا له
ونعتا حالا منه وإنما صح مجيئه حالا مع جموده لوصفه بالجار والمجرور وهو
شبيه بالمشتق قاله أبو حيان في قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا
وأيضا لدلالته على النوعية لأن العوض تحته أنواع منها زق الخمر كما وقع في
منزلة الصفة أخا سراة وهذا تكلف ما قالوا في قولهم هذا مالك ذهبا صح
انتصاب ذهبا على الحال مع جموده لدلالته على النوعية وقوله من أخي زنبق
يجب أن يقرأ بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وإسقاطها مع النقل كقراءة
نافع من رواية ورش عنه وأما من أجل أنه إذا لم يتزن البيت إلا بذلك ويجوز أن يقرأ
على وجه آخر وهو أن يكون الناظم قد حذف همزة أخي قبل النقل وحرك نون من
لالتقاء الساكنين ولكن هنا يجب تحريكه بالكسر على أصل التقاء الساكنين
وإنما أخر ما عند الوجه لأنه قد كثر في كلامهم حذف همزة أخ في الدرج ومعاملته

معاملته

معاملة بمنزلة الرجل كما قالوا وتكلمه في ذيل أمه فقال عمرو بن زبير

إنما العائب عند أم زبير ... أنت تعمى من أراك تعيب

فهي بمنزلة لام وحذف الياء من عنه في اللغة كالتقاء الساكنين واعلم
أن في كلام الناظم استعارة تامة فإن في العرض استعارة تقوم جمعية وذكر
الغبن ترشيح والله أعلم. **معنى الكلام** إنما تعالج في البيت المتقدم
عن غشيان دور الكلمة لما في ذلك من الاختلال بالمروءة والدين قال الله
تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار نهاه هنا عن الطمع في المخلوق
والتكالب عليه فكلفنا سواء كان كما ذكرنا أو غيره لما في السؤال من المذلة والهوان
قال عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا
هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة والسائل باذل العرض فربما حرمه
وليس عنده عوض ولو نال بسؤاله ما نال لا سيما إذا أذل في سؤاله بعلم أو أدب
فيكون ممن يأكل الدنيا بالدين ويكون فيه باع شيئا نفيسا بشيء خسيس فما
أخس صفقته وما أخسر بيعته قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

ذكر صفقة أبي غبشان وما قيل فيها

أبو غبشان بضم الغين المعجمة وقد تقدم رجل من خزاعة واسمه فيما ذكر ابن
خلدون سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان وقيل أبو غبشان هو المحترش بن حليل
ابن حبشية الخزاعي وكان من خبره أن خزاعة كانت سدنة الكعبة بعد جرهم
الولاة بمكة فخرجوا منها ونزلوا الكثير أن من ضاع عنهم ذلك وكان حليل بن
حبشية يومئذ كبير خزاعة وهو الذي يتولى أمر الكعبة وكان له بنون وبنت
يقال لها حبى وهي زوجة قصي بن كلاب ثم ملك حليل وأوصى بحجابة البيت إلى ابنه
المحترش وكان رجلا يشرب يومئذ فدفع حليل مفاتيح البيت إلى ابنته حبى وأمرها أن
تبعث إلى أخيها المحترش واشترى أبا غبشان الملكاني مع حبى ثنعيز وحبسته فلما
رأى قصي أن حليلا قد هلك وبنوه غيب والمفاتيح في يد امرأته طلب ابنه أن تدفع
المفاتيح إلى ابنها عبد الدار بن قصي وحمل بنيه على ذلك فبعث الطلب إلى أخيهم

جما به حيركم ولم يزل بها حتى سلمت له بذلك وقالت كيف اصنع بابي غبشان
وهو وصي معي فقال قصي انا اكفيك امره فلا تعتني ان ابا غبشان اجتمع مع قصي
في شرب بالطائف فخدعه قصي عن مفاتيح الكعبة بان اسكره ثم اشترى المفاتيح منه
بزق خمر واشهد عليه ودفع المفاتيح الى ابنه عبد الدار وكيله الى مكة فلما اشرف
عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم
اسماعيل عليه السلام قد ردها الله عليكم من غير ظلم ولا غدر فافاق ابو غبشان
من سكره وهو اندم من الكسعي فقال الناس احمق من ابي غبشان واندم من ابي غبشان
واخسر صفقة من ابي غبشان فذهبت هذه الكلمات امثالا قال الشاعر

اذا فخرت خزاعة في قديم ✱ وجدنا فخرها شرب الخمور
وبيعا كعبة الرحمن جهرا ✱ بزق بيس مفتخر الفخور

وقال آخر

ابو غبشان اظلم من قصي ✱ واظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا في شراه ✱ ولوموا شيخكم اذ كان باعه

ثم ان خزاعة حاربت قصيا فنصره الله عليهم وتم امره وجمع اليه قريشا
فسمي مجمعا لذلك والله اعلم

(ولا تكن كاشعب في طمعها ✱ تلقى يوقفا وابن المحيرق)

الفاء في البيت واعرابه كلا منهما ظاهر والكلام في ربما ودخولها على المضارع
قد تقدم عند قوله فربما يفرد اذ ابرز في البيت وشاهده قول الله تعالى ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقول الشاعر ✱

فان اهلك فرب فتى سيبكي ✱ علي مهذب رخص البنان

ومعنى الكلام هذا البيت من معنى ما سبق فان الطمع من اخس الاشياء بالعرض
والدين والدنيا بالنفس فربما امتلكت صاحبه لما ان التعفف والقناعة من املح
الاشياء للدين والدنيا وابقى لماء الوجه وقد يبلغ حاجته وادوم لزكاء العرض
ومروءته وقد مدح الله تعالى فقراء المهاجرين واثنى عليهم بقوله يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف وقال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن
كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وقال عمر رضي الله عنه ما الخمر صرفا

بالمصائب لعقول الرجال من الطمع وقال الملح من حبك من الطمع والغضب والشهوة نفسه
وقال علي رضي الله عنه أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع وقالوا
لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب
الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان وقال بعض الحكماء أحسن إلى من شئت تكن
أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وفي ثمار القلوب
قالب الصخرة يضرب به المثل في الطمع فيقال أطمع من قالب الصخرة وهو رجل من
عنزة رأى صخرة عظيمة ببلاد اليمن مكتوبا عليها بالمسند اقلبني أنفعك فاحتال
في قلبها ولقي العناء الشديد من ذلك فإذا على الجانب الآخر رب طمع يهدي إلى طبع فما
زال يضرب الصخرة برأسه تلهفا حتى انتثر دماغه ومات وقصة وابن الخيرو التي
اشتهر بها الناس كافية في الدلالة على أن الطمع قاطع عنق صاحبه وقال أبو الحسن

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى ... سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها ... وكم من حريص أهلكته مطامعه

ذكر أشعب وابن الخيرو وما كان من أمرهما

فأما أشعب فهو رجل من أهل المدينة صاحب نوادر مشهور بالطمع واسمه
شعيب بن جبير مولى لآل الزبير وقيل مولى لعثمان بن عفان وكنيته أبو العلاء
ثم اشتهر بأشعب قال الأصمعي قال أشعب نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة
بنت عثمان فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغ كل منا المنزلة التي ترون وكان أشعب حسن
الغناء للقرآن وكان حسن الصوت بالقراءة وكان يجيد أصواتا من الغناء
وكان صاحب سمر ونوادر ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت
إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت قال الجاحظ ثم قدم أشعب
بغداد في أيام المهدي فلقيه أصحاب الحديث لأنه كان ذا إسناد فقالوا له
حدثنا فقال نعم حدثني سالم بن عبد الله وكان يبغضني في الله قال خصلتان
لا تجتمعان في مؤمن وسكت فقالوا ما هما قال نسي سالم إحداهما ونسيت أنا
الأخرى وفي بعض روايات الشيخ اليوسي أن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال لأشعب
أنت شيخ مسن فهل تروي شيئا من الحديث قال نعم حدثني عكرمة عن ابن عباس
أنه عليه الصلاة والسلام قال خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة قال

قلت فما غمّا قال نسي عكرمة الأولى ونسيت أنا الأخرى. وعن المخزومي قال كان
أشعب أزرق أحول أكشف أقرع وكان يقول كنت أستقي الماء في فتنة عثمان رضي
الله عنه. وممّا يؤثر من طمعه أنه كان قد اتخذ خرقا في بابه فكان إذا نام أخرج
يده من الخرق يطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئا من شدة الطمع فجاءه بعض من
كان يعبث به فسلح في يده فلم يعد إلى أن يخرج يده بعد ذلك. وقال المدائني قال
أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت اللهم أذهب عني الحرص والطمع في الناس
فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئا فجئت إلى أمي فقالت ما لك قد جئت
خائبا فأخبرتها فقالت لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت
فقلت يا رب أقلني ثم جئت فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهبوا لي
غلاما فجئت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء فقالت ما هذا الغلام فخفت أن
أخبرها بالقصة فتموت فرحا فقلت وهبوا لي فقالت أي شيء فقلت غين فقالت
أي شيء غين قلت لام قالت وأي شيء لام قلت ألف قالت وأي شيء ألف قلت ميم
قالت وأي شيء ميم قلت غلام فغشي عليها ولو لم أقطع الحروف لماتت
الفاسقة فرحا. وعن المدائني قال أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى بعض الولاة
بالمدينة فالوذجة وأشعب حاضر فقال كل يا أشعب فلما أكل منها قال كيف تجدها
يا أشعب قال أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز
وجل إلى النحل يعني أنها ليس فيها عسل. وعن فليح بن سليمان قال ساوم أشعب
رجلا بقوس عربية فقال الرجل لا أنقصها من دينار فقال أشعب والله لو أنه
إذا رميت بها طائرا في جو السماء وقع مشويا بين رغيفين ما أخذتها بدينار.
وقال سالم بن عبد الله لأشعب ما بلغ من طمعك قال قلت لصبيان مرة هذا سالم
قد فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يعطيكم تمرا فمضوا فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر
كما قلت فاتبعتهم. وعن أبي عاصم قال قيل لأشعب هل رأيت أحدا أطمع منك
قال نعم كلبة تبعتني أربعة أميال وقيل له يوما هل رأيت
أطمع منك قال نعم خرجت إلى الشام مع رفيق فنزلنا عند دير فيه راهب فتلاحينا
في أمر فقلت الكاذب منا ابن كذا في استه فلم أتمم كلامي حتى نزل الراهب
وأيره في يده وهو منعظ ويقول من يشتمكما أيكما الكاذب ثم قال أشعب ودعوا هذا

امرأة

امرأة اطمع مني ومن الراهب قيل له وكيف قال امتا قالت لي ما يخطر على قلبك
من الطمع شيء يكون بين الشك واليقين الا وانا اتيقنه وعن المدائني قيل لأشعب
ما بلغ من طمعك قال ما رأيت اثنين يتساران قط الا كنت اراهما يأمران لي بشيء
وحكى ابن خلكان ان اشعب دخل على يزيد بن حاتم المهلبي وغلمانه بين يديه بمجلسه
وقد عمّ بغلامه فساره فقام اشعب فقبل يديه فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال
لأني رأيتك تساره فظننت انك قد امرت لي بشيء فضحك منه وقال ما
فعلت هذا ولكني افعل ووصله واحسن اليه وقال له سالم بن عبد الله ما بلغ
من طمعك قال ما اخذ احد بيده في كمه الا ظننته يعطيني شيئا وقال له ابن
ابي الزناد ما بلغ من طمعك فقال زفت بالمدينة امرأة فكنست بيتي رجاء ان
يغلطوا بها الي وعن المدائني قال وقف اشعب على امرأة تعمل طبقا من خوص
فقال لها كبريه ويروى انه قال لها زيدي فيه طوقا او طوقين فقالت لم اتريد ان
تشتريه فقال لا ولكن عسى ان يشتريه انسان فيهدى الي فيه فيكون كبيرا خير من
ان يكون صغيرا وقال له رجل يوما ان سالم بن عبد الله قد مضى الى بستان فلان
ومعه طعام كثير فبادر حتى لحقه فاغلق الغلام الباب دونه فتسور عليه
فصاح به سالم بناتي ويلك بناتي فناداه اشعب لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد فامر بالطعام فاخرج اليه منه ما كفاه وقال له
رجل يوما يا اشعب لو تحدثت عندي العشية فقال اكره ان يجيء ثقيل فقال له
ليس غيري وغيرك قال فاذا صليت الظهر فانا عندك فصلى وجاء فلما وضعت الجارية
الطعام اذا بصديق لصاحب المنزل يدق الباب فقال اشعب ما ارانا الا قد صرنا
ههنا الى ما نكره قال انه صديقي وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن
له فقال هاتها قال اولها انه لا ياكل ولا يشرب فقال اشعب التسع الباقية لك
ادخله فقد امنا ما كنا نحذر وعن اسحاق الموصلي قال كان زياد بن عبد الله
الحارثي اثقل خلق الله فاولم وليمة لطهر بعض اولاده وكان الناس يحضرون
ويقدم الطعام فلا ياكلون منه الا تعللا لعلمهم بحال الرجل وكان فيها جدي
مشوي فلم يعرض له احد وجعل يرده على المائدة ثلاثة ايام والناس يجتنبونه

إذا انقضت الوليمة فأومأ أشعب برأسه إلى بغل مركبا وشيئا له فقال
امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول عمرا وأمد حياة منه
قبل أن يذبح فضحك الرجل وسمعها زياد فبعث إليه وعن عبد الرحمن بن عبد الله
الزهري قال حدثني أشعب يوما أن جاءنا مروان بن أبان بن عثمان وكان مروان هذا
عظيم الخلق والعجيزة فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت فانصرف
أشعب من الصلاة وأوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح فلما انصرف مروان
إلى منزله جاءه أشعب فقال له الدية قال دية ماذا قال دية الضرطة التي
تحملتها عنك وإلا شهرتك فلم يبرحه حتى أخذ منه شيئا صالحا وعن المدائني
قال قالت جارية أشعب لأشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني
منعتك إياه فهو أحب إلي وعنه قال قال أشعب لأمه رأيتك في النوم مطلية
بعسل وأنا مطلي بعذرة فقالت يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز
وجل قال إن في الرؤيا شيئا آخر قالت ما هو قال رأيتني ألحسك وأنت
تلحسيني قالت لعنك الله يا فاسق ودخل يوما على الحسين بن علي رضي الله
عنهما وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة ومع الأعرابي قوس فلما
رآه أشعب سبح تعجبا من خلقته وقال للحسين رضي الله عنه بأبي أنت
وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه فقال له الأعرابي ما شئت وفوق له سهما وقال
والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها فقال أشعب للحسين رضي الله
عنه جعلت فداك قد أخذني القولنج وذكر أشعب يوما رجلا بالمدينة قبيح الاسم
فقيل له يا أبا العلاء أتعرف فلانا قال ليس ذا من الأسماء التي عرضت
على آدم وتوضأ يوما فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له لم تركت غسل
اليمنى فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمتي غر محجلون من آثار الوضوء
وأنا أحب أن أكون أغر محجلا مطلق اليمنى يعني وذلك محمود في الخيل
وسمع يوما حبى المدنية المضروب بها المثل في الاغتلام وحب النكاح وهي
تقول اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي فقال لها يا فاسقة إنك لم تسأل الله
المغفرة إنما سألته عمر الأبد يريد أن الله لا يغفر لها أبدا وعن الزبير

ابن بكار عن عمه قال لقي اشعب صديقا لابيه فقال له ويحك يا اشعب
كان ابوك الحى وانت ثط فالى من خرجت قال الى امي وعن اسحق الموصلي
قال قال رجل لاشعب انه اهدي الى زياد بن عبيد الله الحارثي قبة ادم قيمتها
عشرة آلاف درهم فقال امراته الطلاق لو انها قبة الاسلام ما ساوت
الف درهم وكانت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده تسمى
قبة الاسلام فلما بنيت بغداد وصارت دار الخلافة ومصب اموال الدنيا
قال الناس هذه الآن اولى بان تسمى قبة الاسلام من البصرة فلذا ضرب اشعب
المثل بها فقيل له ان معنا جبة وشي حشوها قز قيمتها عشرون الف دينار
فقال امه زانية لو ان حشوها زغب ريش اجنحة الملائكة ما ساوت عشرين
دينارا وعن الزبير عن عمه قال تكلمت امراة اشعب منه الى ابي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم وقالت لا يدعني امرا من كثرة الجماع فقال له اشعب اتراني
اغلب ولا اركب لتتكلف في شانها بك كفاي وكان اسماعيل بن يسار الشاعر
شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالاعاجم فقال
فانشد يوما في مجلس فيه اشعب قوله يفخر بالعجم ويعيب العرب بوادهم
بناتهم في الجاهلية

اذ نربي بناتنا وتدسو ــــ ن سفاها بناتكم في التراب

فقال له اشعب صدقت والله يا ابا فايد اراد القوم بناتهم لغير ما اردتم
له قال وما ذاك قال ان القوم دفنوا بناتهم خوفا من العار وربيتموهن لتنكحوهن
انتم وتلك سنة المجوس فضحك حتى استغرب وخجل اسماعيل حتى لو قدر
ان يسوخ في الارض لفعل وعن عثمان بن اشعب قال غضبت سكينة بنت
الحسين رضي الله عنهما على ابي في شيء خالفها فيه فحلفت لتحلقن لحيته
ودعت بالحجام فقالت له احلق لحيته فقال له الحجام انفخ شدقيك حتى
اتمكن منك فقال له يا ابن البظراء امرتك ان تحلق لحيتي او تعلمني الزمر اخبرني
عن امراتك اذا ارادت ان تحلق حرها ما تنفخ اشداقها فغضب الحجام وحلف
ان لا يحلق لحيته وانصرف وبلغ سكينة الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت

القوم

عمه وعن ابن الزبير عن عمه قال بعثت سكينة رضي الله عنها الى ابي الزناد
فجاءها تستفتيه في شيء فاطلع اشعب عليها من بيتها وجعل يقول في مثل ما تقول في
الرجاجة قال فسبح ابو الزناد تعجبا منه وقال اما هذا فضحكت وقالت ان هذا
الخبيث افسد علينا بعض امرنا فحلفت ان يحضن بيضا في هذا البيت ولا يفارقه
حتى ينقف فجعل ابو الزناد يعجب من فعلها وعن المدايني قال كان الوليد بن
يزيد وهو امير يقال له فاسق بني امية لهج بالغناء والشراب والصيد وحمل المغنين
من المدينة اليه فارسل الى اشعب فجاء به فالبسه سراويل من جلد قرد له ذنب
وجعل يرقص به وقال له ان رقصت وغنيت شعرا يعجبني فان فعلت فلك الف درهم
فغناه فاعجبه فاعطاه الالف درهم ودخل اليه يوما فلما راه الوليد كشف
له عن ايره وهو منعظ قال اشعب فرايته كانه مزمار ابنوس وفي الغلظ كانه
ناي من بلور فقال لي ارايت مثله قط فقلت لا يا سيدي قال فاسجد له فسجدت
ثلاثا فقال ما هذا قلت واحدة لايرك واثنتان لخصيتيك قال فضحك وامر له
بجائزة وعن ابراهيم بن زهير قال بلغ اشعب ان الغاضري قد اخذ في مثل مذهبه
ونوادره وان جماعة قد استحلوا نوادره فرقبه حتى علم انه في مجلس من مجالس
قريش يحادثهم ويضحكهم فسار اليه ثم قال له قد بلغني انك نحوت نحوي
وشغلت عني من كان يالفني فان كنت مثلي فافعل كما افعل ثم غضن وجهه
وشنجه وعرضه حتى صار عرضه اكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه احد
بها ثم ارسل وجهه وقال له افعل هكذا ومط وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره
وصار كانه وجه الناظر في سيفه ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره
حدبة كسنام البعير وصار كطوله مقدار شبر او اكثر ثم نزع سراويله وجعل
يمد جلد خصيتيه حتى حط بهما الارض ثم غطاهما بذيله ومشى وجعل يتخنث
وهما يحتكان بالارض ثم قلع سنتها وارى حتى صار اطول ما يكون من الرجال
فضحك والله القوم حتى اغمي عليهم وانقطع الغاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد
على ان يقول يا ابا العلاء لا اعود الى ما تكره انما انا تلميذك وخريجك ثم انصرف
اشعب وتركه وعن بعض المدنيين قال كانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر

اي شيء تستحسنه الا عاينته من خلقك على اشعب ومنه في الموت وهو يوصي بناته فلما رأته امها غطت وجهها بكمها وقالت لها يا ابنتاه بالله ان كنت استحسنت شيئا مما انا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تعيليني فغضبت المرأة وقالت سخنت عينك في اي شيء انت مما يستحسن انت في آخر رمق قال قد علمت ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة النزع فيشتد ما انا فيه وخرجت من عنده وهي تشتمه وضحك كل من كان حوله من كلامه ثم مات رحمه الله وكانت وفاته في خلافة المهدي والرشيد وقال ابن شرف في طمع اشعب

وما بلوغ الاماني في مواعيدها ... اذ كان اشعب يرجو غير مرغوب

ومن خلائق مكتوب القضاء به ... فكيف في بقضاء غير مكتوب

وقال آخر

وعيرتني وقد كنت صادقا ... فكلاكما من طمع اجدى واذهب

فاذا اجتمعت انا وانت بمجلس ... قالوا مسيلمة وهذا اشعب

والقاء واحد القير وهو واحد البراجم واسمه عمار بن عمرو التميمي ثم البرجمي والبراجم خمسة من اولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهم قيس وكلفة وظليم وغالب وعمرو وسموا البراجم لانهم كانوا قليلين فقال لهم رجل منهم يقال له حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة ايتها القبائل التي قل عددها تعالوا فلنجتمع فنكن كبراجم الكف ففعلوا وتعاضروا والقير هو عمرو ابن هند اللخمي واعلم ان في العرب ثلاثة ملوك كل واحد منهم يدعى المحرق الحارث بن عمرو الغساني ملك الشام لانه اول من حرق العرب في ديارهم ومنهم بن عمرو المحرق وهو المراد بقول حسان رضي الله عنه

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ... فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

وامرؤ القيس بن عمرو اللخمي وهو جد عمرو ابن هند من الزد الكلاع فيه وهو المراد بقول الاسود بن يعفر

ماذا اؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد اياد

وَيَقُولُ الْبَنَّا بِعَيْنِهِ الْجَعْبَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

نَرَى قَلْبِي عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ * أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ كَلَائِمَ دَارِجٍ فَقُعَا

وَالثَّالِثُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ مُحَرِّقٌ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ الْمُنْذِرِ ابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ وَهِنْدٌ أُمُّهُ وَهِيَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو الْمَقْصُورِ بْنِ حُجْرٍ آكِلِ الْمُرَارِ الْكِنْدِيِّ وَمَاءُ السَّمَاءِ أَيْضًا هِيَ أُمُّ الْمُنْذِرِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِجَمَالِهَا وَهِيَ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ جُشَمَ بْنِ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ وَأَمَّا نَسَبُهُ فَهُوَ عَمْرُو ابْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَصْرٍ اللَّخْمِيِّ صَاحِبِ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَقِيلَ فِي نَسَبِهِ غَيْرُ هَذَا لِمَا أَنْ قَدْ يَرَاكَ فِي اسْتِقْصَائِهِ وَكَانَ يُقَالُ لِعَمْرِو بْنِ هِنْدٍ هَذَا مُضَرِّطُ الْحِجَارَةِ لِشِدَّةِ بَأْسِهِ وَسُمِّيَ مُحَرِّقًا لِأَنَّهُ حَرَّقَ مِائَةً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَمَا يَأْتِي وَقِيلَ لِأَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ مَلْهَمٍ وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ وَقِيلَ لِشِدَّةِ عُتُوِّهِ كَمَا يُقَالُ لِلزَّمَنِ يَكْثُرُ الْعَيْثُ وَالْإِفْسَادُ أَضْرَمَ الدَّهْرُ نَارًا وَكَانَ مِنْ خَبَرِ تَحْرِيقِ عَمْرِو ابْنِ هِنْدٍ لِبَنِي تَمِيمٍ أَنَّهُ كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا عَلَى أَنْ لَا يَنْزِعُوا لَهُ وَلَا يَبْغُوا غَزْوَهُ وَلَا يَغْزُوهُ وَلَا يَغْزُوهُمْ ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا الْيَمَامَةَ فَرَجَعَ مُنْهَزِمًا فَمَرَّ بِكُلَيْبٍ فَقَالَ لَهُ زُرَارَةُ بْنُ عُدَسَ الدَّارِمِيُّ وَهُوَ وَالِدُ حَاجِبٍ صَاحِبِ الْقَوْسِ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَصِبْ مِنْ هَذَا الْحَيِّ شَيْئًا فَإِنَّهُ وَبِلَادٌ أَنْ لَا يَنْتَمُوا بِغَيْرِ الْقَوْلِ وَإِنْ كَانَ يَبْلُغُ ابْنَ أَبِيهِ حَتَّى أَصَابَ نِسْوَةً وَأَذْوَادًا فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَارِقٌ الطَّائِيُّ وَهُوَ قَيْسُ بْنُ جَرْوَةَ

أَلَا حَيِّ قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهْ   وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ وَشَائِقُهْ

فَقُلْ يَعُدُّ ابْنُ هِنْدٍ لَمْ تَعُقْهُ أَفَانُهُ   وَمَا الْحَزْنُ إِلَّا مَغْفِرٌ وَمَرَابِعُهْ

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِنًى   وَمَا خَبَّ فِي بَطْحَائِهَا مِنْ رَدَادِفِهْ

لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ   لَأَنْتَحِيَنْ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهْ

فَسُمِّيَ عَارِقًا بِهَذَا الْبَيْتِ وَبَلَغَ الشِّعْرُ عَمْرَو ابْنَ هِنْدٍ فَقَالَ لَهُ زُرَارَةُ بْنُ عُدَسَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّهُ يَتَوَعَّدُكَ فَقَالَ عَمْرُو ابْنُ هِنْدٍ لِتُرْمُلَةَ بْنِ شَعَاثٍ الطَّائِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عَارِقٍ أَيَهْجُونِي ابْنُ عَمِّكَ وَيَتَوَعَّدُنِي فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَجَاكَ وَلَكِنَّهُ قَالَ

وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ   مَا إِنْ كَسَاكُمْ ضَيْعَةً وَهَوَانَا

وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ   ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانَا

وَالرَّادِعُ الْمَصْبُوغُ بِالزَّعْفَرَانِ وَإِنَّمَا أَرَادَ تُرْمُلَةُ أَنْ يَسُلَّ سَخِيمَتَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِقًا فَقَالَ

من مبلغ عني ابن هند رسالة ... إذا استحقبتها العيس تنضى على البعد

أيوعدني والرمل بيني وبينه ... تبين رويدا ما أمامة من هند

غدرت بعمرو كنت أنت احتزيتنا ... عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

في أبيات أخر فبلغ عمرو ابن هند شعره هذا فغزا كيدا وأسر أسرى من بني عمرو
ابن أخزم رهط حاتم الطائي الجواد المشهور فمن عليه حاتم وكان يفد عليه
فسأله الأسرى فأطلقهم له وكان المنذر ابن ماء السماء قد وضع ابنا له صغيرا
يقال له مالك وقيل أسعد عند زرارة بن عدس أشهر فكان فيهم فشب وخرج ذات
يوم يتصيد فأخفق ولم يصب شيئا فرجع فمر بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال
له سويد بن ربيعة وكانت تحته ابنة زرارة بن عدس فولدت له تسعة غلمة
فأمر أسعد بن المنذر وهو أخو عمرو ابن هند بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى
وسويد نائم فلما انتبه شد على أسعد بعصى فضربه بها فأمه ومات الغلام
وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف بن قصي واختط
بمكة فمن ولده أبو إهاب بن عزيز بن قيس بن سويد وكانت طيئ تطلب عثرات
زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فقال عمرو بن ثعلبة الكلبي

من مبلغ عمرا بأن ... المرء لم يخلق صباره

وحوادث الأيام لا ... يبقى لها إلا الحجاره

ها إن عجزة أمه ... بالسفح أسفل من أواره

تسفي الرياح خلال كشحيه ... وقد سلبوا إزاره

فاقتل زرارة لا أرى ... في القوم أوفى من زراره

يقول إنك لم تخلق حجرا من الحجر حتى لا تؤثر فيك إرادة دواهيك ولا تأخذ
بثارك وقوله ها إن عجزة أمه العجزة بالكسر وبضم آخر ولد الرجل فلما
بلغ هذا الشعر عمرو ابن هند بكى حتى فاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب
وركب عمرو ابن هند في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال
أذكر في بطنك أم أنثى قالت لا علم لي بذلك قال ما فعل زرارة الغادر الفاجر
قالت إن كان ما علمت لطيب العرق سمين المرق يأكل ما وجد ولا يسأل
عما فقد لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف فبقر بطنها فذهب

فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخاه فأت الملك فاعتذر إليه فأتاه
زرارة فأخبره الخبر فقال جئني بسويد فقال قد لحق بمكة قال فعلي ببنيه الصغار
وأمهم بنت زرارة كما قلنا فأتاه بهم غلمة بعضهم فوق بعض فأمر بقتلهم
فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق الآخرون بزرارة فتناولوهم فقال زرارة
يا بعضي دع بعضا فأرسلها مثلا وقتلوا كلهم وإنما قال يا بعضي لأنهم
أبناء بنته ثم إن عمرو ابن هند أقسم ليحرقن مائة من بني دارم فخرج يريدهم
وجعل على مقدمته عمرو بن ثعلبة الكلبي صاحب الشعر المتفرع فوجدوا القوم
قد نذروا بهم فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية
البحرين فحبسهم عمرو بن ثعلبة ولحقه عمرو ابن هند حتى انتهى إلى أوارة فضرب
قبته وأمر لهم بأخدود فحفر لهم في الأرض ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت
وتلظت قذف بهم فيها فاحترقوا وأقبل رجل من البراجم فاشتم رائحة القتار
فظن أن الملك قد اتخذ طعاما وكان ساغبا فعرج على النار مع المساء
وجاء يوضع به بعيره حتى أناخ أمام قبة عمرو ابن هند فقال له ما جاء بك
قال الطعام أيها الملك فقد أقويت منذ ثلاثة أيام لم أذق طعاما قال ممن أنت
قال من البراجم فقال عمرو إن الشقي وافد البراجم فأرسلها مثلا وأمر به فقذف
في النار وأقام عمرو لا يرى أحدا فقيل له أبيت اللعن لو تحللت بامرأة
منهم فقد أتممت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها
من أنت فقالت أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر فقال إني لأظنك أعجمية
فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم

إني لبنت ضمرة بن جابر ◊ ساد معدا كابرا عن كابر

قال عمرو أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما
والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما قتلت إلا نساء أعلاهن
ثدي وأسفلهن خلق قال اقذفوها في النار فالتفتت فقالت ألا فتى يكون
مكان عجوز فلما انطوى عليها الأخدود قالت هيهات صارت الفتيان حمما
فأرسلتها مثلا وقد ذكرت الشعراء مقتل الفتية في أشعارهم فمن ذلك قول الأعشى
ونذكر في الشرح المسوا زمنهم وبني زرارة

ابناء قوم قتلوا * يوم الغميصة من اواء

وقال جرير يعير الفرزدق

اين الذين بنار عمرو حرقوا * ام اين اسعد فيكم المسترضع

وقال ايضا

واخو الاحم ربي كما فرقت تميم * وادرك حمارا اشغى الاراجم

وقال الطرماح

ودارم قد قذفنا منهم مائة * في جاحم النار اذ ينزون بالجدد

ينزون بالمشتوى منها ويوقدها * عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

وبسبب هذه الواقعة عيرت بنو تميم بحب الطعام من ذلك قول يزيد بن عمرو بن الصعق

الا ابلغ لديك بني تميم * بآية ما يحبون الطعاما

وقال ابو المهوش الاسدي

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك ان يعيش فجئ بزاد

بخبز او بلحم او بتمر * او الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا * لياكل راس لقمان بن عاد

قيل دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن ابي سفيان فقال له معاوية رضي الله عنه ما الشيء الملفف في البجاد يا ابا بحر فقال السخينة يا امير المومنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد فانظر يرحمك الله عما جرى منهما والله اعلم

ولا تكثروا في عمرو زابرا * في القوم اذ كمل نرن ثم تلحوا

اللغة قوله زابرا في القوم قال الزمخشري عند قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير

وما ادري وسوف اخال ادري * اقوم آل حصن ام نساء

واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد انهم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وقال قيل هذا القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام

النساء نحن على رغم الأنف فأذن عنه والزائرون من الرجال وهو في الأصل
جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر تسمية بالمصدر عن بعض العرب إذا
أكلت كفافا فأحببت نوما وأبغضت قوما أي فيا فاه **ومعنى الكلام**
ثم أخبرنا الناظم رحمه الله في البيت المتقدم عن الطعام ونحوه فليس نحو منا
عن تعاطي ما يفعله من قول أو فعل كالتطفل وما في معناه والتطفل مشتق
من الطفل كطفيل كزبير وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان وكان
يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فكان يقال له طفيل الأعراس وطفيل
العرائس وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها
شيء فاشتق الفعل من اسمه ونسب إليه كل من يتعاطى حرفته فقيل تطفل فلان
وهو طفيلي وكذا قيل التطفل من كلام أهل العراق وأما العرب فيقولون للذي
من غير دعاء إلى الطعام وارش وإلى الشراب واغل ومن هذا الطفيل المذكور
أنه قال لأصحابه إذا دخلتم عرسا فلا تلتفتوا التفات المريب وتخيروا المجالس وإن
كان العرس كثير الزحام فليمض أحدكم ولا ينظر في وجوه الناس ليظن أهل الرجل
أنه من أهل المرأة ويظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل وإن كان البواب غليظا وقحا
فليبدأ به وليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والإدلال وقال
ليس في الأرض أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى عليه السلام ومنبر الخليفة
وخوان الطعام ونوادر الطفيليين وما قيل فيهم كثير مشهور **واعلم** أن
التطفل حرام وهو من أخلاق اللئام عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن
دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا **رواه أبو داود وعنه** عليه
الصلاة والسلام قال من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما
نقله في الإحياء **وقال** تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيء إلا
أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه **قال** الزمخشري ما ذكره قوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لإدراكه يعني فنهى الله عن ذلك كما ورد مثله عن ابن عباس رضي الله
عنهما **وقال** الفقهاء يحرم على الإنسان أن يأتي الوليمة بغير إذن من ربها

وهذا قاله ابو بكر تابعا لابن سيده فمن علم من عادته انه ان يجيء دخوله فلا يجوز
عملا بحمله الذين يتبعونه الدخول فقعد لانه قادر ولهن حكمها ولا كذا التنزيل
عن ذلك انفصل فالوجه ان الانسان اليه سبيلا فكذا اشار الناظم الى انها التيس
معا فاشار الى حالته من بابي وخروجه بقوله كواو عمرو واشار الى حالته من باب في
تبعا للغير بقوله اوكنون ملحق لانه يكفي به ضعفه وخسة انه جاء تبعا للغير
في حكمه والله اعلم **ذكر واو عمرو والنون الملحق فاقيل فيهما**
اما واو عمرو فعن الجاحظ انه كان يزعم ان عمرا ارشق الاسماء واخفها
والذها واسلمها مخرجا وكان يسميه الاسم المطبوع قال العاملي في الكشكول
ويعني بذلك انهم الزموه الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها
ولا اشارة اليها وايضا فانه تجري في اكثر الاشتقاقات المنزلة والفعل الا مفعولا او ضمنا
وكلمة من هذه الحيثية الخ ه **قال** صاحب السعود بل لكلمة من الحيثية
ارادوا اكثر مما لازمته هنا ليس من جنسه ورفع انه يفهم فكله في سيما هذا الظريف
الخفيف **قلت** وانما الزموه الواو فرقا بينه وبين عمر بضم العين وفتح الميم
اذ لولا الواو لالتبسا وهذا في حالتي الرفع والجر واما في حالة النصب فلا
لوجود الف التنوين في عمرو المفتوح العين دون عمر المضموم فانه ممنوع من الصرف
للعلمية والعدل على لغة ربيعة الذين يقفون على المنون المنصوب بالسكون فيحتاج حينئذ
الى الواو فيهما وقد ضرب المثل بواو عمرو ابو نواس حيث قال يهجو اشجع السلمي

تلك ؟

ايها المدعي سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت في سليم كواو ... الحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ويجوز ان يكون الناظم قد اراد هذا المعنى من التطفل على الانساب والمعنى الذي
حملناه عليه انسب بسياقه وقال ابن بسام من ابيات في متطفل

يا طلوع الرقيب يا بين الف ... يا غريما اتى على ميعاد
خل عنا فانما انت فينا ... واو عمرو او كالحديث المعاد

واحسن ما قيل في واو عمرو قول ابي سعيد الرستمي للصاحب ابن عباد من قصيدة

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ... ويحرم ما دون الرضى شاعر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة ... وضويق بسم الله في الف الوصل

وأما النون الملحق فإنما عبر النون لأنه شبه به نون الضيفن وهو الذي يجيء مع الضيف بالنون فيه زائدة للإلحاق ببنية جعفر فوزنه في التصريف فعلن وللعرب فيه وبين الضيف الحقيقي وإنما خصوه بالزيادة مناسبة لحاله لأنه زائد عن غيره مقصود بالضيافة ولذا يكون ضيفا ثقيلا إلا على من اتصف بالكرم والجود كما قال الشاعر

*

كلا الضيفين المشنوء والضيف نائل * لدي القرى والأمن في العشي والبشر

وقال من يستثقله

*

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن * فأودى بما تقري الضيوف الضيافن

وهذا الاسم هو الذي اخترعه فيه الحريري في المقامة النحوية بقوله وما وصف إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون قال الحريري وهو الذي يتبع الضيف وينزل في النفر منزلة الزبيب.

وأعضل كهلان ببنات فكرة * فضنا بها عن غير جمل مغرب

كي لا تقول بلسان رجالها * مقالا يبين الرحمن يكفي

اللغة قوله وأعضل كمنع العضل المنع والتضييق ومنه عضل الرجل كريمته عضلا من بابي قتل وضرب منعها التزويج وقيل في القاموس يكون كلما وقرأ السبعة قوله تعالى فلا تعضلوهن بالضم وأعضل الأمر بالهمزة اشتد ومنه داء عضال بالضم أي شديد فقوله ببنات فكرة الفكرة بالكسر اسم من الافتكار كالعبرة اسم من الاعتبار قاله في المصباح وقالت الحكماء هي قوة جعلها الله في التجويف الأوسط من الدماغ شأنها التصرف في الصور الخيالية والمعاني الكلية والجزئية بالتفصيل والتركيب فقوله ضنا بها الضن والضنة بالكسر فيهما والضنانة كسحابة البخل وقد ضننت بالزيد بشيء تضن من باب تعب وضننت أضن من باب ضرب وهذا علق ضنة بكسر الضاد وفتحها أي نفيس مما يضن به وقرئ في قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد والظاء فمعنى القراءة الأولى ببخيل ومعنى الثانية بمتهم فقوله عن غير جمل معروف الجمل كالجبل الذكر من كل حيوان والمغرب اسم فاعل من أغرب وإذا صار غريبا في الكرم أو في اللؤم والمراد هنا الأول بأن يكون له أعمام وأخوال في أحرار الأمهات

وهو مأخوذ من أعراق الشجر والنبات إذا اشتبكت عروقه في الأرض فقوله الذي
من لم يلق أعطان الشيء بكم حظه ولم يلق مغناه لم يروا ولم يناسب من لاق الشيء
بغيره يليق أي الترويج والتأويح مقابلة حتى كأنه ترويج والليقة بالكسر
الطينة اللزجة يرقق بها الخابية وتلزق والله أعلم **الإعراب**
والتصريف قوله واغفر كرام أغفر أمر وكرام منصوب به على
المفعولية المطلقة وفي الكلام حذف أي غفرا كغفر كرام وبنات مكرمة
مفعول أغفر وقوله فينا بها حال من فاعل أغفر وسر مرفوع باسم الفاعل
أي فضلا بها كقولهم أتيتك ركضا وعن غير محل خ بتعلق به قوله في كلا تقول في
كمنا بمنزلة لام التعليل وغير وعملا جمع جزء جر متعلق باغفر وتقول منصوب
بأن مضمرة بعد كي ويجوز أن تكون كي مصدرية واللام مقدرة قبلها وعلى كل حال
فتعد من الكلام واغفر بنات بكرامة للأجل ولا تقول بلسان حال لها كذا وكذا وقال
حال منقلبة عن واو وقال اسم مفعول مثل مقول التقول وأصله مقول كمعقول
نقلت فتحة الواو إلى الفاء ثم قلبت الواو ألفا ويجوز في مثل الحرف وعن وقد
ونحوها في قال في الخلاصة

وجهان في المعادي تذكيرا أسبق * وفي جملة كمثل والمنع أحق

قوله الذي من لم يلق جملة في محل نصب محكية بقال وهو وإن كان اسم مصدر
لكنه يعمل عمل فعله بلا خلاف قال المرادي اسم المصدر الذي أوله الميم
وإن كان علما بعضهم اسم المصدر فإنه يعمل عمل فعله وليس من موضع الخلاف
يعني الجاري بين البصريين والكوفيين في أعمال اسم المصدر ومنعه ومن أعمال المصدر
الميمي عمل فعله قول الشاعر

أظلوم إن مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

والبيت حكاية مشهورة ليس من غرضنا جلبها والله أعلم **البيان** في كلام
الناظم استعارات من شجة بان بنات الفكر مجاز عن ألفاظ بين الرسائل ونحوها
مما ينقى به الكتاب والشعراء إلى الآن أو ذكر العقل والعمل المعروف ترشيح
ويجوز أن يكون العقل مجازا أيضا عن عدم الاستماعة بالشعر والأدب والتكسب
بهما والعمل المعروف مجازا عن الأصل الجود والكرم **البديع** في قوله الذي.

قد لا يخلو شبه الاستيفاء وكقوله تعالى قال اني لعملكم من القالين والله اعلم

معنى الكلام هذا ايضا من معنى ما تقدم الا انه خاص بباب الادباء وقد
علم الناظم رحمه الله ان الشاعر قد منعه عن التزلف بشعره والاستجداء
به لكرم الملوك ومن في معناهم لم يمنعه من ذلك بالكلية بل رخص له في استجداء
من هو اهل للاستجداء وهو من اجتمع فيه امران ان يكون كريما وان يكون من ابناء
الكرام وذلك ان قوله عن غير محل معروف في قوة قضية سالبة تصدق مع وجود
موضوعها ومع عدمه فكانه يقول يجب عليك ايها الاديب ان تنزل بنات
فكرك صونا عن ان تبذل المعروف ويصدر فيما اذا لم يكن هنالك محل اي كريم يوجه نحوه
السؤال وتحط بفنائه رحال الآمال وفيما اذا كان هنالك كريم الا انه كريم حادث
وعرفه فيه غير متأصل وذلك لانه هذا ما تكرهه وشاهده قول عمار رضي الله عنه
ويقال انه من كلام خالد بن صفوان وقوله اذا حاجات الغوث من كلفتها الى غير اهلها
واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك في فم التنين الى المرفق
خير لك من ان تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر وقال ابو محلم السعدي

اذا ما رمى الدهر بالعسر فاتبع * فريق الغنى في الناس انكما مزاه
ولا تطلبن الخير ممن افاده * حديثا ومن لم يورث المجد والده

واما قيد موضوعه بصورة واحدة وهو ان يقصد بنات فكره اذا عزم على ذلك محلا
معروفا في كرمه متأصلا في الكرم قد ورثه عن الآباء وان خرج كما قال الشاعر في يحيى
البرمكي

سألت الندى هل انت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني عن والد بعد والد

ثم ما سلكه الناظم في حض بنات الافكار من صونها ومنعها عن الابتذال ومنعها
الا عن الاكفاء معنى مطروق للمتقدمين موجود في كلام البلغاء والمولدين فمن
ذلك قول ابن هرمة

واني وتركي لك بالمكنفني * عفافا بان اقعد عن النكاح
وقال داع: فلا اعضلن فتاة لي من بعده * حتى ازوجها من الاكفاء

وعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ابا تمام على مدحه غيره فاعتذر اليه بقوله

أما القوافي فقد حصنت عذرتها * فما يصاب دم منها ولا سلب

منعت إلا من الأكفاء منكحها ... وكان منها عليك العنف والحرب

ولو عضلت عن الأكفاء أيمها ... ولم يكن لك في أكفائها أرب

كانت بنات نصيب حين ضن بها ... على الموالي ولم تحفل بها العرب

يقول لها عذاري الفصحاء من يقفي بها الكبفة العليا من شعره فهي مقصورة عليك وأما قاد ومن ذلك وفي الأيامى فإنك لا ترغب فيها فلم تمنعني أن أبعث بها إلى أكفائها من موجود ونحو في العذر وإلا كانت كبنات نصيب الشاعر فإنه كان عبدا أسود وكان له بنات فرنعض عليهن من لونه فهن يشبهنه في الأدمة والدمامة وكان يحبهن وكان يرغب بهن عن العجم ولا ترغب فيهن العرب فبقين عنده عانسات ومن ذلك والله أعلم

*

ذكر همام وما تقوله مع بناته

هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الأصغر بن شيبان الأكبر بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهو أخو جساس قاتل كليب المتقدم الذكر وكان من خبر همام مع بناته ما ذكره صاحب القاموس قال كان لهمام بن مرة ثلاث بنات فأبى أن يزوجهن فلما عنسن واغتلمن قالت أخراهن بيتا وأسمعته إياه متجاهلة

أهمام بن مرة إن همي * لفي اللائي يكن مع الرجال

فأعطاها سيفا فقال هذا يكون مع الرجال فقالت الأخرى ما صنعت شيئا ولكني أقول

* *

أهمام بن مرة إن همي * لفي قنفاء مشرفة القذال

والقنفاء تطلق عند العرب على الغليظة من الآذان المعززة كما تطلق مجموعة وتطلق على الكمرة العظيمة وهي مراد القائلة فقال أبوهما وما قنفاء فقالت الصغرى ما صنعتما شيئا ولكني أقول

أهمام بن مرة إن همي * لفي عرد أسد به مبالي

فقال أخزاكن الله وزوجهن والعرد بفتح العين وسكون الراء المهملتين الذكر وحكى شارح الزيزونية قصة همام هذه على وجه آخر فقال كان لهمام أربع بنات وكن يحكمن أبيهن فيخرج ذلك عليهن فيستحيين ولا يزوجهن وكانت أمهن تقول لو زوجتهن فلا يفعل فخرج ليلة إلى متحدث لهن فاستمع عليهن

فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمن ولنقصر فقالت الكبرى

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى ... حديث الشباب طيب النشر والذكر

كلبب بأذواد النساء كأنه ... خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك فقالت الثانية

ألا هل أراها ليلة وضجيعها ... أشم كنصل السيف غير مبلد

لصوق بأكباد النساء وأصله ... إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتد

فقلن لها أنت تحبين رجلا من قومك فقالت الثالثة

ألا ليته يملا الجفان لرهطه ... له جفنة تشقى بها النيب والجزر

له حكمات الشيب من غير كبرة ... تشين فلا الفاني ولا الضارع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا وقلن للصغرى تمني فقالت ما أريد شيئا فقلن والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك قالت زوج من عود خير من قعود فأرسلتها مثلا فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن كلهن شارح الخزرجية والعراب كما للمبرد في كامله ولأبي الفرج في أغانيه وللميداني في مجمعه أن هذه القصة لذي الإصبع العدواني مع بناته الأربع وعرفنا بها أن ذا الإصبع مكث حولا ثم زار الكبرى أو زارته فقال لها كيف زوجك فقالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله : فقال فما مالكم قالت الإبل قال وما هي قالت نأكل لحمانها مزعا : ونشرب ألبانها جرعا : وتحملنا وضعفتنا معا : فقال زوج كريم : ومال عميم : ثم زار الثانية فقال كيف رأيت زوجك فقالت خير زوج يكرم الحليلة : ويعطي الوسيلة : قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء : وتملأ الإناء : وتودك السقاء : ونساء مع نساء : قال رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال كيف رأيت زوجك قالت لا سمح بذر : ولا بخيل حكر : قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما : ونسلخها أدما : لم نبغ بها نعما : قال جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال كيف رأيت زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه : ويهين عرسه : قال فما مالكم قالت شر مال الضأن قال وما هي قالت جوف لا يشبعن : وهيم لا ينقعن : وصم لا يسمعن : وأمر مغويتهن يتبعن : فقال الشبه امرؤا بعض بزه فأرسلها مثلا قال

المبرد قال علي بن عبد الله قلت لابن عباس ما قولهما وانى يقول فيقبس
يتبعن قال اما تراه من يفرق ويشغلكم انواحدة منهن في قلاد او رحل وما اشبه
ذلك فيتبعنها ه قوله جزى وغنية جمع جزولة وهي القطعة من البنات وقولها
جوف بالضم جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف ولما ذكر الشيخ اليوسي في الزهر
الفهة قال ويحكى ايضا في نحو هذا ان رجلا من العرب كان له ثلاث بنات
قد عضلهن ومنعهن الاكفاء فقالت احداهن ان دام ابونا على هذا الراي
فارقنا وقد ذهب حظنا من الرجال فينبغي لنا ان نعرض له بما في نفوسنا
وكان يدخل على كل واحدة منهن يوما فلما دخل على الكبرى تحادثا ساعة فلما
اراد الخروج انشدت

ايزجر لاهينا ويلحى على الصبا * وما نحن والفتيان الا شقايق
يزين فتيانا فرارا كثيرة * وتنبل اخيانا فهن البوائق

فلما سمع الشيخ ساءه ثم دخل على الوسطى فحادثها فلما اراد الخروج
انشدت الا ايها الفتيان ان فتاتكم * دعاها دواعي العاشقين فحنت
يرونكم ابقوها بتي بغير زوجها * وان صبت تلك الفتاة وجنت

فلما سمع الشيخ ساءه ثم دخل على الصغرى في يومها فلما اراد الانصراف انشدت

اما كان في ثلاث ما يزع الفتى * ويعقل هذا الشيخ ان كان يعقل
فما هو الا الخزي او طلب الصبا * ولا بد منه فائتمر كيف تفعل

ه ما نقله الشيخ اليوسي رحمه الله واما قول البنت لهم فقال من انس
من قبيلة جهينة وهي هند بنت النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه وعنها تقول لما
ما قالته في زوجها روح بن زنباع الجذامي وقيل الحجاج بن يوسف الثقفي وهو

وهل هند الا مهرة عربية * سليلة افراس تجللها بغل
فان نتجت مهرا كريما فبالحرى * وان يك اقراف فما انجب الفحل

فهذا انشده الجوهري تجللها بغل بالباء الموحدة واعترضه ابو محمد ابن بري
في جملة ما اخذ عليه وقال انه تصحيف لان البغل لا نسل له وقال البطليوسي
قد انكر كثير من الناس رواية بغل بالباء لان البغل لا ينتج فالصواب
نغل بالنون وهو الخسيس من الرجال ه وقد قيل ان البيتين ليستا لهند وانما هما

لأختها حميدة بنت النعمان وكانت تهجو الأزواج فيكثر لغو بينها لذلك وقيل إنما قال ذلك ابن أسماء فقالت لما تزوج الحجاج هند بنت النعمان المذكورة والمشهور الأول وبعد ذلك يقول ابن سارة الشنتريني *

وصاحب في كراء النكر همته * يود في كيده إذا الذئب للراعي
يثني على خزاية النعمى صالحة * ثناء معين على روح بزوز بلاع

وسل غمور كثرة إن تغمر ما * لذي نوى كالبحر في ترقي

اللغة قوله وسل غمور كثرة الغمور جمع غمر بفتح فسكون ومغمور والأمر أنه ويجمع أيضا على غمورة كبعل وبعولة وفحل وفحولة ومن الجوالة امرئ نفع أغمكيته الغمر ويقال مغمورة وفي المثل كالمغمورة أخرى وخرجتها كالبنت حمقاء يغلمه بالغمر وتزع أخرى وخرجتها وقد يعمها البيها من ضيق بها ونكيرا لها أن رجلا أعمى داخلا ملأ فتزوج به ابنة المكفي ثم امتن عليها بأمرها فقالوا كالمغمورة من قبل البيها وقد يقال الأمر بها بالقمرة جمع قمرة أنشد أبو زيد لنفيع العقيلي

أخرا غمتها بالخطبة بجرية * وأمور أزهاها من الحكم قبلا

وكثرة بالكسر ويقال الكثرى أبو حي من اليمن واسمه ثور بن عمير وإنما قيل له كثرة لأنه كثرا بال النعمة أي كثر مالا ونعمة بأخواله فوله لذي نوى البري كالعشي أصله المكس ثم كثر استعماله في العطاء واتسعوه حتى صار حقيقة عرفية فيهم فقالوا أجلى نوى الكف إذا كان سخيا وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيرا منه والبحر معروف وكذا ترقى الماء وغيره من المبالغات والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله وسل أمر وقد تقدم تصريفه بغير مرة وكثرة مضاف إليه ما قبله ومصروفة ضرورة وإن تغمر شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه ودائر التغيير بإن ودار إلى الشارة الرابع متزلة الجملة في حيرة والمعنى لا يليق إلا إن تعرض لما قيل من الجمال وإن قالوا إن سؤال ما كان لبيشر فيه نقص على السائل كما سيأتي لا كثر تدني ذلك إذ لم يرو ويعد النعم والأمر أنه غلبة عزوا وحسبما ذل عليه الاشتقاق ويكتب ألفا ومقتضى صنيع القاموس أنه يجوز فيه الوجهان الواو والياء وعليه فيجوز كتبه بالياء أيضا وعليه اقتصر شارح الزبيرية وقوله كالبحر في محل النعت لذي نوى وقوله في ترقي يتعلق بكاف

التشبيه وهو وجه التشبيه والله اعلم **ومعنى الكلام** انه رخص
الناظم رحمه الله في البيت السابق للأديب ان يقصر بقوله واشعاره قد كان
اهل الجود عن قصد في الكرم اجاد له مدحا فابدله وهي ان مثل هؤلاء الاكابر
اذا سئلوا ينبغي ان تعظم المسألة لديهم ويستحيى من الاقتراح عليهم قال
هشام بن عبد الملك لنصيب الشاعر سلني قال كفاك بالعطية ابسطها من لسان
بالمسألة فقال بحاجبه اذ وقع اليه الف دينار وفي المعنى يقول ابو الطيب

ونهبت على مقدار كفي زماننا * ونفسي على مقدار كفيه تطلب

وفي هذا قرائن الراغب فيمن سأله الرجل السلطان ومسألة الانسان لا تنقصه
ولا تشينه قال الشاعر *

واذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وقال ثعلب لما برك المهلبية ويروى للخوارزمي *

اني لأرجو ان تعاد في * شغلي من الملك الجليل
خير يبارك الكساد من الليالي * لكن منا عن يوفا مريل

ومنه ماخوذ من قول ابي تمام يمدح الحسن بن رجاء *

لما وردت ساحة الحسن انقضى * عنا تعجرف دولة الامحال
احيا الرجاء لنا برغم نوائب * كثرت بهن مصارع الآمال
أعلى عذاري الشيب أن يعتورها * عند الكريم اذا رغبن غوالي

روى ان ابا تمام لما انشد الحسن بن رجاء هذه القصيدة قام على رجليه وقال
والله ما اتممتها الا وانا قائم فقام ابو تمام لقيامه ولما ختم انشادها
قال الحسن بن رجاء ما احسن ما جلوت هذه العروس فقال ابو تمام والله لو
كانت من الحور العين لكان قيامك لها اوفى مهورها وذكر المبرد وغيره
ان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه كان شريفا في الجاهلية والاسلام
وكان قد نذر ان لا تهب الصبا الا نحر واطعم ثم نزل الكوفة فكان المغيرة بن
شعبة اذا هبت الصبا يقول اعينوا ابا عقيل على مروءته وليس هذا في خبر
المبرد وفي خبر غيره ان الصبا هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك
الوليد بن عقبة بن ابي معيط وكان اميرا عليها لعثمان رضي الله عنه فخطب

الناس فقال انكم قد عرفتم نذر ابي عقيل وما وكد على نفسه فاعينوا اخاكم
ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة وبعث الناس اليه فقضى نذره وفي خبر غير المبرد
فاجتمعت عنده الف راحلة وكتب اليه الوليد بابيات وهي

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * اذا هبت رياح أبي عقيل
اغر الوجه ابيض عامري * طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بحلفتيه * على العلات والمال القليل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه * ذيول صبا تجاوب بالاصيل

فلما بلغه الشعر وكان قد ترك الشعر منذ أسلم قال لبنته أجيبيه فلعمري
لقد عشت برهة وما اعيى بجواب شاعر فقالت ابنته

اذا هبت رياح أبي عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
اشم الانف أصيد عبشميا * اعان على مروءته لبيدا
بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها واطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني بابن أروى ان يعودا

فقال لها لبيد قد احسنت لولا انك استزدته فقالت ان الملوك لا يستحيى
من مسألتهم فقال وأنت يا بنية في هذه اشعر ه وهذا هو السابق مما اشار
اليه الناظم رحمه الله

ذكر مهور كندة وما قيل فيها

قال الشيخ ابو منصور الثعالبي في ثمار القلوب كانت كندة لا تزوج بناتها
باقل من مائة من الابل وربما مهرت الواحدة منهن الفا منها فصارت مهور
كندة مثلا في الغلاء حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اذهب ملك
غسان وضع مهور كندة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم النساء بركة
احسنهن وجوها وارخصهن مهورا والكلام في مغالاة المهور وكراهة
من كرهها من العلماء واعتراض المرأة التي اعترضت على عمر رضي الله عنه
في ذلك كله معروف فلينظر في محله والله تعالى الموفق

(لا تنس من ذي نبال حكما وابى * كالكندة الغلا والعصيب انطلق)

الإعراب والتصريف قوله لا تنس من دنيا الحظ لا نافية وتنس مجزوم بها بحذف الياء آخره وحظا مفعوله ومن دنيا حال في موضع الحال منه لأن نعت النكرة إذا قدم عليها نصب حالا قوله واتركا الفاني الواو داخلة على فعل الأمر ومن اتصل به الألف منقلبة من نون التوكيد والكاف في قوله كالكسا الفاني اسمية وخفضها بالنسبة فيه للضرورة والمنصوب معطوف عليه والكسا دنيا مشتق من الدنو فلما هو في الاطراد والأدلة الغاء عدة أن فعلى المضموم الفاء متى كان وصفا واوي اللام وجب قلب واوه ياء كالدنيا والعليا وشذ في لغة غير تميم القصوى قال الله تعالى إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وبنو تميم يقولون القصيا على القياس ومن أمثلة الفاني والكسا شبه الاشتقاق والله أعلم **ومعنى الكلام** مغزاه الاستدلال على ما تقدم الكلام السابق من الترغيب للأدب في استبراء من لا تحقق معرفته باستبرائه وهو مقتبس من قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال الزمخشري وغيره ومعناه خذ منها ما يكفيك ويصلحك هـ وفيه دليل على أن الإنسان لا بد أن يقتني وأمر الدنيا القدر الذي لا تتأتى الحياة وتحصيل أمر المعاد إلا به لأن الله تعالى لم يخلق الدنيا عبثا بل لنتزود منها للآخرة ومن نعمها فلولا لم يكن دنيا لم تكن آخرة فالدنيا مزرعة الآخرة وعن الاقتصاد غير أن الإنسان إذا اقتنى وإذا كان القدر المحتاج إليه وجب عليه أن يقتنيه وله بمقدار الشرع وما فوقه ومن الأدلة أن تكون نيته التوصل به إلى المقصد الذي هو الآخرة غير فلا يكب على جمع المال ويكون أهمها نكر فيه التنعم به في هذه الدار الفانية فيكون فرحا على الوسيلة وضيع المقصود فإن ذلك شأن المغرورين وأمثال الجهال المغترين قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وفي كلام أبي حازم أيضا إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون عالة بكله الأكل على غيره يكثر أن ذلك من باب التوكل الواجب منه ولا نحو ذلك

مما رغب فيه الشرع وذلك مما حسنه العقل بل صاحب هذه الحالة جاهل
بالحكمة وبالشرع وبكثير من العلم والفهم أما جهله بالحكمة فلأن الله تعالى
لم يخلق هذه الدار عبثا ولم يضع الأرض للأنام ليقيموا فيها فارغين وإنما
خلقها للعمل وخلق الآخرة للجزاء ولو تمالأ أهل الأرض على ترك العمل والسعي
في أمر المعاش لهلكوا من حينهم ولبطل المقصود من خلق الدنيا ولو بطلت الدنيا
لبطلت الآخرة إذ هي ثمرتها وفرع عنها وذلك كله خلاف الحكمة فالدنيا
دار عمل وحكمة والآخرة دار جزاء وقدرة وأما جهله بالشرع فلأن الله تعالى
قد ندب إلى طلب المعاش إذ قال فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
وقال وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وقال صلى الله
عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة وقال إن
الله يحب المومن المحترف ويبغض العبد الصحيح الفارغ أو غير ذلك وأما
جهله بكثير من العلم والفهم فهو أن ما ظنه من أن ترك الأسباب يحصل مقام
التوكل ليس كما ظن لأنه لا تنافي بين تعاطي الأسباب والتوكل على الله
لتباين محليهما فالتوكل محله القلب وتعاطي الأسباب محله الجوارح الكاسبة
فليس الاشتغال بأحدهما مانعا من الاشتغال بالآخر بل الواجب هو الجمع
بينهما كما قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة اعقلها وتوكل فالتوكل
فيلاحظ بكيفية الحقيقة وتعاطي الأسباب فيلاحظ بكيفية الشريعة ولا يكون
العبد مستقيما إلا إذا جمع بين الأمرين في كل الأحوال وإلا كان إما معطلا
وإما زنديقا عياذا بالله نعم قد يفرد الله تعالى بمقتضى كرمه بعض
عبيده عن الأسباب ويقوم بها عنهم ويختصهم لنفسه ويشغلهم بحضرته
ولا يفنيهم إلا في عبادته وأنواع طاعته ومثل هؤلاء قليل بالنسبة إلى
الجمهور الذين خلقهم الله لعمارة الأرض وعلامة هذا الصنف القليل أن الله
تعالى يحميهم من الدنيا ويزويها عنهم ومهما تعاطوا شيئا منها عسر عليهم
حصوله ولا تتيسر لهم أرزاقهم في الغالب إلا من حيث لا يحتسبون ومما لا تسبب
لهم فيه فمن أقامه الله في شيء من هذا المقام فذلك علامة على أن الله
أراده لنفسه لا للدنيا وفيه يقول الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واتعبي

من خدمك

من حزبه فليتفهم هذا العبد عن الله وليقف عند مراده منه والاشتغال في
غير الله وكان بمنزلة العبد الذي يريد له الملك لمنادمته أو وزارته أو غير ذلك
من المنازل الرفيعة وهو يتطلب من الملك أن يجعله سائسا لدوابه فهذا جدير
بالمقت والطرد والعياذ بالله. وفي الحكم العطائية إرادتك التجريد مع إقامة
الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة
الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية. هـ والله تعالى الموفق بمنه
وكرمه

ذكر الطالقاني والخصيب وبعض أخبارهما

أما الطالقاني فهو الوزير الأكبر والرئيس ابن شهم أبو القاسم إسماعيل
ابن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني نسبة إلى طالقان
بفتح اللام وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين
وصاحب الترجمة أصله من طالقان قزوين لا طالقان خراسان وهو المعروف
بالصاحب ابن عباد كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله وكرمه
أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل وأخذ
عن الرئيس أبي الفضل بن العميد وغيرهما وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة
الدهر في حقه ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله
في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفرده بالغايات في
المحاسن وجمعه أشتات المفاخر لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله
ومعاليه وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ثم شرع في شرح
بعض محاسنه وطرف من أحواله وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه الصاحب
نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها ورضع أفاويق درها
وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه

ورث الوزارة كابرا عن كابر ... موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العباس عباد وزا ... رته وإسماعيل عن عباد

وقال فيه أيضا

من النفر العالين في السلم والوغى ... وأهل المعالي والعوالي وآلها
إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم ... وإن نازلوا احمر القنا من نزالها

قال وإنما لُقّب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل
ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى
الوزارة وبقي علما عليه وكان قد ولي الوزارة لمؤيد الدولة بن ركن الدولة
ابن بويه الديلمي فلما توفي مؤيد الدولة بجرجان واستولى على مملكته أخوه
فخر الدولة أبو الحسن علي أقر الصاحب على وزارته وكان مبجلا عنده
ومعظما نافذ الأمر إلى أن مات ومن أخباره أنه أنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها

أيا من عطاياه تهدي الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم نخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ... صنوف من الخز إلا أنا

فقال له الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له
احملني أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو
علمت أن الله تعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من
الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء
وجورب وكيس ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه واجتمع
عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح وكان مليح
النادرة حسن الأجوبة له نوادر مأثورة وحكم سائرة يطول جلبها وله في
اللغة كتاب المحيط في سبع مجلدات وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب
الأعياد وفضائل النيروز وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي رضي الله
عنه ويثبت إمامة من تقدمه وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته وكتاب
الوزراء وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي وله رسائل بديعة ونظم
جيد فمنه قوله في الخمر

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وله يرثي الوزير أبا علي كثير بن أحمد

يقولون لي أودى كثير بن أحمد ... وذلك رزء في الأنام جليل

وقلت دعوة والعلا تبكيه معًا * فمثل كبير في الأنام قليل

وحكي عنه أنه كانت عادته في أسفاره وتنقلاته أن يستصحب حمل ثلاثين بعيرا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها وكانت ولادته لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بإصطخر وقيل بالطالقان وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ثم نقل إلى أصبهان ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دريه قال ابن خلكان وهو عامر إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض قال ورأيت في أخبار أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب فإنه لما توفي غلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما فرثاه أبو سعيد الرستمي بقوله *

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى * أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله إلا أن يموتا بموته * فما لهما حتى المعاد معاد

وقال أبو القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني الشاعر رأيت في المنام قائلا يقول لي لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك فقلت ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وقد خفت أن أقصر وقد ذكر في الاستيفاء لها فقال أجز ما أقوله فقلت قل فقال *

ثوى الجود والكافي معًا في حفيرة * فقلت ليأنس كل منهما بأخيه

فقال هما اصطحبا حيين ثم تعانقا * فقلت ضجيعين في لحد بباب دريه

فقال إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم * فقلت أقاما إلى يوم القيامة فيه

ملخصا ذكر البياسي في حماسته وذكر الثعالبي في ثمار القلوب أن أبا القاسم المذكور رثى الصاحب بقصيدة منها قوله *

يا كافي الملك ما وفيت حقك من * مدح وإن طال تعريضي وتأبيني

فبت الصفات بما يزينه من أعين الأزهار بينه أيالة نعيم
ما فيه من أحلى بل فيها ما تهوى ولذ . سواء كم أبل الدنيا بل الدين
ما في نواحي العلا فزت نادبة . من بعد ما نربت انك د العين
تبكي عليك العطايا والعفاة كما . تبكي عليك الرعايا والمساكين
فلع الشعالة وكان الخوف أعدتهم . واستيقظوا بعدما الملاعين
لا يعجب الناس إن فزت بانتشروا . مضى سليمان فانحل الشياطين

وقال الخصيب هو أبو نصر الخصيب بن عبد الحميد أحد عمال الرشيد وصاحب ديوان الخراج بمصر كان من الأجواد الممدوحين والسمحاء المعروفين قصده أبو نواس الحسن بن هانئ من بغداد إلى مصر ومدحه بأمداح بليغة فأحسن إليه غاية الإحسان حتى حسده الخليفة على ذلك وروي أن أبا نواس لما وفد عليه استأذن فلم يأذن له وعنده الشعراء فأنشدوا أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشدك أيها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشدنا فأنشد قصيدته التي أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير

ومضى فيها إلى أن قال

تقول التي من بيتها خف محملي * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في جريهن عبير
ذريني أكثر حاسديك برحلة * إلى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

ومنها

فمن كان أمسى جاهلا بمقالتي * فإن أمير المؤمنين خبير
وما زلت توليه النصيحة يافعا * إلى أن بدا في العارضين قتير
إذا نابه أمر فإما كفيته * وإما عليه بالكفي تشير

ثم شرع من هنا في ذكر المنازل التي مر عليها في طريقه ثم قال في آخرها

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى … وفي السلم يزهو منبر وسرير
جواد إذا الأيدي قبضن عن الندى … ومن دون عورات النساء غيور
فإني جدير إذ بلغتك بالمنى … وأنت بما أملت منك جدير
فإن تولني منك الجميل فأهله … وإلا فإني عاذر وشكور

فامتن الخصيب لشاعره فأمر له بألف دينار ووصيفا ووصيفة ثم مدحه بعد ذلك بعدة قصائد حسان من ذلك قوله

أنا في ذمة الخصيب مقيم … حيث لا تعتدي صروف الزمان
فرعينا من الخصيب خلالا … آمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالي اغتيالا … ومكاني من الخصيب مكاني

ومنه أيضا قوله

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي … ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية … أكول لحيات البلاد شروب
فإن يك باقي إفك فرعون فيكم … فإن عصا موسى بكف خصيب

ويقال إن أبا نواس لما عاد إلى بغداد مدح الخليفة فقال له وأنت تقول بيننا ببغداد قلت في بعض قولك إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأطرق مليئة ثم رفع رأسه وأنشد

إذا نحن أثنينا عليك بصالح … فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ منا بمدحة … لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

ومما نقد الرشيد أيضا على قوله فإن عصا موسى بكف خصيب فإنه سوء أدب مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **واعلم** أن عمل الناظم رحمه الله من أخذه وذاك أنه مدح فيما تقدم أن الذي ينبغي أن يفتخر بالشرب الخمر من كان عريق الجود أصيل الكرم ثم مثل ممثلا بالكرام الغطارف والخصيب وفاق الكل الغاني بأفراده فسلم لأنه من بيت الوزارة كابرا عن كابر كما تم في أخباره وأما الخصيب فقد ذكروا أنه كان عند الرشيد قال الزمخشري في الكشاف عند قوله تعالى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ما نصه وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب

وكان على وفق مراده وآيته ذكره غير واحد من المؤرخين الاثبات ان الرشيد
بلغه ان موسى بن عيسى الهاشمي عامله على مصر عزم على الخلع فقال والله
لأعزلنه بأخس من على بابي فأحضر عمر بن مهران وكان أحول مشوه الخلقة
خسيس اللباس يردف غلامه خلفه فولاه عليها فلما وصل اليها قصد
مجلس موسى بن عيسى وجلس في أخريات الناس فلما افترقوا قال ألك حاجة
قال نعم ثم دفع اليه كتاب الخليفة فلما قرأه قال متى يقدم ابو حفص
ابقاه الله قال انا ابو حفص فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال أليس
لي ملك مصر ثم سلم له العمل لا كثر واثبت في رحلة ابي عبد الله التواتي
الكتبي المعروف بابن بكثوكة ما يقرب مما للزمخشري فانه لما تكلم على قبة
الخصيب وهي بلدة بمصر قال يذكر ان احد الخلفاء من بني العباس غضب على
اهل مصر فآلى ان يولي عليهم اخس عبيده واصغرهم شأنا وكان خصيب اخسهم
اذ كان يتولى تسخين حمامه فخلع عليه وولاه على مصر وكان فيه تيسير فيهم لما
يرد عنهم حسبما هو المعهود ممن كان حديث عهد بعز فلما استقر خصيب بمصر
سار في اهلها سيرة حسنة واشتهر بالكرم والايثار فكان اقارب الخليفة
يقصدونه وهم يقصدونه فيجزل عطاءهم ويعودون الى بغداد شاكرين وان الخليفة
افتقد بعض اقاربه فلم يجده ثم جاء له بعد مدة فسأله فقال كنت عند
خصيب ثم ذكر له ما وصله به فاذا هو شيء كثير فغضب الخليفة على خصيب
وامر باشخاصه من مصر فلما وصل الى بغداد سمل عينيه وطرحه في السوق
قلت ولقد مدحه وعليه كثر ابو نواس حيث قال *

فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

قال فمر به بعض الشعراء وهو على تلك الحال فقال يا خصيب اني كنت قد
قصدتك من بغداد الى مصر مادحا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها
وأحب ان تسمعها الآن فقال كيف بسماعها وانا على ما ترى قال انما قصدي ان
تسمعها واما العطاء فقد اغنيت الناس جزاك الله خيرا قال افعل
فانشده قصيدة اولها *

انت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلما أتى على آخر ما أخرج له الخصيب ياقوتة نفيسة كان أدخرها عنده
ليوم ما فأبى الشاعر أن يقبلها فعزم عليه حتى قبلها وذهب بها إلى
سوق الجوهريين فكلمهم فقالوا إنها لا تصلح إلا للخليفة وانتهى خبرها إلى
الخليفة فأحضر الشاعر وسأله فأخبره الخبر فبرح على ما جرى منه في حق الخصيب
وأحضره وأجزل عطاءه وحكمه فاقترح عليه أن يقطعه المنية التي بمصر فجعل
سكناها للخصيب إلى أن توفي وأورثها بنيه حتى انقرضوا كذا في الرحلة المذكورة
ويقتضي هذا الخبر أنها بذلك سميت منية الخصيب والله أعلم بحقيقة الأمر
وأما البيت الذي أنشده من القصيدة فالمعروف أنه لأبي نواس ويمكن أن يكون مع
الذي تعرض للخصيب ثانيا حتى أعطاه الياقوتة والله تعالى أعلم

لا تتبع من لم يعطك وانجع من أتى * إن السراب بالدلاء يستقي

الإعراب قوله لا تتبع نهي ومن موصولة مفعول تتبع وجملة لم يعطك
صلتها والعائد الضمير الفاعل بيعطك وحذفنا الثاني مفعولي الإعطاء فلذا لم يأت
له بمفعول فيه وانجع من أتى أمر معطوف على النهي قبله ومن موصولة وجملة
أتى صلتها والعائد الضمير الفاعل بأتى وأن السراب وبالدلاء يتعلقان به وجملة
يستقي حال من فاعل ... التي وفي الكلام استعارتان إحداهما في لفظ السراب
فإنه مجاز عن الرجل المخلف الوعد والثانية في لفظ يستقي فإن الاستقاء مجاز
عن السؤال والاستجداء ولذا يسمونه استماحة مع أن الاستماحة في الأصل من
طلب الماء ولفظ الدلاء ترشيح ولك أن تعتبر المجاز في الكلام برمته فيكون
من باب التمثيل وأن حالة هذا السائل الذي يسأل مثل الكذوب والمخلاف كحال من
يأتي إلى السراب يرجو أن يحصل منه على نصيب من الشراب فما أضيع سعيه وما
أخيب فكره واستعارة السراب للرجل الكذاب موجودة في كلام العرب وغيرهم
من شعراء المولدين ومن أمثال العرب السائرة فلان أكذب من يلمع واليلمع هو
السراب وقال أبو تمام يهجو أبا المغيث الرافعي

ما زال وسواسي لعقلي خادعا * حتى رجا مطرا وليس سحاب
ما كنت إلا دلو ريث بأفـ * ـق بأفنية السرى سراب

وكذا استعارة الاستسقاء للطلب مستعملة كثيرا قال [illegible]

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئ بملئها طورا وطورا تجئ بحمأة وقليل ماء

وقال ابن الرومي *

وإذا امرؤ مدح امرءا لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وأما معنى كلام الناظم فهو مأخوذ من كلام نصيب قال الشمو المهلي قال مسلمة بن عبد الملك لنصيب أنت لا تحسن الهجاء فقال بلى والله إني لأحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله قال فإن فلانا قد مدحته فحرمك فاهجه قال لا والله ما ينبغي أن أهجوه وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته فقال مسلمة هذا والله أشد من الهجاء وقال أبو الطيب في المعنى قال ابن خلكان وليس في ديوانه ومما ثبت عنه بالاسناد *

أبعين مفتقر إليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالق

وقال مهيار الديلمي * *

اكرم يديك عن السؤال فإنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
تلحى على بخل البخيل بماله أفلا تكون بماء وجهك أبخلا

وقال غيره

لا تغضبن على امرئ لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما لديه

(وعدنا بعودة من بذل اللهى فالعودة أحمد لكل مملق)

اللغة قوله وعدنا بعودة العودة الرجوع وسميت العادة عادة لأن صاحبها يعاوده مرة ويرجع إليه مرة بعد أخرى وعوده تعويدا فاعتاده وتعوده أي صيره له عادة. قوله من بذل اللهى بذل الشيء أعطاه وجاد به عن طيب نفس واللهى جمع لهوة بالضم ويقال اللهية بالياء بدل الواو والعطية من أي نوع كانت وقيل هي أفضل العطايا وأجزلها وفي المثل إن اللهى تفتح اللهى أي إن العطايا تطلق اللسان بالمدح والشكر. قوله لكل مملق أي فقير محتاج قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي بفقر وحاجة والله أعلم

الاعراب

الاعراب والتصريف قوله وعزّ لما عوّدتُ فما موصولة وعوّدتَ
فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير المخاطب والعائد من الصلة
الى الموصول محذوف وهو المفعول الثاني تقديره عوّدته ومن روى التقى [بيائه] فلما فهو
متعلق بمحذوف حال منها والكلام على حذف مضاف اي وعزّ لاقتضاء ما عوّدته
من التقى والعف يجوز كتبها بالالف وبالياء لما تقدم من انها تارة تستعمل بالواو
وتارة بالياء وقوله فالعود احمد جملة من مبتدا وخبر علة للامر بالعود
وتمييز احمد محذوف اي احمد عاقبة واسم التفضيل هنا مصوغ من فعل المفعول وهو
شاذ ولكنه مسموع كما سيأتي في افعل المثل والله اعلم **ومعنى الكلام**
ظاهر كالتفسير للبيت السابق لانه لما نهاه عن هجو من تعهده معروفه وان كنت
لا بد هاجيا فبنفسك اولى بالهجو منه بين هنا ان ذلك في حق من لم يعوّده
الاحسان والبر ولم يتكرر عطاؤه لذلك المرتجى بغير [انعمه] : اما اذا عوّدك
كريم الصنع والاحسان ثم اتفق منه تقصير في بعض الاحيان فلا يحملنك
سوء الظن به على هجرانه وترك النعم ونسيانها لاحسانه حتى يؤديك ذلك
الى الجفاء والقطيعة ويلحقك بسوء المجازاة عار مثل الصنيعة فان الصارم
قد ينبو والجواد قد يكبو فاغضض له عن هناته واحمله في الكفاء[ة]
والشاكر على اغلب عاداته وفي المعنى قيل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

فاذا اغضيت له عن هفوات النواجز فانك تصادف بعدها احمد عاقبة
واجمل عائدة حدث ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على ابي
الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة فقراها ووضعها من يده ولم
يوقع فيها بشيء فاخذتها وقمت وانا اقول متمثلا من حيث يسمع من بين يديه

واذا طلبت الى كريم حاجة * وابى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال ومن سمع ما قلت ارجع يا ابا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا
سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فاخذ الرقعة ووقع
فيها بما اردت ودخل بعض الكتاب على اسحاق بن ابراهيم يسأله حاجة

بقوله فأنشد الكتالبي

لا يؤيسنك من كريم نبوة ... ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم

فإذا نبا فاستبقه وتأنّه ... حتى يفيء به الطباع الأكرم

وقال ابن الرومي

نذكّر بالرقاع إذا نسينا ... ونرجو حين تمكننا الكرام

فإن الأم لم ترضع صبيا ... مع الإشفاق لو سكت الغلام

وقال بشار

هززتك لا أني وجدتك ناسيا ... لأمري ولا أني أردت التقاضيا

ولكن رأيت السيف من بعد سله ... إلى الهز محتاجا وإن كان ماضيا

واعلم أن هذا المعنى الذي انتهى بنا إليه كلامهم يقع للأدباء كثيرا ترى والشأن معروف عند الأئمة عرف إليك كله واعلم أيضا أن ما حملنا عليه كلامه من أن هذا خطاب للسائل وأن قوله العود أحمد مبني للمجهول أنسب المناسب من وجوه أحدها أن كلامه السابق كله مع السائل لا المسؤول منه فليكن هذا مثله ليكون الكلام جاريا على سنن واحد ثانيها أن الذي تكلم أولا بالمثل الذي استدل به أعني قوله العود أحمد كان سائلا لا مسؤولا منه كما بلغنا قريبا ثالثها أنه لو كان كلامه مع المسؤول منه وأن قوله العود أحمد مبني للفاعل لكان الواجب أن يقول في آخر البيت مثلا فالعود أحمد لكل منعم بدل مملول لكنه لم يقل ذلك فعلمنا أن كلامه مع السائل كما قررنا أولا والله أعلم ولعمري لو عني بمعنى كما قررنا وكان كلامه مع المسؤول منه لكان أحسن إذ المسؤول أحوج إلى مزيد الترغيب والتذكير من السائل ولأن العود من المنعم مستحسن شرعا وطبعا بخلاف المملول فإن ذلك يحكى له عند الله والأرفع له عند الناس من علو الهمة والتعفف كما قلنا ولا كرا لنا كلمه أخذ في الأدب وجار على طريقة أدبائه وبصدد التلميح لأمثال العرب ونوادرها والتنبيه على نكتها وفقا سيفها فلا يقدر الشلوله في مذهبهم والجري على سننهم في بعض الحين والله الموفق

ذكر أول من قال العود أحمد

اختلف

اختلفت في اول من قال العود احمد فقيل مالك بن نويرة اليربوعي حيث يقول

جزينا بني شيبان امس بقرضهم * وعدنا بمثل البدء والعود احمد

والاصح ان اول من قاله خداش بن حابس التميمي وذلك انه كان قد خطب فتاة من بني ذهل ثم من بني سدوس يقال لها الرباب بعد ان ملاح بها مرة ثم اقبل يخطبها وكان ابواها يمتنعان بجمالها وميسمها برد خداش فاضرب عنهما زمانا ثم اقبل ذات ليلة راكبا فانتهى الى محلتهم وهو يتغنى ويقول

الا ليت شعري يا رباب متى ارى * لنا منك نجحا او شفاء فاشتفي

فقد طالما عنيتني ورددتني * وانت صفيي دون من كنت اصطفي

لحا الله من تسمو الى المال نفسه * اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي

فينكح ذا مال دميما ملوما * ويترك حرا مثله ليس ينتفي

فعرفت الرباب منطقه وجعلت تستمع اليه وحفظت الشعر وارسلت الى الركب الذين فيهم خداش ان انزلوا بنا الليلة فنزلوا وبعثت الى خداش ان قد عرفت حاجتك فاغد الى ابي خاطبا ورجعت الى امها فقالت يا امه هل انكح الا من اهوى والتحف الا من ارضى قالت بلى فما ذاك قالت فانكحيني خداشا قالت وما يدعوك الى ذلك مع قلة ماله قالت اذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال فاخبرت الام الاب بذلك فقال الم نكن صرفناه عنا فما بدا له فلما اصبحوا غدا عليهم خداش فسلم وقال العود احمد والمرء يرشد والورد يحمد فارسلها مثلا وتمما ملك خداش الرباب غاب عنها اعواما فعلقها اخر من قومها يقال له سلم فعضهما ثم ان سلما شردت له ابل فركب في طلبها فمر اباه خداش في الكرب فلما علم به خداش كتم امر نفسه ليعلم علم امراته وسار ابنها سلم خداشا عن الرجل فخبره بغير نسبه فانشا سلم يقول

اغبت عن الرباب وغاب سلم * فما ولها بعيشك يا خداش

فيا لك بعل جارية مراع * صبور حين تضطم الكباش

وكنت بها اخا عكش شديد * وقد برزوا على الكلب العطاش

فان ارجع ربا بيتها خداش * يخبرها فما الا في الفراش

فعرف خداش الامر عند ذلك ثم دنا منه وقال اخبرنا يا اخا بني سدوس فقال

سلمى علقت فتاة غاب عنها زوجها فاتاها نعيه افضل الدنيا بها وسمي لذلك عميشي فقال خداش بن عمد فارسلها فقلت فبسطها رسالة عنه ثم قال اخبرنا يا اخا بني سدوس عن خليلتك قال تسريت خباءها ليلا فبت باخر ليلة اعلو واعلي واعانق وافعل ما اشتهي فقال خداش بن عمد وعرق الفضيحة فتاة واختر لك سبعة وعمدا له بثوبه ثم دفعه وقال فما دابة فاتيتهما اذا جئتها قال اقصد ليلا لي فكان كذا ان خبا بها ومن تخرج بتغزل *

يا ليل مثل امرئ سامر فيك كما الذي * مثوى خليلته لاين عن ملتقاهما

فاجاوبها لا نعم سامر فذكا ابن الليل ما ذيح لا بها بمنية ما توقت فقلتا لهما فتعرف اذا انا معرفته قال خداش بن عمد ودعا حشر فرزنا فتنة بنا فتية وهم فيه بسيفه فاكان فجعد وبقي ساعة له بين شر جمع الرجل يضمكم ثم انصرفا فالتقى الهكار ابن زمعة سلمى فعفر فيه ليلا وخرجا الريا وصعق فتكلم بذلك البيت فجاوبها بالآخر فردت منه ومعي تروا انه سلمى فقتلها بالسيف فعلوا ما بين المغرب الى الزوال ثم ركب وانطلق ونقل الشيخ ابو علي اليوسي في زهر الاكم ان عبد الملك ابن مروان قال لحاجبه ماتا بدرة فاتى بها فوضعها بين يديه وقال من جعل له من وجوه العرب ايكم انشدني عن هذا البيت والعود احمد فله هذه البدرة فلم يكن فيهم من يعرفه فقال للحاجب اخرج وانظر من بالباب من العرب وقل من ينشدني عن هذا البيت والعود احمد فله هذه البدرة فخرج الحاجب وقال ذلك فقام فتى من القوم وقال انا قال الحاجب فانشدني قال لا الا ان اشافه امير المومنين فدخل الحاجب فاخبره فقال عبد الملك هذا رجل له انفة وله حاجة والله ليدخل علي ولا ينشدني الا بعد ان اخلعه فلما دخل وسلم قال عبد الملك انشدنا عن بيتنا فقال يا امير المومنين حاجتي قال وما هي قال بنو تميم لهم اخوة ضيعتهم بالسواد فادخلوا ضيعتي في ضيعتهم فقال عبد الملك فان امير المومنين قد رد عليك ضيعتك فانشدنا عن بيتنا قال نعم يا امير المومنين قالت تميم انه يتبعنا قال اوس بن حجر *

جزينا بني شيبان حلا بفعلهم * وعدنا بمثل البدء والعود احمد

قال احسنت قال يا امير المومنين ابلغني ريقي قال قد ابلغتك قال قالت اليمن

انه بيتها فقال امرؤ القيس *

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فعودي كما نعود ابل فالعود احمد

قال الخطابي فقال يا امير المومنين قالت ربيعة انه بيتها قال المرقش

واحسن فيما كان بيني وبينه * وان عاد بالاحسان فالعود احمد

قال الحنش وانك لكريم من انت قال انا زيد بن عمرو فقال الحر قال من حي جانب بحروبة فيشرق عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وما عداه اليمن وتاتيت كنانة انا امرؤ من بني عذرة فامر له بالبدرة هـ والاشعار في هذا المثل كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق

(ولا تغتر بخير من فروق * من هما عمران الكهلي)

هذا البيت من غرر ابيات هذه القصيدة وعيونها لحسن سبكه وجودة رصفه وفخامة معناه ووضوحه واستقامة حجته ورشاقة تلميحه مع ما اشتمل عليه من الجناس التام على الوجه الاخص الابلغ ومنه قول ابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني في الوزير المهلبي *

ولما انتجعنا لائذين بظله * اعان وما عنى ومن وما منا

وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا نداه مجتنين فاخصبنا

ويفهم معناه بسر النكتة التي لمح اليها بقوله *

ذكر من قال عمران بن حطانها والسبب فيها

قائل ذلك هو عمران بن حطان السدوسي قال في الاغاني كنيته ابو سماك الشاعر فصيح من شعراء الخوارج ودعاتهم المقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لان عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه وكان قبل ان يفتتن بالخارجية مشتهرا بطلب العلم والحديث ثم بلي بذلك المذهب فضل وهلك وكان قد ادرك صدرا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه اصحاب الحديث وكان اصله من البصرة فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب الى الشام وطلبه عبد الملك فهرب الى عمان وكان يتنقل الى ارقات في قبائله وله في تنقلاته واختفائه اخبار واشعار يطول ذكرها وهو صاحب الابيات النونية التي مدح فيها عبد الرحمن بن ملجم المرادي لقتله

امير المومنين على بن ابي طالب رضي الله عنه وابعد فى بغضه وهي مشهورة فلا نطيل بها هذا الكتاب ومن قوله للحجاج يعيره بفراره من غزالة الحرورية

اسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

وقال الزمخشري عند قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا الآية كان عمران بن حطان وكان رجلا من ادم بني آدم وامراته من اجملهم فاجالت نظرها في وجهه ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين وقيل ان امراته هي كانت السبب في انتحاله مذهب الخوارج فانه كان سنيا وذكر له جمالها واعتقادها مذهب الخوارج فقال ان تزوجتها رددتها الى السنة فلما تزوجها ردته الى مذهبها ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وكان السبب في قوله المثل المترجم له ان الحجاج كان يطلبه وكان خفيا عليه حتى ظفر به في جماعة من اسرى الخوارج فقال يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عمران بئس ما ادبك به اهلك يا حجاج كيف امنت ان اجيبك بمثل ما جبهتني به أبعد الموت منزلة اصانعك عليها فاطرق الحجاج استحياء مما بدر منه وقال خلوا عنه ويقال انه قال له انت موضع للصنيعة فان الحر بامر له بفرس وسرج ومنيح وخلى سبيله فلما عاد عمران الى اصحابه من الخوارج قالوا له والله يا ابا سماك ما اطلقك الا الله فعد بنا الى حرب الفاسق فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها فارسلها مثلا ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقر بانها مولاته
اني اذا لاخو الدناءة والذي ... عفت على عرفانه جهلاته
ماذا اقول اذا وقفت ازاءه ... في الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الاكفاء ان صنائعا ... غرست لديه فحنظلت نخلاته
أأقول جار علي اني اذ ... لاحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كذب الامير بقالتي ... وجوارحي وسلاحها آلاته

آكيد وعلى سبكه خالفي + وعليه رحمة ربه وصلاته
أبت الحرامة أن أبيت مصعرا | خبرا وخيل الخير فيشعلاته
يا ليتكم يحيى منبوئين فعلته * ميعاد ليس يحيى في إفلاته
لا شيء من كفر الكفور وجحده | نار تشوه بلفحها أحلاته

والعود يختار على من كان مختارا ومن كان اتزندق

اللغة العود الرجوع واختيار الشيء انتقاؤه وترجيحه على غيره والتزندق مصدر تزندق وأصله الزندقة في الدين وهو معرب والاسم الزندقة **وقال** بعض الذين المجوس يلقبون بالزنادقة لأن الكتاب الذي زعم زرادشت أنه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب إليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق ه **قلت** وزرادشت هذا هو الذي تزعم المجوس أنه نبيهما **وقال** في المصباح المشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر والعرب تعبر عن هذا بقولهم ملحد أي طاعن في الأديان ه **الإعراب والتصريف** قوله والعود مبتدأ وجملة يختار من الفعل والنائب عن الفاعل وهو الضمير المستتر فيه في محل رفع خبره ومن في محل جر موصول وكان واسمها وخبرها صلتها والذي يختار والمختار متعلقة بمحذوف حال والله أعلم **معنى الكلام** مما نص الناظم في البيت السابق على العود والحرابة مرمى بالتسراح والعتو وأنكر فعمته وعرف مما أفاد هنا أن العود والحرابة إنما تغتفر وتتوجه على من كان موسوما بالكفر والزندقة كالمختار الآتي ذكره ومن سلك سبيلهما وزاد عليه كالوليد بن يزيد من فاسقي بني أمية وأخباره مشهورة وفي كلام الناظم إيماء إلى أنه لا يجوز الخروج على إمام العدل عند بحيرة الفسق بل حتى يثبت الكفر الصريح من غير احتمال وهو مذهب أهل الحق وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ه ومعنى بواحا أي جهارا من باح بالشيء يبوح **وقال** ابن حجر حيث كان في المغني لذي وعلامة المتوارد التي فيها نزعة الإمام الحجاج وأما أهل الحق

أهل السنة والأثر فقالوا لو الفتح على كاتبة الحجاج أولى والأهواء فتمسكوا
أن يحكم المكر وغيره أولا فهما بالتردد والمسألة مبسوطة في محلها

* ذكر المختار وشيء من أخباره *

هو أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي كان والده
أبو عبيد من جلة الصحابة ولاه عمر رضي الله عنه لأول خلافته جيش
العراق وبلغ جابان كبير جيش الفرس بين الحيرة والقادسية فأوقع به
أبو عبيد وأسره فغدر جابان بنفسه منه ثم جمع يزدجرد جموعا عظيمة
ووجهها نحو أبي عبيد فأوقعوا به على الجسر واستشهد أبو عبيد في خبر طويل
وكان المختار ابنه صاحب الترجمة من أهل العلم والخير وليست له صحبة
ولا رواية وأتى ابنه مغيث ومن أقعده ذات في المنام فقال له

لك البشرى يا بن لكز * أشبه شيء بابن شر
إذا الرجال في كبر * تغالبوا على جلر
كان له حكم ابن شر

من لديه قال ابن عبد البر كان المختار معدودا في أهل الفضل والخير يرائي بذلك
كله ويكتم الفسق وظهر منه ما كان يكتم وكان يتظاهر بالطلب بدم الحسين
ويسر طلب الدنيا والإمارة فظهر منه الكذب والفجور وفي صحيح مسلم
أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت للحجاج أما إن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما
المبير فلا إخالك إلا إياه قال النووي اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب
هنا المختار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف وقال المبرد في الكامل
كان المختار بن أبي عبيد الثقفي لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار
زبيريا ثم صار رافضيا في ظاهره يدعو إلى محمد بن الحنفية ويطلب بدم الحسين
رضي الله عنه وتغلب على الكوفة وجعل الأعاجيل يقيل له يا أبا إسحاق
كيفما جئت تدعوا زمانا ولاء القوم ولم تعرف بالتشيع لهم فقال إني رأيت
مروان قد وثب على الشام وابن الزبير قد وثب على مكة ونجدة على اليمامة وابن خازم
على خراسان والله ما أنا بدونهم وعند ابن الأثير في الكامل وكنت فيما

وكان بطلا من الابطال وسيدا من سادات العرب قال المبرد ان المختار كتب الى
ابراهيم بن الاشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن علي فابى عليه ابراهيم
الا ان يستاذن محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية فكتب اليه يستاذنه
في ذلك فعلم محمد ان المختار لا يحفظ له فكتب محمد الى ابراهيم انه ما يسوءني ان ياخذ
الله بحقنا على يد من شاء من خلقه فاجاب ابراهيم بن الاشتر المختار الى ذلك
فوجهه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا ابا
اسحاق فقال له احب ان تغبر قدماي في نصرة آل محمد فشيعه من فرسخين وقيل
قبل انه دفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رايتم الامر لنا
فدعوها وان رايتم الامر علينا فارسلوها في المعركة وسمع للناس فقال لهم
ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فاني اجد في محكم الكتاب: وفي اليقين الصواب:
ان الله ممدكم بملائكة غضاب: تاتي في صور الحمام دون السحاب:: فلما صار
ابن الاشتر بخازر وهو نهر بين الموصل واربل اشرف على جيش عبيد الله بن زياد
قاتل الحسين رضي الله عنه فقال ابن زياد من صاحب الجيش قيل له ابن الاشتر
قال اليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشيء وحسبي
بذلك نفسه وكان جيش ابن زياد اضعاف جيش ابن الاشتر بكثير فلما التقوا
كانت الدبرة على اصحاب ابراهيم في اول النهار وارسل اصحاب الحمام حمامهم
فتصايح الناس الملائكة الملائكة فتراجعوا وقويت نفوسهم واقتتل الناس
حتى اختلط الظلام واسرع القتل في اصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ووضع فيهم
السيف حتى افنوا وكان من هلك غرقا اكثر ممن اخذه السيف وقال ابن الاشتر
يومئذ لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الي سيفي وفيه رائحة المسك
ورايت اقداما وجرأة فصرعته فشرقت يداه وغربت رجلاه فانظروا له
فاتوا بالنيران فنظروا اليه فاذا هو عبيد الله بن زياد لعنه الله ومما
احتال به المختار في مدة الوقعة انه كان عنده كرسي قديم العهد فغشاه
بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر امير المومنين علي بن ابي طالب فضعوه في
براكة الحرب وقاتلوا عنده فان محله فيكم محل تابوت السكينة في بني اسرائيل
ويقال انه كان اشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين وقيل انه وصل اليه

من بغضهم فرابغة على ابن ابي طالب رضي الله عنه والله اعلم ولما خرج ابن
الاشتر الى قتال ابن زياد ورد الشيعة عاكفين على الكرسي قد رفعوا ايديهم
الى السماء يستنصرون فقال اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ثم
تتبع المختار قتلة الحسين حتى افناهم بالسيف وانواع النكال والعذاب ولقد
انتقم الله لابن بنت نبيه به من اعدائهم ولله عاقبة الامور وقد اشار ابو
تمام الى ذلك والى ما كان المختار منطويا عليه من الشر فقال

والهاشميون استقلت عيرهم — من كربلاء باثقل الاوتار
فشفاهم المختار منه ولم يكن — في دينه المختار بالمختار
حتى اذا انكشفت سرائره اغتدوا — منه براء السمع والابصار

ثم ان المختار بطل ناموسه وسار اليه مصعب بن الزبير من البصرة فقتله
في خبر طويل ثم زحف عبد الملك بن مروان من الشام فقتل مصعب بن الزبير واستولى
على العراق وقال عبد الملك بن عمير كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين
جيء براس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرءاني قد ارتعدت فقال لي ما لك
قلت اعيذك بالله يا امير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله
ابن زياد فرايت راس الحسين بن علي بين يديه في هذا المكان ثم كنت فيه مع المختار
ابن ابي عبيد فرايت راس ابن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير فرايت
فيه راس المختار بين يديه ثم هذا راس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك
من موضعه وامر بهدم ذلك الطاق الذي كنا فيه وكان مقتل المختار بالكوفة
سنة سبع وستين من الهجرة ولقد حصل على تتبعه جميعه وشفى صدور المؤمنين
بقتل ما ولاه الفجرة الذين تمالؤوا على ءال البيت الكريم لولا ما كان يرمى به
من الكذب وسوء الاعتقاد وعند الله يعرف الحق ويبطل الباطل وفي كامل ابن
الاثير ان ابن الزبير قال لابن عباس رضي الله عنهما الم يبلغك قتل الكذاب
قال ومن الكذاب قال ابن ابي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كانك قد نكرت
تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب بثارنا وشفى غليل
صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة وان المختار هذا تنسب الطائفة
الكيسانية من الرافضة لانه كان يلقب بكيسان وهو اسم الغدر قال الشاعر

إذا ما ذوو الأكياس كانت كنوزهم * فإن الغنى أشغى من شبابيك المرتدي

والصمت حصن للفتى من الردى * وقل من شر لسانه وقى

وإن وجدت للكلام موضعا * فكن عن ذا مبديا وكالأشرف

اللغة قوله والصمت حصن الصمت بفتح الصاد وحكى أبو البقاء في شرح ديوان المتنبي الضم أيضا السكوت وقد صمت صمتا وصماتا وصموتا من باب قتل وصمادا بضماته أي بإصماته منه والصمت بالكسر المكان الذي لا يقدر عليه للارتفاع وقد حصن بالضم حصانة فهو حصين أي منيع والردى الهلاك وقد ردي كرضي وأرداه غيره أهلكه والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله والصمت حصن مبتدأ وخبر وللفتى ومن الردى يتعلقان بحصن لتأويله بمنيع بمستو كقوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وكقول الشاعر

وإن لسانا في شعرك يشتفى بها * وهو على من صبه الله علقم

والفتى والردى كلاهما معربان قوله وقل من جملة لا تعلق لها بما قبلها ومن موصولة أو موصوفة وفاعل قل وجملة وقى صلة أو صفة لمن وشر لسانه مفعول ثان لوقى حذف عائده وإن وجدت شرطية وفكن من إذا جوابه وهو على حذف أداة التشبيه أي كمن وكالأشرف معطوف عليه والله أعلم **المعنى الكلام** ذكر الناظم رحمه الله أن الصمت حصن ووقاية من الآفات المهلكة والمعاطب المتلفة واستدل لذلك بأن قل من سلم لسانه والمراد بعدم عاد عليه وباله وإصابة شره ونكاله

واعلم أن هذا الذي ذكره الناظم صحيح وتظاهر على صوابه وحقيقته الشرع والعقل **قال الله تعالى** ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الآية وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت **وفيهما** عنه عليه الصلاة والسلام قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده **وعنه** عليه الصلاة والسلام وهو مثل سائر وأثبته مع الناظم من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي واللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج **وقال** علي رضي الله عنه إذا تم العقل نقص الكلام **وقال** طاووس لساني سبع إن أرسلته أكلني **وقال** الشاعر لسانك سيف قاطع لا ينبو حده والكلام سهم نافذ لا يكر رده وقيل

لو قرأت صحيفتك لأغمدت صفيحتك، ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك. وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم بها صار في وثاقها. وقال أعرابي: رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا. وقالت العرب: إياك أن تضرب عنقك بلسانك. وفي معناه قول الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال آخر:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

والآية كافية في هذا من الإخبار بالمعلوم. وأما قول ابن ناجي رحمه الله: وإن جعلت للكلام موضعا، ويعني عند إرادة التفهيم صوابا أن يتكلم بالكلام، ومع ذلك فلا ينبغي أن يتجاوز القدر المحتاج إليه من الكلام. وقد قال صلى الله عليه وسلم: إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون المتشدقون في الكلام. وقال الغزالي رضي الله عنه: الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ونفع، وقسم ليس فيه ضرر ولا نفع. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ونفع لا يفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع للزمان وهو عين الخسران، فيسقط ثلاثة أرباع الكلام ويبقى ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال: من صمت نجا. فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم، ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء. هـ كلام الغزالي رضي الله عنه

ذكر عرار والأشرف وفصاحتهما

أما عرار فهو ابن عمرو بن شاس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة كذا قال، والد عرار عمرو بن شاس من الصحابة الذين شهدوا القادسية وعرف شهرهم بالبأس والنجدة وكان شاعرا

مكتوبا بعد في اهل الحجاز وعرار قال ابن عبد البر يروى بفتح العين وكسرها
فالفتح على انه منقول من اسم الشجر المعروف والكسر على انه منقول من صياح
الظليم وكان اسود من امة سوداء كانت لأبيه وكانت لأبيه امرأة اخرى يقال
لها ام حسان السعدية كانت تبغض عرارا وتشتمه وتؤذيه وتعير اباه به ومما
اغاظ عمرو بن شاس امرهما ولم يقدر على اصلاحهما في شأن ولده عرار كلفهما ثم
تعهده بنفسه وله فيهما اشعار كثيرة ومن شعره في ابنه عرار وأم حسان
قوله فان كنت مني او تريدين صحبتي * فكوني له كالسمن ربت بالأدم
وإلا فسيري سير راكب ناقة * تيمم خمسا ليس في سيرها امم
ارادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني احب الجون ذا المنكب العمم
ويروى المنكبين بدل المنكب ومعنى العمم التام وكان عرار من الفصحاء النجباء
ولما كسر الحجاج ابن الأشعث وجه اليه برأسه وجهه الى عبد الملك بن مروان
مع عرار وكتب معه بالفتح كتابا فلما ورد به عليه جعل عبد الملك يقرأ الكتاب
فكلما شك في شيء سأل عنه عرارا فينبئه له في اصح لفظ وابلغ قول واجمل اختصار
فشعر بنفسه من الفهم وكلا اذنه عرارا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته
عينه حين رآه اسود ذا دمامة فقال متمثلا *
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني احب الجون ذا المنكب العمم
فضحك عرار فقال له عبد الملك مم تضحك فقال أتعرف عرارا يا امير المؤمنين
الذي قيل فيه هذا الشعر قال لا قال فأنا والله يا امير المؤمنين عرار فضحك
عبد الملك ثم قال حظ وافق كلمة واحسن جائزته وسرحه قال ابن عبد البر
هكذا ذكر بعض اهل الأخبار ان هذا الخبر كان حين بعث الحجاج براس ابن
الأشعث الى عبد الملك ثم ذكر مسندا الى العتبي عن ابيه قال كتب الحجاج
كتابا الى عبد الملك يصف له حال اهل العراق وما الفاهم عليه من الاختلاف
وما نكره منهم وعرفه ما يحتاجون اليه من التعزير والتاديب ويستاذنه في
ان يوقع فيهم من العقوبة ما يفضون به الى الطاعة ودعا رجلا من اهله ممن
كان يأنس به فقال له انطلق بهذا الكتاب ولا يعلمن من بيدك الا الله فاذا افضت

فتكلم عليه فبعث الرجل ذلك وجعل عبد الملك كلما شك في شيء استفهمه
فوجده أبلغ من الكاتب فأنشد عبد الملك البيت المتقدم فقال له الرجل يا
أمير المؤمنين أتدري من يقول هذا البيت فقال لا قال أنا والله عرار وهذا الشعر في
وذلك أن أمي ماتت وأنا رضيع فتزوج أبي امرأة فكانت تسيء ولايتي فقال
أبي الشعر المتقدم ه كلام ابن عبد البر وفي ابن خلكان أن هذه القصة اتفقت
لعرار حين أرسله المهلب إلى الحجاج والصواب الأول وقد ذكر أبو تمام في حماسته
لعمرو بن شاس لابنه عرار في قصيدته التي مدح فيها المعتصم حين أسروا بشيرا فقال

فإن كان يؤذيك الخليقة جانبا ... من قلبه حرقا على ابن فزار
فسقاه ماء الغيث غير مكدر ... وأناقة في الأمر غير غرار
وردت أبيه ما لم يكن يقوم ما زادا ... عمرو بن شاس فليقع بعرار

وأما الأشدق فهو أبو أمية عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي قتل جده العاص بن سعيد يوم بدر كافرا قتله
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولد أبوه سعيد بن العاص عام الهجرة وعده
ابن عبد البر في الصحابة وقال كان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة
وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان رضي الله عنه وكان فيه مع ذلك
تجبر وغلظة وشدة سلطان وكان عثمان رضي الله عنه يعاقب بينه
وبين الوليد بن عقبة على ولاية الكوفة واعتزل حرب الجمل وصفين فلما اجتمع
الناس على معاوية رضي الله عنه ولاه المدينة فكان يعاقب فيها بينه
وبين مروان بن الحكم وكان له سبعة أولاد أنجبهم عمرو الأشدق والذي نحن
بصدد الكلام عليه واختلف في سبب تلقيبه بالأشدق فقيل لأنه كان
مائل الشدق وفي ريح أصابته ولذا كان يقال له أيضا لطيم الشيطان وذكر
القسطلاني في شرح البخاري أن عمرا المذكور صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي
الله عنه فأصابته لقوة قال الشرفي منها فلقب بالأشدق وقيل إن معاوية
هو الذي سماه الأشدق وذلك أنه لما مات أبوه سعيد دخل على معاوية فلما
استنطقه قال له عمرو إن أول كل مركب صعب وإن مع اليوم غدا فقال له
معاوية إلى من أوصى بك أبوك فقال يا أمير المؤمنين إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي

كآخرهم الآن فقد طلبت بثار اهل البيت اذ نامت عنه العرب وكان المختار
يزعم انه يلهم ضروبا من السجع لأمور تكون ثم يحتال فيوقعها ويقول للناس
هذا من عند الله ولما قيل لابن عباس رضي الله عنه ان المختار يزعم انه
يوحى اليه قال صدق المختار ومع قول الله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم ولما سجن ابن الزبير محمد ابن الحنفية في جماعة من بني هاشم على
ان يبايعوه كتب محمد ابن الحنفية الى المختار وهو بالكوفة يذكر له ما نال من
ابن الزبير فوجه المختار جماعة من اصحابه تسير بالليل وتكمن بالنهار حتى
وافوا مكة فكسروا السجن عليهم واخرجوا ابن الحنفية واصحابه فساروا واحتموا الى
مأمنهم وثار اهل الكوفة بالمختار في بعض الايام فانتصر عليهم واوقع بهم
بجبانة السبيع موضع بها واسر جماعة كان فيهم سراقة ابن مرداس البارقي
الشاعر فناداه سراقة *

امنن علي اليوم يا خير معد * وخير من حل بشحر والجند
وخير من لبى وحيا وسجد *

شحر ارض مكة والمدينة والجند بالتحريك الارض الغليظة فارسله المختار الى
السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول

الا ابلغ ابا اسحاق انا | نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بطرا وحينا
نراهم في مصفهم قليلا | وهم مثل الدبا لما التقينا
لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم | بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فاسجح اذ ملكت فلو ملكنا | لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكر ان جعلت النقد دينا

فلما انتهى الى المختار قال اصلح الله الامير احلف بالله الذي لا اله الا هو
لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق ما بين السماء والارض فقال
له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به

فقال له إني قد علمت أنك لم تر شيئا وإنما أردت أن لا أقتلك فاذهب عني
حيث شئت لا تفسد علي أصحابي فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب بن الزبير وقال

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا ... علي قتالكم حتى الممات

أري عيني ما لم تريا ... كلانا عالم بالترهات

ما ذكره ابن الأثير من القصة زاد صاحب التذييل أن سراقة كان يقول
ما حلفت يمينا فكنت في حنث ولا باطل كنت فيما أسر اجتهادا أفتي في يميني أني رأيت
الملائكة تقاتل مع المختار ه‍ وانظر في شرح العبدونية لابن بدرون وما نقله حكى
ابن جرير ثم قال حدثنا أبو جبيرة قال أخذ سراقة بن مرداس البارقي يوم جبانة
السبيع أسيرا فقدم في الأسرى إلى المختار فقال له أمنن علي اليوم يا خير معد
فعفا عنه المختار وخلى سبيله ثم خرج مع ابن الأشعث فأتي به المختار أسيرا
فقال ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لأقتلنك قال لا والله لا تفعل
إن شاء الله قال ولم قال لأن أبي حدثني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة
دمشق حجرا حجرا وأنا معك وأنشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوة كانت علينا

الأبيات المتقدمة قال فخلى سبيله ثم خرج ابن الأشعث ومعه سراقة أيضا
فأخذ فيمن أخذ أسيرا وأتي به المختار فقال الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدو الله
هذه ثالثة فقال سراقة أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني فأين هم لا أراهم
إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء
والأرض فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس ثم عاد إلى قتاله وقال

ألا من مبلغ المختار أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

الأبيات السابقة قلت وهذه هي القصة التي لمح لها الناظم رحمه الله
وهي عكس قصة ابن حكان مع الحجاج وابن الأشعث المذكور هنا هو محمد بن
الأشعث بن قيس الكندي وليس ابنه عبد الرحمن الذي خرج على عبد الملك
والحجاج بعد هذا التاريخ بمدة ثم إن المختار ندب الناس إلى الطلب بدم الحسين
وأهل بيته رضي الله عنهم وأمرهم في ذلك على إبراهيم بن الأشتر النخعي

وكان

قال فيها آثر شيء أو سمعته فقال أما أن لا يقدر أحد أن يبلغ مثله غير شيء سمعته فقال معاوية
إن عمرا هذا ابن شدق ويسمى الأشدق وفي ذلك يقول الشاعر
تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبا لك أشدق
وفي القاموس خطيب أشدق بليغ وقال ابن كلثم في كتابه درر الغرر بلغني أن
سعيد بن العاص لما ولد له عمرو تفرس فيه السيادة فلما ترعرع جمع سعيد
بنيه سوى عمرو وكانوا أكثر من خمسة عشر رجلا فقال لهم يا بني قد علمتم خبرة
الوالد بولده وإن أخاكم عمرا الأشدق سيمة وأعرفه بسمو جده وبعز هيبته وسكينته
فإذا أمركم أن تركبوا ثبج الموت أن تكونوا حزبه وتوازروه فإنكم إن تفعلوا
ذلك يتألف لكم الكرام ويخشى عنكم اللئام ويلبسكم عز الأشهر والأبد
: فقالوا له إنك تؤثره علينا وتفضله دوننا : فقال سأريكم ما ستره عنكم
البغض والحسد فيهم واستعملهم فيما كان قدره فلم يعلموا ما كان واستخصهم ثم دعا عمرو
فلما حضروا قال يا بني إني أريد أن تروا رأي أخيكم لا يزال يلحق في مسئلتي مالا وأحتج
عليه لتعذروا وأخبرته بالشيء بعد الشيء وإني استنبت أن أقيت هامة
بذلك فرجعتها فلم تنجح وهذا أخي جد الآن من غير فرجة يسألني الحمامة
كلا ولا ترى غيره وإني قد عرفت أن أقسم ما في يديكم دونه لتنكسر أنفة من
تكبير فقالوا بأجمعهم إن هذا عمل بأنه رجل له واختصاص أبيه ولقد
زين في عينيك منه شمائل ونعوت عندك منه كاسر فقال سعيد والله يا بني ما
آثرته عليكم بشيء من فاقة تكم ولا كان قائلة لكم إلا أخيلا فاقتسموا ملكي
بيد أنما أردته من صلاح أمركم ثم قال ادخلوا هذا المخدع فقعدوا ثم دعا
عمرا فلما حضره قال له يا بني إني عليك حرب شعيب لهم سند وتعاستو
إخوتك عليك فكان تكون مني وإني لا آمن بغتة الأجل ولا أكره كنزة ذخرته لك
وما أنا أكلفك عليه فاكتم أمره فقال يا أبت كلا أعمره : وعلامه :
إني أن زجروا نفس الله عند الرقاع : ويكبل بي اللامتناع : وإنما ما
ذكرت من شأن الكنز فإنما يعجبني أن أقطع دون إخوتي أمرا : وأزدرع في هذه
غمرا : فقال له سعيد انصرف بارك الله بولد من العدى يا بني فإن كنز ولا تجس
أردت أن أبلو رأيك في بني أبيك فانطلق عمرو وخرج إخوته من المخدع فاعترفوا

ناهي

زعم ابناه
في

الى ابيهم واعطوه موثقا على اتباع مشورته ثم قال ابن كثير وبلغني ان
سعيد بن العاص لما احتضر جمع بنيه وفيهم عمرو فقال اي بني من يكفل وصيتي منكم
فسكتوا لما يعلمونه من كثرة بناته وما ركبه من الدين فاعاد مقالته
فسكتوا فقال عمرو انا وصيك يا ابت قال اني اوصي في ثلاث قال قل يا ابت ما
بدا لك ان تقوله قال ان علي ثلاثمائة الف درهم دينا ويقال انه قال ثلاثة
الاف درهم فقال عمرو نعم مثل واحدة فقال سعيد وتنكح بناتي من اكفائهن
فقال عمرو نعم مثل ثانية فقال سعيد واخوانك الذين كنت ابن شمسهم واتعهدهم
بالمعروف لا تقطع ذلك عنهم فقال عمرو نعم فقال سعيد اما والله يا بني
لئن كنت فعلت لقد كنت تاملت ذلك في حماليق عينيك وانت في المهد ثم ان
عمرا وفى بما عهد اليه فيه ابوه وما ذكره ابن كثير من ان ولد سعيد كانوا اكثر
من خمسة عشر يخالف لما تقدم عن الاستيعاب من انهم كانوا سبعة والله اعلم
ولما اختل امر الخلافة بعد يزيد بن معاوية وثب مروان بن الحكم بالشام
وعضده عمرو الاشدق على امره بشرط ان يجعل له الامر من بعده فلما
تمكن مروان من الامر نقض ذلك الشرط وبايع بولاية العهد لابنيه عبد الملك
وعبد العزيز ثم لما هلك مروان واستقل عبد الملك بالامر طلب منه الاشدق
ان يجعل له الامر من بعده وشكا اليه ما كان من ابيه اليه من خلف الوعد
فابى عبد الملك فتربص الاشدق حتى خرج عبد الملك لقتال ابن الزبير بالعراق
وقيل لقتال زفر بن الحارث الكلابي بقرقيسياء فغلب الاشدق على دمشق واغلقها
وتحصن بها وملكها وبيوت اموالها واتصل الخبر بعبد الملك فكر راجعا
وحاصر الاشدق اياما ثم وقع الصلح على ان يكون له الامر من بعده وان له
مع كل عامل عاملا ففتح الاشدق دمشق وخرج في الخيل الى عبد الملك فاقبل
حتى اوطأ فرسه اطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم نزل ودخل
على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق ثم بعد ايام غدر عبد الملك
بالاشدق فقتله بعد ان استدعاه الى داره في خبر طويل سنة سبعين من الهجرة
ورثته اخته آمنة بنت سعيد وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فخرجت
حاسرة تبكي وتقول

*

ألا يا لقومي للوفاء وللغدر ... وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل ... وكلكم يبني البيوت على غدر
كأن بني مروان إذ يقتلونه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب النار أهلها ... وتهتك ما بين القرابة من ستر

في أبيات أخر، ولما توفي عبد الملك سعى بأمه منزلة ساع عند الوليد بأنها لم تبكه كما بكته نكثا برمّا يذكر لها الوليد ذلك فقالت صدق القائل وكنت قائلة ماذا أقول يا ليته بقي حتى يقتل أخا مثل عمرو بن سعيد فأعرض عنها والله تعالى أعلم

ولا تكتم الحق وقله معلنا * وبن جمال أمورنه الهملس
وهج به شبه شبيب واتج * عمران والعباس عند الزعس

اللغة قوله لا تكتم أي من الكتم الاخفاء والستر وبمعنى الاعلان الجهر الهملس كقمطر الشديد والهملس العجوز الصخابة قوله عند الزعس يروى بالتحريك مصدر زعق كفرح وعند إذا أخذه بالليل فهو زعق ككتف وبزعق راجع إلى العباس بن مياحة كان وقت الغارة كما يأتي قريبا والله أعلم

معنى الكلام لما قال فيما سبق وأن جرت للكلام موضعا البيت وكان من جملة مواضعه إرادة تغيير الحق وإبطال الباطل صرح بذلك فقال لا تكتم الحق ولا شهادة أي لا تكتمها أي الحق ونصرته والشهادة به مطلوب شرعا وعقلا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم الآية قال الزمخشري الشهادة على نفسه هو الإقرار على نفسه ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره هو يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصى النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه فقال قل الحق وإن كان مرا لا تأخذك في الله لومة لائم وتركه قول الحق ما له من صديق وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب إن التوراة تقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف

ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صرفت التوراة وكذب ابو
مسلم ه واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بالكتاب والسنة
والاجماع قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الاية وقال تعالى لعن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون وفي
صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي صحيح البخاري عن النعمان
ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع
فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها
فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو
انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا
وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا واما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقد اجمع السلف والخلف على انه ليس
المراد منها ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل المراد انكم ان فعلتم
ما امرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما امروا به الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ثم اذا لم يسمع منهم فلا ضرر عليهم حينئذ وعن قيس بن ابي حازم
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية
ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان
يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وانظر
تفسير الامام فخر الدين رحمه الله واعلم ان للتصدي للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر شروطا فمن يستكملها واشبع القول فيها الشيخ ابو حامد
رضي الله عنه في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحياء وقد
اختصر ذلك بعضهم فقال

معرفة المنكر والمعروف * والقدر في ازالة الموصوف

والامر

والأمر فيه من أشير التكبر * كقتل شيخ عند شرب الخمر

ذكر العباس وأبي عروة وشيبة ونشأة صفوتهم

أما العباس فهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فيما
أن يعرف به كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وكان فيما شهد فيها
في الجاهلية والإسلام قال أبو عمر بن عبد البر أسلم العباس قبل فتح خيبر
وكان يكتم إسلامه ثم أظهره يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك
ويقال إن إسلامه كان قبل بدر وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يتقوون به وكان يحب أن يهاجر إلى
المدينة فيكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير فلذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنما أخرج
كرها ثم أسر وفدى نفسه وابني أخويه نوفل بن الحرث وعقيل بن أبي طالب
وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في نفر من بني هاشم فيما حكى
من الناس عنه وتوفي وهو عنه راض واستسقى به عمر رضي الله عنه
عام الرمادة فجاء الله من المطر بالأكفاء له وأخصبت الأرض وعاش الناس
وكان في ذلك منقبة بأمر له رضي الله عنه وكان جميلا أبيض بضا ذا ضفيرتين
طويل القامة جدا وفيه وفي أمثاله من بني أبيه يقول جرير *

تعالوا فحاكونا ففي الحكم مقنع * إلى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإني لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

قال المبرد في كامله يقال إن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمهم
الله كان إلى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله إلى منكب العباس وكان العباس
إلى منكب عبد المطلب وحدثني التوزي قال طاف علي بن عبد الله بن العباس
بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب
والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل علي بن عبد الله بن العباس
فقالت لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت
كأنه فسطاط أبيض وقال المبرد في محل آخر من كامله فأما قولهم كان فسطاط
ابن سعد بن عبادة فمن صفه بالطول مع جسامة فذكروا أن الناس طوالا وجسام

منهم العباس بن عبد المطلب وولده عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث
ابن قيس الكندي وعدي بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكناني وأبو زبيد الطائي
وزيد الخيل الطائي وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل
منهم مقبل الظعن وأما شدة صوته رضي الله عنه فقال المبرد أيضا كان العباس
ابن عبد المطلب أجهر الناس صوتا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لما
انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس وفي المواهب وغيرها فجعل العباس
ينادي تارة يا أصحاب السمرة يعني شجرة الرضوان وتارة يا أصحاب سورة
البقرة وكان العباس رجلا صيتا ولذا خصه بالنداء فلما سمع المسلمون نداء
العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها وذكر أبو بكر الحازمي في
كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه والنووي في تهذيب الأسماء أن العباس كان
يقف على سلع وهو جبل بالمدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة من آخر الليل فيسمعهم
وبين الغابة وسلع ثمانية أميال وفي كامل المبرد أيضا فانقضت بيوت ابن عمارة
اتئم وصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل من شدة صوته هـ قلت
وفي كامل ابن الأثير في الكلام على الحروب التي كانت بين بني نصر بن معاوية وثقيف
في الجاهلية أن عفيف بن عوف النصري ثم اليربوعي كان رئيس بني نصر في تلك الحروب
فصاح في يوم من تلك الأيام صيحة يزعمون أن سمعتها حبلى منهم ألقت ما في بطنها
هـ وفي ذلك يقول ابن ربيعة

* *

فأسقط أحبال النساء بصوته … عفيف وقد نادى بصوت مكرر

وتوفي العباس رضي الله عنه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب
وقيل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه
بسنتين وأما أبو عروة فهو رجل من العرب يضرب به المثل في شدة الصوت
وجهارته ويقال له أبو عروة السباع بالإضافة كما في القاموس قال أبو عبيدة
كان أبو عروة يصيح بالأسد وقد احتمل الشاة فيخليها ويسقطه ميتا فيشق
بطنه فيوجد فؤاده قد زال عن موضعه قال النابغة الجعدي

زجر أبي عروة السباع إذا … أشفق أن يختلطن بالغنم

ووقع للزمخشري في الكشاف وربيع الأبرار وتبعه الطيبي في حواشيه أن أبا عروة

مولى العباس رضي الله عنه وليس كذلك كما علمت والكمال لله وقد طعن
الناس في خبر أبي عزة هذا وبيت النابغة كما في الكامل بأنه إذا كان هذا أثر موقعه
في الشجاع مع قرنه فما حال الغنم فإنها تقتله قبل السبع وأجيب بأن الغنم
كانت أنست منه بهذا الصوت الذي توارد الصوت الرابع أنس لهذا فسر به كان
الغنا هي لولا خشية ما عقته لم يقع في كبده منزع ولقد جاء أقل منه من جوف
الأرض لزعزع وامتنع ولم ينقلع إذ يقتلع إذا أتى من حيث لم يعتز ويقال هو من
أكاذيب العرب والله أعلم وأما شبيب فهو أبو الصحاري شبيب بن يزيد بن نعيم
ابن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن
شيبان الشيباني الخارجي وقد تقدم تمام النسب في ترجمتي جساس وهمام ابني
مرة. قال ابن السكيت في باب ما تضعه العامة في غير موضعه من إصلاح المنطق
كان والد شبيب الخارجي من مهاجرة الكوفة فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في
سنة خمس وعشرين للهجرة أرض الروم فأغار وأغار أبو شبيب ووالد شبيب
في ذلك الجيش فاشترى جارية رومية من السبي حمراء كحيلة جميلة فقال لها
أسلمي فأبت فضربها فلم تسلم فواقعها فحملت منه فتحرك الولد في بطنها فقالت
في بطني شيء ينقز فقيل أحمق من جميزة ثم أسلمت فولدت شبيبا يوم النحر سنة
ست وعشرين للهجرة فقالت لمولاها إني رأيت قبل أن ألد كأني ولدت غلاما
خرج مني شهاب من نار سطع له ما بين السماء والأرض ثم سقط في ماء
جم فخبا وقد ولدته في يوم تهراق فيه الدماء وقد حدثت أن ابني هذا يغلو أمره
ويكون صاحب دماء يهريقها هذا كلام ابن السكيت ونشأ شبيب فقرأ القرآن
وتفقه في الدين ثم انتحل مذهب الصفرية من الخوارج وعلا أمره حتى بايعته
الخوارج ودعوه بأمير المؤمنين وفي ذلك يقول ابن المنهال عتبان بن وصيلة
اليشكري يخاطب عبد الملك بن مروان وكان شبيب قد خرج في أيامه

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... وذو النصح لو يرعى إليه قريب
فلا صلح ما دامت منابر أرضنا ... يقوم عليها من ثقيف خطيب
وإنك إن لا ترض بكر بن وائل ... يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه ... وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد والبطين وقعنب   ومنا أمير المؤمنين شبيب

وكان خروج شبيب بالموصل فبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد
واحد وكان شجاعا مقداما فتاكا وبطلا مجربا وبلاء مسلطا وعذابا مرسلا
وكان إذا غزاه الجيش به يقصد الأقاصي فيحمل عليه فلا يرجع حتى يقهر جمعه
وينهزم الجيش وممن حاربه من أمراء الحجاج وجهه إليه عتاب بن ورقاء الرياحي
وعقد له على خمسين ألفا فحمل إليه شبيب في ستمائة من أصحابه فقتل عتابا
واستولى على ذلك الجيش والزمهم بيعته فبايعوه كرها ثم فر أكثرهم من تحت
الليل وكان شبيب من القوة جهير الصوت إذا صاح في جنبات جيش انهزم لا يلوي حميم على
حميم وفيه يقول بعض شعراء الخوارج

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا   والريح عاصفة والبحر يلتطم

ثم إنه خرج من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة
أيضا وطمع شبيب أن يلقاه قبل أن يصل الكوفة فاقتحم الحجاج خيله من خلفها
قبله وذلك سنة سبع وسبعين للهجرة وتحصن الحجاج في قصر الإمارة واقتحمها
عليه شبيب حتى وصل إلى باب القصر وضرب بعموده وسب الحجاج وكانت
زوجته غزالة الحرورية من الشجعان الأبطال تباشر الحروب بنفسها وكانت
نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما بسورتي البقرة
وآل عمران فأتت الجامع في سبعين رجلا فصلت فيه الغداة وخرجت من
نذرها وكانت في بعض الوقائع قد حملت على الحجاج فهرب منها فقال عمران بن
حطان السدوسي يعيره

أسد علي وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت أمه جهيزة أيضا تشهد الحروب ولما عجز الحجاج عن شبيب استمد
عليه عبد الملك بن مروان فأمده بنحو ستة آلاف من عساكر الشام عليهم
سفيان بن الأبرد الكلبي فوصل إلى الكوفة وانضم إليه الحجاج وخرجوا لشبيب
فاشتد القتال ولقي منهم جدا وشوكة لم تكن لأهل العراق وقتلت زوجته
غزالة بعد حروب يشيب لها الوليد ثم سار شبيب إلى كرمان ليجمع نفسه

وأصحابه

واحماه بعد ثم بعد شهرين فقال راجعا الى الكوفة وانتهى الحجاج في اصحابه سفيان
ابن الابرد قائدا عسكريا وامرهم بالتيسير اليه والتقوا بالاهواز فاقتتلوا اقتتالا
شديدا وثبت اهل الشام مع سفيان ثبوتا باهرا فتولى عنهم شبيب فلما حصل
على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيره فالقاه
في الماء فقال له بعض اصحابه اغرقا يا امير المومنين فقال ذلك
تقدير العزيز العليم فالقاه دجيل ميتا في ساحله فحمل جسده الى الحجاج فامر
بشق جوفه واستخراج قلبه فاخرج فاذا هو مجتمع فكان حجرا فكان يضرب
به الارض فيثب عنها قامة الانسان كذا عند ابن الاثير زاد ابن خلكان
وشق ذلك القلب فكان في داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب
فيه علقة دم قالوا وكان شبيب ينعى الى امه فيقال قتل فلا تقبل فلما قيل
غرق صدقت للرؤيا التي رأتها ولما هلك شبيب احضر الى عبد الملك ابو
العماد صاحب الابيات المتقدمة فقال له عبد الملك يا عدو الله الست
القائل * فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا امير المومنين شبيب
ورفع عبد الملك لفظة امير فقال له انما قلت يا امير المومنين وانما قلت ومنا
اميرَ المومنين شبيب ونصبا فاستحسن عبد الملك اعتذاره وخلى سبيله وهذا
الجواب في غاية التحسين فانه اذا كان مرفوعا كان مبتدا فيكون شبيب
امير المومنين واذا كان منصوبا كان منادى على حذف حرف النداء والخطاب
مع عبد الملك فلا يكون شبيب امير المومنين والله اعلم قال بعضهم رأيت
شبيبا وقد دخل المسجد وعليه جبة طيالسية وعليها نقط من اثر المطر
وهو طويل اشمط جعد آدم فجعل المسجد يرتج له تغمده الله بعفوه

ولا تنسين ما الدهر بعد البكر اخنى * فمن سراه قبله الشوى اتوا

الاعراب والتصريف قوله لا تنسين نهي وما موصولة وجملة اوحى
به صلتها والعائد من الضمير المجرور بالباء والبكر فاعل اوحى وخففت ياء
النسب منه ضرورة واخنى مفعول او هو مفعول منصوب بالفتحة الظاهرة في
آخره اذ ليس منقوصا وجملة فمن سراه علة للنهي والسراه بالفتح الرواة
من الغزاة الفقر وجملة قوله قبله الشوى اتوا جواب شرط مقدر وكانه قال

وإذا كان سراة أبيه الشوك أثوى فالبلاد بصيحة وصوت داخله في التغرير على
اثور به متعلق به والشوك يفعل له فيرع عليه ويجوز في لفظة الشوك أيضا أن
يعود على أهله من تغيير الهمزة ويجوز ابدالها واوا وان يعود على ما قبلها فيها للاجماع
المثلين والله أعلم

ذكر وصية البكري لأخيه وما يتعلق بذلك

كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد ولى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس
الكندي على سجستان وما اتصل بها وأمره بمحاربة رتبيل أحد ملوك الترك
فحاربه واستولى على الكثير من بلاده فلم يقنع الحجاج بذلك وكتب إليه
يستكثر مقامه في الترغل أي عن رتبيل ويتهدده بالخلع إن لم يفعل فقرأ عبد الرحمن
كتابه على الناس واستشارهم فأجمعوا على خلعه باشارة أبي الطفيل عامر
ابن واثلة الصحابي رضي الله عنه ثم أقبل عبد الرحمن راجعا من سجستان
يريد العراق ومحاربة الحجاج وتسامع بذلك قراء العراق وعلماء البصرة
والكوفة فأصفقوا على خلع الحجاج لما كان يسومهم به من الجور والعسف
فكان من أولئك العلماء سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر الشعبي
وأبو البختري الطائي وأخو الحسن البصري وغيرهم ولما أقبل ابن الأشعث إلى
العراق كتب إلى الحجاج يتهدده ويتوعده فكتب الحجاج وغيره إن عامل اليمن
بعث إلى عبد الملك بن مروان بجارية وكتب معها أني وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية
اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها وكان ذلك وفق قدوم رسولهم لابن الأشعث
فلما دخلت الجارية على عبد الملك رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا فألقى إليها
قضيبا كان في يده فتكشفت لتأخذه فبدا من جسمها ما بهره فلما هم بها أعلمه
الحاجب أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتابا فيه
عبد الرحمن بن الأشعث فيه أربعة أشطر وخمسة وهي

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم	حربا تفرق بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب	جم الصواهل بين السهل والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية	في ساحة الدار يستوقدن بالغبط
وأغر من ولد الأراقم ماجد	صلت الجبين معاود الإقدام
خلع الملوك وسار تحت لوائه	شجر العرى وعراعر الأقوام

ربغنة

الغُرُم بضمتين الأكمة الشبيهة بالجبل والقُنَن بضمتين أيضا جمع قُنّة وهو مركب
للنساء قال الأصمعي ومعناه أنهن يبشرن من الرحيل فجعلن من أكمّهن حككا وقال
غيره معناه أنهن من الاحتكاك فاحتككن من أكمّهن وشمر العُرى بضم العين
جمع عروة وهو الشجر الذي لا يزال باقيا في الأرض لا يذهب يتشبث به الناس
المتأصلون أنه يتزوّد بين حوزهم من مكانهم وعراعر القوم ساداتهم واحدها
عرعر بالفتح والأبيات الثلاثة تدل على فضل الجزيين والأنصار بفخر من مهلهل التغلبي
فتمثل بعض ابن الأشعث وكتب عبد الملك جواب الحجاج وجعل في كتبه جواب ابن الأشعث

فما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظا وينوي من سفاهته كسري
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم ... ستحملهم مني على مركب وعر
وإني وإياهم كمن نبّه القطا ... ولو لم تنبّه باتت الطير لا تسري
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا ... وما أنا بالواني ولا الضَّرَع الغمر
أعود على ذي الذنب والجهل منهم ... بحلمي ولو عاقبت غرّقهم بحري

ونقل التبريزي في شرح الحماسة عن أبي رياش أن عبد الملك كتب في جواب الحجاج
بكتبه ما أوصى به البكري أخاه زيدا فلما ورد الكتاب على الحجاج لم يدر ما أوصى
به فجاع ما يحبه من يعرف ما أوصى به البكري أخاه زيدا فقضيت حاجته فقال
أعرابي من كلاب إذا هنته فقال أنا أعرف فقال فادخل على الحجاج فأنشده

فقلت لزيد لا تترّز فإنهم ... يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فإن وضعوا حربا فضعها وإن أبوا ... فعُرضة حدّ الحرب مثلك أو مثلي
وإن رفعوا الحرب العوان التي ترى ... فشبّ وقود الحرب بالحطب الجزل

فقال الحجاج وأبيك إنها لعنية وقضى حاجته وذكر المسعودي في مروج الذهب
أن عبد الملك كتب إلى الحجاج بما ذكر في شأن الخوارج فذكره وأصحابه فالتقم
العلم والبكري هو فرس بن جابر الحنفي في نسب عنيبة في بكر بن وائل وأما
خبر الجارية التي بعثت إلى عبد الملك فإنه أشبع من قرنها وكان يقول الثقاة
أبرت فإن أراد أحب التريّد فتقول فما يمنعك يا أمير المؤمنين فيقول يمنعني قول
الأخطل قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار
فلما إن خرجت منه كنت الأم الحي ولم يبق بعدها حتى قضى أمر ابن الأشعث

وكان خروجه سنة ثنتين وثمانين للهجرة وكانت بينه وبين الحجاج حروب
عظيمة منها يوم دير الجماجم وهو موضع قرب الكوفة نيف وثمانون وقعة تفانى
فيها الخلق ثم كانت الكرة على ابن الأشعث فجرى إلى رتبيل ملك الترك فاستجار
به ثم غدر به رتبيل فقبض عليه وأرسل به إلى الحجاج فألقى ابن الأشعث نفسه
من شاهق فتردى وهلك وبعث برأسه إلى الحجاج فبعث به الحجاج إلى عبد الملك
مع عمران بن عمرو الأسدي المتقدم الذكر وذلك في سنة خمس وثمانين وتتبع الحجاج
أتباع ابن الأشعث بالقتل وقتل منهم جماعة من القراء ومنهم سعيد بن جبير
رضي الله عنه بعد اختفائه مدة وكان الحجاج إذا جيء إليه بأحد من أصحاب
ابن الأشعث قال له اشهد على نفسك بأنك كفرت بالخروج على عبد الملك
فإن فعل أطلقه وإلا قتله فجيء إليه بشيخ فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد
على نفسه بالكفر فقال الشيخ أتخادعني عن نفسي يا حجاج والله إني لأكفر
من برذون وحمار فضحك منه الحجاج وخلى سبيله

(لا تأمن الزمن الختور فإنه ※ أرشق نبلا من رماة الخزر)

اللغة قوله لا تأمن الزمن أي الدهر قال في القاموس الدهر قد يعد في الأسماء
الحسنى والزمان الطويل والأمد الممدود وألف سنة وقال في المصباح الدهر
يطلق على الأبد وقيل هو الزمان قل أو كثر **قلت** وعليه قول الشاعر

إن دهرا يلف شملي بجمل ※ لزمان يهم بالإحسان

قوله الختور فعول من الخيانة ضد الأمانة قوله أرشق نبلا في النبل السهام
العربية وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها بل الواحد سهم فهي مفرد اللفظ
مجموعة المعنى وقد جمعوها على نبال وأنبال قال الشاعر

وكنت إذا رأيت ذوي سواد ※ بأنبال مرقن من السواد

والرشق بالنبل الرمي بها والرشق بالكسر الوجه من الرمي فإذا رمى القوم بأجمعهم
في جهة واحدة قالوا رمينا رشقا والخزر بالتحريك جمع خزرة وقد تقدم والله
أعلم **الإعراب والتصريف** قوله لا تأمن الزمن نهي وقوله الختور
نعت للزمن وعينه واو قلبت همزة للضمة والمدة بعدها وهو جائز وتقلبنا هنا
وقوله نبلا تمييز محول عن اسم إن وهو الذي جعله ابن مالك فاعلا في المعنى فقال

والفاعل المعنى انصبن بأفعلا * مفضلا كأنت أعلى منزلا

وقوله من زمالة المعمرين يعلو بأن شعره وآلية زمالة منقلبة عن يده ومع ذلك نكتب
القبائل منهم ما حضرنا والله أعلم **ومعنى الكلام** إشارة إلى ما تقدم من أن الشيخ
أي المتعجب من غوائل الزمن وتقلباته وأن العاقل يكتمن الكيد وقد يبادر بسرية لأنه
لا يدري ما يبرز منه ولا ما يعروه وأن العجب تكشفه الزمن أبدا العجب ومن كلامهم الدهر
حبلى لا يدري متى تلد ويقال العاقل أن يغتنم صحته ويجعل الموت نصب عينيه ويتزود
لمعاده ويجعل أكبر الأغراض أفضلها مراده. ففي حديث ابن عباس عند الحاكم أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ ورحم الله من قال

إذا هبت رياحك فاغتنمها * فإن لكل خافقة سكون
وإن درت نياقك فاحتلبها * فما تدري الفصيل لمن يكون
وإن ظفرت يداك فلا تقصر * فإن الدهر عادته يخون

وكلام الناظم مأخوذ من قول عمرو بن قميئة

رمتني صروف الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

وأنشد فيها عبد الملك بن مروان قرب موته وقال أغر

من ورا الدهر إلينا نبله * فملا ينصرنا بعض مهل
فنورا فينا ونبصره * مثل رام رام صيدا فقتل

ذكر زمالة المعمرين وما قيل فيهم

اختلف الناس في زمالة المعمرين فذكر بعضهم أنهم جمع لا أعلم منهم نبي.
ثعل رمي فيشعرون بعد ذلك الزمن ومنهم عمرو بن المسبح الثعلي قال الكلبي
عاش عمرو بن المسبح مائة وخمسين سنة ثم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم
ووفد عليه وأسلم قال وكان أرمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس

رب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره

وقال ابن مسلم محمد بن الحسن

هل انت مبلغ هذا العاشق البطل * عني مقالة كئيب غير في خطل
ان كنت اخطأت في جاشا عبثت به * فانت في رمي قلبي من بني ثعل

وقال في موضع من النوبة ذكر المسعودي في مروج الذهب ان احمد بن طولون امير مصر اخذ اليه شيخا من قبائل بلاد الصعيد كان قد رتبنا مع جماعة في كتب السير وصحبة الزهد وكان المعرفة باخبار الامم والاجيال والمذاهب والنحل فسأله عن اشياء فمنها جيل النوبة وحال زعيمهم وسيرهم فقال منهم اصحاب ابل ونجب وبقر وغنم وملوكهم تفتش الخيل العتاق والغالب على عامتهم ركوب البراذين ومنهم من يرمي عن قسي عربية وعنهم اخذ الرمي اهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب ومنهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق وان منهم اشبه شيء باهل اليمن. وفي الاكتفاء عن ابن عبد الحكم قال غزا عبد الله بن سعد بن ابي سرح الاساودة وهم النوبة سنة احدى وثلاثين يعني في خلافة عثمان رضي الله عنه فقاتلته النوبة قتالا شديدا واصيبت يومئذ عين معاوية ابن حديج وابي شمر بن ابرهة وحيويل بن ناشرة فيومئذ سموا رماة الحدق فهادنهم عبد الله بن سعد اذ لم يطقهم. وقال الحدق رماة الحدق ومنهم القارة الذين قيل فيهم قد انصف القارة من راماها قاله ابن الاثير وغيره وهم قبيلة من العرب وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد الشداخ ان يفرقهم في بني كنانة فقال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

قال الميداني وهم رماة في الجاهلية وزعموا ان رجلين التقيا احدهما قاري فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال القاري قد انصفتني وانشأ يقول

قد انصف القارة من راماها * انا اذا ما فئة نلقاها
نرد اولاها على اخراها

نم

ثم نزع له بسهم فشك به فؤاده فقال ابن عمير اهل القارة الاكمة وجمعها
قور قال ابن دريد وانما قيل انصف القارة من راماها في حرب كانت بين قريش
وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة قال وكانت القارة مع قريش فلما التقى الفريقان
راماهم الآخرون فقيل قد انصفهم هؤلاء وفي شرح الحماسة للغزنائي وكل
ماء وبالرمي يضرب فيه من رماة العرب ويشبها بهم قلت وقد نقل رواة
الاخبار ان خالد بن الوليد رضي الله عنه لما فتح الحيرة في خلافة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه سار الى الانبار فلما انتهى اليها تقدم الى رماته
وقال لهم اني اراهم اقواما لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا تتوخوا غيرها
فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا الرمي ففقئت الف عين منهم في القوم فسميت
عيون اهل الانبار وهذا يعود الى ان خالدا علم رماته وسميت الوقعة ذات العيون
فهؤلاء اعراب يسمون رماة الحدق ولكن قد علمت كلام الناس في ذلك وعلى
العكس من هذا ما يحكى ان حكيما نظر الى رجل يرمي وسهامه تطيش يمينا
وشمالا الا جهة الهدف حتى تعدى عنه الغرض فقيل له ما تنظر فقال لم ار موضعا اسلم
من هذا وقال ابو الحازم يصف رماة ذوي اجادة *

فقد كحلوا اعينهم باعين ... يكمن للقنيص بها ويكتمي
واعترفت بهم رماة الحدق ... فان استشعروا ما القنيص يرتمي

(لا ترمين هفوة بغير تدبر * وبيد الغيب الله لم يتق)

المعاكز البيت كذا يسر له معنى واعرابا واما معنى الكلام فانه يقول لا تتهم
ان ترى ما ذقت في هذه الدار خيرا محضا ان يتخلله شيء من الشر فان ذلك
لم يبق الا لله تعالى وان حكمته تعالى اقتضت ان تكون احوال هذه الدار مركبة
من خير وشر واما الدار الاخرى فالجنة دار خير محض والنار دار شر محض
وبيانه ان تعلم ان الله جل علمه وعز سلطانه لما اراد خلق هذا العالم
اقتضت حكمته البالغة وارادته الازلية ان تكون كيفيته مخلوطة ومركبة
من الخير والشر لكن الخير هو الاصل والغالب والشر تبع له بمثابة ذلك
منزلة من عمر دارا او بناء من الحجر الملبن واتاه ما هو اوفق منه من فكر ارق من جميعا
من هناك فانما استفرغ فيهما اقرانا فالشر سار في اجزاء هذا العالم

سريا ان الجحيم في القعير وكما ان كل قطعة من قطع القعير فان اخذت فشكلها
من الجحيم الذي مزج به اصلها وركب عليه كذلك كل ذرة من ذرات هذا العالم
فان اخذت فشكلها من ذلك الشر الذي طبع الله عليها اصلها يوم خلق
السموات والارض لانها دار الجحيم هو الاصل كما قلنا ومن معنى قوله تعالى ان
رحمتي سبقت او غلبت غضبي تتميم من تمام حكمته تعالى وكمال قدرته ان جعل
هذا العالم في دار الدنيا بجميع اجزائه غير ساكن ولا واقف وان لا يدوم على حالة
واحدة بل هو دائم الحركة متجدد الشيء متقلب الاحوال في كل نفس من الانفاس
ولحظة من اللحظات كالقدر في حال غليانها وكالبحر في حال تموجه واضطرابه
وبسبب هذه التقلبات كانت خيوراته وشروره متعاقبة والخلق فيما بين ذلك
مترددون بين خير وشر ونفع وضر وهذا معنى قولهم دوام الحال من المحال وانما
ذلك في دار الدنيا واما كون هذا العالم في تقلباته واطواره بمثابة البحر
المتموج فالبحر من شانه ان يصفو تارة ويتكدر اخرى وتارة يبرز ما في قعره
وتارة يخفيه فهذا حال هذا العالم ما دامت الدنيا واليه يشير قوله تعالى كل
يوم هو في شان والسادات الصوفية يعبرون عن هذه الاطوار بالتجليات
الالهية فاذا قضى الله تعالى بطي هذا العالم وانقراضه وحصل الخلق في
عالم البرزخ وما بعده من عرصات القيامة وعقبات الصراط ودركات الجحيم
كان ذلك زمان تصفية الخير من الشر وتمييز بعضه من بعض فايام البرزخ وما
بعدها من ايام الموقف والحساب والصراط ايام تصفية وتهذيب لا ايام
خلط ومزج كما كان ذلك في العالم الدنيوي فاذا كملت التصفية وتميز
الخبيث من الطيب سفل الخبيث في النار وارتفع الطيب الى الجنة قال الله
تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب الآية فالجنة
كلها خير ولا شر فيها قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل والنار كلها
شر ولا خير فيها قال تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا واعلم ان نفوس
الخلق بعد ذلك افترقت فمنها ما يكون لها من الصفاء فهذا لا يحتاج الى تصفية
وانما هو الدخول الى الجنة ومنها ما يكون وسخها كدرا وذلك يتفاوت بحسب
تفاوت كثرة المعاصي وقلتها فمنها ما تؤثر فيه التصفية والتهذيب فهذا

يمكن ان يدخلها مومن ونفسه متلوثة بشيء من الخبائث قال تعالى ونزع غل

بدخول الجنة

يدخل الجنة ولو بعد حين وقسم لا تؤثر فيه تصفية وهم الذين قال الله فيهم
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فهؤلاء تغلب عليهم الشقاوة و
ويدخلون في النار فنفوس البشر بمنزلة الثياب منها ما لا يصيبه وسخ
ومنها ما يصيبه ذلك ثم ان هذا القسم منه ما يؤثر فيه الصابون ومنه
ما لا يؤثر فيه بحال واعلم ايضا ان قلوب العباد من جملة اجزاء هذا العالم
باعتبار حلولها فيه وتكدرها بالاكدار فاصلها خير بالذات ولكن
تاخذ قسطها من الشر كما قلنا ويتفاوت ذلك افراطا تفاوتا كثيرا او من هذا
معنى ما قاله ارباب الصفا من ان القلب يسكنه ملك وشيطان ولا يزال
القتال بينهما حتى يغلب احدهما الآخر فيستبد بالقلب ولا يبقى فيه الآخر
ومن هذا القتال الذي ذكروا انه نشا عنهما نحن بتغلبات جميع اجزاء العالم وعدم
سكونها لحكمة والله يشاء قوله عليه الصلاة والسلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن فمن غلبت شيطانيته على ملكيته التحق بعالم
الشياطين وكان من اهل النار ومن غلبت ملكيته على شيطانيته التحق بعالم
الملائكة وكان من اهل الجنة فاذا ميز الله الخبيث من الطيب واستقر اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار خفت الحرب وسكنت الحركات ووقف
الاكدار بذبح الموت فحصل وعند ذلك يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت فافهم واعلم وتيقن ان هذا العالم منذ
خلقه الله الى ان يستقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار هو
بالنسبة الى قدرة الحكيم العليم كآلة الصانع التي يصنع بها متاعه وصنعته
الى ان يتم عمله ويتميز حسنه من قبيحه فقد بان لك كيف طبعت الدنيا على
الكدر وان ذلك مما سبق به القضاء والقدر فانى لانسان ان دام فيها
لا يطمع ان يرى شيئا صافيا ولا شيء الصفا والكلام هنا طويل وما كتبنا بمنزلة
النبذة والله الموفق وقد ذكر الشعراء المعنى الذي انحى فيه الناظم من ذلك
قول التهامي في مرثية رثى بها ولده

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار (اوله)
طبعت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاكدار

(هامش: ٢ يقال)

زعم ... ناجي

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سار

وقال جار الله محمود ابن عمر الزمخشري من أبيات

قال

مليح ولكن عنده كل جفوة ... ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر

وفي كتاب تغريد الصادح لابن حجة

قال

لا تغترر بالنعيم والسلامة ... فإنما الحياة كالغمامه
والعمر مثل الكأس والدهر القذر ... والعيش لا بد له من الكدر

لا تبخلن بزاد ما استطعت فقد ... كفاك في البخل شر موبق
شح بزد كلب ضبير وسجا ... أزرى به كلما فلم يصدق
وما أتى في شعر ابن عفان كما ... فذاك في لاه مبيتة المحزرق
ونجله من أجله أجلد ... من سكرة الحجاج لم يكن وفي

اللغة قوله لا تبخلن البخل بالضم وبالتحريك ضد الكرم وهو في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده قاله في المصباح وقال في الإحياء الاقتصاد حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الاقتصاد تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه ثم قال والواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة انتهى ببعض كلامه قوله بزد ما استطع ثم اشتغل والعارية من التعاور وهو التداول وأصلها عورية بفتح الواو التي هي عين الكلمة قال الأزهري نسبة إلى العارة وهي اسم من الإعارة كالطاعة اسما من الإطاعة يقال أعرته الشيء إعارة وعارة بمنزلة له على وجه العارية واستعرته إذا طلبته منه هذا هو الصحيح في اشتقاقها وحدها شرعا كما قال ابن عرفة تمليك منفعة مؤقتة لا بعوض قوله شر موبق كمهلك وزنا ومعنى قوله شح بزد كلب ضبير الشح مثل الشبر المثل يع مع حرص قوله مبيتة المحزرق قال الجوهري المحزرق المضيق يقال حزرقه إذا حبسه وضيق عليه قال الأعشى

فذاك وما أنجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محزرق

يقول ان كسرى حبس النعمان بن المنذر بسبب اباءة الحرائر حتى مات وهو مغضوب
عليه وكان ابو عمرو الشيباني يقول بمحرز وبتقديم الراء على الزاي فقوله
وقبله من اجله في البيت الاول وانه جل بالسكون مصدر اجل الرجل على قومه
شرا اجله من باب قتل جناه عليهم ويقال من اجله كان كذا بفتح الهمزة وكسرها
اي بسببه والاجل بالتحريك مدة الشيء ووقته الذي يحل فيه واجل العمر
هو وقت انقضاء عمره بقتل او غيره والسكون المحولة والبكسر والشهر
اعلم الاعراب والتصريف فقوله لا يتعلق بشيء وقياس نون
التوكيد ان تكتب الفا ومرد متعلق به وما موصولة وجملة استقر ثم صلتها
وعين الفعل الف منقلبة عن واو حذفت لالتقاء الساكنين وكفاني فعل ماض
فاعل تبخل وجملة قوله فالبخل شر موجب علة للنفي وجملة شح بردي مستانفة
استئنافا بيانيا كانه قيل ما كانت قصة ماني فقال شح بردي والعافيا
منقلبة عن واو وتكتب الفا وكلمنا حال من فاعل شحا وفيه ان مجيء المفرد حالا
سيما جامدا ومعرفا بجملة وفيه ان الباعث على مجيئهم هو استشهاد ادهم العارية
لا التكلم وجملة فلم يصدر معطوفة على جملة شحا وابن عقار يجوز فيه الصرف
وعدمه كما في القاموس وكما في تكملة مثل حسان وتبان وحمار قبان وما اشبهها
وقوله كما قضى حال الاول يحتمل ان تكون الكاف تعليلية وما مصدرية واسند
الفعل الى ضمير الابن اي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ويحتمل ان تكون بمعنى على
وما موصولة اي على الحالة التي قضاها الابن اي على حد قولهم كن كما انت
اي على ما انت عليه وقوله ميتة المحرز مفعول مطلق مصدر لبيان الهيئة
والياء فيه منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها وال في المحرز يجوز ان تكون للعهد
الذهني والمراد به النعمان بن المنذر ملك الحيرة وقصته في سعاية زيد بن
عدي به عند كسرى ابرويز وقتله اياه شهيرة ولولا كونها جرت لاتبعتها
هنا ويجوز ان تكون للجنس والمراد المضيق عليه اياما كان والكلام الاول لما
جرت به عادة الناس في منزلة الاحرزة من الاعتناء بالتلميح الى من الاخبار
فقوله وقبله مبتدأ اول واجله مبتدأ ثان وجملة لم يكن في خبر المبتدأ الثاني
والجملة الكبرى خبر عن الاول والرابط الضمير في اجله ومن اجله متعلق بوفي

فرد عليه أيضا وكان يختار الكلام أن يكون بغير جار وإن زيد فيه يتعدى إلى مفعولين بنفسه ولكنه رأى فيه معنى الجعل ومنه يتعدى بمن قال تعالى وجعلنا من كل شيطان رجيم وأما الكلام في ذم البخل والتعجيب منه فأمر معلوم لا يحتاج إلى بيان جنبنا الله رذيلته بمنه وكرمه وقد أخطأ سهل بن هارون حيث وضع كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل وكتب إليه الحسن قد مدحت ما ذم الله وحسنت ما قبح الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثوابك عليه قبول قولك فما نعطيك شيئا والسلام *

ذكر قصة ضابئ وابنه وما كان من أمرهما

ضابئ بالضاد المعجمة والباء الموحدة والهمزة في آخره بصيغة اسم الفاعل وهو ضابئ بن الحارث بن أرطاة بن شهاب البرجمي كذا وجدته مقيدا بخطي ولم أدر من أين نقلته وتقدم أن البراجم من أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ثم رأيت في جمهرة ابن حزم أنه ضابئ بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك وكان ضابئ شاعرا فحلا وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ثم إنه جنى جناية في زمان عثمان رضي الله عنه فحبسه وكان السبب في ذلك أنه استعار من بعض بني حنظلة كلبا يصيد به كذا في القاموس والذي في كامل ابن الأثير أنه استعار في إمارة الوليد بن عقبة على الكوفة من قوم من الأنصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الأنصار ثوروا منه فهجاهم وقال

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... أمامة عني والأمور تدور

إلى أن قال

تجشم نحوي وابن قرحان سنة ... تكل به الوجناء وهي حسير

فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما ... حباهم بتاج الهرمزان أمير

وقلدتهم ما لو رميت متالعا ... به وهو مغبر لكاد يطير

فكلبكم لا تتركوا فيه أمكم ... فإن عقوق الأمهات كبير

إذا عثقت من آخر الليل دخنة ... يبيت له فوق الفراش هرير

فيا لك كلبا قد كويت بقربه ... سميع بما تحت الإزار بصير

فاستعدوا

فاستعفوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فعزره وحبسه وقال والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لنزلت فيك آية وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك. فما زال في السجن حتى مات فيه وحدث أبو بكر بن عياش قال كان عثمان رضي الله عنه يحبس في الهجاء فهجا ضابئ قوما فحبسه عثمان رضي الله عنه ثم استعرضه يوما فأخذ سكينا وجعلها في أسفل نعله وأراد اغتياله فعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى السجن وقال في مدة حبسه أشعارا من ذلك قوله

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوبها ورق كربن لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

وما عاجلات الطير تدني من الفتى ... نجاحا ولا عن ريثهن يخيب

ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ... ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب

وقال في همه بالفتك بعثمان رضي الله عنه

وقائلة لا يبعد الله ضابئا ... ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

وقائلة قد ضاع في السجن ضابئ ... ألا من لخصم لم يجد من يطاوله

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ ... إذا رام أمرا عوقته عواذله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

فما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي ... تخبر من لاقيت أنك فاعله

وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة ... إذا هم لم ترعد عليه مفاصله

وقيل إن الشعر لابنه عمير بن ضابئ فإنه لما حبس عثمان رضي الله عنه أباه سار هو وكميل بن زياد إلى المدينة للفتك بعثمان رضي الله عنه فأما عمير فإنه نكل عنه وأما كميل فإنه جسر وثاوره فوجأه عثمان فوقع على استه فقال أوجعتني يا أمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله فقال عثمان رضي الله عنه فاستقد مني وعفا عنه ففي ذلك يقول عمير بن ضابئ

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

وكان هو ممن غزا عثمان رضي الله عنه واقتحم عليه داره وقيل ان عمير بن
ضابئ وثب عليه فكسر ضلعين من اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في
السجن وكان من قدر الله ان عميرا عاد الى الكوفة واقام الى ان ولي العراق بعد
عبد الملك بن مروان وفرغ من امر ابن الزبير رضي الله عنه وعقد للحجاج على
العراق سنة خمس وسبعين من الهجرة فقدم الحجاج الكوفة وخطب خطبته
المشهورة وحض الناس على الخروج لقتال الخوارج مع المهلب بن ابي صفرة
وكان في حرب الازارقة بن الامير من قبلهم اكان بعد ثلاث سمع الحجاج تكبيرا في
السوق فخرج حتى جلس على المنبر وقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق
ومساوي الاخلاق اني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه
التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يا بني
اللكيعة وعبيد العصا وابناء الاماء الا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن
حقن دمه ويبصر موضع قدمه فاقسم بالله لاوشك ان اوقع بكم وقعة
تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها وكان الحجاج يوم دخل الكوفة
قد تقدم الى الناس ان لا يتخلف عن الخروج الى المهلب احد بعد ثلاثة الا ضربت
عنقه فلما كان بعد اليوم وقال الحجاج ما ذكرناه آنفا جاء اليه عمير
ابن ضابئ فقال اصلح الله الامير اني في هذا البعث وانا شيخ كبير عليل
وابني هذا اشب مني فقال الحجاج هذا خير لنا من ابيه وكان عمير قد اسن
وشاخ ثم قال ومن انت قال انا عمير بن ضابئ قال اسمعت كلامنا بالامس
قال نعم قال الست الذي غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله افلا
الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال انه حبس ابي وكان شيخا كبيرا
قال اولست القائل

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

اني لاحسب في قتلك صلاح المصرين واحر به فضربت عنقه وانتهب ماله
وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج اتعرف هذا قال لا قال هذا
احد قتلة عثمان فقال الحجاج اي عدو الله افلا الى امير المومنين بعثت بدلا

ثم أمر به فضربت عنقه وأمر مناديا فنادى ألا إن عمير بن ضابئ أتى بعد
ثلاث وكان قد سمع النداء فأمرنا بقتله ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج
الليلة إلى جيش المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء إلى
المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب اليوم قدم العراق
رجل ذكر اليوم قوتل العدو ولما قتل الحجاج عميرا سمع قوم ذلك فقال أسماء
قيل مثل البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت فقال اقذفوهم برأسه فرموهم
برأسه فولوا هاربين ولقي إبراهيم بن عامر الأسدي عبد الله بن الزبير الأسدي
الشاعر وسأله عن الخبر فقال

أقول لإبراهيم لما لقيته * أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا
تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ * عميرا وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

واستر عن الحساد كل نعمة * كم فاضل بكأس مكره سقي
فبما عدا على مريع ورده * أصبح مهتوكا بقول مشعور

اللغة قوله واستر عن الحساد، الستر بالفتح مصدر بمعنى التغطية
والستر بالكسر ما يستتر به وجمعه أستار وستور والحساد جمع حاسد
من الحسد بالتحريك وهو كراهية النعمة عند المحسود وتمني زوالها عنه وقد
تقدم الكلام عليه قوله كل نعمة النعمة بالكسر اليد والصنيعة كالنعماء
كحمراء والنعمى كحبلى وأما النعمة بالفتح فهي اسم من التنعم والتمتع قال تعالى
ونعمة كانوا فيها فاكهين قوله كم فاضل الفضل والفضيلة خلاف النقص
والنقيصة والفضلة الزيادة وذلك ما أبرز الإنسان على أمثاله الفضيلة من الخصال
بفرقة لهم فيها واستعمل أن يستعمل فاضلا وخصه الاستعمال بما كان محمودا
فلا يقال في زائد البخل والجهل فاضل والمكرا الجزاء قوله بعد ما عدا اسم رجل
يأتي خبره قوله على مريع ورده بفتح الواو وسكون الراء المهملة وآخره
الورد وهو نور معروف أفضل الرياحين والكثير منها ريحا ويقولون قيل للأسد ورد
وللفرس ورد وهو ما بين الكميت والأشقر وفي الصحاح الوردة بالفتح مشموم

معروف الواحدة وزنه ويقال منه معرب وفي مختصر العين نوز كل شيء
وزنه ومثله في القاموس لكنه غلب على هذا المعروف النوع فقوله بقول
سفروي وهو بوزن جعفر الكذاب والله اعلم **الاعراب** قوله واستر
عن الحساد امر وكل نعمة مفعوله وجملة كم فاعل علة له وفي مثنا نعمة
استثنا فيه بيانيا كانه قيل لم ذا امرت بالستر فقال لانه كم فاعل في
وكم خبرية مبتدا وفاعل تمييز لها مجرور باضافتها اليه وجملة شغفي خبره
وبكاس وكريم متعلق بشغفي ومن عليهم فقوله بما هو على حذف في الفاء
فصيحة اي فحيث عم شركهم يعذر كانه قيل فان زاد فاحذر امرا ذلك فيه العقلاء
فما عبر وهو مبتدا وجملة امنع منهما خبره وعلى حذف وزنه متعلق بامنع
من عليه وهو ومعنى على التعليل اي لاجل حذف وزنه كقوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم اي لاجل هدايته اياكم وقوله *

على م تقول الرمح يثقل عاتقي ... اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت

وبقول سفروي متعلق بمنعهما والله اعلم **ومعنى الكلام** امر الناظم
رحمه الله بكتمان اليسر عن الحساد واستدل لذلك بقصة صاحب الاتية وعليه
في ذلك فوائد فان قلت ما يكون صاحب من قبل ان ذلك في المسالة لم يكن من اجل
افشاء سر كان يجب عليه ان يكتمه وانما هي حالة وقعت بمرافقتها بمحضر
الجماعة والامر محسر على ذلك وما فعله هو شان كل اديب وشان من
يحضر مجالس الملوك ومجالس معناهم ولو قلنا انه كان ينبغي له ان يتحفظ
ويسكت لما كان يحضره معنى ولو استدل الناظم بقصة يوسف مع اخوته
عليهم السلام حيث قال له ابوه لا تقصص رؤياك على اخوتك لكان صوابا
فانه لما بلغهم خبر الرؤيا كادوا له وقالوا منهم ما هو معلوم ثم ان كلام
الناظم مقتبس من الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام استعينوا
على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم ان افشاء
الاسرار افة وجوه من افشاء الاقوال وحفظ الاقوال ايسر من كتمان الاسرار
لان اخراج الاقوال منبعه بالابواب والافعال واما الاسرار فبارزة تبرزها
لسانه ونحوه يشيعها كلام شاهد وحمل الاسرار اثقل من حمل الاقوال فان الرجل

فيشتغل بحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون
سره فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الأثقال فاذا اذاعه
استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا ومن عجيب الأمر ان
الاموال كلما كثرت خزانها كان اوثق لها واما الاسرار فانها كلما كثر خزانها
كان اضيع لها وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو
كتمه لأمن سطواته ونجا من عثراته قال علي رضي الله عنه سرك اسيرك
فان تكلمت به صرت اسيره وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان
الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وكان عمر رضي الله عنه يقول ما
ابثثت سري الى احد فافشاه فلمته اذ كان صدري به اضيق وقال ابن حنيف
يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به احدا قال اكتمه علي ونظمه الشاعر فقال

اذا المرء افشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر اضيق

وكان يقال الحزم في الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة ان يقع بينهما شر
فيفشيه عليه وقيل الكتمان ينتج الى كل امر قبل الاختبار حمقه وقال بعض
الحكماء قلوب الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

اذا ما عرفت الذنب يوما لصاحب ... فلست مذيعا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده ... وعندي له سر مذيعا له سرا

والكلام في هذا المعنى كثير واما قول ابراهيم الفقعسي

ولا اكتم الاسرار لكن انمها ... ولا ادع الاسرار تغلي على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

فهو كما قال الشيخ اليوسي سخافة وسفاهة وعقارة همة ووهن نفس فلا
ينبغي لعاقل ان يعرج عليه ولا يرضى بالانتماء اليه والله الموفق

ذكر صاعد وما لقيه من حاسده

هو ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب
الفصوص اصله من بلاد الموصل ودخل بغداد واخذ عن علمائها كابي علي الفارسي
وابي سعيد السيرافي وابي سليمان الخطابي ورحل الى الاندلس في ايام هشام بن الحكم

بقلبه

الأموي وولاية حاجبه المنصور بن أبي عامر في حدود الثمانين وثلاثمائة وكان عالما باللغة والآداب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المحاضرة فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه وكان مع ذلك محسنا للسؤال حاذقا باستخراج الأموال وجمع له كتاب الفصوص نحى فيه منحى القالي في أماليه فكان المنصور تارة امتحنه فما رأى إلا الاستحضار وسرعة البديهة حتى كان لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرا وأتى بحكاية تجانسها فأعجب به ثم أراد كتاب النوادر لأبي علي القالي فقال أبو العلاء صاعد إن أراد الحاجب المنصور أمليت على كتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبرا مما أورده أبو علي فأذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع الزاهرة يملي كتابه المترجم بالفصوص فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر بهم فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم فأمر المنصور به فغرق في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في البحر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد [1]

عاد إلى معدنه إنما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أحد أجرأ على مثل هذا وإنما صاعد اشتهر أن لا يأتي إلا بالغريب عند المنصور وأعانه على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له القصة التي أشار إليها الناظم وهي أنه كان ذات يوم بين يدي المنصور فأحضرت إليه باكورة ورد في أوانها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا [1]

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وتصدى لمناقضته وقال للمنصور هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل

زمانه

زمانه بديهة بموضع له ما جرى فقال أبياتا وذكر فيها بشيء صاعد ومعنى

عشوت إلى قصر عباسة ◊ وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها ◊ وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة ◊ فقلت نعم فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة ◊ يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ◊ فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن ◊ في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة ◊ وما خنت ناسي ولا ناسها

فحلف ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداده أشقر ودخل به على المنصور فلما رآه اشتد غيظه على صاعد وقال لابن العريف غدا أمتحنه فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق بموضع لي فيه سلطان فلما أصبح وجه إليه المنصور فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم إلى مجلس قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار ووضع على السقائف لعبتان من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى بالضد عندنا لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبله شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة ◊

أبا عامر هل غير جدواك واكف ◊ وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل غريبة ◊ وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا ◊ على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ◊ عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا ◊ تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر ◊ إلى بركة ضمت إليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها ◊ من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها ◊ من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان بالناحية تلك السقاية سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت أبا العلاء إلا أنك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة في سفينة … مكللة تقصر اليها المهاتف
إذا راعها موج من الماء تتقي … بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب … تصرف في يمنى يديها المجاذف
ولم تر عيني في البلاد حديقة … تنقلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة … وشتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع … ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
إذا قلت قولا أو بدهت بديهة … فكلني له إني لعجزي واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء وخرج يوما مع المنصور إلى الزاهرة فمد المنصور يده إلى شيء من الترنجان فعبث به ورمى به إلى صاعد مريدا أن يصفه فقال

لم أدر قبل ترنجان عبثت به … أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الأترج نكهته … يا قوم حتى من الأشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه … فعل الجميل وطابت منه أخلاق

وأخبار صاعد عنده وماجرياته كثيرة ذكرت منها في الباب السادس من نفح الطيب جملة وافرة فليستكثر منها من أرادها وقد ذكرت بعض الاختبارات الصعبة فقام الرجل وبرأ منه وإن ما نسبوا إليه من السرقة والكذب جله أو كله تحامل من أهل الأندلس عليه إذ كان غريبا بين أظهرهم ومبرزا عليهم في صناعتهم وبضاعتهم فحملهم الحسد على ما رموه به وقد قيل في هذه الأزمنة تكلم بالشبك وفوز الحسود بقدر مقدار السكك. والله أعلم وتوفي صاعد بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة فإنه كان رحل بآخره من الأندلس بعد ذهاب ملكهم والفتنة فيها رحمه الله

(والمحدث كبير حفاظ الدنيا الحميدي والشيخ أبو علي بن سكرة)

اللغة قوله والفخر كفخر خالد في الفخر والفخار بالفتح فيهما المباهاة
بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك إما في المتكلم أو في آبائه
والعير بالكسر الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة والنفير كأمير القوم
النافرون في حرب أو غيره تسمية بالمصدر تقول نفر القوم إلى الشيء نفرا ونفورا
ونفيرا إذا أسرعوا إليه وقولهم لا في العير ولا في النفير مثل يضرب للرجل يحط
أمره ويصغر قدره وسياق الكلام عليه مستوفى قوله الأجلة جمع جليل والحلة
بالضم لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد إزار ورداء والجمع حلل مثل غرفة وغرف
والسرق بالتحريك شقق الحرير أو البيض منه وقيل الحرير عامة واحدها سرقة قال
أبو عبيد أصلها بالفارسية سره أي جيد فعرب بدله وفي الحديث أن النبي صلى
الله عليه وسلم رأى عائشة في المنام يحملها رجل في سرقة من حرير يقول
هذه امرأتك وأما إعراب البيت فواضح والله أعلم **ومعنى الكلام**
يقول إذا افتخرت فلا تفتخر إلا بما هو ثابت راسخ من شرف نفسك وكرم ذاتك
ولا تفتخر بالعرض الفاني والظل الزائل من المال والأثاث والملابس والمآكل والمشارب
فإن ذلك لا فضيلة له في جنب الحسب والكرم كما يتبين وذلك أن ما يفخر به
الإنسان ويجري على الإنسان ينحصر في ثلاثة أقسام القسم الأول ما يرجع
كماله إلى ذات النفس وجوهرها ويكون أثره في جبلتها وذلك العلم والتقوى
فهذا أرفع الفخار لأنه كمال لذات النفس الإنسانية وذلك كما أن الأبدان تنمو
بل ذاته تتصف بواحد منهما فهي كالمعدومة لأن العلم والطاعة هما
غذاؤها وكما أن الأبدان إذا فقدت الغذاء الحسي تهلك كذلك النفس الإنسانية
إذا فقدت العلوم والمعارف والرياضات الشرعية ماتت ولا ينفع صاحبها
إلا نفس كنفس الأنعام تأكل وتشرب وتنكح وتتلذذ حتى تخرج من الدنيا وليس
فيها سراج من العلم ولا زاد من التقوى بل هو حينئذ صاحب منزلة دون البهيمة
بل البهيمة أحسن حالا منه إذ كانت البهيمة تستريح بالموت لأنها لم تكلف
ولم تحمل أمانة وهذا المغرور فرح في الدنيا الغرور ضيع المقصود من وجوده
وضيعه وراح إلى الله صفر اليدين أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم
الغافلون وهذا القسم أثره راسخ في النفس رسوخا تاما لا ينفك عنها

بل يعم جميع ذراريهما بل قد يعمهما في الاخرة كالسعود وما عداه **القسم الثاني**
ما يرجع كماله الى بدن الانسان ويكون اثره فيه وذلك الجمال والحسن من
رشاقة القد ووضاءة الخد وسواد الشعر واستقواء ابراقها جبين ووسامة
المحيا وغير ذلك من انواع الحسن وهذا مما يتجمل به ويقع التباهي فيه ولكنه
يصحب الانسان مدة ثم يبادره في زمان المشيب فان بقي منه شيء فعلقه بالذي
الموت ثم يستحيل ذلك كله الى فساد فهذا غير موثوق به ولا معول عليه
القسم الثالث ما يرجع كماله الى البدن ايضا ولكنه منفصل عنه
كالمال كالملابس والمراكب والخدم والاثاث ونحو ذلك من زينة الحياة
الدنيا بهذه الاشياء كثيرا ما تفارق صاحبها اسرع ما كان الى بنكبة من
سلطان او آفة سماوية او غير ذلك من نوائب الزمن فهو غير موثوق به
اكثر مما قبله بكثير فقد بان لك ان الثابت النافع من الاقسام الاول فقط
واما الثاني والثالث فلا ثبوت لهما ولا نفع الا اذا استعين منهما على القدر
المحتاج اليه المقدر بميزان الشرع وما زاد على ذلك فهو مذموم على صاحبه
كما شرح ذلك ارباب التصوف رضي الله عنهم واذا كان الامر كذلك
فكيف ينبغي للعاقل ان يفخر بشيء لا يثبت وقد يزول وربما كان ضرره اكثر
من نفعه فقول الناظم والفخر بالذي الخ اشارة الى الفخر بالحسب ومآثر
الآباء ومنه نسبتي كما اشرنا اليه في التفسير اي اذا افتخرت ولا بد فافتخر
بالحسب الثابت ومنه ان كان رحما اعتبره الشرع كالعلم والتقوى وهذا الحد
وراءه فلا عبرة به كالفخر بالعم والنعم وغير ذلك على كل حال اولى من الفخر
بالملابس والمآكل حسا نسميها بالنسبة اليه فالفخر الحقيقي انما هو
بالعلم والتقوى والدين قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد تقدم
شيء من هذا عند قول الناظم ولا تفتخر الا بالبيت وبما ذكر الله المفاخرة
بين بعض عبيده جعلها فيما هو راجع الى الدين دون الدنيا **فقال** تعالى افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون **وقال** تعالى افمن يلقى في النار خير ام من
ياتي آمنا يوم القيامة فهذا هو الفخر الذي لا يحول ولا يزول وما عداه
فلون حائل وكظل زائل ثم مشى عليه الناظم من مذهب الآداب والعرب الفضلاء

ومعنى من قولهم في ذكر الشرع فثم ان قولنا الفخر المنفي انما هو بالعلم والدين
ليس المراد انه يذكره الله ويعتد له حتى يكون من باب تزكية النفس والرضى
عنها بل المراد انه يعتقد انه به يفخر ابدا بالعلم والدين واذا اكرمه الله
بشيء من ذلك فليعلم ان الله قد اكرمه بفضله فليكثر من حمد الله على ذلك
واذا ذكره فليذكره على وجه التحدث بالنعم اذا خلصت نيته والله الموفق
ولنذكر بعض ما يشهد للكلام المتقدم فنقول دخل النجار العذري على معاوية
وعليه عباءة فازدراه فقال يا امير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك
من فيها ثم اسمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئا فقال معاوية ما رأيت احقر
اولا ولا اجل آخرا منه وقال الاصمعي رأيت اعرابيا رث الهيئة فاستنشدته
فانشدني اشعارا وروى لي اخبارا فتعجبت من بيانه ورثاثة حاله فاطرق
عني ثم قال

أأغبر ان الجلاد فلا * تا عن كنت عزة الاديم
لا تنكرن ان قد رأيـ * ـت أخلاقا بكمي عديم
ان كان اثوابي رثا * ثا فانها على كريم

وينسب الى الشافعي رضي الله عنه

علي ثياب لو يباع جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها * نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته فرى

ونظرت جارية الى ابن عم لها وهو من امراء العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت فانشد

ضحكت امامة ان رأتني مملقا * ثكلتك امك اي ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

وكلام الناس في هذا المعنى (كثير) واعلم ان من الناس من يرى استجادة الثياب
ويرى ان ذلك من المروءة وضده من النذالة وخساسة النفس والحق ان خير
الامور اوسطها فلا ينبغي ان يصرف همته الى استجادة الملبس ويعتني بذلك
حتى يكون كالعروس المتصنعة لزوجها ولا ان يكون رث الهيئة تنبو عنه الابصار
وتزدريه العيون وقد قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان صلى

الله عليه وسلم يتجمل للوفود وقال ان الله اذا انعم على عبد احب ان يرى
اثر نعمته عليه ويكره البؤس والتباؤس والله تعالى اعلم

ذكر فخر خالد بالعير والنفير واول من قال ذلك

اول من قال لا في العير ولا في النفير ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه وذلك
انه اقبل بعير لقريش من الشام بعد الهجرة بنحو سنة ونصف فاتصل برسول الله
صلى الله عليه وسلم خبر مجيئه فندب المسلمين الى الخروج اليها لعل الله ان
ينفلهموها لان الله تعالى قد وعدهم احدى الطائفتين كما في القرآن فانتدب
المسلمون واقبل ابو سفيان حتى دنا من المدينة فاتصل به خبر خروج النبي صلى
الله عليه وسلم اليه فضرب وجوه العير فساحل بها وترك بدرا بيسار وقد
كان بعث الى قريش يخبرهم بما تخوفه من امر النبي صلى الله عليه وسلم فاقبلت
قريش من مكة بقضها وقضيضها وهم النفير فارسل اليهم ابو سفيان يخبرهم
انه قد احرز العير ويامرهم بالرجوع فابت قريش ان ترجع ورجعت بنو زهرة
منهم فلما عدلوا الى الساحل فنجم من ثم صادفهم ابو سفيان فقال يا بني زهرة
لا في العير ولا في النفير فارسلتها مثلا قالوا انت ارسلت الى قريش ان ترجع
وتقدمت قريش الى بدر وما فعلهم النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل الله بهم
ولم يشهد بدرا من قريش بني زهرة احد واما خالد الذي فخر بالعير والنفير فهو
ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصي قال ابن خلكان كان من اعلم قريش بفنون العلم وله
كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهما متقنا لهما وله رسائل
دالة على معرفته وبراعته واخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له
مريانس الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس
المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي اشار اليها وله فيها اشعار كثيرة
مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه هـ وانكر ابن خلدون في فصل
الكلام على الكيمياء ان يكون خالد بن يزيد متمسكا بشيء مما ينسبون اليه من ذلك
فانظره وكان خالد المذكور شريف المنكح تزوج ام كلثوم بنت عبد الله بن
ابي طالب وآمنة بنت سعيد بن العاص بن امية وهي اخت الاشدق المتقدم الذكر

ورملة

ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد وبعث اليه في ذلك بعض الشعراء يحرض عبد
الملك بن مروان عليه ويجزره طلبه للخلافة

عليك امير المومنين بخالد * ففي خالد عما تحب صدود
اذا ما نظرنا في مناكح خالد * عرفنا الذي ينوي وابن يريد

فكان عبد الملك كثيرا ما يغض منه حتى انه كلمه في امنة بنت سعيد بن تزوجها
الوليد بن عبد الملك فقال خالد في ذلك

فتاة ابوها ذو العصابة وابنه * اخوها فما اكفاؤها بكثير
فان تقتليها والخلافة تنقلب * باكرم علقي منبر وسرير

قوله ذو العصابة هو سعيد بن العاص بن امية يعني انه كان اذا اعتم لا يعتم
قرشي معه وآمنة هذه هي التي قالت لزوجها الوليد لما لامها على عدم بكائها
على عبد الملك ما اقول الا قول ليته عاش حتى يقتل اخا لي اخر مثل عمرو بن سعيد
وقد تقدم ذلك وقال خالد بن يزيد في زوجته رملة بنت الزبير رضي الله عنه

تجول خلاخيل النساء ولا ارى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
احب بني العوام طرا لحبها * ومن اجلها احببت اخوالها كلبا
فلا تعذلوني في هواها فانني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا

يروى ان خالدا دخل على عبد الملك وعنده جماعة من وجوه اهل الشام فاراد
عبد الملك ان يغض منه فقال له يا خالد انت القائل تجول خلاخيل النساء
الابيات ثم زاد فيها

فان تسلمي نسلم وان تتنصري * يعلق رجال بين اعينهم صلبا

وعلم خالد ان عبد الملك اختلق هذا البيت فقال لعن الله قائل هذا البيت
يا امير المومنين فاستحيا عبد الملك في نفسه وقال المبرد في الكامل يروى ان
عبد الله بن يزيد بن معاوية اتى اخاه خالدا فقال يا اخي لقد هممت اليوم ان
افتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هممت به في ابن امير
المومنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرت به فعبث بها واصغرني
فقال له خالد انا اكفيكه فدخل خالد على عبد الملك والوليد معه فقال يا امير
المومنين ان الوليد بن امير المومنين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية

فعيث فيها وأقعد له عبد الملك مكفرا فرفع رأسه وقال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان فقال له خالد وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل على الوليد فقال ويحك ومن العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة ابن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت يشير إلى ما كان من نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص وهو جد عبد الملك إلى الطائف فأقام هنالك يرعى غنيمات ويأوي إلى حبلة وهي الكرمة أعني شجرة العنب حتى رده عثمان رضي الله عنه أيام خلافته إلى المدينة فيقال إن عثمان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده إليها فأذن له والله أعلم وما ذكرناه من أنه كان يرعى غنيمات ذكره ابن خلكان ولكنه تبع في ذلك المبرد والذي عند الميداني أن غنيمات موضع بالطائف فالله أعلم فمقصد خالد بالعير والنفير ومقصده بما قدره من مآثر الجاهلية ولا مدخل في ذلك على أن القائل هذا في الأمثال يراد منها من لا قدر له ومن يقال له لا يعبأ به ومن لا يصلح لخير ولا لشر قال الشاعر

لست في العير يوم يغزون بالعير ولا في النفير يوم النفير

وكان علي بن الجهم أبغض الناس يعني أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه فقال فيه البحتري رحمه الله وعرض له بأن ينتمي إذ كان يرمى بها

إذا ذكرت قريش للمعالي ... فلا في العير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ما تمنى ... عليه لزاد في غلظ الأيور
علام هجوت مجتهدا عليا ... بما لفقت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل ... يكفك عن أذى أهل القبور

وتوفي خالد بن يزيد سنة خمس وثمانين للهجرة والله أعلم

واخر

﴿ واتخذ الصبر دلاصا سابغا ۞ واجعل مغفرا تقى ﴾

اللغة قوله واتخذ الصبر الاتخاذ من افتعال التخيير ومعناه الاقتناء والاعتداد ونحوهما والصبر حبس النفس على المكروه وعما تنزع اليه من المحذور واصله من صبر الحيوان وهو حبسه للقتل وذكر الغزالي رضي الله عنه ان الصبر انواع وتختلف اسماؤه باختلاف الشيء المصبور عنه فمنه الصبر البدني كتحمل المشاق البدنية ومنه الصبر النفسي وهو انواع فان كان عن مشتهيات الطبع فهو عفة وان كان على مصيبة اقتصر فيه على اسم الصبر ويقابله الجزع وان كان في حرب سمي شجاعة ويقابله الجبن وان كان في كظم الغيظ سمي حلما ويقابله النزق الى غير ذلك والدلاص ككتاب الدرع الملساء اللينة البراقة ودرع دلاص ودروع دلاص يستوي فيه الواحد والجمع والسابغ الطويل الى الارض سبغ الثوب ونحوه يسبغ سبوغا من باب قعد تم وكمل وفي التنزيل ان اعمل سابغات وقرئ صابغات بالصاد قال الزمخشري هي الدروع الواسعة الضافية وهو اي داود عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قوله واجعل مغفرا تقى فتسبانه خبره واما المغفر بكسر الميم وفتح الفاء فهو الترس من جنة اذا استتر بها صاحبه فيستتر به ووزنه مفعل كسائر اسماء الآلة وقيل ان الميم فيه اصلية ووزنه فعلل والقولان عن سيبويه والاصح الاول وحرف النداء في تقى محذوف للضرورة وباقي الاعراب واضح والله اعلم **ومعنى الكلام** تضمن البيت جملتين اخراهما تتضمن الحث على استعمال الصبر في مواطنه والاخرى تتضمن اتقاء مواقف التهم ومظان الريب **اما الاول** فلا يخفى ان الله تعالى قد مدح الصبر في كتابه العزيز وامر به وجعل اكثر الخيرات منوطا به **فمن ذلك** قوله يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **وقوله** تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا **وقوله** تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا **وبالجملة** فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعا وامر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى

فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل وقد روي عنه عليه الصلاة
والسلام في ذلك اخبار كثيرة فمن ذلك قوله عليه السلام النصر مع
الصبر وقال عليه السلام الاناة من الله والعجلة من الشيطان فمن من الله
الله بنور توفيقه الهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته
وكثيرا ما ادرك المتأني مراده او كاد وفات المستعجل غرضه او كاد ومن
كلام الحكماء ما حفظ من الهوى بمثل العقل ولا استنبط الرأي بمثل المشورة
ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر ولا
استنجحت الامور بمثل الصبر وقال بعضهم

ويوم كان المصطلين بحره ... وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما ... تفرج ابواب الكريهة بالصبر

وقال اخر

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ... لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

وقال اخر

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ... ويحمد منه الصبر فيما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

واما التاني فلا ينبغي ان يكون مطلوبا ايضا قال عليه الصلاة والسلام
من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم وفي الصحيح ان
صفية رضي الله عنها اتت النبي صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه
فمر رجلان من الانصار فسلما ثم بعدا فاسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم على
رسلكما انها صفية قال النووي في الحديث فوائد منها استحباب التحرز
من التعرض لسوء ظن الناس في انفسهم وطلب السلامة والاعتذار بالاعذار
الصحيحة وانه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى وجب ان يبين
حاله ليدفع ظن السوء ه‍ واذا كان هذا فيما باطنه حق فكيف بما باطنه باطل
او فيه ريبة اذ الباطل كيفما كان من ابواب الريبة الاتية واذا كان يتقى ما يزري
بالمروءة مما هو مباح فاحرى في الشهادة فكيف بالمكروه او الحرام والمروءة

في اصطلاح الفقهاء قال ابن عرفة هي المحافظة على فعل ما تركه من مباح يوجب
الذم عرفا كترك الغني الانتعال في بلد يستقبح فيه مشي مثله حافيا وعلى
ترك فعل ما فعله من مباح يوجب ذمه عرفا كالأكل في السوق وفي حانوت الطباخ
لغير الغريب بل نقل في نوازل الأقضية من المعيار عن ابي اسحاق الشاطبي ما
نصه الا تتصف بالمروءة مطلوب لما ان الاتصاف بخلافها منهي عنه وان
كان لبادي الرأي انه مباح اه ونحوه للغزالي في الاحياء واما المروءة في كلام
الأدباء فيعنى بها ما قاله الراغب قال معاوية لقريش ما المروءة قال اطعام
الطعام وخفض الكلام وقال ذلك لثقفي فقال حسن تقوى الله واصلاح المعيشة
وقال ابن عباس من المروءة ان تحفظ التزيين وتركب المنهج السوي وتستر عن
من النعم المزيد وقيل جماع المروءة في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية وقيل للأحنف ما المروءة فقال ان لا تعمل في السر ما
تستحيي منه في العلانية وقيل له مرة اخرى فقال اجتناب الريب فانه لا ينبل
مريب واصلاح المال فالمروءة لا تحتاج والقيام بحوائج الأهل فالمروءة لمن
يحتاج فوقه الى غيره وذكر الماوردي في أدب الدين والدنيا ان حد المروءة من كلام
بعض الحكماء فيها من لا مروءة له ... والله اعلم والأوفق من حدها كلية ما في
المصباح اذ قال المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على
الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات اه وانما رجحنا له لانه جامع
بين تعبير الفقهاء والأدباء ولانه انسب بمعناها الأصلي لانها مشتقة
من لفظ المرء الذي هو الرجل من كملت فيه اوصاف الرجولية فمن اراد ان يستحق
ان يوصف بالمروءة وقد كانت العرب في جاهليتها من اشد الأمم تمسكا بمراعاة
وحفاظا على المروءة من حفظ الجار والوفاء بالعهد وبذل المعروف والذب
عن الحريم والترفع عن مواقع الريب ومكارم الشيم الى غير ذلك وقد قال حاتم
الطائي وهو منها جاهلي

وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فهيج كثيرا منه وعاد رسيسه ۞ إذا ذكرت أفنانها تملأ أنيما

وانشر المبرة ۞

ما إن دعاه الهوى لفاحشة ۞ إلا نهاه الحياء والكرم

فلا إلى شبهة مددت يدي ۞ ولا مشت بي لريبة قدم

وأشعاره في هذا المعنى كثيرة فلا نطول بها ۞

ذكر عمر بن أبي ربيعة وحديث مجنبها

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة واسمه حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله في ذلك حكايات مشهورة. قال الثعالبي في ثمار القلوب عمر بن أبي ربيعة أغزل أهل الدنيا وأغزلهم شعرا في النسيب وأرقهم كثيرا في التشبيب وليس له شعر في المدح والهجاء والفخر وإنما قصر شعره كله على ذكر النساء وهو في معظمه يصف الشرائف وبنات الخلفاء ولا سيما إذا حججن واعتمرن ويتعرض للمستورات منهن وكان يزيد في ذكرهن حتى قال الفرزدق يعشق الشرق كما يعشق غيره الجمال وكان أبو المغوم الأنصاري يقول ما عصي الله بشعر مثل ما عصي بشعر عمر ولما قال له سليمان بن عبد الملك ما يمنعك من مدحنا قال إني امدح النساء لا الرجال وكان أخوه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة لم يرض له بذلك المذهب فسمعه يوما ينشد

ويوم كتنور الإماء سجرنه ۞ وألقين فيه الجزل حتى تضرما

عرضت بنفسي في أجيج سمومه ۞ وبالعنس حتى ابتل مشفرها دما

فقال الله أكبر فذا أخرق في قدرة أخي من الشعر فلما أتبعهما بقوله

أومل أن ألقى من الناس عالما ۞ بأخباركم أو أن أرى لي مسلما

قال إنه لفي ضلالة القديم وقد ضرب به المثل الصاحب ابن عباد حيث قال في رسالته لهو أغزل من عمر إذا هجا وأشعر وكان من حديث مجنبه الذي صار مثلا في الناس أنه كان يتغزل في امرأة من بني جمح من أهل المدينة اسمها نعم وتكنى أم بكر وشعره وأخباره فيها ما حكاه المفضل الضبي قال

بلغ

بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعما اغتسلت في غدير فأقام عليه وما زال يشرب منه حتى جف ثم إن نعما حجت سنة من السنين في ناس من قومها وركب لها فلما خرجت من الحج تبع عمر نعما إيانا يسير حيث سار قومها ويقيم حيث أقاموا ينتظر منها غفلة يتمتع فيها معها إلى أن وجد منها في ليلة من الليالي فانسل حتى وقع عليها اختباء منها وباتا يتغازلان ويتفاوضان إلى أن طلع الفجر وهب القوم من نومهم وتعذر على عمر الخروج من الخباء فاحتالت نعم بأن أرسلت إلى أختين لها فجاءتا وجعلتاه بينهما وخرجتا به حتى جاوزتا به رحال القوم وأفلت فوصف الحال المذكور في قصيدة طويلة وجعل أولئك النسوة الثلاث كالمجن له حيث اتقى بهن من عدوه كما يتقي الرجل في الحرب بالمجن الذي هو الترس ولنذكر ما يتعلق بالقصة من القصيدة المذكورة فإنها طويلة جدا ومطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر

إلى أن قال

وليلة ذي دوران جشمني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر

فبت رقيبا للرفاق على شفا ... أحاذر منهم من يطوف وأنظر

إليهم متى يستمكن النوم منهم ... ولي مجلس لولا اللبانة أوعر

وباتت قلوصي بالعراء ورحلها ... لطارق ليل أو لمن جاء معور

وبت أناجي النفس أين خباؤها ... وكيف لما آتي من الأمر مصدر

فدل عليها القلب ريا عرفتها ... لها وهوى النفس الذي كان يظهر

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ ... ـحباب وركني خشية القوم أزور

فحييت إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكتوم التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما نفس من الناس تشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر

فأنت أبا الخطاب غير منازع ... علي أمير ما مكثت مؤمر

فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مقبل ... نقي الثنايا ذو غروب مؤشر

تراه إذا تفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد ترحلوا ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنبه منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح ... علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... وما لي من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تطلبا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تذري عبرة تتحدر

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

وقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي ... ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر

فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... أما تتقي الأعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

فناظر بمقلة بفاحيث أغمضت * ولاح لها أخرى نعيش وبجمر

مدا فما يتعلّق بالفصيح من شرح القصيدة وعن الأصمعي أنه كان يقول شعر
ابن أبي ربيعة هو الفستق المقشّر الذي لا يشبع منه وفي الأغاني أن صاحب هذه
المقالة هو حماد الراوية وقوله وليلة ذي دوران هو بوزن حوران موضع بين
قديد والجحفة والفلا بغا الحاجة ومعروض رحلها ومؤاخره باطل من أعواد
الهنيد وبقوله أذ الفكر والريا مقصورا الرائحة الطيبة والنور جمع نار تنمّز
ولا تنمو وهمع النمل لأنه كان في العشر بها وأرض في الجنة وقوله نفحت
عيني العين يقول اختلست منهما واقتنصها والجنابا بالضم حية بعينه وأما قول
امرئ القيس * سموت إليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال
فبالفتح وهو أحسن من بيت ابن أبي ربيعة وقوله أزور أي متبادي وذو غروب
يعني أن أسنانها لا زالت محدودة وذلك يدل على صغرها وغرب كل شيء حده
ومؤشر أي ذو أشر بفتحتين وهو تحزيز الأسنان وتوالي النجم تواليه بعمد وتغور
تغور وعزور كجعفر موضع قرب مكة قوله وأن ترجعا سرنا بعتق السير وسكون
الراء وبالضم هو الحاجة في وادي إبط زعل الغرر من قولهم فلان رحيب الغور إذا كان
مضطلعا بالأمور لا يتهم عند نزول النوازل وقد نزل الحمر العزب بالقداح
بوزن فرح وقوله فكان مجني مجنا هو ما تستتر به من الفتنة والكاعبان
تثنية كاعب وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود والمعصر كمكرم الجارية
أول ما أدركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب قاله الخليل
وكان النحويون يقولون ثلاثة شخوص لأن الشخص المعروف مذكر لكنه راعى المعنى
وفسّر ذلك بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الآخر *

وإن كلابا هذه عشر أبطن * وأنت بريء من قبائلها العشر

ويروى عن يزيد بن معاوية عليه لعنة الله أنه لما أراد توجيه جيش
الحرة عرض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه ترس رديء فقال يا أخا أهل
الشام مجن ابن أبي ربيعة أحسن من مجنك ويروى ومثله عن قتيبة بن مسلم
الباهلي أمير خراسان من قبل الحجاج ففي شرح الزبيدونية لابن قتيبة أن
قتيبة نكر في بعض مغازيه أن رجلا من الأزد معه ترس من جلود غير مدبوغ فرقعه

زمن ابن الأخناس

من جميع نواحيه فقال يا اخا الازد ترثي ابن ابي ربيعة حين من ترثي ببين قوله
فكان يعني البيت ومن كلام ابي الفداء خالد البلوي يصف سلاحا ما صورته
وما شئت من مجن يروق الناظر ويعكس شعاعه صورة النجم. يحتوي من العشر
على كل بديعه. ويزري بعمر ابن ابي ربيعه. وكانت ولادة عمر بن ابي ربيعه
في الليلة التي توفي فيها امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي
ليلة الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة فكان
الحسن البصري اذا ذكر ذلك قال اي حق رفع. واي باطل وضع. ومع ذلك
فعزاه ركته بركة ذلك الاسم وتاب في آخر عمره وحسنت حاله قال محمد بن
الضحاك عاش عمر بن ابي ربيعة ثمانين سنة فتك منها اربعين سنة ونسك اربعين
سنة وفي الاغاني لما مرض عمر بن ابي ربيعة مرضه الذي مات منه جزع اخوه
الحرث جزعا شديدا فقال له عمر احسبك انما تجزع لما تظنه بي والله ما اعلم
اني ركبت فاحشة قط فقال ما كنت اشفق عليك الا من ذلك وقد سليت عني
ه وحكى صاحب الغاية انه عنه ابن خلكان ان عمر غزا في البحر فاحرقوا السفينة فاحترق
في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره سبعون سنة والله اعلم

(واذ حملت راية الافكار ۞ فجعفر اودى وزيد تستبي
فمنك كعت يزل الجعم موتة ۞ ولم يزل غمنا لكن سوحي
لاكنه احتضنها حبا لنا ۞ فبادر من سير موتي)

اللغة قوله راية الامر الراية العلم الضخم ودونها اللواء وقال
عياض في المشارق اللواء الراية فاقتضى كلامه انهما مترادفان وقال ابن
العربي اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية
ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح ه والامر بمعنى الامارة بفتح همزة
فزلك امر علينا مثلث الميم اذا ولي قوله ولا تستبي من معنى التسابق
كقوله تعالى انا ذهبنا نستبق اي نتسابق واستبقا الباب اي تسابقا اليه
قال الزمخشري الافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء
والترامي وغير ذلك قوله يوم مؤتة بضم الميم وسكون الهمزة ويجوز
ابدالها واوا قرية بمشارف الشام من ارض البلقاء الى جهة الحجاز قريبة من

الكرة وربما كانت تعمل السيوف المشرفية وربما كانت الوقعة ليلية ذكرتها
قوله لكمي شوهوا الكمي بوزن غني الشجاع المتكمي في سلاحه لانه كمى نفسه
اي سترها بالدرع والبيضة ومنه كمى فلان الشهادة اذا كتمها والجمع كماة
كقضاة على غير قياس والشوهوا الطويل ووصف الكمي به لانه اشد
في قراعه واقوى لبطشه قوله لكنه احتضنها الاحتضان جعلك الشيء في
حضنك وهو ما دون الابط الى الكشح ونواحي كل شيء
احضانه وحضن الطائر بيضه اذا ضمه الى نفسه تحت جناحيه وكذا المرأة
تحضن ولدها والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله وان حملت
راية الاقرشي كم وقوله بكر يجمع جوابه قال في المصباح الراية يقال اصلها
الهمز لكن العرب آثرت تركه تخفيفا ومنهم من ينكر هذا القول ويقول لم يسمع
الهمز وان في قوله ان دعا للتنبيه والكلام على تقدير ارادة اي وان اردت
حمل راية الاقرشي فاما ان تثبت كما ثبت جعفر رضي الله عنه واما ان تردها
ولا تسابق غيرك اليها وجملة قوله فرفعت براءة مستأنفة استئنافا
بيانيا كانه قيل ما كانت قصة جعفر فقال فرفعت براءة وجملة ولم يرعه
حال من الضمير في براءة وفيه مجيء الحال من المضاف اليه والمسوغ موجود
وهو كون المضاف بعضا من المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا ووصف الكمي بشوهوا وهو الطويل لان امتداد القامة وانتصابه
مما تنبئ عنه الشجاعة كما تقرر في علم الفراسة قوله لا لكنه احتضنها
جملة مؤكدة للكلام السابق ولذا لم يعطفها عليه ولاكن هنا للتوكيد وفيه
دون الاستدراك على رأي جماعة منهم ابن ابي الربيع ومثلوا لذلك بنحو قولك
لو جاءني زيد لاكرمته لاكنه لم يجئ فلاكن هنا انما اكدت ما افادته لو من
الامتناع ومثله كلام الناظم هنا قاله ولكن لاكن يكتب بدون الف بعد اللام
وقوله حبا لها مفعول لاجله معمول له محتضن قوله فيالها من سير
جملة انشائية ومعناها التعجب واللام فيها للتبيين المحضة كما في قوله تعالى
هيت لك وانظره كما ذكره ابن هشام في المغني واهل البيان يذكرون لنداء التعجب
وقد تخرج عنه كما هنا فانها لمجرد التنبيه وانما التعجب مستفاد من مجموع

الكلام ولعله خبر مبتدإ محذوف تقديره يا له أمر عظيم ومن يسير بيان لذلك
العذر في الانقطاع أولا والابتداء ثانيا من التعظيم والتفخيم ما لا يخفى
ومن فوق نعته بغير نعتنا والله أعلم. ومعنى الكلام من جاء به الناظم
رحمه الله القبر في البيت قبل هذا أنه يوم قام يتعلق بذلك ويدل على أن القبر
عما قبله محمود له أما في الدنيا كما في قضية ابن عمر الغزو بالخميل البلقي
وقضية أبي يوسف الأكتيل وأما في الآخرة كما في قضية جعفر رضي الله عنه
فإن القبر أعقبه الجنة خير والكبير أن يعيش مع الملائكة كما نذكره إن ش

ذكر غزوة مؤتة واستشهاد جعفر رضي الله عنه

كان السبب في هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الحارث
ابن عمير الأزدي رضي الله عنه بكتاب إلى ملك بصرى وهو الحارث بن أبي شمر
الغساني وقيل أرسله به إلى قيصر فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو
الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فجهز
صلى الله عليه وسلم جيشا إلى الشام في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة
واستعمل عليهم مولاه زيد بن حارثة وهو المذكور في القرآن وقال إن أصيب
زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة
فتهيأ الناس للخروج وهم ثلاثة آلاف وودع النبي صلى الله عليه
وسلم ومضوا حتى نزلوا معانا من أرض الشام فبلغهم أن هرقل ملك الروم
قد نزل مآبا من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم
وجذام وبهراء وبلي مائة ألف أخرى فلما بلغ المسلمين الخبر أقاموا على
معان ليلتين يتفكرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي
له فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله إن الذي تكرهون
للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وما نقاتلهم
إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين
إما ظهور وإما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة ثم تقدموا
حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية

م

من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فكان اللقاء عندها فتعبأ المسلمون وجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الانصاري وفي القلب زيد بن حارثة الامير فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فكان اخر بشر مرة ثم عقرها وكان في تلك الغزوة والله لكأني انظر اليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة انسابها
علي اذ لاقيتها ضرابها

وكان جعفر اول من عقر فرسا في الاسلام وهو جائز اذا خيف عليه العدو ان يأخذه فيتقوون به ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل ثم اخذها ثابت بن اقرم العجلاني فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فاصطلحوا على خالد بن الوليد فلما اخذ خالد الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس وذكر ابن هشام ان جعفرا اخذ الراية بيمينه فقطعت فاخذها بشماله فقطعت فاحتضنها بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء وعن ابن عمر رضي الله عنه وقد شهد الوقعة قال وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وكان ابو هريرة لا يقدم عليه احدا في الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد قال في زيد مع جعفر واصحابه فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

تأوبني ليل بيثرب اعسر   وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة   سفوحا واسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية   وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا   شعوب وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمرا حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويبهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(وكن إذا استنجدت مثل من غزا + أرض العدا بكل كرم أبلق)

اللغة قوله وكن إذا استنجدت في الاستنجاد الاستعانة ومنه كلمة النجدة أي القوة واستنجدني فأنجدته أي استعان بي فأعنته والنجدة الشجاعة تقول منه نجد الرجل بالضم فهو نجيد مثل كرم فهو كريم وغزو العدو أن تقصده بالحرب والعدا بالكسر والقصر اسم جمع العدو والكرم بالكسر الكريم من الخيل قال أبو زيد هو نعت للذكور خاصة والأبلق ما فيه سواد وبياض من الحيوان وغيره وفي المثل جمل بلتو وبرق ومعرش كان يشبه الخيل ومعنى ذلك يعلم وإعراب البيت واضح

ذكر من غزا أرض العدو بالخيل البلق

المعني بهذه الترجمة أمير المؤمنين المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ثامن الخلفاء من بني العباس وكان من حديث القصة أنه لما كانت سنة ثلاث وعشرين ومائتين كانت جنود المعتصم تحارب بابك الخرمي الذي كان قد ثار عليه ببلاد العجم فلما ظفر عليه المعتصم وكاد يهلك

في الضيقة كتب إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل يعلمه أن المعتصم قد وجه
عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه وطباخه ولم يبق على بابه أحد
فإن أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك ورجا بذلك أن ملك الروم
إن تحرك يكشف عنه بعض ما به فخرج توفيل إلى بلاد الإسلام في مائة ألف من
الجند فانتهى إلى زبطرة وهي بكسر الزاي وفتح الموحدة وسكون الطاء المهملة
بلد بين سميساط وملطية من أرض الفرات فقتل من بها من الرجال وسبى
الذرية والنساء وأغار على الثغور وسبى المسلمات ومثل بمن صار في يده من
المسلمين وسمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم ولما انتهى الخبر بالمعتصم
وهو ببغداد استعظم ذلك وكبر لديه وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت
وهي أسيرة في أيدي الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره لبيك
لبيك ونهض من ساعته وصاح في قصره النفير النفير ثم ركب دابته وسمط
خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده كذا عند ابن الأثير وابن خلدون
وغيرهما ورأيت في الغيث للصفدي ما نصه بلغ المعتصم وهو في مجلس شرابه
أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وأن أحد البطارقة لطمها على
وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصراني ما يجيء إليك المعتصم إلا على
أبلق فيقال إنه ختم الكأس التي كانت في يده وأقسم لا يشربها حتى يفك
الهاشمية من الأسر ونادى في عسكره أن يتجهزوا في ركوب الخيل البلق ويقال
إنه توجه إلى عمورية في سبعين ألف أبلق فلم يزل حتى فتح عمورية وتطلب تلك
الهاشمية بعينها فلما أحضرت قال لها لبيك لبيك وأخذ الكأس المختومة
فشربها وصار ركوب الأبلق مثلا ويقولون في المراهن وأن توجه المعتصم إلى
عمورية كان على الخيل البلق وهذا من الاستمداد الذي أشار إليه الناظم رحمه
الله قال ابن الأثير فلما تجهز المعتصم قال أي بلاد الروم أمنع وأحصن
فقيل عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهي عين النصرانية وهي
أشرف عندهم من القسطنطينية فقصدها المعتصم وتجهز جهازا لم يتجهزه
خليفة قبله من السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والروايا
والقرب وغير ذلك وسار نازلا في الثغور وتجرد الزحوف حتى إلى عمورية فعاجم

مما

واقع عليها بالرمي بالمجانيق حتى فتحها وامر بها فهدمت واحرقت وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان واقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وامر ببيع الغنائم فبيع منها في اكثر من خمسة ايام وامر بالباقي فاحرق وكان ينادى على شيء اكثر من ثلاثة اصوات ثم يوجب بيعه طلبا للسرعة وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة طلبا للسرعة ثم سار الى طرسوس ثم الى بغداد سالما معافى وكان المنجمون يزعمون ان عمورية لا تفتح تلك السنة فكذب الله قولهم وفي ذلك نقل الشيخ اليوسي ما نصه لما غزا المعتصم عمورية من ارض الروم امسك عن القتال وكان بالعسكر رجل من اهل الدين والخير فقال يا امير المومنين لم لا تقاتل فقيل له ان بعض المنجمين امره بالتاخر وقال ان الوقت ليس لك فجاء الرجل الى المعتصم فوقف بين يديه وقال

دع النجوم لطرقي يعيش بها ... وقم لوقتك وانهض ايها الملك
ان النبي واصحاب النبي نهوا ... عن النجوم وقد ابصرت ما ملكوا

فعلم ان القتال ففتح عليه وقال في ذلك ابو تمام قصيدته المشهورة التي يقول فيها

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
اين الرواية بل اين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثا ملفقة ... ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

الى ان قال

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به ... نظم من الشعر او نثر من الخطب
فتح تفتح ابواب السماء له ... وتبرز الارض في اثوابها القشب

وقال في غيرها

لقد تركت امير المومنين بها ... للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يشله وسطها صبح من اللهب

حتى

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت ... عن لونها او كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة ... وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت ... والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال في اجابته نداء المرأة الهاشمية *

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
عداك حر الثغور المستضامة عن ... برد الثغور وعن سلسالها الحصب
اجبته معلنا بالسيف منصلتا ... ولو اجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منعفرا ... ولم تعرج على الاوتاد والطنب

وتوفي المعتصم رحمه الله يوم الخميس لثمان عشرة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين للهجرة.

لو سمت عزة البربر بالخسف وكسر * مثل ابي يوسف ذو التمخشب
ردت كتائب قرة على الوغى * منهم بمن فل العداكم الحنشبي
وقال لئن انجيت بسوى * جيش عرمرم وخيل لنو
وضرب الفشكاكم في الخير وفر * اهلاكم جيشه بهن كالشرذي
وكان ما فرانيم وامر باسه * ابلغ من جواب المتشبرو

اللغة قوله وسمت عزة البربر بالخسف يقال سامه خسفا اذا اولاه ذلا ومخيفة يتعدى الى الثاني بنفسه قال عمرو بن كلثوم *

اذا ما الملك سام الناس خسفا ... ابينا ان نقر الخسف فينا

واصله من سوم السلعة عند البيع اي وان الناظم ضمنه معنى المعاملة بعزاله بالابتداء وفي لفظ يوسف ست لغات بالضم والواو والهمزة وتثليث السين في الجميع ونظيره في ذلك لفظ يونس قوله ذو التمخشب يقال تمخشب بالخاء المعجمة اذا ارتفع وعلا قوله للوغى اهل الوغى الجلبة والاصوات ثم تطلق على الحرب لملازمتها ذلك لها وقال جني الوغى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها قوله لعداكم الحنوابي لشدة الغيظ ومجاوزة الحد فيه قوله بسوى جيش اي بغير جيش وعرمرم كجعفر الكثير وقوله خيل لنو بمعنى والنزال مهملة اي شدة الروعة قال لم بة

زعم الاقتنان

ناهي

ذلول بها غارة مشعوذ حنق … كرّ على الحي إشراقًا تمتّر

قوله وضرب الفساطيط يعني في الأصل بيتًا من شعر والمراد هنا خباء عظيم
تنزل الملوك فيه وهي بلسان المغاربة أفراك وفيه لغات الفسطاط
والفستاط والفساط والفستات وتضم الفاء وتكسر في الجميع قوله ذي
أحلام جيشه هم يعني بالغزو وقوله كالسوذق وهو يحوم والذال معجمة
السوار الذي يكون في يد المرأة وهذا التشبيه مأخوذ من قول عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه في الزبير استشهم بلال يوم بدر على أسيري أمية بن خلف
فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه والمسكة
بالتحريك السوار من عاج قوله حوا به المشبر وهو بصيغة اسم الفاعل
بمعنى المميز من شبرق الثوب واللحم شبرقه وشبرقه إذا مزقته وقطعته قال
الشاعر * فأدركته يأخذن بالساق والنسا * كما شبرق الولدان ثوب المقدسي
والمراد أن جوانب هذه المملكة بقيت في الغزو وفعل السيوف أو أبلغ من التمزيق
والرمي كما قال أبو الطيب

فإذا أورد البلاد كتائبه … قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا

في الكلام حينئذ مجاز ويحتمل أنه أراد به تمزيق كتاب العدو كما هو ح به قبل
والله أعلم وإعراب الأبيات واضح ومعناها ما يتبين من شرح المفردات
برمتها فنقول **ذكر أبي يوسف وجوابه وما ترتب عليه**
هو أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي
صاحب بلاد المغرب والأندلس الملقب بالمنصور أحد ملوك الموحدين وواسطة
عقدهم وهو الذي أحكم أسباب ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل
وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين
كما أقامها في سائر الناس أجمعين فاستقامت الأحوال في أيامه وغزا به
ابن أذفنش ملك طاغية الجلالقة الذين تسميهم اليوم الإصبنيول نسبة عجمية
إلى إصبانيا التي هي أرض الأندلس وسأله الصلح فصالحه خمس سنين
فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلا القليل خرجت طائفة من فرنج

الإصبنيول

ابن مسعود في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا
فظيعا فلما انتهى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش فأعزله بلاد المغرب ودار
ملكها فتجهز لغزوهم في جحفل عظيم من قبائل المصامدة والبربر والعرب قال ابن
خلكان ورأيت بدمشق جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ
الشيوخ بها وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق
بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة قال فيه اتفقت الهدنة
بين الأمير أبي يوسف المذكور وبين الأذفنش صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة
مملكته يومئذ طليطلة وذلك في أواخر تسعين وخمسمائة ثم عزم الأمير
يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج
وكتب إلى ولاة الأطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج إلى مدينة سلا
ليكون اجتماع العساكر بكافتهم بها فاتفق أنه مرض مرضا شديدا أيس
منه الأطباء فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش وحمل الأمير يعقوب
إلى مراكش فطمع الفرنج وزحفوا من كل صوب وعاثوا في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا
على النواحي والأطراف وكذلك فعل الأذفنش فيما يليه من بلاد المسلمين
بالأندلس وانتقض الحال بتفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا
بالمزارعة والصناعة وكثر طمع الأذفنش في البلاد وبعث رسولا إلى الأمير
يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون المتاخمة له من بلاد
الأندلس وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار ونصها
باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح
الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب،
ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية، كما أني أمير الملة النصرانية،
وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل، والتواكل وإهمال
الرعية، وإخلادهم إلى الراحة والأمنية، وأنا أسومهم
بحكم القهر وجلاء الديار، وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، وأذيقهم عذاب
الهون وشديد النكال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد
القدرة، وساعدك من عساكرك وجنودك ذوو دراية وخبرة، وأنتم تزعمون

ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم. فالآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه وفضلا. وفرض الآن علينا قتال عشرة منكم بواحد منا. فلا تستطيعون دفاعا. ولا تملكون امتناعا. وقد حدثت عندنا انك اخذت في الاحتفال. واشرفت على ربوة القتال. وتمطل نفسك سنة بعد اخرى. وتقدم رجلا وتؤخر اخرى. فلا ادري اكان الجبن ابطأ بك. ام التكذيب بما وعد ربك. ثم قيل انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة ما يسوغ لك التقحم معها. وها انا اقول لك ما فيه الراحة لك. واعتذر عنك ولك. على ان تفي بالعهود. والمواثيق والاستكثار من الرهان. وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات. واجوز بجملتي اليك. فاقاتلك في اعز الاماكن لديك. فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك. وهدية عظيمة مثلت بين يديك. وان كانت لي كانت يدي العليا عليك. واستحقيت امارة الملتين. والحكم على البرين. والله يوفق للسعادة. ويسهل الارادة. لا رب غيره. ولا خير الا خيره. فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع. وتمثل ببيت ابي الطيب المتنبي *

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بخارج البلد وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر منه الى الاندلس وسار الى ان دخل بلاد الروم فدمروا وانتشروا وقتلوا وغنموا وكسبوا منهم كثيرة قلت وهي غزوة الارك المشهورة قال ابن الاثير التقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد يعني من سنة احدى وتسعين وخمسمائة قال وكان عدة من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما انظر تفصيله فيه قلت وقد استوفيت اخبار هذا الامير في تاريخنا الكبير المسمى بكتاب الاستقصا لاخبار

المغرب الاقصى، فعليك به وهذا الامير هو الذي بنى رباط الفتح والمدينة
التي كانت تسمى المنصورة وبنى على مقربة من شاطئ البحر المحيط وبنى قصبة
مراكش وجامعها المعظم المنسوب اليه ومنارة جامع الكتبيين بمراكش
ايضا ومنارة حسان بجامع رباط الفتح ومنارة اشبيلية وغير ذلك من
الآثار العظيمة بالمغرب والاندلس ولست اشك في انه الذي بنى المسجد
الاعظم بهذه المدينة سلا لانه الذي كان له مزيد اعتناء بتلك الآثار ولان
الآثار التي بالمسجد المذكور اشبه شيء بالآثار التي بمراكش والله اعلم
ثم بعد هذا الخبر فمن وقف على كتاب الروض المعطار من الجزء الاول فنص على
انه الذي بنى المسجد المذكور وانه كان له به سبعمائة اسير من النصارى يعملون
فيه وكانت وفاته رحمه الله بمدينة سلا ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس
وتسعين وخمسمائة وحمل منها الى مراكش فقبر من جبل تينملل عند قبر سلفه
رحمهم الله ومن هنا شرع الناظم رحمه الله في ذكر المواضع والرفاق فقال

يا صاح واشغل فسحة العمر بما * يغني وزر غبا ربوع العلما

اللغة قوله يا صاح معناه يا صاحبي وفسحة العمر بالفتح بقيته
واصلها السعة ومكان فسيح وواسع وفسحت له في المجلس اذا جعلت له
فيه من جهة يجلس فيها ومما يغنيك ما ينفعك دينا او دنيا فقوله وزر غبا
الغب بالكسر ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما تقول غبت الابل
تغب من باب ضرب اذا شربت الورد يوما بيوم هذا اصله واما في الزيارة
فقال الحسن ان تكون في كل اسبوع مرة فقوله ربوع العلما اي مكان النشأة
والتعلم ومنازلهم والله اعلم

الاعراب — فقوله يا صاح
اصله يا صاحبي مرخم على غير قياس لانه ليس بعلم ولا مختوم بهاء
التانيث ولانه مضاف في الاصل وجملة النداء معترضة بين المتعاطفين
في البيت وان قبله اعني قوله وسم عزة الدير وقوله واشغل فسحة
العمر والاقرب ان يكون هذا مستانفا اذ لا تعلق له بما قبله وقوله بما
يعني متعلق باشغل وما موصولة وجملة يغني صلتها والعائد الضمير المستتر
في يغني الذي هو الفاعل ويحتمل ان يراعى مع الفعل مفعول تقديره

فينبغي ايضا اجتنابه ويجوز ان يراعى ان المغني بامر شانه ان يهتم به
كل احد وقوله غبا مفعول مطلق او في زيارة غب او حال من فاعل زر اي حال
كونك غابا وهذا موقوف على السماع ورسوخ العيشة مفعول زر والله
اعلم **البديع** في كلام الناظم منه التلميح الى المثل وهو قولهم زر غبا
تزدد حبا . قيل انه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ونقل الميداني
عن المفضل ان اول من قاله معاذ بن صرم الخزاعي ونظمه بعضهم فقال

اذا شئت ان تلقى مزورا متواترا ... وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

ومعنى البيت ان اشتمل كلام الناظم على جملتين اخراهما تتضمن الحث
على تركها بسبب قصر الاجل وتعجيل الوفاة فلا يهمك عما فيه تعبه في العاجل والآجل
والاخرى تتضمن الحث على الجد والاجتهاد والاخذ بالحزم والاحتياط في اعمال
البر والطاعات واجتناب المعاصي والخلاف والمخالفات وهذا هو المقصود
من بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم وارشاد الخلق الى ما ينفعهم في
معاشهم ومعادهم **قال الله تعالى** افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون **وقال تعالى** الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر الاية **واخرج**
مسلم والترمذي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر فقال يقول ابن ادم مالي مالي
وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل قد
مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه
فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن
شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي
بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار
وقال علي رضي الله عنه ان ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة مقبلة
ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا
فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل واما قوله وزر غبا رسوخ
العيشة فاخرناه عنه كما قلنا الى قبال على الجد والاجتهاد . فمما يرضي

الله ويبقى في السعادة فإن الغم فجيع والعيش قطيع والمنا قريعيم ولأن الفرح والبطر من صفات الغافلين والله تعالى لا يحب الفرحين وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ووصف هند بن أبي هالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة يعني لاستغراقه صلى الله عليه وسلم في شهود جلال الله تعالى وكبريائه ولأن الهموم بقدر الهمم وهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الهمم وليست الراحة إلا في الجنة وما يقرب منه والمنام يعطي النائم ما دام النوم بالكلية بل أقر بالراحة فلا أمنه وتنوع بما في ذلك من جمام النفس وصلاحها المعينين لها على مراجعة العمل واستينا به بقوله وتنساه كما قال

إن يصلح النفس إذ كانت مروحة * أن تنتقل من حال إلى حال

وقال آخر

أبر نفسك المكدودة بالجد راحة * تجم وعللها بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

ومثال في غير النفوس المعصومة كنفوس الأنبياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم والنفوس المطمئنة كنفوس المقربين وأما هم فلا راحة لهم ولا لذة إلا في العبادة والطاعة والله تعالى يعيننا والمسلمين على ما فيه رضاه

وإني على ذنب وقلب قد قسا * كالمخمور من سكر لم يستفق
بغفلة كغفلة الخنساء إذ * بكت على صخر بلا ترفق

اللغة قوله وإني على ذنب البكاء معروف يمد ويقصر وقيل القصر مع خروج الدموع والمد على إرادة الصوت وربما يجمعها قول كعب بن مالك يرثي حمزة رضي الله عنهما

بكت عيني وحق لها بكاها * وما يغني البكاء ولا العويل

والذنب الإثم والذنب مصدر ذنب بمعنى تحمله قوله قد قسا القساوة الصلابة وضدها اللين وكلاهما في القلب مجاز وقال الراغب متى كانت الرقة في جسم يضادها الصفاقة كثوب رقيق وثوب صفيق ومتى كانت في نفس يضادها

الفساد أكثر فيه القلب وقساوته فقوله كالصخر من سواده في الصخر الجمادية
العظام الصلاب وقد تقدم الغذاء والسؤر مقصورًا أصله الحب والعلاقة
ثم أطلق على مثل التفسير والتحرير أيضا نحو الشيء ثم استعمل في مثل قول نوح ويقال
أتبع هواه إذا قال عن كثير الرشد وقوله لم يستشف أي لم يستشف وأصله
في الشرب ثم قالوا ربما يستشفي من الشراب وما يبقى منه إذا كان يكفي عنه
فالسؤر والثناء زائد تابع كقول عمرو بن زيد العبادي

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي أما تستفيق

فقوله بمقلة كمقلة الخنساء المقلة وزان غرفة شحمة العين التي تجمع سوادها
وبياضها والخنساء وصخر تقدما فيهما والله أعلم **الاعراب والتصريف**
فقوله وأنا على ذنبي أقر وقلب معطوف على ذنب وجملة قد قسا صفة له
وألف قسا منقلبة عن واو وتكتب ألفا وقوله كالصخر يحتمل أن يكون صفة
ثانية لقلب ويحتمل أن يكون معمولا لقسا على أنه مفعول مطلق أو حال من ضمير
وجملة لم يستشف صفة ثالثة أو حال أيضا ومن سواه يتعلق به فيدع عليه
وألف سواه منقلبة عن ياء ولذلك تكتب ألفا لو تقول عنها حشوا وقوله
بمقلة متعلق بأبكي ويجوز في قوله الخنساء تحقيق الهمزتين وتسهيل الأولى
بين بين وتحقيق الثانية والعكس وبقيت لغة رابعة لا يتأتى عندها الوزن وهي
إسقاط الهمزة الأولى بالكلية وما في الاعراب واضح والله أعلم **البديع**
في تشبيه الناظم القلب بالصخر مناسبة لتمثيله ببكاء الخنساء على صخر
بكائه يقول للعينين كل منكما يبكي على صخر إذ أنت تبكي على قلب وهو صخر
لقساوته والخنساء تبكي على أخيها وهو أيضا صخر ذلك علمه وانكر
من يعتبر الجناس هنا فيما إذا كان أحد الركنين في بيت والآخر في بيت كما عند
الناظم أو لا ويقرب مما سلكه الناظم قول بعضهم يصف نهرا

ونهر حكى الخنساء في شجونها ولذكر عيناه تجري على صخر

فقضى الكلام أمر الناظم رحمه الله أخاه بالبكاء على ذنبه العاصي
وقلبه القاسي وذلك إنما كان خوفا من الله تعالى الذي هو أعلم وفقا في
التعبير وقد بلغ الرجاء وسيشير الناظم عليه بقوله وارج عفو

معنى

معتوق فقد ورد في فضل البكاء من خشية الله آيات وأحاديث كثيرة فمنها
ما رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
قال الترمذي حديث حسن وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول
الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى
وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله
وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وكان محمد بن المنكدر
رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل
موضعا مسته الدموع وقال ابن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة
من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ذكره في الإحياء وذكر
أحاديث أخر فانظرها فيه

ذكر الخنساء وبكائها والسبب فيه

أما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عصية بن خفاف
ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور السلمية الصحابية المشهورة واسمها
تماضر والخنساء لقب غلب عليها وجعل صاحب القاموس الصحابية غير
الشاعرة وهو خلاف ما عند ابن عبد البر وابن الأثير وغيرهما وفي الخنساء
يقول دريد بن الصمة وكان قد خطبها مرة ثم وكان رآها تهنأ بعيرا

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب
أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه تبل من الحب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت جارية لها وقالت
انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية وإن كان
بوله يسيح على وجهها فلا بقية فيه فرجعت إليها وأخبرتها أن بوله ساح
على وجه الأرض فقالت لا بقية في هذا وأرسلت إليه ما كنت لأدع بني عمي
وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا من جشم فقال دريد

وقائلة الله يا ابنة آل عمرو — من الفتيات أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي — إذا ما ليلة طرقت بنحس
تريد شرنبث القدمين شثنا — يعلّ بالغريرة كل كرس
وقالت إنه شيخ كبير — وما أخبرتها أني ابن أمس

الكرس بالكسر الأبوال والأبعار يتلبد بعضها على بعض وقالت الخنساء تجيبه

معاذ الله ينكحني حبركى — قصير الشبر من جشم بن بكر
يرى مجدا ومكرمة أتاها — إذا غشّى الصديق جريم تمر
ولو أصبحت في جشم هديا — إذا أصبحت في دنس وفقر

الحبركى الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين وجريم التمر يابسه قال ابن عبد البر قدمت الخنساء على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم قال وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها وقال المبرد كان بشار بن برد يقول لم تقل امرأة الشعر إلا تبين الضعف فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وحكى الزبير بن بكار عن رجاله أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت من أول الليل يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها: واضطرمت لظى على سياقها: وجللت نارا على أرواقها: فتيمموا وطيسها: وجالدوا رئيسها: عند احتدام خميسها: تظفروا بالغنم والكرامة: في دار الخلد والمقامة: فخرج بنوها قابلين لنصحها: عازمين على قولها: فلما

اضاء

اخاه حين الصبح باكروا منازلهم وتفرقوا الى القتال واحدا واحدا ومنهم
بن نجيد ورجعوا استشهدوا كلهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم
وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها
ارزاقهم لكل واحد مائتين درهم حتى قبض رحمه الله واما بكاؤها والسبب
فيه فقال ابن عبد البر كانت الخنساء تقول في اول امرها البيتين والثلاثة
حتى قتل اخواها معاوية وصخر ابنا عمرو وكان معاوية اخاها لابيها
وامها وكان صخر اخاها لابيها فقط وكان احبهما اليها لانه كان حليما
جوادا محبوبا في العشيرة وكان مقتل معاوية قبل مقتل صخر فكانت الخنساء
ترثيه فلما اصيب صخر نسيت به ما كان قبله من مصاب معاوية وكان معاوية
فارسا شجاعا غزا في جمع من بني سليم غطفان ومعه خفاف ابن ندبة السلمي
وهو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد وانما ندبة امه وكانت سوداء اذ سبيت
وكان معاوية حين غزا بني سليم يوما فنزلت به غطفان فتهيؤوا له والتقوا
واقتتلوا ساعة وابن هاشم ودريد ابناء حرملة المريان بمعاوية فاستطرد
له احدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الاخر وهو لا يشعر فقتله
فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى اثار
به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله وقال

فان تك خيلي قد اصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعاليكا
وقفت له علوي وقد خام صحبتي ... لابني مجدا او لاثار هالكا
فجادت له يمنى يدي بطعنة ... كست متنه من اسود اللون حالكا
اقول له والرمح ياطر متنه ... تامل خفافا انني انا ذلكا

وعلوي في هذا الشعر اسم فرسه فلما دخلت الاشهر الحرم خرج صخر بن عمرو
حتى اتى بني مرة بن عوف وهم بطن من غطفان فوقف على ابني حرملة فاذا
احدهما به طعنة في عضده فقال ايكما قتل اخي معاوية فسكتا فقال الصحيح
للجريح ما لك لا تجيبه فقال وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشد
اخي عليه فقتله فاينا قتلت ادركت ثارك اما انا لم نسلب اخاك ما

فلما فعلت وسمع الشيخ قالوا ما هي بتاركة خدرها فانصرف بعد ما علم أشر نوقه فقالوا له ألا تهجوهم فقال ما بيننا أجل من الهجو ولكنه أمسك عنهم إن صيانة للسان في عرض غيرنا لفعلت ثم خاف أن يعيّر بعيّ فقال

وعاذلة همّت بليل تلومني	ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم	وما لي إذ أهجوهم ثم ما ليا
أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي	وأن ليس إهداء الخنا من شماليا
إذا ذكر ابن عمرو فرّقت عمّها	وحييت رمسا عند لية ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية	فحياك رب الناس عني معاويا
وهوّن وجدي أنني لم أقل له	كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما قتل دريدا زاد فيها

وقد إخوتي فكلّعت أن هام بينهم	كما انكرني واحزان أخاليا

ولية المذكورة في هذا الشعر بكسر اللام وشد الياء جبل بالطائف فيه أملاك لثقيف واستعمله لنصر بن معاوية وعندها قتل معاوية بن عمرو السلمي المذكور

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية	إذا طرقت إحدى الليالي براهية
براهية يشقى الكلاب حسيسها	وتخرج من سر النجي علانيه
ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا	إذا ما علته جرأة وعلانيه
وكان لزاز الحرب عند شبوبها	إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه
وقوّاد خيل نحو أخرى كأنها	سعال وعقبان عليها زبانيه
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي	عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقالت أيضا

أريقي من دموعك واستفيقي	وصبرا إن أطقت ولن تطيقي
وقولي إن خير بني سليم	وفارسهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالي	وأيام لنا بلوى الشقيق
وإذ نغدو الفوارس كل يوم	إذا حضروا ونشتار الحقوق
وإذ فينا معاوية بن عمرو	على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد أودى حميدا ... أمين الرأي محمود الضريب
فلا والله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

كانت المرأة من العرب إذا أصيبت بحميم حلقت رأسها وخرقت نعليها تصفق بهما وجهها وصدرها فلذا قالت الخنساء ولكني رأيت الصبر البيت

ومن جيد شعرها فيه قولها

أبن ما لعينيك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها
فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
فخر الشوامخ من فقده ... وزلزلت الأرض زلزالها
هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها
نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها
وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

ومعنى قولها حلت به الأرض أثقالها من التحلية تقول زينت به الأرض موتاها قال أبو عبيدة فلما كان العام المقبل غزا صخر بني مرة بن عوف رهط هاشم ودريد ابني حرملة وهو على فرسه الشماء وكانت غراء فعمد صخر إلى ربع فولة بها فحمم غرتها فلما أشرفت على أدنى الحي رآها بعضهم فقالت فتاة منهم هذه والله الشماء فنظروا فقالوا كلا الشماء غراء وهذه بهيم فلم يشعروا إلا والخيل دوائر بها فاقتتلوا فقتل صخر دريدا وأصاب رجالا من بني مرة وقال

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس المدبر
ومنحت بعرضهم دريدا طعنة ... نجلاء تزغل مثل عط المنحر

قوله تزغل أي تخرج الدم دفعا والزغلة الدفعة الواحدة من الدم والبول قال أبو عبيدة ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازيا فلما كان ببلاد جشم بن بكر

نزل منزلا واغتر غفلة وجلس لحاجته بين شجر وراءه اعجلته قيس بن الاسوار
الجشمي فتبعه وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي ان وأل فلما قعد بها ثم
لحاجته ارسل عليه سهما فقلبه فجعه فقتله فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمي نفسي ... وافديه بما لي من حميم
وافديه بني بني سليم ... بظاعنهم وبالانس المقيم
كما من هاشم اقررت عيني ... وكانت لا تنام ولا تنيم

وفي هذا البيت عيب الاكفاء وكان هاشم بن حرملة من اشراف العرب
واشدهم واشجعهم فهذا ما يتعلق بمقتل معاوية واما مقتل اخيه صخر
فعن ابي عبيدة قال غزا صخر بن عمرو والشريد وانس بن عباس الرعلي في بني
سليم بني اسد بن خزيمة فاكتسح صخر اموال بني اسد وسبى نساءهم فاتاهم
الصريخ فتبعوه فتلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة
ابن ثور الاسدي ويكنى ابا ثور صخرا في جنبه فادخل حلقا من الدرع في جوفه
واحتمل صخر الطعنة وفات القوم فلم يقعصوه وجوي منها ومرض قريبا من حول او
اكثر حتى مله اهله وكانت له امرأة حسناء فخمة الخلق ذات ردف
تغير عليها رجل من قومه فقال لها ايباع الكفل فقالت نعم عما قريب
وسمعها صخر فقال لئن استطعت لاقدمن قبلك ويقال انه سمع امرأة تسأل
امه فتقول كيف صخر فقالت اما نحن بخير ما رأينا سواده تعني شخصه
ثم سمع امرأة اخرى تسأل امرأته عنه فقالت لها لا هو حي فيرجى ولا ميت
فينعى ولقد لقينا منه الامرين فعزم على قتلها وقال لها يا سلمى ناوليني
السيف انظر هل تقله يدي فناولته اياه فاذا هو لا يقدر على ان يقله
فرده اليها وقال

ارى ام صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت اخشى ان اكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائما ... واسمعت من كانت له اذنان
واي امرئ ساوى بام حليلة ... فلا عاش الا في شقا وهوان
اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان

ومما يحسن ذكره هنا مما يتعلق بهذا البيت ما ذكره ابن خلكان قال كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بابن ذيب انهما وبلغ ابي احمد الحسن بن عبد الله العسكري وكان ابو احمد المذكور احد الأئمة في الآداب والحفظ وصاحب اخبار ونوادر وله رواية متسعة فقال الصاحب لمخدومه مؤيد الدولة ابن بويه ان عسكر مكرم قد اختلت احوالها واحتاج ان اكشفها بنفسي فاذن له في ذلك فلما اتاها توقع ان يزوره ابو احمد المذكور فلم يزره فكتب اليه الصاحب

ولما ابيتم ان تزوروا وقلتم ... ضعفنا فلم نقدر على الوخدان

اتيناكم من بعد ارض نزوركم ... وكم منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم ... بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الابيات شيئا من النثر فجاوبه ابو احمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الابيات بالبيت المشهور لصخر

اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله لو علمت انه يقع له هذا البيت لما كتبت اليه على هذا الروي ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ولما طال على صخر البلاء وقد نتأت له في جنبه قطعة مثل اللبد في موضع الطعنة قالوا له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم فاشفق عليه بعضهم فنهاه فابى وقال الموت اهون علي مما انا فيه فاحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه فقال البيتين وسمع صخر اخته الخنساء تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك

اجارتنا ان الخطوب تنوب ... على الناس كل المخطئين تصيب

فان تسأليني هل صبرت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

كأني وقد ادنوا الي شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب

اجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما اقام عسيب

قال ابو عبيدة عسيب جبل بارض بني سليم الى جنب المدينة فمات صخر فدفن هنالك قريبا من عسيب وعليه علامة قلت وهو غير عسيب الذي مات

عنده امرؤ القيس وذكره في ابياته التي قالها لما نزل بانقرة ببلاد الروم
ولما قتل صخر وقعت على الخنساء فيه اشعارها واكثرت عليهما سما ومسا
وحزنت حزنا شديدا على ابيها واخويها وجعلت ترثيهم بالمراثي الحسنة
وتبكيهم البكاء الذي صار مثلا في الناس الى اليوم وكانت تشهد المواسم وقد
سومت هودجها براية وتنشد الاشعار وتبكيهم وتقول انا اعظم العرب
مصيبة وعرفت العرب لها ذلك واشتهر امرها في الناس فلما كانت وقعة
بدر واوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقريش وقتل عتبة وشيبة
ابنا ربيعة والوليد بن عتبة واخذت هند بنت عتبة ترثيهم بلغها تسويم
الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها فقالت انا اعظم
من الخنساء مصيبة وامرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ
وكانت سوقا تجتمع فيها العرب وتتفاخر فيها بمآثرها واشعارها فقالت
اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما ان دنت منها قالت لها الخنساء
من انت يا اخية قالت انا هند بنت عتبة اعظم العرب مصيبة وقد بلغني
انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم فقالت الخنساء بعمرو بن
الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو وبم تعاظمينهم انت قالت بابي عتبة
ابن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة واخي الوليد بن عتبة فقالت الخنساء —
أسواء هم عندك ثم انشأت تقول

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة — قليل اذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا انسى معاوية الذي — له من سراة الحرتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا — بساهمة الآطال قبا يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي — ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها

أبكي عميد الأبطحين كليهما — وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي — وشيبة والحامي الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب — وفي العز منها حين ينمى عديدها

ومما رثت به الخنساء اخاها صخرا قولها

قذى بعينيك ام بالعين عوار ... ام ذرفت اذ خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها ... اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ... ودونه من جديد الترب استار
لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول واطوار
يا صخر وراد ماء قد تناذره ... اهل الموارد ما في ورده عار
مشي السبنتى الى هيجاء معضلة ... له سلاحان انياب واظفار
وما عجول على بو تطيف به ... لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في ارض وان رتعت ... فانما هي تحنان وتسجار
يوما باوجد مني حين فارقني ... صخر وللدهر احلاء وامرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار
جواب قاصية جزار ناصية ... عقاد ألوية للجيش جرار
حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله ... لكنه بارز بالصحن مهمار
مثل الرديني لم تنفد شبيبته ... كأنه تحت طي البرد اسوار
في جوف رمس مقيم قد تضمنه ... في رمسه مقمطرات واحجار
طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات امار
في رفقة حار حاديهم بمهلكة ... كأن ظلمتها في الطخية القار

وقالت ايضا

يؤرقني التذكر حين امسي ... ويردعني مع الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر ... ليوم كريهة وطعان خلس
وعان طارق أو مستضيف ... يروع قلبه من كل جرس
ولم ار مثله رزءا لجن ... ولم ار مثله رزءا لانس

أشد على صروف الدهر أيدا ... وأفصل في الخطوب لكل لبس

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأبكيه لكل غروب شمس

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي

وكيف لا أزال أرى عجولا ... أساعدها مجابة كل نحس

تفجع والها تبكي أخاها ... صبيحة رزئه أو غب أمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

وقالت أيضا

بكت عيني وعاودها قذاها ... بعوار فما تقضي كراها

على صخر وأي فتى كصخر ... إذا ما الناب لم ترأم طلاها

فتى الفتيان ما بلغوا مداه ... ولا يكدي إذا بلغت كداها

لئن جزعت بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو فتاها

ترى الشم الجحاجح من سليم ... وقد بلت مدامعها لحاها

وقالت أيضا

أمكحلكم وما لكم تركتم ... لدى غبراء منهدم رجامها

ليبك عليك قومك للمعالي ... وللهيجا إذا ذكروا بتامها

وقالت أيضا

أعيني هلا تبكيان على صخر ... بدمع حثيث لا بكيء ولا نزر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وفاء بلية والنعش فوقات خطوها ... لشر وكمد يا لهف نفسي على صخر

بمن يصرف المعروف في طلب ماله ... فماذا أويفي النبوت كما تغشى

بسان المنايا إذا أصابك ريبها ... لتغدو على الفتيان بعدك أو تسري

وقالت أيضا

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما ... د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدّوا بأيديهم ... إلى المجد مدّ إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مصعدا
يحمّله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا
وإن ذُكر المجد ألفيته ... تأزّر بالمجد ثم ارتدى

وقالت أيضا

ألا يا صخر إن بكّيت عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا
بكيتك في نساء معولات ... وكنت أحقّ من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حيّ ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرّقني الدهر نهسا وحزّا ... وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا ... فأصبحت من بينهم مستفزّا
كأن لم يكونوا حمى يتّقى ... إذ الناس إذ ذاك من عزّ بزّا
وكانوا سراة بني مالك ... وفخر العشيرة مجدا وعزّا

إلى أن قالت

ومن ظنّ ممّن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

ومراثي الخنساء كثيرة وفيما ذكرناه كفاية قال المبرد يروى أن عائشة رضي الله عنها نظرت إلى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه وكان لهذا الصدار سبب فقالت وما هو فقالت لما كان زوجي رجلا متلافا فافتقر فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي صخرا أخي فأسأله فأتيته فشكوت ذلك إليه فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت فعاد لي بمثل ذلك إلى أن أتلفه زوجي فعدت له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت امرأته أتعطي هذا المال لهالك فامنحها شرارها فقال صخر

والله لا أمنحها شرارها ... وهي حصان قد كفتني عارها

ولو ملكت مزقت خمارها ... واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت صدار الشعر وصار ضرب المثل ببكاء الخنساء ابو نواس حيث قال يهجو بخيلا

فتى لرغيفه قرط وشنف ... ولؤلؤتان في خرز وشذر

وذو رغيفه قلع الثنايا ... وضرب مثل وقعة يوم بدر

ولو كسر الرغيف بكى عليه ... بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

وقال ابو عمير رحمه الله حيث يقول في آل البيت رضي الله عنهم واماتنا على محبتهم

في آل بيت النبي يخاطبهم بكتاب الشعر في مدحهم وختما بالرثاء

أنا حسان مدحكم فإذا نحـ ... ـت عليكم فإنني الخنساء

(او كبكا فارعة على الوليد وبكاء خندف وخرنق)

الإعراب قوله او كبكا فارعة ؟ او معطوف على التشبيه في ان شئت فابك بكاء الخنساء او كبكاء فارعة ؟ وقصر البكا في هذا البيت ومده في غيره وهما لغتان قال المبرد في الكامل والبكاء يمد ويقصر فمن مده فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فعال وقلما يكون المصدر على فعل وفعال في هذا ونحوه نحو الغدى والشرى وما اشبهه ومعنى بسيط فاما الممدود فنحو العواء والرغاء والثغاء والبغاء وكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فانما جعل البكاء كالحزن وقال حسان

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

ه كلام المبرد **قلت** والبيت نسبه بعضهم لكعب بن مالك وبعضهم لعبد الله بن رواحة في رثاء حمزة رضي الله عنهم وهؤلاء الا انهم اسماء النساء الثلاث مشهورات والله اعلم

ذكر بكاء خندف وخرنق وفارعة والسبب فيها

اما خندف فهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ام القبيلة المشهورة وهي زوج الياس بن مضر جد النبي صلى الله عليه وسلم وانما قيل لها خندف بخندفة لانه كان لها من الياس ثلاثة من الولد عمرو وعامر

وخندف فسبب أن إلياس خرج في نجعة له ومعه امرأته وولده فنفرت إبله
من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيد الأرنب وطبخها وانقمع
عمير في الخباء فلم يخرج وخرجت أمهم ليلى تهرول خلفهم فقال لها إلياس
أين تخندفين والخندفة بالدال المهملة وبالفاء المكسورة مشية تشبه الهرولة
فقالت ما زلت أخندف في أثركم فلقب عمرو مدركة ولقب عامر طابخة ولقب
عمير قمعة ولقبت أمهم خندف كذا في القاموس والذي في الاكتفاء وغيره أن مدركة
هو عامر وطابخة هو عمرو والله أعلم ومن خندف عرب الحجاز وجل عرب نجد
لأنها قريش وكنانة أجمع وأسد ابنا خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وقمعة
أسلم وخزاعة على قول أن أباهم عمرو بن لحي بن قمعة ومنها تميم بن مر بن أد بن طابخة
وهم من أعظم قبائل العرب وأجمعها وضبة بن أد بن طابخة وسائر الرباب
وتيم وعدي بن عبد مناة بن أد وتيم بن عبد مناة بن أد وثور بن عبد مناة بن أد
وعكل وهو عوف بن عبد مناة بن أد وضبة بن أد المذكور ومن تميم ومنها
مزينة وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة وإنما مزينة أم عمرو بن أد فسموا بها
والحاصل أن مضر تنقسم إلى قيس وإلى خندف قال نصر بن سيار

أنا ابن خندف تنميني قبائلها ... للصالحات وعمي قيس عيلان

وقال قصي بن كلاب يفتخر بكونه من خندف

إني لدى الحرب رخي اللبب ... معتزم الصولة عالي النسب

أمهتي خندف والياس أبي

وقال العجاج يذكر تميما من خندف لأنهم كانوا لبابها في القبائل المجد والعز وهي
الإسلام النبوءة والخلافة

بخندف سافة سادة العالم ... بتميم أو من تميم سمسم

سمسم كجعفر موضع وقد عيب هذا على العجاج بأن عالم مع سمسم سناد وذكر
أن رؤبة كان يقول إن العجاج كان يهمز العالم وقال الشيخ وعليه فلا سناد
وقال مروان بن أبي الجنوب

لقد علمت نزار كل فخر ... ومكرمة على رغم الأعادي
بفضل الفخام بن علي نزار ... ومنهم خندف وبنو إياد

رسول الله والخلفاء منا ومنا احمد بن ابي دواد

وقال ابو سعد الرستمي من بردة عملها في ذكر ابن ابي دواد وسوء جيرانه بالبلد

فقل للفاخرين على نزار ومنهم في الارض سادات العباد
رسول الله والخلفاء منا ونبرا من دعي بني اياد
وما منا اياد اذ اقرت بدعوة احمد بن ابي دواد

واما سبب بكاء خندف فحكى ابن كثير ما نصه واشتهر بنو خندف باولاد بامهم خندف ليلى بنت ... وبعلها في الناس وذلك انه لما مرض زوجها الياس وجزعت لزواله وحزنا شديدا ونذرت ان هلك ان لا تقيم في بلد مات فيه وان لا يظلها بيت بعده وان تسيح في الارض وحرمت الرجال والطيب فلما هلك الياس خرجت سائحة في الارض حتى هلكت حزنا وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب فصارت خندف وما صنعته عجبا في الناس يضربون به ويذكرونه في اشعارهم فقيل للرجل من اياد او نمار وقد هلكت امرأته الا تبكي عليها فقال لو كان ذلك يرد ما لفعلت كما فعلت خندف على الياس ثم اندفع يقول

لو انه يغني بكيت كخندف على الياس حتى ملها الشيخ تندب
اذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب
ولم تر عينينا ما سوى الدفن قبره بساحته وما تذر الليالي تذهب
فلم يغن شيئا غير ما بلغت به وما كلها دمع وعيش معذب

في البيت الاول الخروع وهو حزور ماء بقول ابن ... وامر الطويل كما هنا ويكون ايضا في غبرة حسبما هو معروف في محله ومؤنس اسم يوم الخميس في الجاهلية وقد نظم بعضهم اسماء ايام الاسبوع في الجاهلية ومنها بابن حجر فقال

اول اهون جبار دبار ومؤنس عروبة ثم شيار

وقوله سوى الدفن قبره اي سوى دفنه في قبره وقبرت امرأة من غسان اخاها ثم ابنها فحكيت دمعا اتبكي عليهما بينما ما فرقتهما فقالت

فلم ار سلمى ان بكيت ابا معا وقبل فقد ثكلت اخا معا

فقولوا للعزل إن سوامها ... فمقتلكم سلمى ان بنو امها
كما فقدت خنساء من فقدانها ... خلت بنيها اسفا ورامها
تبكي على البين ببكا اتامها

قال الزبير بن بكار وانما نسب بنو الشريد الى امهم لان عامة من تركتهم شغلها بعدهما على ابيهم جمعهم الناس فقالوا امنا ولاء اولاد خنساء الذين تركتهم ومنهم معاذ ايتام حتى عرفوا ببني خنساء ه **واما خرنق بنت هفان امرأة شاعرة قال** ابو عبيدة هي خرنق بنت هفان من بني سعد بن ضبيعة رهط الاعشى قلت وهي اخت طرفة بن العبد الشاعر لامه وقد تقدم ذكرها في ترجمة المتلمس وكان زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وبنوه علقمة وحسان وشرحبيل بنو بشر فاغار رواع بني ضبيعة على بني اسد فاخرجت عليهم بنو اسد عقبة جبل يقال له قلاب في ديار بني اسد فقتلوهم فقالت خرنق ترثيهم

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر
والخالطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر
ان يشربوا يهبوا وان يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهجر
قوم اذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأبيه والزجر
هذا ثنائي ما حييت عليهم ... فإذا هلكت أجنّني قبري

وقالت ايضا

فلا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر ... إذا ما الموت كان لدى الحلوق
وبعد بني ضبيعة بعد بشر ... كما مال الجذوع من الحريق
فكم بقلاب من اوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

وقالت في رثاء أخيها لأمها طرفة

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

واما فارعة فهي بنت طريف بن الصلت بن شداد بن سيار بن عمرو بن مالك

الشيبانية أخت الوليد بن طريف الشاري الخارجي المشهور قال ابن
خلكان وهو أحد الشجعان الكبار الأبطال كان رأس الخوارج وكان يقيم
بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هارون الرشيد في
وحشر جموعا كثيرة وانتشروا في تلك البلاد ونهض إليه عامل في ديار
ربيعة فقتله وسار إلى ديار مضر وعبد الملك بن صالح بن علي
العباسي وهو ابن عم الرشيد بالرقة فاستشار الرشيد يحيى بن خالد البرمكي
فيمن يوجهه لحرب الوليد بن طريف فقال له يحيى وجه موسى بن خازم التميمي
لأن فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام فوجهه إليه
الرشيد في جيش كثيف فلقيه الوليد في الحديثة فهزمه وقتله فلما بلغ
ذلك الرشيد وجه إليه معمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما حروب ووقائع
بناحية ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وعظم
منه الخطر العظيم قال الرشيد ليس لها إلا الأعرابي يزيد بن مزيد الشيباني
فقال بكر بن النطاح

لا تبعثن إلى ربيعة غيرها ... إن الحديد بغيره لا يفلح

فوجه إليه الرشيد يزيد المذكور في عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصده يزيد
وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد ذا مكر ودهاء ثم كانت
بينهما حروب صعبة وبلغ الرشيد مماطلة يزيد له فوجه إليه خيلا بعد خيل
ثم بعث إليه يعنفه فسار يزيد في طلبه ثم نزل يصلي الصبح فلم يتم صلاته
حتى طلع الوليد عليه في عسكره واصطف الجيشان وتزاحف الناس وفي
الأغاني أن البرامكة كانوا منحرفين عن يزيد بن مزيد فغروا به الرشيد
وقالوا إنما يتجافى عن الوليد للرحم وإلا فشوكة الوليد ضعيفة وهو يراعيه
وينتظر ما كان من أمره فوجه إليه الرشيد كتابا مغضبا يقول فيه لو وجهت
أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المومنين
يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير
المومنين فلقي يزيد الوليد عشية أول خميس من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين
ومائة فيقال إن يزيد جهد عطشا حتى رمى بخاتمه في فيه فجعل يلوكه ويقول

اللهم إنها سنة يزيد فاشترها. وكان الوليد قد خرج إليهم حين خرج
وهو يقول أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بناري
جوركم أخرجني من داري

وقال يزيد لأصحابه فداكم أبي وأمي إنما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا
لها تحت التراس فإذا انقضت حملتهم فاحملوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا
فكان كما قال حملوا حملة ثبت لها يزيد ومن معه من أصحابه وعشيرته ثم حمل
عليهم فانكشفوا ويقال إن أسد بن يزيد كان شبيها بأبيه جدا وكان لا يفصل
بينهما إلا المتأمل وكان أكثر ما يفرق بينهما ضربة في وجه يزيد تأخذ من
قصاص شعره منحرفة عن جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت له ضربة فأخرج
وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع فيقال لو خطت على مثال
ضربة أبيه ما عدت أثرها فكأنما هي ... الأصبع وقال ابن خلكان
ولما تراجع الناس وثبتت نار الحرب نادى يزيد يا وليد ما حاجتك
إلى التستر بالرجال ابرز لي فقال نعم والله فبرز الوليد وبرز إليه يزيد ووقف
العسكران فلم يتحرك فيهما أحد وتطاردا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على
صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فأمكنت يزيد فيه الفرصة فضربه ضربة على رجله
فسقط وصاح بخيله فوقعوا عليه واحتزوا رأسه ووجه به وبكتاب الفتح
إلى الرشيد مع ابنه أسد بن يزيد ثم لما قدم يزيد على الرشيد كان من أعجب برأي
البرامكة وأكثر الرشيد التجني عليه فقال يزيد وحق أمير المؤمنين لو بقي
واشتد على فرسه أو أدخل فارتفع الخبر بذلك إلى الرشيد فإذا ... من رجل
فلما رآه الرشيد ضحك وسر وأقبل يمسح وجهه بالأعراب حتى دعا وأجلس
وأكرم وعرف بلاؤه ونفاؤه جزاؤه ومدحه الشعراء فكان أحسنهم مدحا فيه
مسلم بن الوليد فقال فيه قصيدته التي أولها

أجررت حبل خليع في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال عن عذلي
إلى أن قال
يفتر عند افترار الحرب مبتسما ... إذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج في يوم ذي رهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به ... كالموت مستعجلا يأتي على مهل

ومن طويلة وقال ايضا

سل الخليفة سيفا من بني مضر ... يمضي فيخترم الاجسام والهاما
لولا يزيد ومقدار له سبب ... عاش الوليد مع الغاوين اعواما

قال ابن [illegible] ولما اخذ راس الوليد بن طريف بكته اخته ليلى وسماها غيره الفارعة لما عند الناس كلهم وقيل اسمها فاطمة وجاءت مستشعرة عليها الدرع والجوشن فجعلت تحمل على الناس بعد قتل فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اغربي غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

ومن قصيدة رثت بها اخاها الوليد ذكر ابن خلكان انه لم يظفر بها كاملة وانشدها هكذا

بتل نباثا رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عاميا وسوددا ... وهمة مقدام وراي حصيف
أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم ... معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح ... وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فان مات لم يرض الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا ... فديناك من فتياننا بألوف
وما زال حتى ازهق الموت نفسه ... شجى لعدو او نجا لضعيف
الا يا لقومي للحمام وللبلى ... وللارض همت بعده برجوف
الا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى ... وللشمس لما ازمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه ... الى حفرة ملحودة وسقيف

ألا قاتل الله الجثى حيث أضمرت ... فتى كان للمعروف غير عيوف

فإن يك أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف لفها بزحوف

عليه سلام الله وقفا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

أيضا بورز نهر معروف بالجزيرة الفراتية ولقد رثت عنزة في أخيها الوليد مراثي كثيرة كانت تسلك فيها سبيل الخنساء من رثاء أخيها فمن قولها

ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع

أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا

لو ان السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك إذ جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع

وقالت أيضا

يا بني وائل العز معنتكم ... من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد ... قاتلته لاقت خلاف السعود

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد غير الحديد

ونسب الشيخ اليوسي البيت الأخير لبكر بن النطاح وأنشد معه آخر هكذا

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد إلا الحديد

لو تلقى الوليد غير يزيد ... لغدا كالأنام عليه الوليد

وقد روي أن الرشيد لما اجتمع يزيد بن مزيد إثر حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال له خذه يا يزيد فإنك ستنتصر به فأخذه ومضى فكان من حرب الوليد وقتله ما قد شرحناه وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد من قصيدته التي منها البيتان المتقدمان

أذكرت سيف رسول الله سنته ... وبأس أول من صلى ومن صاما

يعني بالأول علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان من الضارب به والله تعالى أعلم

وكم تمنا أبكى فتيتم ... على الذنوب وارخ عفو معتوق

لعكس البيت وأعرابه كلا مما تقدم وإنما قال أبكى بكم رحمه الله وارخ عفو معتوق عقب ما أمر به من البكاء والحزن بمنزلة الخوف من الله تعالى إشارة

ان الحالة الكاملة للعبد ان لا يغلب خوفه على رجائه ولا العكس بل
ينبغي ان يكونا له بمنزلة جناحيه لا يستقيم طيرانه الا باعمالهما
معا ومهما تعطل احدهما اختل طيرانه او سقط بالكلية فكذلك العبد
فمهما غلب خوفه على رجائه خيف عليه اليأس من روح الله ولا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون ومهما غلب رجاؤه على خوفه خيف عليه
الامن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون واعلم ان الرجاء
المعتبر شرعا هو تعلق القلب بمطموع في حصوله في المستقبل مع الاخذ في عمل
يحصل له فان تجرد عن العمل فهو طمع وهو قبيح والرجاء حسن وفي الحكم الرجاء
ما قارنه عمل والا فهو امنية وقال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا الاية وقال صلى
الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن ان قوما الهتهم الاماني حتى
خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم اني احسن الظن بربي وكذب
لو احسن الظن لاحسن العمل وقال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي
في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى من غير طاعة
وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي والاوزار
وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل ❁

ترجو النجاة ولم تسلك محجتها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

وقال اخر

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف ... وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا ... ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

ذكر بكاء متمم والسبب فيه

هو ابو نهشل متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن
حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم اليربوعي عده ابن عبد البر
في الصحابة بعد وكان شاعرا فصيحا ورعا بليغا ولقبه متمم ضبطه ابن خلكان
بكسر الميم الثانية بصيغة اسم الفاعل وهو مقتضى صنيع الناظم وصنيع غير واحد
من الادباء حيث ارتكبوا فيه الجناس التام وهو لا يتم الا بذلك ومقتضى صنيع

القاموس انه مفتوح الثالث لانه وزنه بفعلل والله اعلم وكان بكاء متمم
على اخيه مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان مالك
المذكور سريا نبيلا وسيدا جليلا في قومه ويضرب به المثل في الجمال وكان يلقب بالجفول
لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوي الردافة فيهم قال الجوهري
الردافة ان يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف
قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى
ينصرف واذا عادت كتيبة الملك اخذ الردف المرباع وكانت الردافة في
الجاهلية لبني يربوع لانه لم يكن في العرب احد اكثر غارة على ملوك الحيرة
من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفوا عن اهل العراق
الغارة قال جرير وهو من بني يربوع

ربعنا وارادفنا الملوك فظللوا ۞ وطاب الاحاليب الثمام المنزعا

وطاب جمع وطب اللبن ه كلام الجوهري وادرك مالك بن نويرة الاسلام واسلم
وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه بني يربوع فلما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الصدقة وقيل ارتد وبعث ابو بكر رضي
الله عنه خالد بن الوليد لقتال اهل الردة فكان اذا اصبح قوما فسمع اذانا
فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبها مالك بن
نويرة واصحابه فقيل انهم لم يسمعوا اذانا فقاتلوهم واتي بمالك بن نويرة
اسيرا فامر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله بعد ذلك ورات دارت فتنة بين خالد
واصحابه فذم خالدا في قتله وعتب عليه الاخرون وقال قوم من اصحابه بين عمر ان مالكا
قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في خطابه له قال صاحبك
وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد اوليس هو بصاحبك
ايضا يا عدو الله ثم قتله ويعتبر ايضا بقول اخيه متمم وذلك ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمما ينشد رثاء اخيه مالك قال وددت
لو رثيت اخي زيدا بمثل ما رثيت به اخاك قال والله لو علمت ان اخي صار الى
ما صار اليه اخوك لم ارثه ولم احزن عليه واما الكلام عن من ذكر ان خالدا
لما اصبح على مالك بان ترداده انكر مالك ذلك وقال انا على الاسلام والله ما

عيرت ولا برئت وشهد ابو قتادة الانصاري وعبد الله بن عمر بانهم اذنوا
واقاموا وصلوا معهم ثم ان خالدا امر بقتله فجاءت امراته ليلى بنت سنان
كاشفة وجهها وكانت من احسن النساء فالقت نفسها عليه فقال لها انت قتلتني
يعني انها اعجبت خالدا وانه يريد قتله ليتزوجها وقام ضرار بن الازور
فضرب عنقه وجعل راسه اثفية للقدر وجعله مما يلي النار وبكرت اليه
امراته من فوره ودخل على تلك الحال فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار
فانه والله كان يطفئ الكرب عن الجارات * حريدا للذكر في الغارات *
لا يشبع ليلة يضاف * ولا ينام ليلة يخاف * ثم بلغ عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ما صنع خالد فدخل على ابي بكر رضي الله عنه وقال انه قتل
مسلما وزنى فارجمه يعني لانه تزوج امراة مالك ووافقه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فقال ابو بكر انه تاول فاخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اغمده وما زال عمر حاقدا على خالد بسبب هذه
الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولي عملا ايامي وكان
متمم بن نويرة منقطعا الى اخيه مالك مكفي المؤنة فلما قتل حزن عليه
حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف ابي بكر رضي الله عنه فلما فرغ
من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وتوافقه على اثنابر ثم انشا
يقول نعم القتيل اذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الازور
ثم اومأ الى ابي بكر رضي الله عنه وقال

ادعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما دعوته ولا غدرته فانشد
ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا ولنعم ماوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام
اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وددت لو رثيت اخي زيدا بمثل ما
رثيت به اخاك مالكا فاجابه بما تفرع ثم رثى زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك

فقال أي والله انه ليحركني لي شيء ما لا يحركني لزيد فسأله عمر عن حزنه فقال
والله اني لا انام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت ان نفسي ستخرج
اذكره فما رأيت انه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان يبيت ضيفه
قريبا منه فيتمور النار او الى الرحال ليعود بالضيف يأتي فنجتمع الناس من
القوم يفرغ عليهم الغائب من السنم البعير فقال عمر رضي الله عنه اكرم به
وقال له عمر يوما اخبرني عن اخيك فقال اسرت مرة في حي عظيم من احياء
العرب فاقبل اخي فما هو الا ان طلع على الحاضر فما كان احد قاعدا الا قام
ولا بقيت امرأة الا تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى تلقوه بي
في رمتي فحلني فيرك فقال عمر ان هذا لهو الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك لجزل فكيف كان منك اخوك فقال كان والله اخي في الليلة ذات الازيز
والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه
الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو يتبسم فقوله الازيز بزاءين
معجمتين كامير صوت الرعد والصراد بالصاد والراء المهملتين كرمان غيم رقيق
فيه ماء جيد والثفال بالثاء المثلثة والفاء المرووسة كسحاب الجمل البطيء في
سيره والجرور بجيم وراءين مهملتين كصبور الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت
التي لا تكاد تثبت على لابسها وقيل له يوما ما بلغ من وجدك على اخيك فقال
اصبت باحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة فلما قتل استهلت فما
ترقأ ومن جيد مراثي متمم له قوله وهي في الحماسة في باب المراثي

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الأسى يبعث الأسى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

وقال ايضا

جميل المحيا ضاحك عند ضيفه ... اغر جميع الرأي مشترك الرحل
وقور اذا القوم الكرام تقاولوا ... فحلت حباهم واستطير ذوو الجهل
وكنت ارى نفسي اشد حلاوة ... من الماء بالماذي من عسل النحل
وكل فتى في الناس بعد ابن امه ... كساقطة احدى يديه من الخبل

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها ... ولا ظل إلا أن تعد من النخل

وقال أيضا

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزعا والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى علي مكانه ... لفي أسوة إن كان باغية الأسى

كهول ومرد من بني عم مالك ... وأيفاع صدق قد تمليتهم رضى

سقوا بالعقار الروم حتى تتابعوا ... كرام ثمود إذ رغى سقبهم ضحى

إذا القوم قالوا من فتى لملمة ... فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومن جيد مراثيه قصيدته العينية التي قيل إنه لم يوجد للعرب عينية مثلها وكان الأصمعي يسميها أم المراثي ومنها

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برما تهدي النساء لعرسه ... إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيب أعان اللب منه سماحة ... خصيب إذا ما راكب الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

إذا ابتدر القوم القداح وأوقدت ... لهم نار أيسار كفى من تضجعا

بمثنى الأيادي ثم لم تلف مالكا ... على الفرث يحمي اللحم أن يتمزعا

تقول ابنة العمري ما لك بعدما ... أراك حديثا ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الأسى إذ سألتني ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن ... خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة ... ورزءا بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح إن كنت يوما بغبطة ... ولا جزع إن ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما ... إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعيني إن لا تسعداني ملامة ... وإن تبكيا في ريح العواد فسرعا

بفقد أخي قد شعرت فلم أجد ... بكفي عنه للمنية مدفعا

ولو أن ما ألقى أصاب متالعا ... أو الركن من سلمى إذا لتضعضعا

وعيشي معا لا تبكيا رحل سالك ... إذا هزت الريح الكنيف المروعا

وأرملةٍ تزجو بأشعثَ مُحثلٍ ... كفرخ الحبارى ريشُه قد تمزّعا

وما كان وقّافاً إذا الخيل أحجمت ... ولا طالباً من خشية الموت مفزعا

ولا بكهامٍ سيفُه عن عدوّه ... إذا هو لاقى حاسراً أو مقنّعا

متى تلقَه في الشَّرب لا تلقَ فاحشا ... على الكاس ذا قاذورةٍ متزبّعا

أبى الصبرَ آياتٌ أراها وأنني ... أرى كلَّ حبلٍ بعد حبلك أقطعا

وإني متى ما أدعُ باسمك لم تُجب ... وكنتَ حريّا أن تجيب وتسمعا

أقول وقد همّا والسماء ربابه ... وغيثٌ يسحّ الماء حتى تريّعا

سقى الله أرضا حلّها قبر مالكٍ ... ذهابَ الغوادي المدجِنات فأمرعا

وآثر سيلَ الواديين بديمةٍ ... ترشّح وسميّا من النبت خروعا

تحيّته منّي وإن كان نائيا ... وأمسى ترابا فوقه الأرض بلقعا

فوالله ما أسقي البلاد لحبّها ... ولكنّما أسقي الحبيب المودّعا

فما وجد أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ ... رأين مجرّا من حوارٍ ومصرعا

يذكّرن ذا البثّ الحزين ببثّه ... إذا حنّت الأولى سجعن لها معا

وإن شارفٌ منهنّ فاقت فرجّعت ... حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا

بأوجعَ منّي يوم فارقتُ مالكا ... ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

لعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهطَ كسرى وتبّعا

وكنّا كندمانَي جذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

فإن تكن الأيام فرّقن بيننا ... فقد بان محمودا أخي حين ودّعا

قوله لعمري وما دهري إلخ قاله متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا والمنهال رجل من بني يربوع مرّ على شلو مالك حين قتله خالد فأخذ ثوبا وكفّنه فيه ودفنه قوله غير مبكاء العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره لا ينتظر أن الليل فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لمتمم أكثرت في شيء مما قلته في أخيك فقال في قوله غير مبكاء وكان أبو بكر ويقال في غير هذا الخبر إن من سمات الزبير أن يكون متكميا النكير ضخم الرأس فيه كمرشز الأول زوج ذو الروعة والهيبة والبرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر والقشع بيت من جلد وكان من أدم بعضه

نلام

زمن الافتتاح
ن

الصبيان والافرع التام شعر الرأس وكان ابو بكر افرع وكان عمر اصلع
فقيل لعمر يوما ان الفرعان خير من الصلعان ويرفع في نفسه انه سئل عنه وعن
ابي بكر فقال ان تلك الفرعان والاسفع الأسود يقال سفعت النار وجهه اذا غيرته
الى السواد وقوله فغير ان تسمعيني تمثيل للعرب ومن مصادر استعملت
منصوبة بفعل مضمر والمعنى اقسم عليك بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى
كما يقال انشدك الله وفي القاموس هو استعطاف به قسم بدليل انه لا جواب
له وقوله تبيعها مضارع اصله تبوعها بكسر حرف المضارعة وقلب الواو
ياء وقوله باشعث تمثل بالحاء المهملة والثاء المثلثة اسم مفعول
معناه سيء الحال سيء الغذاء وقوله ذا قاذورة متزبعا بالزاي المعجمة
معناه مغبر والسنا الضوء والرباب سحاب دون السحاب كانه متعلق به
وتربع كثر حتى جاوز مذهب والرهاب الامطار اللينة والمرجحنات من
السحاب الثقيلة والنجوع كل عود ضعيف والاكثار جمع كثر ومن الشوق
تعطف على الحوار بثا لبعد وزواهم واحد معاذرهم ومن التي تشمه ومن
ضرب المثل ببكاء متمم ابو الغنا بن نبرا المعلم الشاعر حيث قال من جملة
ابيات يرثي مالكا

سقاك اله الغيث قلبي بحبك متيما ** فلو مالك بيدي دعيت متيما

والقاضي السعيد بن سناء الملك حيث قال ومنه اخذ الناظم

بكيت بكيلتنا فقلتني كانني ** أتمم ما فرقات عيني متمم

اشار بقوله ما فرقات عيني متمم الى عموله والله اعلم

ذكر خمير البكر من زاد الربا ** وخمرة الثغور اصطبح واغتبق

اللغة قوله ذكر خمير البكر الخمر بالضم الجموع والخمخمة الجماعة وقد
خمر خمصا بنو خمير اذا اجتاع بعضهم قريبا من قريب قوله اصطبح واغتبق
الاصطباح والاغتباق شرب الصبوح والغبوق وهما بوزن صبور فالصبوح
ما يحلب ويشرب من اللبن صباحا والغبوق ما يحلب ويشرب بالعشي وقد
يستعملان في غير اللبن من الاشربة واصل اصطبح اصتبح فابدلت تاء الافتعال
طاء لتعسر بعد حرف الاطباق وليتناسب المتجاورات ويسمى النكت بالجمع بين البيان

في قوله زاد الرفاق وخمرة التقوى إما تشبيه بليغ على أن المراد بالزاد نفس الرفاق وبالخمرة نفس التقوى أو استعارة مصرحة على أن المراد بزاد الرفاق الاقتداء منه وبخمرة التقوى حلاوتها لما يقارنها من حلاوة الطاعة ومرارة المعصية وذكر خمير الفكر والإصباح والاغتباق ترشيح وكلام الناظم مقتبس من قول الله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ومن قول الأعشى

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... بترصد للموت الذي كان أرصدا

ومعنى الكلام لما ذكر الناظم رحمه الله الخوف والرجاء ذكر نتيجتهما وهي التقوى فإن الخوف المعتبر شرعا هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا كخوف النساء فإنهن يسمعن الموعظة فيعصرن لها أعينهن ثم ينفس ولم يعلق بقلبهن منه آثار ما شيء والرجاء المعتبر شرعا تقدم أنه الذي قارنه عمل وإلا فهو أمنية وغرور فالخوف الحقيقي والرجاء الصادق لا بد أن ينتجا التقوى فلذا قال الناظم عقبهما وكر خمير الفكر البيت أي إن الناظم ذكر أمرين أحدهما مجانبة الربا المراد به كل حرام وخصه بالذكر لأنه كان الأهم لما عده الله من المحرمات لما ورد فيه من التغليظ وناهيك بقوله تعالى فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثانيهما ملازمة التقوى مع أن معنى الثاني شامل للأول كما قال الشيخ ابن عاشر

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال ... في ظاهر وباطن بذا تنال
فجاءت الأقسام حقا أربعة ... وهي للسالك سبل المنفعة

وكأنه أشار بصدر البيت إلى مقام التوبة وشروطها وبعجزه إلى مقام المجاهدة وما يتفرع عليهما وقدم الأول لأنه تخلية وهي مقدمة على التحلية وقد اختلفت عبارتهم في حد التقوى فمن بعض أبي يزيد رضي الله عنه التقوى هي التورع عن كل ما فيه شبهة وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى حتى يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق وطيف

به في الشروع ليتميز من يشكر الله والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب الأولى
التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى
الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الثالثة
أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق تعالى ويتبتل إليه بكليته وهو التقوى الحقيقي
المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة
ميدان رحب تتفاوت فيه طبقات أهلها بحسب تفاوت درجات استعداداتهم
الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية أقصاها ما انتهت إليه همم
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بين رياستي النبوة والولاية
وما منعهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى عالم الأرواح ولم تصدهم
الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شهود الحق لكمال استعداد نفوسهم
الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وفي تقسيم ابن جزي درجات التقوى خمس أن يتقي
العبد الكفر وذلك مقام الإسلام وأن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام
التوبة وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد
وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة هـ وقال الإمام ابن
زكرياء الجزولي في شرح الرسالة الدين شكران امتثال الأوامر واجتناب النواهي
وهو أشد على النفس من امتثال الأوامر لأن امتثال الأوامر يفعله كل أحد واجتناب
النواهي وهو أشد على النفس من امتثال الأوامر لأن امتثال الأوامر يفعله
كل أحد واجتناب النواهي لا يفعله إلا الصديقون وهذا كله لا يتوصل إليه
إلا بالعلم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فلذا عقب الناظم رحمه الله تعالى ما ذكره بقوله

(وحصل العلم وزنه بالتقى * وشاهد الأوقات بيد استغرق
وليك قلبك له أمرء مسن * خلاف ما شاكه ومن لم يغتشي)

اللغة قوله وحصل العلم تحصيل الشيء تبيينه وضبطه من حصل حصولا
إذا ثبت وقال ابن فارس أصل التحصيل استخراج الذهب من حجر المعدن والمحصلة
المرأة التي تحصل تراب المعدن قال الشاعر

ألا

أبه رجل جزاه الله خيرا … يدل على محصلة تبيت

أي تبيت تفعل كذا وتفصيل الكلام رده ابن غازي في محصوله أي خلاصته والعلم في كلام
النحاة هو بمعنى المعلوم أي المراد كليات الفنون ببراهينها فالجزئيات ليست
من العلم في شيء لأن الحيوانات العجم تشاركه في إدراكها ولا توصف بالعلم
وكذا الكليات بلا براهين ليست علما لتزلزلها وعدم ثباتها بل هي بالشك
أشبه منها بالعلم ولذا لم يجعل المتكلمون الاعتقاد الصحيح علما فافهم
قوله وزينه بالتفعيل الذي هو تغيير الشيء وقد زانه وزينه بمعنى حسنه قال المجنون

فيا رب إذ صيرت ليلى هي المنى … فزني لعينيها كما زنتها ليا

والتقى بالضم مقصورا جمع تقاة بمعنى التقوى قال في المصباح بعد تقرير
رهبة ورهب قوله وسائر الأوقات أي جميع الأوقات قال الجوهري وسائر
الناس جميعهم قلت ومنه قول الشيخ خليل في مختصره المبعوث لسائر
الأمم قال بعض شراحه أي بجميعها لأن سائر من سار إذا عم وإن كان الأصل معناه
البقية للأكثر في المصباح اتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلا كان أو
كثيرا قال الصغاني سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر
في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام وهو من الشذوذ بمعنى البقية
ولا يجوز أن يكون مشتقا من سور البلد لاختلاف المادتين قوله استغرق والاستغراق
الاستيعاب ورأيت في الريحانة لمحمود الخفاجي عند قول أبي الفتح ابن عبد السلام
المغربي الفاكهي

مستغلا بالعلم مستغرقا … أوقاته بيضه وفي سوده

ما نصه في قوله مستغرقا مجاز من قبلها أن الاستغراق أصل معناه طلب الغرق
ثم استعمله الناس في أخذ الشيء وتحصيله ومنه قول العامة استغرق في
الضحك إذا بالغ فيه وهو غلط وصوابه في الضحك استغرب بالباء أي في آخر كلامه
وهو غير مسلم فقبل الفقهاء ومثله استغرق واستوعب وفي الضحك استغرب قوله
أفرغ من جلابيب سابغات هو مثل بالغ الكلام عليه وفراغ القلب والبال عبارة
عن عدم تعلقه بشيء سوى المقصود وسابغات موضع بالعراقين لكسرى وهو معرب
بالأسرة أباذ آفا بلاد فهو اسم فارسي علم لبعض ملوكهم وآفا ذاباد فهو اسم

في رسمي أيضا ويقال له معمور فمعنى بالاسر وأباذ المكان الذي عمر له بالاسر والاقامة
مقلوب عنه في لسان الفرس وكذا فيروزة أباذ المنسوب إليها صاحب القاموس
معناه المكان الذي عمر له فيروز والذال معجمة قوله ومن لج يعشو اختلفت
عبارتهم في العشق ما هو والأقرب أنه كما في القاموس مرض وسواسي يجلبه
إلى نفسه بتسليطه فكره على استحسان بعض الصور وإليه يشير قول المتنبي

وما العشق إلا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

الإعراب والتصريف قوله وحصل العلم أمر ومفعوله وفيه وزنه
بالتقفي كذلك والجملة معطوفة على التي قبلها والعلم زن محذوف العين بوزنه
عل وهو يقال زن من الوزن فلانه محذوف الفاء ووزنه عل والياء التقفي منقلبة
عن ياء كما ارتد مدها منقلبة عن واو ولأنها من الوقاية قوله وشاطر الأوقات
الواو داخلة على اشتغل وهو أمر وشاطر مفعوله فرع عليه والأوقات مضاف
إليه ما قبله وفيه متعلق باشتغل وعلى تقدير مضاف أي في تحصيله وجمعه
والضمير يعود على العلم ويحتمل أن يعود الضمير على التحصيل المفهوم من حصل
وأن تقدير برح قوله وليك قلبك في اللام للأمر وتك مجزوم بها وحذفت النون
تبعا وتخفيفا وقلبك اسم يك وأفرغ اسم تفضيل خبرها وله يتعلق به وشاباهم
مضاف إليه ما قبله وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والتركيب قوله
ومن لج يعشو من موصولة معطوفة على جلاح شاباهم وهو على تقدير مضاف
وإرادة التفسير والتقدير وليك قلبك لتحصيل العلم أفرغ من جلاح شاباهم وأفرغ
من قلب من لج يعشو وإنما ضرب الناظم المثل بقلب من لج يعشو لأن العرب
كانت تعتقد أن كل شيء يشغل القلب سوى العشق فهو كلا شيء فالإنسان ما دام
لم يعشق فهو فارغ القلب ناعم البال يتأتى له كل ما حاوله وتيسر عليه كل شيء
أراده فإذا عشق شغل باله وتشتت فكره ولم يأت منه شيء وإنما قالوا هذا
لعظم أمر العشق في نفوسهم ولأنهم جربوا منه ما لم يجربه غيرهم من الأمم ومن
كلامهم ويل للشجي من الخلي قال المبرد ياء الخلي مشددة وياء الشجي مخففة
قال وقد يشدد في الشعر وأنشد

نام الخليون عن ليل الشجيينا * شأن السلاة سوى شأن المحبينا

وفي تذكرة الشيخ داود الانطاكي العشق غايته الاعراض عما سوى المعشوق
قيل وعلته اذا ادركه ه ومن كلام الحريري في المقامة البصرية فبغيت احيي من قضى
واذم من مضى قال الشريشي عقبه اي اشغل قلبا من عاشق قال ووسواس العشق
ابعث بعض العشاق الى الجنون وكل قلب لم يشغله العشق فهو فارغ وكل قلب
اصابه العشق فهو مشغول على تحقيقه والله اعلم ومعنى الكلام
ان تكلم الناظم رحمه الله على الخوف والرجاء وما ينشأ عنهما من العمل
والتقوى وكان ذلك متوقفا على العلم كما مر اشار الناظم الى الحض عليه والاعتناء
به بقوله وحصل العلم الخ واعلم ان الناظم رحمه الله امر بتحصيل العلم وامر
معه بثلاثة امور واحد منها شركه في اعتباره والاعتداد به واثنان شركه في
تحصيله وادراكه اما الذي شركه في اعتباره فهو العمل المشار اليه بقوله وزنه
بالتقى ومعناه انه لابد منه وان كان العلم حجة على صاحبه نسأل الله السلامة
والتوفيق قال الامام الغزالي رضي الله عنه في كتابه طالب العلم تقديم
طهارة النفس من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة
الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح
عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق
وانجاس الاوصاف ه قلت والتقوى التي امر بها الناظم شاملة لما للغزالي
ذكره بل هي المقصود الاعظم منها واما اللذان شركه في تحصيله فهما فراغ
البال واستغراق الزمان وذلك انه لابد منهما في تحصيل العلم قال الغزالي رضي
الله عنه في كتابه طالب العلم ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا
ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل
العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه
اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه
فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع ه قالوا والسر في ان ما يلقى الى الصبيان من شأن العلم يكون ارسخ واثبت

مما يلقى إلى الكبار من قلب الصبي فارغ وقلب الكبير مشحون بهموم الدنيا
وأغراضها وأركانها وفهم الكبير أسرع من فهم الصغير لكمال عقل الكبير ونقصان عقل
الصغير فالكبير سريع الفهم كثير النسيان والصغير بالعكس ومن عرفت اليسر
في ذلك ولأجل فراغ قلوب السلف الصالح رضي الله عنهم من أشغال الدنيا
وهم الرزق وخوف الخلق وجمع هممهم على الآخرة لم يحتاجوا إلى تدوين العلم اتكالا
على حفظهم لرسوخ ما يلقى إليهم في قلوبهم وقد قال الشافعي رضي الله عنه
لو كلفت شراء بصلة ما حفظت حرفا واحدا والله تعالى أعلم *

* ذكر حجام ساباط وما قيل فيه *

قال الثعالبي في ثمار القلوب حجام ساباط يضرب به المثل في الفراغ فيقال
أفرغ من حجام ساباط كما يضرب المثل في الشغل بذات النحيين فيقال أشغل من
ذات النحيين ومن خبره أنه كان حجاما ملازما لساباط المدائن فإذا مر به جند
قد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد إلى وقت قفولهم وكان مع ذلك
يمر عليه الأسبوع والأسبوعان ولا يدنو منه أحد فعندما يخرج أمه فيحجمها
ليري الناس أنه غير فارغ فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم أمه فماتت فجأة
فصار فراغ ذلك الحجام مثلا قال وسمعت الخوارزمي يقول إن هذا الحجام
حجم مرة كسرى أبرويز في سفره فأغناه عن الحجامة فلم يزل فارغا مكتفيا
يضرب بفراغه المثل كما قال ابن بسام

دار أبي العباس قفر وشه ... ما شئت من بؤس وأقحاط
لا يكما بعدله من خبزه ... كبعد بلخ من سميساط
مكتبته قفر وكم باخره ... أفرغ من حجام ساباط

ويشبه ما قاله الخوارزمي ما قاله الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه
الكبير من أن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة حج فطلب حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر
له بألف درهم فتحير ودهش وقال بهذه الألف أمضي إلى أمي فلانة فأشتريها
فقال أعطوه ألفا أخرى فقال امرأته طالق إن حلقت رأس أحد بعدك فقال أعطوه
ألفين أخريين وقريبا يفتخر في هذا الباب ما حكاه ابن خلكان عن وكيع قال قال
لي أبو حنيفة النعمان أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام

وذلك أني أردت أن أحلق رأسي فقال لي أعرابي أمتحلل أنت قلت نعم وكنت
من قلت له بكم تحلق رأسي فقال النسك لا يشارط فيه اجلس فجلست منحرفا عن
القبلة فأومأ إلي باستقبال القبلة وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر
فقال أدر شقك الأيمن من رأسك فأدرته وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت فقال لي
كبر فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال أين تريد قلت رحلي فقال صل ركعتين
ثم امض فقلت ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم فقلت له
من أين لك ما رأيتك أمرتني به فقال رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا وحكى
ابن خلكان أيضا عن داود الأصبهاني الظاهري الإمام المشهور قال حضر مجلسي
يوما أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة وعليه خرقتان فتصدر بنفسه
من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي سل يا فتى عما بدا لك فكأني
غضضت منه فقلت له مستهزئا أسألك عن الحجامة فبرك أبو يعقوب ثم روى
طريق أفطر الحاجم والمحجوم ومن أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من
الفقهاء وروى اختلاف طرق احتجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطائه
الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه ثم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجم بقرن وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ثم ذكر الأحاديث المتوسطة
مثل ما مررت بملإ من الملائكة ومثل شفاء أمتي في ثلاث وما أشبه ذلك وذكر
الأحاديث الضعيفة مثل قوله عليه السلام لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا
ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها ثم ختم
كلامه بأن قال وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان يعرض بالإمام داود لأنه أصبهاني
قال فقلت له والله لا حقرت بعدك أحدا أبدا اهـ

* *

ولا تكن من قوم موسى واغتبن * لكبر والتمثال الجلي

الإعراب والتصريف قوله ولا تكن نهي واسم كان ضمير مستتر فيها وجوبا
ومن قوم موسى خبرها والمراد به نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وبعضهم يقول موسى
ابن عمران بن يصهر بن قاهث والصواب أن يصهر أخو عمران وهو والد قارون
صاحب الكنوز وأما الكلام موسى فاختلف فيه فقال أبو عمرو بن العلاء هو

زعم أن الاقتدان

مفعل لا فعلى يدل على ذلك أنه ينصرف في النكرة، وفعلى لا ينصرف على كل حال
ولأن مفعلا أكثر من فعلى لأنه يبنى من كل أفعلت، وقال الكسائي هو فعلى، فعلى
أنه مفعل فاشتقاقه من أوسيت الشجرة إذا أخذت ما عليها من الورق وكأنه
سمي بذلك لصلعه، وعلى أنه فعلى فاشتقاقه من ماس يميس إذا تبختر في مشيته
وكان موسى عليه السلام كذلك، وقيل وهو الصواب أن الكلمة موسى كلمة
مركبة من كلمتين بالقبطية، فمو هو الماء بلسان القبط، وسى هو الشجر، وإنما سمي
بذلك لأن أمه جعلته في التابوت وألقته في اليم كما ذكره الله تعالى في كتابه
فدفعته أمواج اليم إلى الشاطئ ونشب بين أشجار هنالك فعثرت عليه ابنة
فرعون أو زوجته فأخذته فسمي باسم المكان الذي وجد فيه وهو الماء والشجر
قال الإمام فخر الدين رحمه الله واعلم أن الوجهين الأولين فاسدان جدا
أما الأول فلأن بني إسرائيل والقبط ما كانوا يتكلمون بلغة العرب فلا يجوز أن يكون
مراده منه ذلك، وأما الثاني فلأن مثل هذه اللفظة اسم علم والعلم لا يفيد معنى
في الذات، والأقرب هو الوجه الثالث وهو المعتمد عند المفسرين **قلت**
بل هو المتعين ونص كلام التوراة الموجودة اليوم بأيدي اليهود فلما عثرت ابنة
فرعون ابنها لما ردته إليها أسمته موسى قائلة إني من الماء انتشلته انتهى
قوله واصطبر أي والطاء فيه بدل من تاء الافتعال وهو تفريع على تكرير في قوله
اصبر واصطبر وكرره ليتعلق به وأكد تكراره في العمل وطلب الكسب قوله
وللطلاب طلبوا الطلاب كسحاب والطلاب بضم الطاء من المشاقة قلت الشيء بالكسر
ومنه سمته ومن مفعول طلبوا فرع عليه واللام فيه مقوية للعامل على حد
قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون والتطليب مجاز عن الترداد الذي لازم الطلب معه
فهو استعارة تصريحية والله أعلم **ومعنى الكلام** ظاهر وفيه زيادة
ترغيب وتحضيض على اقتناء العلم وتحصيله واستعمال ما يبلغ الطالب في
تعاطيه واكتسابه وقد قال الخليل رحمه الله العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك ثم إنك في إعطائه إياك بعضه على خطر وقد يدل لهذا ما
ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه أخذ
ذلك منه صلى الله عليه وسلم أهل الاعتناء بالعلم وقيل لا يتأدب الرجل حتى

يجتنب الفراش اللين والدثار الدفئ وقال الحكيم أرسطو كما يسر طالب العلم
لا يكمل ذهنه .. ولا يكثر في جمعه نفسه .. قال الشاعر

فلا تك مسايل تحضر لعاربها * بالكبر تزداد منه كل ما اشتهرا
لا يدرك العلم بطال ولا كسل * ولا ملول ولا من يألف البشرا

وفي كتاب المقدمات للإمام أبي الوليد ابن رشد رحمه الله قال بعض الحكماء العلم يفتقر إلى خمسة أشياء متى نقص منها شيء نقص من علمه بقدر ذلك وهي ذهن ثاقب وشهوة باعثة وعمر طويل وجدة واستاذ وله خمس مراتب أولها أن تنصت وتسمع ثم أن تسأل فتفهم ما تسمع ثم أن تحفظ ما تفهم ثم أن تعمل بما تعلم ثم أن تعلم ما تعلمه وجعل الشافعي رضي الله عنه فيما نسب إليه الخمسة الأولى ستة بزيادة الاجتهاد فقال

أخي لن تنال العلم إلا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة أستاذ وطول زمان

وكلام الناس في هذا المعنى كثير والقول الفصل فيه أن تعلم أن الله جعل هذه الدار دار عمل وحكمة فكل من أراد أن يحصل فيها علما من تلذذ في بنية أو دنيوية بغير عمل ووراء أن يفرط المجرى لما هو فيها فهو مخطئ لكثير الصواب جاهل بحكمة الله تعالى وإنما العلوم وسائر المراتب والحظوظ أرزاق كالأقوات وسائر ما ينتفع به البشر فكما أن من أغلق عليه بابه وطمع أن يعيش مترفها في دنياه واتكل على أن يأتيه الرزق عفوا من غير طلب ولا تعب مخطئ ومحروم ويقال له أخطأت كثير الصواب والحكمة فكذلك من أراد أن ينال العلم أو يحصل على درجات الصالحين وثواب الأبرار والصبر بغير بذل وعمل وقد قيل من سره أن يكون أخو جاهلا عن سواء السبيل والله الموفق للصواب بمنه ولله در أبي الطيب حيث قال

ذريني أنل ما لا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل

من أمّ الأمل والعالية وطلب بغير دناءة والتأدب حكم له ولا ينبغي للعاقل أن يعول عليه واعلم أن ما ذكره الشيخ رحمه الله من الحض على طلب العلم ومقاساة الشدائد في تحصيله هو كذلك لا كلام في كل الأوقات حتى يحصل الملل

كالغائص في البحر لا يصل إلى الجوهر الكريمة .. إلا بالمجاهدة العظيمة .. وقيل لا يدرك العلم

المنع من طلب العلم والعجز القاطع عنه بقدر قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقيل روحوا الاذهان كما تروحون
الابدان فان العقل المكدود ليس لرويته لقاح. وان لراحته نجاح. وقيل
نفسك مطيتك ان رفقت بها اصطحبت. وان حملت عليها انقطعت. فلا بد
من الترويح عليها بقدر ما تستريح من السآمة. وتستقبل العمل بقوة وانبساط.
ولذلك ما جعل الناس للصبيان يومين في الاسبوع يستريحون فيهما فاعلم ذلك
والله الموفق. **ذكر قوم موسى وشرح المثل السائر فيهم**
فان في قول النظم بغية قوم موسى يضرب بهم المثل في الملال وقلة الصبر
على طعام واحد كما قال الراجز ٥

وقوم موسى في الزمان الغابر ... لم يصبروا على طعام واحد

وعن الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان ابو نواس يختلف اليهما وكانت
تكمد له انها لا تحب غيره فكان كلما دخل عليهما وجد عندها شابا يجالسها
ويحادثها فقال فيها ٥ ٥

ومظهرة لخلق الله ودا ... وتلقى بالتحية والسلام
اتيت فؤادها اشكو اليها ... فلم اخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل ... ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وكان العباس بن الاحنف يهوى جارية لبعض الرؤساء يقال لها فوز فمالت
الى بعض اولاد الجند وبلغ ذلك العباس فتركها ثم لم ترض من البديل بعد ذلك
فعادت الى العباس وكتبت اليه تعاتبه في اعراضه عنها فكتب اليها

كتبت تلوم وتستريث زيارتي ... وتقول لست لنا كعهد العاهد
فاجبتها ودموع عيني جمة ... تجري على الخدين غير جوامد
يا فوز لم اهجركم لملالة ... مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

وهذا اخذه من ابي نواس كما ترى والله اعلم ٥

(لو ختم علم الفقه بالدرس وكسى * كالليثي او كأشهب والعتقي)

الفقه في الأصل الفهم يقال فقه الرجل بالكسر يفقه فقها إذا فهم وفقه
بالضم إذا صار فقيها عالما وجعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا
بعلم الفروع وإنما خص علم الشريعة بالفقه لأنه علم مستنبط بالقوانين
والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والنحو وغيرهما كما في
إرشاد الساري وعرفوا الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب
من أدلتها التفصيلية **قال** الشيخ اليوسي والأولى أن يقال موضوعه هو الحكم
الشرعي إذ يقال هو العلم الباحث عن الحكم الشرعي التفصيلي من حيث تعلقه
بالمكلف وأن يقال موضوعه هو فعل المكلف إذ يقال هو العلم الباحث عن فعل
المكلف من حيث تعلق الأحكام الشرعية به وغايته معرفة ما أراد الله تعالى به
بعد تصحيح العقيدة وبه تحصل سعادة الدنيا والآخرة فليس بعد أصول الدين
أشرف منه وهو علم فيه أنه يبين نزل مقصوده في كلام الله تعالى ويبين رسوله صلى
الله عليه وسلم للناس ما نزل إليهم بسنته فحصل من مجموع ما ذكر في الكتاب
والسنة منه ما هو عينية وأصل لما يزيد مما يستنبطه العلماء الراسخون
والأئمة المجتهدون إلى آخر الزمن وفضيلة الفقه أشهر من أن ينبه عليها وكفى
في ذلك قول الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية
قال الإمام ابن رشد رحمه الله قد قيل إن هذه الآية على وجوب الخروج للتفقه
في كل زمان فقلنا متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر وفي زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة
بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث أما في زماننا فقد صارت الشريعة
مستقرة فيمكنه تحصيل العلم في الوطن فلم يكن السفر واجبا إلا أنه لما كان
لفظ الآية دليلا على السفر لا جرم رأينا أن العلم المبارك المنتفع به لا يحصل
إلا في السفر هـ **وفي** الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم
والله يعطي وعند الكبراني يفقهه في الدين ويلهمه رشده **وفيهما** أيضا عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون
الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا **وأخرج**

الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد ونظمه من قال

وان فقيها واحدا متورعا ... اشد على الشيطان من الف عابد

وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال
صلى الله عليه وسلم الانبياء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة ذكره
الراغب في محاضراته وانظر كتاب العلم من الاحياء ولابن رشد والله الموفق

التعريف بالليث واشهب والعتقي رحمهم الله

اما الليث فهو ابو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي امام اهل مصر
في الفقه والحديث كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن
مسافر الفهمي واهله من اصبهان وولد بقلقشندة وهي بفتح القاف وسكون
اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها
هاء تانيث قرية من الوجه البحري من القاهرة بينها وبينها ثلاثة فراسخ
وكان رحمه الله يقول قال لي بعض اهلي ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة
وتوفي سنة اربع وتسعين في شعبان وكان ثقة سريا سخيا قال الليث كتبت
من علم محمد بن شهاب الزهري علما كثيرا وطلبت ركوب البريد اليه الى الرصافة
فخفت ان لا يكون ذلك لله تعالى فتركته كذا عند ابن خلكان وهو مخالف لقاعدة
ان العمل مع خوف الرياء اولى من تركه وقال السيوطي في حسن المحاضرة وروى
الليث عن الزهري وعطاء ونافع وخلق وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وخلق اخر
قال ابن سعد كان الليث ثقة كثير الحديث صحيحه وكان قد استقل بالفتوى
في زمانه بمصر وكان سريا من الرجال نبيلا سخيا له ضيافات وقال ابن خلكان
كان من الكرماء الاجواد يقال ان دخله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار
وكان يفرقه في الصلات وغيرها وقال منصور بن عمار اتيت الليث فاعطاني
الف دينار وقال صن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى قال ورايت في بعض
المجاميع ان الليث كان حنفي المذهب وانه ولي القضاء بمصر وان الامام مالكا
اهدى اليه طبقا فيه تمر فاعاده عليه مملوءا ذهبا وكان يتخذ لاصحابه
الفالوذج ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من اكل كثيرا اكثر من صاحبه وكان

فرض في سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة وسمع من نافع مولى ابن
عمر رضي الله عنهما وقال يحيى بن بكير ما رأيت أحدا أكمل من الليث كان
فقيه النفس عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر
حسن المذاكرة. وقال الشافعي كان الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا
به وكان ابن وهب يقرأ ما يرد عليه من مسائل الليث فمرت به مسألة فقال رجل
من الغرباء أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو فقال
ابن وهب للرجل بل كأن مالكا كان يسمع الليث يجيب فيجيب هو والله الذي
لا إله إلا هو ما رأينا أحدا قط أفقه من الليث قال ابن كثير وقد حكى بعضهم
أنه ولي القضاء بمصر وهو غريب وقال الذهبي في العبر كان نائب مصر وقاضيها
تحت أوامر الليث وكان إذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيعزل وقد أراد
المنصور أن يوليه إمارة مصر فامتنع ومناقب الليث كثيرة وقد وضع الحافظ
ابن حجر العسقلاني في الثناء عليه جزءا لطيفا فلينظره من أراد ذلك توفي الليث
رحمه الله يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن
بالقرافة الصغرى من مصر وقبره أحد المزارات المشهورات. قال بعض أصحابه لما
دفنا الليث سمعنا صوتا يقول

ذهب الليث فلا ليث لكم ... ومضى العلم غريبا وقبر

فالتفتنا فلم نر أحدا رحمه الله تعالى ورضي عنه. وأما أشهب فهو أبو
عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم الجعدي الفقيه
المالكي المصري ذكره ابن يونس في تاريخه فقال أشهب القيسي ثم العامري من بني جعدة
يكنى أبا عمرو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها ولد سنة أربعين ومائة وقيل إن
اسمه مسكين وأشهب لقب غلب عليه والأول أصح قاله ابن خلكان وكان ثقة
فيما يرويه عن مالك رضي الله عنه وإنه تفقه على الإمام مالك ثم على
المدنيين والمصريين وكانت بينه وبين ابن القاسم منافسة ثم انتهت إليه الرياسة
بمصر بعد ابن القاسم وقال أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر كانت
لأشهب رياسة في البلد ومال جزيل وكان من أنظر أصحاب مالك رضي الله عنه
وقال الشافعي رضي الله عنه ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه

وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يفضل أشهب على ابن القاسم وقال ابن
عبد البر كان أشهب فقيها حسن الرأي والنظر ولم يدرك الشافعي بمصر
من أصحاب مالك أسن من أشهب وابن عبد الحكم قال ابن عبد الحكم سمعت أشهب
يدعو على الشافعي بالموت فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلا

تمنى رجال أن أموت فإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تزود لأخرى مثلها فكأن قد

قال فمات الشافعي فاشترى أشهب من تركته عبدا ثم مات أشهب فاشتريت
أنا ذلك العبد من تركة أشهب قال وكان أشهب ينتف عنفقته وتوفي يوم
السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر وقيل بثمانية
عشر يوما ودفن بالقرافة الصغرى من مصر بإزاء قبر ابن القاسم رحمهما الله
قال محمد بن عاصم المعافري رأيت في المنام كأن قائلا يقول يا محمد فأجبته فقال

ذهب الذين يقال عند فراقهم ... ليت البلاد بأهلها تتصدع

قال وكان أشهب مريضا فقلت ما أخوفني أن يموت أشهب فمات من مرضه ذلك رحمه
الله وأما العتقي فهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة
العتقي بالولاء الفقيه المالكي راوي المسائل عن الإمام مالك رضي الله عنه
ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وقيل غير ذلك وتفقه بالإمام مالك ونظرائه
ولازمه عشرين سنة وبرع على أصوله واشتغل بأصحاب مالك بعد موت
مالك وهو صاحب المدونة وعنه أخذها سحنون وهي أجل كتب الفقه لا يعدل
شيء بها مما فيه وكان ابن القاسم زاهدا صبورا مجانبا للسلطان روى عن
ابن عيينة وغيره من طبقة مالك وعنه أخذ أصبغ وسحنون وآخرون قال ابن
حبان كان ابن القاسم خيرا فاضلا وقال ابن خلكان جمع بين الزهد والعلم **قلت**
وابن القاسم وأشهب هما أكبر أصحاب مالك وأرجحهم في مذهبه على الإطلاق
حتى إن المالكية إذا تعارض عندهم قول المصريين وغيرهم كالمدنيين والعراقيين
من أصحاب مالك قدموا قول المصريين لأن ابن القاسم وأشهب منهم فلذا خصهما
الناظم بالذكر قالوا وكان علم أشهب الجراح وعلم ابن القاسم البيوع وعلم
ابن وهب المناسك وتوفي ابن القاسم رحمه الله ليلة الجمعة لسبع مضين

من صفر سنة احدى وتسعين ومائة ودفن خارج باب القرافة الصغرى من مصر
بالقرب من الشافعي وأما العتقي فهو بضم العين وفتح التاء الفوقانية
نسبة الى العتقاء جمع عتيق على غير قياس وليسوا من قبيلة واحدة بل هم
من قبائل شتى منهم من حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم
وغالبهم بمصر وابن القاسم المذكور مولى زبيد بن الحارث العتقي وكان زبيد من
حجر حمير وقال القضاعي كانت القبيلة التي نزلت الظاهر من مصر العتقاء
وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون الطريق على من اراد النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء ولما
فتح عمرو بن العاص مصر كان العتقاء معه مفردين في أهل الراية وهم
عزلة بكور فجمعهم عمرو بن العاص على راية واحدة منهم العتقاء فلما
اختط الناس بالفسطاط خطتهم جاء العتقاء فلم يجدوا موضعا يختطون
فيه عند أهل الراية فشكوا ذلك الى عمرو بن العاص فقال لهم معاوية بن
حديج السكوني وكان يتولى أمر الخطط أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل
فتتخذوا منزلا وتسمونه الظاهر ففعلوا فقيل لهم أهل الظاهر هـ نقله
ابن خلكان وقال ابن حزم جميع قبائل العرب ترجع الى أب واحد سوى ثلاث
قبائل وهم العتقاء وتنوخ وغسان فأما العتقاء فقد علمت أمرهم وأما
تنوخ فقد تقدم الكلام عليهم في أخبار جذيمة الأبرش وأما غسان فقد تقدم
الكلام عليهم أيضا في قصة سبأ وعرم السيل فراجع ذلك والله الموفق

(وفي الحديث النبوي وان لم تكن له مثل البخاري وكذا البيهقي)

علم الحديث هو العلم الباحث عن قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله
وتقريره وصفته من حيث السند والمتن وما ينضم الى ذلك والغرض منه بيان
المقبول من ذلك والمردود ليصح الاقتداء ويثبت الاعتصام بالسنة وذلك
هو السعادة في الدارين قاله الشيخ اليوسي في قانونه وجعل ابن ساعد
في ارشاد القاصد علم الحديث قسمين علم رواية وعلم دراية وعرف علم
الرواية بأنه علم بنقل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله بالسماع
المتصل وضبطها وتحريرها وعرف علم الدراية بأنه علم يتعرف منه

أنواع الروايات وأحكامها وشروط الرواة وأصناف المرويات واستخراج
معانيها وفضل علم الحديث أشهر من أن يذكر وأشهر من أن ينكر وكفى لأهله فخرا
وشرفا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وهو مستجاب فمنها عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر
الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها فرب حامل فقه إلى
من هو أفقه منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك
قال الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس وقال سفيان الثوري رحمه الله
لا أعلم علما أفضل من علم الحديث لمن أراد به وجه الله تعالى إن الناس
يحتاجون إليه حتى في طعامهم وشرابهم فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام
لأنه فرض كفاية ولله در القائل

دين النبي محمد أخبار　　نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله　　فالرأي ليل والحديث نهار

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي رحمه الله

ألا إن الحديث أجل علم　　وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي　　وأحسنه الفوائد والأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئا　　تحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه　　وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى　　من التصحيف بالداء العضال

التعريف بالبخاري والنسفي رحمهما الله

أما البخاري فهو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن
إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة
مكسورة ثم زاي ساكنة ثم موحدة مفتوحة بعدها هاء على المشهور في ضبطه وبه
جزم ابن ماكولا ومعناه بالفارسية الزراع الجعفي بالولاء وكان بردزبه
مجوسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى
فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان

والأولى له ولذا قيل للبخاري الجعفي وكان والد البخاري وهو ابو الحسن اسماعيل
ابن ابراهيم من العلماء الورعين وولد البخاري بعد صلاة الجمعة لثلاث
عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة ببخارى وهي من اعظم
مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند ثمانية ايام وتوفي ابوه اسماعيل وهو
صغير فنشأ يتيما في حجر والدته والهم الحديث وهو ابن عشر سنين او اقل
في المكتب وكتب الناس عنه وهو امرد لا شعر بوجهه وكان نحيفا ليس
بالطويل ولا بالقصير ورحل في طلب الحديث الى اكثر محدثي الامصار وكتب بخراسان
والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد وهي يومئذ قبة الاسلام
ودار الخلافة وسمع العلوم والفنون وجمع البدائع والبضائع فاجتمع عليه
اهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علمي الرواية والدراية وحكى
ابو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس والخطيب في تاريخ بغداد ان البخاري لما
قدم بغداد سمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا
متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا
المتن لمتن آخر ودفعوا الى كل رجل عشرة احاديث وامروهم اذا حضروا المجلس
ان يلقوا ذلك على البخاري واخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من اصحاب
الحديث من البغداديين والغرباء من اهل خراسان وغيرهم فلما اطمأن المجلس باهله
انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري
لا اعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول
لا اعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون الرجل
فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز وقلة الفهم ثم انتدب رجل
آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري
لا اعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول
لا اعرفه ثم انتدب الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من
الاحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيد على قوله لا اعرفه فلما علم البخاري
انهم فرغوا التفت الى الاول منهم فقال اما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثاني
فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى اتى على تمام العشرة فرد كل متن

الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين كذلك ورد متون الاحاديث
كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها فاقر له الناس بالحفظ واذعنوا
له بالفضل وكان رحمه الله يقول احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف
حديث غير صحيح وتقدم عنه محمد بن يوسف الفربري انه قال ما وضعت في كتابي
الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وعنه انه قال
صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة الف حديث وجعلته
حجة فيما بيني وبين الله وقال الفربري سمع صحيح البخاري منه تسعون الف
رجل فما بقي احد يرويه عنه غيري وممن روى عنه ابو عيسى الترمذي صاحب الشمائل
والجامع ومن تآليف البخاري الجامع الصحيح المذكور قيل انه ليس بعد القرءان
اصح منه والتاريخ الكبير صنفه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم والادب
المفرد وغير ذلك ومن شعره

اغتنم في الفراغ فضل ركوع — فعسى ان يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم — ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

واشتهر رحمه الله في آخر عمره في مسألة اللفظ بالقرءان وتحومل عليه فيها ثم
توفي عقب ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن
اثنين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما بخرتنك بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء
وفتح التاء المثناة من فوق وسكون النون وكاف قرية من قرى سمرقند بينهما وبينها
فرسخان وكان اوصى ان يكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ففعل به
ذلك ولما صلي عليه ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة كالمسك
ودامت اياما وجعل الناس يختلفون الى قبره مدة يأخذون منه وقبره مزار
يستشفى به رحمه الله ورضي عنه **واما البيهقي** فهو الامام ابو بكر احمد
ابن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي
الحافظ الكبير المشهور ولد في شعبان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وكان واحد
زمانه وفرد اقرانه في الفنون من كبار اصحاب الحاكم ابي عبد الله بن البيع في الحديث
وزاد عليه في انواع العلوم اخذ الفقه عن ابي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي وغلب
عليه الحديث واشتهر به ورحل في طلبه الى العراق والجبال والحجاز وسمع بخراسان

م

من علماء عصره، وكذلك بقية البلاد التي انتهى إليها، وشرع في التصنيف فصنف
فيه كثيرا حتى قيل إنه تبلغ تصانيفه ألف جزء، وهو أول من جمع نصوص الإمام
الشافعي رضي الله عنه في عشر مجلدات، ومن مشهور مصنفاته السنن الكبرى
والسنن الصغرى ودلائل النبوة والسنن والآثار وشعب الإيمان ومناقب
الشافعي والمدخل ومناقب أحمد بن حنبل وغير ذلك. قال ابن الصلاح: ما نعلم كتابا
في السنن أجمع للأدلة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي، وكأنه لم يترك في سائر
أقطار الأرض حديثا إلا وقد وضعه في كتابه. ولما تكلم الشيخ أبو محمد عبد
الوهاب الشعراني رحمه الله في الميزان على الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه
قال: وهذا النوع من الضعيف يوجد كثيرا في كتاب السنن الكبرى للبيهقي التي
ألفها بقصد الاحتجاج بها لأقوال الأئمة وأقوال أصحابهم، فإنه إذا لم يجد حديثا
صحيحا أو حسنا يستدل به لقول ذلك الإمام أو قول أحد من مقلديه يجيء بوروده
الحديث الضعيف من كذا كذا طريقا ويكتفي بذلك وغيره، وهذه الطرق يقوي
بعضها بعضا. قال الشعراني رحمه الله: وهو من أعظم الأمور التي استفدت
منها في جمع بين الأحاديث في هذا الميزان اهـ. وكان أبو بكر البيهقي رحمه الله
قانعا من الدنيا بالقليل، وقال إمام الحرمين: ما من شافعي المذهب إلا
وللشافعي عليه منة، إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منة. وكان من أكثر
الناس نصرا لمذهب الشافعي، وطلب إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل
إليها، وكان على سيرة السلف، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان، منهم
زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشيري وغيرهم. وتوفي عاشر جمادى
الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور، ونقل إلى بيهق المنسوب إليها
وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها، وخسروجرد من
جملة قراها، وهي بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وكسر الجيم
وسكون الراء بعدها دال مهملة، والله أعلم.

(فما تعلم في الدنيا وفي الأخرى ولد * فقل يشينه خير به شرا وفي)

فقوله يشينه خير به الخ بالكسر الطائفة من الناس واعني إليهم لعلمه
فالضمير عليه يعود، وجملة قوله شرا وفي من المبتدإ وإذا تم الكلام فيقدر

خبر العلم بانه مفرق في شرفا والفرق خبرها وفيه ان حذف ازوا شيتها وابقاء خبرها
ممنوع بل نص سيبويه في باب ان شيئا في محل ان المحذوف الجزولي لا يجوز حذفه
واستثنوا من ذلك صورا ليس هذا منها ويحتمل ان تكون الجملة حالا من خبر
وفيه ان الجملة الحالية اذا وقعت حالا لا بد معها من قد ويجاب بانها
هنا مقدرة كما قدر ابن هشام مثلها في قوله تعالى او جاءوكم حصرت صدورهم وفيه
ان معنى الحالية هنا غير ظاهر ويحتمل ان تكون الجملة دعائية وفيه ان تفريع
المعترض جملة الدعاء غير معهود فالحاصل انه لم يظهر لنا وجه سالم
من التكلف يحمل عليه كلام الناظم والله اعلم وكون خبرا في فضيلة العلم
شرعا وعقلا اما شرعا فلما سبق بقول الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وقل رب زدني علما واما عقلا
فلانا اذا نظرنا الى الحيوانات التي بث الله في الارض والتي تعددت انواعها
واختلفت اصنافها واشكالها وجدنا الحكيم جل وعلا قد ساوى بينها في جل
القوى التي خلقها فيها والتي شرف بها او وعدها اياها ولم يميز الانسان
عنها الا بعقله وادراكه وهو العقل الذي يقدر لا محل له الا ادراك الكليات
ببراهينها وعللها وذلك هو معنى العلم ثم ادركه بفضيلة الفكر ليعمل
به على ما ادركه من تلك الكليات وما يندرج فيها من الجزئيات فكان الانسان
بهذا الاعتبار ما خلق الا ليعلم ولو كان المقصود منه شيئا اخر غير
العلم لكان غيره من الحيوانات يقوم بذلك المقصود بل ربما يكون غناؤه فيه
اكثر من غناء الانسان ربما يغني عن العلم من جهل الحكمة وعكس النعمة وكفرها
وعكس المقصود من هذا الوجود فنسأل الله الكريم ان يلهمنا رشدنا ويعلمنا
جهلنا وقد ذكر الناظم من اثر العلم انه يفلح في الدنيا والاخرة من كان له
اما في الدنيا فعز قال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا
وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك قال الغزالي رحمه الله فنبه بهذا
على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال سالم بن ابي الجعد
اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم واعتقني فقلت باي شيء احترف فاحترفت

بالعلم فما تمت في سنة حتى اتاه امير المومنين ابن ابي قلمون داعيا له وارقاه في الامر له
بعد قال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي بين النبوءة والشهادة مع ما ورد في
فضل الشهادة فالعلم في الاحياء والاحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة
شهيرة لا حاجة بنا الى تتبعها والله الموفق ثم شرع الناظم رحمه الله في شيء
من فضل الشعر وفوائده فقال

واعن بحفظ الشعر فالشعر كما * ل للفتى ازرى بمن لم يحسن
والشعر للمجد نجاد سيفه * وللعلى كالعقد فوق العنق

اللغة قوله واعن بحفظ الشعر الخ من عنيت بامرك مبنيا للفاعل اذا
اعتنيت به والاكثر عنيت به مبنيا للمفعول وعليه فالامر منه لتعن بحاجتي
باللام اي لتكن شاغلة لفكرك والشعر قد تقدم الكلام عليه مستوفى في صدر هذا
الكتاب قوله لم يحسن ويقال احسن واحسن اذا اتقنه اذا اجاده فهو محسنه وكذا
غيره انما يختبر حرفه وكيفية شغله انه يحسنه فهو محسن قوله والشعر للمجد نجاد سيفه
المجد الشرف ونجاد السيف بكسر النون حمائله قوله وللعلى كالعقد العلى
بالضم والقصر الشرف ايضا ويقال العلاء بفتح العين والمد كالعلى وصفا للمرتبة ثم كثر
حتى استعمل استعمال الاسماء والعقد بالكسر القلادة التي تجعل في العنق والله
اعلم الاعراب قوله واعن بحفظ الشعر امر ومتعلقه وقوله فالشعر
كمال للفتى جملة للامر والفاء حرف شرط ولم يذكر فعل الشرط وبه يتعلق ما فرع
عليه والجواب محذوف لدلالة ما تفرع عليه ان يحفظ كمال وحذف صلة الفعل
من بيه مع انه رفع في نظم كثير وهي لغة بني عقيل وبني كلاب وعليها قول
الشاعر يصف جملا

او يعتبر الكلم ينبو عن الهيت * ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

قوله والشعر للمجد نجاد سيفه الشعر مبتدا والمجد متعلق به وكذا ابن انا
من رفعته وتقديمها على نجاد على رتبته ونجاد سيفه مبتدا ثان وللمجد خبره واجب
التقديم للانتصار المبتدا بضمير كقوله تعالى على قلوب اقفالها وقول العرب
على التمرة مثلها زبدا وقول الشاعر

أما أبي فإجلاله وقائل قرنه ٥ عملي ولا يزال غمر حبيبها
والجملة الصغرى من المبتدإ الثاني وخبره خبر عن المبتدإ الأول فإن قلت
فأين الرابط بين الجملة والمبتدإ قلت يظهر أنه مقدر في نجاده أي لكم نجاده
وإن كان جامدا لأنه يحتمل ضمير الدلالة في تأويل المشتق لأنه في معنى متمم ومكمل
أي ومعنى قولنا الشعر نجاد سيف للحمد أنه مكمل له والله أعلم **معنى**
الكلام من تتمة كلام الناظم أن من أحسن ما في قول الشعر وامتثاله كمال
للفتى إذا كان في الحق منه نادبا أن تكسبا فإنهما أن الحمد والشرف للإنسان
بمنزلة السيف الذي يصول به على الأعداء والشعر بمنزلة علاقة ذلك السيف
أما الحكم الأول فحق كما قال الآن الشاعر إذا كان متكسبا بشعره فهو دال للشحذ
لا محالة فإنه يمدح ويقدح تبعا للعطاء **وقد قال** صلى الله عليه وسلم شر
الناس من أكرمه الناس اتقاء شر لسانه وقيل إن الشاعر شاعر إذا أنه يمدح
بشيء ويهجو بما قال **وقال** بعضهم ما أجرأ أكلا للشحذ ولا أوضع ولا أطمع
ولا أضيع فلا ولا أقل حياء من شاعر متكسب بشعره ولما حبس عمر رضي الله عنه
الحطيئة بسبب الزبرقان بن بدر الذي ذكره ثم أراد تسريحه قال أيها والشعر
فأخرج الحطيئة لسانه وقال والله ما أن وله كاسب غيره فقال عمر لأشترين
فقال أيها الأمير لم يقرع قرونه فلا تعطلوني فقال إياك ثم ضبب فيسر الكسب كسبه وقال
بعضهم

الكلب والشاعر في منزل ... فليتني لم أكن شاعرا
هل هو إلا باسط كفه ... يستطعم الوارد والصادرا

وقال غيره

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا ... ما الشعر إلا محنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة ... والعتب ضغن والمديح سؤال

وقد علمت أن هذا الذي من أعلى حالة محظورة فلا ينافي ما ثبت من فضيلته
إذا حصلت السلامة من آفاته وأما الأمر الثاني فمشار إليه بقوله والشعر
للحمد نجاد سيفه البيت وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

أرى الحمد سيفا والقريض نجاده ... ولولا نجاد السيف لم يتقلد
ونجم حمائل السيوف حمائله ... تحلت بأبكار الثناء فتحمل

غير أن أبا العلاء جعل الحمد نفس السيف والناظم جعل الحمد كالسيف والذهب

تمثيل وكلام المصنف من باب التشبيه البليغ وكلام الناظم من باب الاستعارة
بالكناية وفي معناه قول ابن الرومي

وما الحِبْرُ لولا الشعرُ الا معاشرٌ ... وما الناس الا اعظُمٌ نخراتُ

ونحو ما اخوه من قول ابي تمام

ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى ... بغاة الندى من اين تؤتى المكارم

فقلّه غير مكثر منه دون ... تعبا بقول جاهل او احمق
وان تكن منه عقيما بكثرة ... فاغر بجمع شمله المتفرق

الاعراب قوله فقلّه غير مكثر منه الفاء واقعة في جواب شرط مقدر اي اذا كان الشعر بمنزلة المنابت فقلّه حال كونك غير مكثر منه قوله جاهل او احمق وهي من التي كانت للاباحة في نحو قولك جالس العلماء او الزهاد قال ابن هشام واذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تطع احدهما قلت ومثله عبارة الناظم ومعناها لا تعبا بقول واحد منهما قوله وان تكن منه عقيما بكثرة في شرطه وجوابه والعقيم الذي لا يولد له يطلق على الذكر والانثى وهو مجاز عن كون الانسان بحيث لا يأتي منه قول الشعر ونحو الخمس وباقي الاعراب واضح **معنى الكلام** انما قال الناظم رحمه الله غير مكثر منه اشارة الى ما في الصحيحين عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف احدكم قيحا يريه خير من ان يمتلئ شعرا قال النووي قال اهل اللغة يريه بفتح الياء وكسر الراء من الوري وهو داء يفسد الجوف ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده قال بعضهم المراد بهذا الشعر شعر هُجي به النبي صلى الله عليه وسلم لكن قال جمهور العلماء هذا تفسير فاسد لانه يقتضي ان المذموم من الهجاء هو الامتلاء منه دون قليله وقد اجمع المسلمون على ان الكلمة الواحدة من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم موجبة للكفر قالوا بل الصواب ان المراد ان يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من اي شعر كان فاما اذا

كان الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا
يضر حفظه اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا والله أعلم
ه كلام النووي رحمه الله وقال الغزالي رضي الله عنه انشاد الشعر ونظمه
ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره وقد قيل في الشعر كلام فحسنه
حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم ثم ساق الحديث المتقدم وأما
قول الناظم ولا تعبأ بقول جاهل أو أحمق فأشار به إلى ما ذكره النووي قال
استدل بعضهم بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقا قليله وكثيره وإن كان
لا فحش فيه قال وقد قال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا
وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب فقد سمع النبي صلى الله
عليه وسلم الشعر واستنشده وأمر به حسان في هجاء المشركين وأنشده أصحابه
بحضرته في الأسفار وغيرها وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف
ولم ينكره أحد منهم على الإطلاق وإنما أنكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه
ه وقول الناظم فأعرض بجمع شمله المعشر ويحتمل وجهين أحدهما أن المراد بشمله
معروفه ومختاره لأنه يجمع للإنسان جملة نافعة من كلام فحول الشعراء
المبرزين في الصناعة كشعر امرئ القيس والنابغة وزهير من شعراء العرب
البلغاء وشعر حبيب والبحتري والمتنبي من شعراء المولدين البلغاء قال الثعالبي
وعني بالمختار من يقول من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة والأهاجي
الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير والفرزدق وخمريات أبي نواس
وزهديات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وتشبيهات ابن المعتز
وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم وقلائد المتنبي ثم لم يتخرج في الشعر
فلا أثبت الله قدمه فيه والثاني أن المراد بشمله في البيت وما ذكر بعده
التي بعد أن بها نكتة وذلك أن علوم اللسان ولا بد معها من حفظ الكثير منه
والتفقه وإلا فعلوم اللسان وخدمتها تكفي في التخرج فيه وقد قال بعضهم
في التنبيه على تحصيل التسم

وما الطبع مغن حركة في نكابه ... ولا العلم عن حر الطباع بنائب
إذا لم تكن تهمم غذاه وانشده ... فأحسن مبناه كنسج العناكب

قبيح

وقال

وقال غيره

وإن الغوابي لا تجيء بكيفة ... الذي المشير من زاد واتقا
والكيس ليس بنافع إذا ... حملت إماثته أني والاتقا
فما عابه إلا عيي مفحم ... لعي به الذكي لم يستنشق
كم حاجة يسرتها وكم قضى ... بعيد عمار وآسي قوى

اللغة قوله فما عابه إلا عيي مفحم العي بالكسر خلاف البيان والفصاحة
وقد عيي في منطقه كرضي وعيي بالأمر عجز عنه فهو عيي كغني وعي كحي وفي المثل
أعيا من باقل وهو رجل له قصة مشهورة وقال في الشيخ ويقال أعيى إعياء
زيادة عيا وهذه المسألة كانت سبب قراءة الكسائي النحو قال العلامة الدميري
فائدة تعلم الكسائي النحو على كبر سنه وذلك أنه مشى يوما حتى أعيا
فجلس فقال قد عييت فقيل له قد لحنت قال كيف قيل إن كنت أردت التعب فقل
أعييت وإن كنت أردت انقطاع الحيلة فقل عييت فأنف من قولهم لحنت واشتغل
بعلم النحو حتى مهر وصار إماما يقتدى به ه ويشبه هذه الحكاية ما ذكر ابن
هشام في شرحه لبيت من قصيده وإنما قرأ النحو لحرف استثناء قال وهذه المسألة
كانت سبب قراءة سيبويه النحو وذلك أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة
الحديث فاستملى منه قوله عليه الصلاة والسلام ليس من أصحابي أحد إلا
ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء فصاح
به حماد لحنت يا سيبويه إنما هذا استثناء فقال والله لأطلبن علما لا يلحنني
معه أحد ثم مضى ولزم الخليل وغيره ه والمفحم كمكرم العيي ومن لا يقدر أن يقول
شعرا وأفحمه الهم منعه قول الشعر وهاجاه فأفحمه صادفه مفحما قال
عمرو بن معدي كرب لله بنو مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها وأجزل في اللزبات
عطاءها وأحسن في المكرمات ثناءها لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها
فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها أي لم أصادفهم على حالة من الحالات
المذكورات قوله لعي به الذكي الخ النشر بالفتح الريح طيبة كانت أو منتنة وأكثر
استعماله في الطيبة كما هنا والذكي كغني الساطع الريح من ذكت النار تذكو
إذا اشتد لهبها فهي ذكية واستنشى الريح شمها واستنشق الماء جذبه

بالتفسير الذي تقدم في قوله بعد عمار راسيه؛ يقال عمّنا فلان عموا من باب
نصر خضع وذل وبنه وعنت الوجوه له وعمي كرضي اذا نشب في الاسار جمع عان
والجمع عناة والنساء عوان وفي الحديث اتقوا الله في النساء فانهن عوان
في ايديكم اي اسيرات اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله وهذا المعنى هو المراد في النظم والاسير فعيل بمعنى مفعول من الاسر
وهو الشد المحكم وقول الناظم بعده موطئا ايضا كقولها

وان صخرا لتأتم الهداة به ۞ كأنه علم في راسه نار

الاعراب والتصريف قوله ما عاب الا غيثه استثناء مفرغ وجملة
لم يستنشق صفة ثانية لعين او حال منه ولعرفه مفعوله قدم عليه واللام
مقوية للعامل كقوله تعالى للرؤيا تعبرون وقوله لربهم يرهبون وقوله كم حاجة
يسرها كم منزل خبرية كالتي بعدها وحاجة تمييزها مجرور بالاضافة ومن
ابتدا وجملة يسرها خبرها واما مفعول بفعل محذوف يفسره ما بعدها
من باب الاشتغال وهذا اولى لتحصل المشاكلة بين الجملة التي قبلها والتي بعدها
قوله وكم قضى تمييز كم منزل محذوف تقديره وكم من اه ومن مفعول مقدم ومحوله
لقضى وعار قضاء اليه ما قبله مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء
الساكنين التي هي لام الكلمة واصلها الواو كما في اشتقاقه وباقي الاعراب واضح
ومعنى الكلام يقول ما عاب الشيخ الامر الا قراءة له عليه وجزم بفضيلته
وقد جرت عادة الله في خلقه ان كل من جهل صناعة من الصناعات انكر
فضيلتها وكذا لا سيما ارباب العلوم فقد قال الغزالي رضي الله عنه
في كتاب العلم من الاحياء من وظائف المعلم ان لا يقبح شيئا من العلوم المحمودة
ولا نوعا من انواعها الا ويتكلم فيه بما يطلع به على مقصده وغايته ويستغير
منه في الحال الا انه كان عن مراده ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء
ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض ۞ يجد مرا به الماء الزلالا

قلت ومن وظيفة الاستاذ المعلم اذا كان متكفلا ببعض العلوم دون بعض ان لا يقبح
في نفس المتعلم العلوم التي ليست عنده كمعلم اللغة فان عادته تقبيح علم

الفقه وتعلم الفقه عادة تقتضي علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض
وسماع بحت ومن ازال ان الفقهاء يزرون تعظيما للعقل فيه وتعلم الكلام يغني عن الفقه
ويقولون ذلك مردود ومن كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة
الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للعلماء ينبغي ان تجتنب * وقول الناظم لعمر الذكي
لم يستنشقوا ما حوله من قول المتنبي يصفها فيما يراه

يبن الغبار ولا من انشاده ما خرز   كما تنم رياح الورد بالخضل

وقوله كم حاجة بين معاد كقول سيدنا عمر رضي الله عنه من افضل ما اعطيته
العرب الابيات يقدمها الرجل امام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل
بها اللئيم * ولو تتبعنا الوقائع التي قضيت فيها الحاجات بالاشعار وتخلص
فيها ارباب الجرائم من الاخطار لطال الكلام مع ان ذلك اشهر من قفا نبك
ومن نار على علم بل قد يستوجب الشاعر بشعره الدرجات عند الله تعالى والشفاعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظرة الكاملة والعطفة الشاملة من
ولي من اولياء الله رضي الله عنهم بسبب توسل او مديح ومن ذا ايضا كثير شهير
لا يحتاج الى مزيد بيان وتفسير * والله الموفق

لو كم اديب عاد كالنكف غني * وكان افقر من الخزل

الاعراب قوله وكم اديب مبتدا وجملة عاد كالنكف خبر له وغني منصوب
على نزع الخافض ويحتمل ومنه الاظهر انه تمييز مقدم للاخفاء الرافع في نسبة
تشبيه الاديب بالنكف اي من جهة غناه وعلى كل حال فهو منصوب بفتحة مقدرة
على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين فقوله وكان افقر من الخزل وافقر افعل
فهو اسم تفضيل من افتقر فيكون شاذا لانه انما يكون صوغه من الثلاثي قال
الجوهري وقولهم فلان ما افقره وما اغناه شاذ لانه يقال في فعليهما افتقر
واستغنى فلا يصح التعجب منهما ولا يخفى ان ما في فعل التعجب يجري في اسم
التفضيل كما هو مقرر في محله والله تعالى اعلم ومعنى الكلام يقول كم اديب
اثرى بعد فقره بابياته وفضله * واستبدل الراحة والنعمة ببوسه وضره *
ومن ذا انطاكيه بل ما كانت معيشة الادباء في العصر الاول الا من جوائز الخلفاء
وكانت صناعتهم الشعر في ارفع صناعة * وبضاعتهم الادبية انفق بضاعة *

حتى ما كان يكون بين الشمس وبين الغنى إلا أن يكون أدنى أو أشد عن إقبال إذ كان
كذلك كان أن يجد أمثل زمانه معيشة وأوسعهم نعمة وأعظمهم رفاهية وأنكر
ما اشتمل عليه كتاب الأغاني وغيره من أخبار الخلفاء والأدباء في ذلك نقض
العجب وأنكر ما قاله صاحب القاموس في خطبة كتابه حيث قال ولعمري صبابة
من الخلفاء الحنفاء والملوك العظماء إلى آخر كلامه والله تعالى ينعش ذا اطلاع
وامتلأه ويبرئه الكفر وشمله ءامين

ذكر النطف والمزلق وما قيل فيهما

أما النطف فهو
بكسر النون وسكون الطاء المهملة قال الميداني في مجمع الأمثال النطف
ابن الخيبري رجل من بني يربوع كان فقيرا يحمل الماء على ظهره فينطف أي يقطر
فأغار على مال بعث به باذان إلى كسرى من اليمن فأعطى منه يوما حتى غابت
الشمس فضربت العرب به المثل في كثرة المال وقال ابن نباتة اختلفت الأقوال
في النطف فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يستقي الماء على ظهره
فكان ينطف أي يقطر فسمي النطف ووجد خبيئة من المال فعظم حاله وبعضهم
يقول النطف الرجل المتهم كأن الرجل القذر يجر المال الكثير فيقصر إخفاؤه
فيتهم ويكثر عليه والصحيح ما ذكره البلاذري في تاريخه أنه النطف بن خيبري
ابن حنظلة اليربوعي وفي الثمار أنه أحد بني سليط بن الحرث بن يربوع وكان
مقيما بالبادية مع قومه بني تميم وكان باذان عامل كسرى على اليمن يحمل إليه
مرتبا من اليمن ذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله إلى كسرى فأرسل في بعض السنين
عيرا تحمل شيئا كثيرا من ذلك مع خفراء من بني الجعيد المرادي فلما توسطوا
بلاد بني يربوع أغاروا عليها وقتلوا قريبا من خفراء العرب وأساورة الفرس
وكان ممن فعل ذلك ناجية بن عقال جد الفرزدق وعتيبة بن الحرث بن شهاب
وقعنب بن عتاب الرياحي والنطف بن خيبري وغيرهم من فرسان بني تميم فنهبوا من
تلك الأموال فحصل النطف من ذلك على شيء كثير من جملته خرجان مملوءان
ذهبا فحلاه بالجواهر النفيسة فصار غنيا منتفعا بالثروة وضرب المثل بما اكتسبه
فقيل أغنى من كنز النطف وقيل لو كان عنده كنز النطف ما عدا وقيل إنه
جلس يوما وأعطى الفقراء من قومه منذ طلعت الشمس إلى أن غابت وفي ذلك

يقول

يقول بعض ولده

إذا الليل كف أخبار الشمس أبي ۞ عريق في السماحة والمعالي

وما قال الليل حتى انحط بعد ان كم بين العرب والعجم من حروب طويلة أكثرها بسببه من ذلك يوم الصفقة الذي فتك فيه بنو تميم بالمشقر ويوم مشهور من أيام العرب وأما المذلق فهو بضم الميم ... فقولهم أفلس من ابن المذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم لم يكن يجد بيت ليلة وكان أبوه وأجداده لا يعرفون إلا بالفقر والإفلاس وفيه يقول الشاعر

فإنك إذ ترجو تميما ونفعها ۞ كراجي الندى والعرف عند المذلق

وكم حديث جاءنا بفضله ۞ عن سيد عن الهوى لم ينبس

وقد تمثل به وكان من ۞ أصحابه يسمعه في المجلس

الإعراب فقوله وكم حديث مبتدأ وجملة جاءنا بفضله خبر له والمراد بالسيد النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عن الهوى لم ينبس مقتبس من قول الله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكلام المقتبس من الآية الكريمة ينكره في محله وقوله في المجلس بفتح اللام وكسرها ما جمع حلقة وهم القوم يجتمعون مستمرين في خير علم ونحوه وكذا التي كانت عادة الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وباقي الإعراب واضح **ومعنى الكلام** أما قوله وكم حديث جاءنا بفضله فيعني ذلك ما في البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر حكمة وشيئا منه في كلام الناس نعمة الله وفي أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما وفي تفسير الخازن قالت عائشة رضي الله عنها الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي رحمه الله كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فيروى أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدته التي يقول فيها

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ۞ غداة غد أم رائح فمهجر

بانشاده أبياتا في آخرها وهو قريب من تسعين بيتا ثم أعادها ابن عباس
رضي الله عنهما قلبه وكان قد حفظها بمرة وفي نظم الحكم للشيخ اليوسي رحمه
الله وكانت عائشة رضي الله عنها وابن عباس وغيرهم من رواية الشعر
بالمحل الذي لا يدرك حتى حكي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت رويت
للبيد اثني عشر ألف بيت خلاف ما رويت لغيره وكذا غير هؤلاء من الصحابة
رضوان الله عليهم وأما من أهل البيت النبوي الكرام فقال الشيخ غير النبي صلى الله
عليه وسلم وقد ذكر المعتنون بهذا الشأن ما ثبت عن كل واحد منهم من الشعر واعلم
أن كلام العرب نوعان منثور ومنظوم وكان في أصله كله منثورا فلما احتاجت
العرب إلى ذكر أيامها ووقائعها وتخليد مكارمها ومآثرها توهموا أعاريض الشعر
وأوزانه وجعلوه آلة لذلك وعولوا على حفظه فما ذكروا ابتغاء لسهولته على
الطبع وقبوله التقييد دون المنثور ومن ثم يقال إن ما تكلمت به العرب من جيد
المنثور أكثر مما تكلمت به من المنظوم ومع ذلك لم يحفظ من المنثور عشره
ولم يضع من المنظوم عشره فكان للشعر بهذا فضل على النثر زيادة على ما ورد
في فضله من الأحاديث والآثار التي ذكرنا منها آنفا وإلا فالفضل في هذا الجلية
أن الشعر كلام كالنثر فكل ما يستقبح في النثر يستقبح في الشعر بل ذكر الشيخ
اليوسي وغيره أن الشعر قد حسنت فيه أشياء لم تحسن في النثر وذلك مما
يفضله بها أدباؤه منها الكذب إن وقع الإجماع على حرمته وبأنه جائز في
الشعر إلا أن في المبالغة والإيغال تفصيلا مذكورا في علم البديع وأفضل
الأمور العزو وما قرب منه ومنها تزكية الإنسان نفسه ومدحه أيامه
ومدح الإنسان بحضرته ومدح المحرمات من الخمر والنساء الأجانب ونحو ذلك
ومنها خطاب الممدوح مثلا باسمه وبكاف الخطاب مما يكون في النثر استخفافا
ونحو هذا وقصيدة كعب بن زهير متكفلة بأكثرها وقد أنشدها بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه بل أثابه عليها لما اشتملت من إنشاد الله
وأقواله وقد تشير به في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد *
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ٥ وفيهما عن جندب بن عبد الله البجلي رضي

الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشي اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت ۵ وفي سبيل الله ما لقيت

قال القسطلاني في الصحيح انه يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يتمثل بالشعر وينشده حاكيا له عن غيره اه وفي تفسير الخازن عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ۵ ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وفيه عن الحسن رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت

كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ۵ فقال ابو بكر رضي الله عنه يا نبي الله انما قال الشاعر ۵ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ۵

اشهد انك كما قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال العلامة الخازن رحمه الله هذا حديث مرسل واما قوله وكان من اخصائه به يسمعه في الحكم فهو امر معلوم بانه صلى الله عليه وسلم كان يسمعه من شعر حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير وغيرهم وكان يسمعه من شعر اهل العرب الذين كانوا يفدون عليه وربما اثابهم على ذلك او استحسنه منهم او استزاد منهم فيقول هيه اذا كان فيه حكمة او موعظة او غيرهما مما يجوز شرعا وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ۵ اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ۵ ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم اسرع من وقع النبل اخرجه الترمذي والنسائي واخرج مسلم عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك

من شعر امية بن ابي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه
ثم انشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته مائة بيت زاد في رواية فقال صلى الله
عليه وسلم لقد كاد يسلم في شعره وفي الاحياء قالت عائشة رضي الله
عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الاشعار
وهو يتبسم قال وقد بان بهذا ان الغناء انما هو من عادة العرب في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو الا اشعار
تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره
بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ
فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة
والحان موزونة ه قلت ومن امر الغزالي رحمه الله استدل على اباحة
سماع الغناء واستعماله وفيه خلاف شهير فهو اخص مما نحن فيه من مجرد
قول الشعر واستماعه والله اعلم

(ومن يبني المنبر لابن ثابت ٥ فكان للانشاد فيه يرتقي)

الاعراب فقوله ومن يبني المنبر فاعل يبني ضمير النبي صلى الله
عليه وسلم ومفعوله المنبر نصب وابن ثابت ياتي ذكره وجملة يرتقي ءاخر البيت
خبر كان وللانشاد وفيه يتعلقان به ويحتمل ان يكون فيه متعلقا بالانشاد
وفي بمعنى على والله اعلم

ذكر حسان رضي الله عنه ومنافحته عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو ابو الوليد وقيل ابو الحسام حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن
زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الانصاري رضي
الله عنه وامه الفريعة بنت خالد الخزرجية كان يقال له شاعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها انها وصفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال فيه شاعره حسان
ابن ثابت

متى يبد في الداج البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كاحمد ... نظام لحق او نكال لملحد

وروى ابن عبد البر عن جماعة من السلف ان الذين كانوا يهجون رسول الله

صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصي وضرار بن الخطاب وكلهم أسلم فقال قائل
لعلي رضي الله عنه اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال إن أذن لي النبي
صلى الله عليه وسلم فعلت فقالوا يا رسول الله ائذن له فقال النبي صلى
الله عليه وسلم إن عليا ليس هنالك ثم قال ما يمنع القوم الذين
نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم
فقال حسان أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول
بين بصرى وصنعاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا
منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي قال والله لأسلنك منهم كما
تسل الشعرة من العجين فقال له ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك
فكان يمضي إلى أبي بكر ليوقفه على أنسابهم ويقول كف عن فلانة وفلانة
واذكر فلانة وفلانة فجعل حسان يهجوهم فلما سمعت قريش شعر حسان
قالت إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة فمن شعر حسان في أبي سفيان
ابن الحارث رحم الله جميعهم

وإن سنام المجد من آل هاشم ۞ بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم ۞ كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه ۞ ولكن لئيم لا يتور له زند
وإن امرأ كانت سمية أمه ۞ وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قال ابن عبد البر يعني بقوله بنت مخزوم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران
ابن مخزوم وهي أم أبي طالب وعبد الله والزبير بني عبد المطلب وقوله ومن
ولدت أبناء زهرة منهم يعني حمزة وصفية أمهما هالة بنت وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة وأما العباس وابن أمه شقيقه ضرار بن عبد المطلب أمهما نتيلة امرأة
من النمر بن قاسط وسمية أم أبي سفيان وسمراء أم أبيه ۞ وروى مسلم عن
عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم
من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل

دون كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد
آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه
فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى
يخلص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لي نسبك
والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال
يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان يهجو ابا سفيان بن الحرث

هجوت محمدا فأجبت عنه — وعند الله في ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفء — فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا — أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم — ويمدحه وينصره سواء
فان ابي ووالده وعرضي — لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه — وبحري لا تكدره الدلاء

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول لحسان اهجهم يعني المشركين وروح القدس معك وانه صلى الله عليه
وسلم قال لحسان اللهم ايده بروح القدس لمنافحته عن المسلمين واخرج
ابن عساكر وابو الفرج في الاغاني عن ابي هريرة قال العلاء حين اجاز حسان بن
ثابت عند تزوجه النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا واخرج ابو داود
والترمذي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما
يفاخر او قالت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ان الله
ليؤيد حسان بروح القدس وفي الصحيحين وغيرهما ان عمر رضي الله عنه
مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فانكر عليه
فقال كنت انشد فيه من هو خير منك ثم التفت الى ابي هريرة فقال انشدك

الله

الله اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجب عني اللهم ايده بروح
القدس قال اللهم نعم وعن ابي عبيدة قال فضل حسان الشعراء بثلاث كان
شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة اي
وشاعر اليمن كلها في الاسلام وقال اجتمعت العرب على ان اشعر اهل المدر
اهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وان اشعر اهل يثرب حسان بن ثابت وذكر
المبرد في الكامل ان عبد الرحمن بن حسان لدغه زنبور فجاء اباه يبكي فقال له
ما دهاك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فقال ابوه قلت
الشعر والله يا بني ثم قال ابو عمر هذا وانا اعرف قوما في الشعر ال حسان فانهم
كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
ابن المنذر بن حرام ؞ وقيل لحسان لان شعرك في الاسلام فقال للقائل يا ابن اخي
ان الاسلام يحجز عن الكذب وان الشعر يزينه الكذب قال ابن عبد البر يعني
ان شأن التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب
وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام قال
ابن منده وابن سعيد وكذلك عاش ابوه وجده وابو جده ولم يعرف في العرب
اربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة اعمارهم مائة وعشرين سنة غيرهم
قال في ربيع الابرار وشبيه هذا ان لسانه كان يصل الى جبهته ونحره وكذلك
كان ابوه وجده وابنه عبد الرحمن نقله العلامة الزرقاني في شرح المواهب
والذي عند غيره انهم كانوا يضربون بالسنتهم ارنبة انوفهم والله اعلم
وتوفي حسان رضي الله عنه سنة خمسين وقيل سنة اربع وخمسين والله اعلم

(وقال ابن الخطيب في قرضه ۞ وذي به للزبير قال الاصمعي)
فقالت ختمنا بقوله ۞ ان من الشعر لحكمة تقتفي)

اللغة قوله ما سموا الى الاهل وقد سموا سموا اي علا وكذا ارتقاء المنزلة
مثنا علو المنزلة والله اعلم الا غرائب فاعل قال اهيم النبي صلى الله
عليه وسلم وعرفا اجتم ضرورة والحسن فيما بيتنا زيغة كل من زيغ وفي والامام فيه
مغربية للعاملين بما فيه واضح ولا يخفى حسن تشبيه البيتين وتشكيل فا بينهما
لا سيما الثاني منهما والله اعلم ۞

ذكر ابن الأهتم والزبرقان وما جرى بينهما عند النبي صلى الله عليه وسلم

أما ابن الأهتم فهو أبو ربعي عمرو بن الأهتم بن خالد وقيل الأهتم بن سمي ابن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي المنقري واسم الأهتم سنان وإنما قيل له الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم ثناياه وقيل إنما هتمت يوم الكلاب وكان عمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وكان بليغ القول حلو العبارة جميلا يدعى المكحل لجماله ويقال إن شعره كان حللا منشرة وهو القائل

وكل كريم يتقي الذم بالقرى * وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وأما الزبرقان فهو أبو شذرة الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي البهدلي أحد سادات بني تميم وشعرائهم المشهورين وإنما سمي الزبرقان لحسنه والزبرقان بالكسر من أسماء القمر وقيل لأنه لبس عمامة مزبرقة بالزعفران وفيه يقول رجل من النمر بن قاسط

تقول خليلتي لما اشتكينا * سيدركنا بنو القرم الهجان
سيدركنا بنو القمر بن بدر * سراج الليل للشمس الحصان
فقلت ادعي وأدعو إن أندى * لصوت أن ينادي داعيان
فمن يك سائلا عني فإني * أنا النمري جار الزبرقان

قال ابن عبد البر قدم عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر على النبي صلى الله عليه وسلم وابن بدر وجوه قومهما من بني تميم فأسلموا وذلك في سنة تسع من الهجرة وروى البيهقي وغيره عن ابن عباس قال جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ففخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم فقال

عمرو انه لشديد العارضة قاطع بجانبيه مطاع في أذنيه فقال الزبرقان
والله لقد علم مني اكثر مما قال وما منعه الا الحسد فقال عمرو انا احسد لك
مه والله انه لئيم الخال حديث المال احمق الولد مضيع في العشيرة والله
يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى لكني رجل اذا رضيت قلت
احسن ما علمت واذا غضبت قلت اقبح ما وجدت ولقد صدقت في الاولى والاخرى
جميعا فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واخرج الطبراني عن ابي
بكرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وفد تميم فذكر نحوه
وذكر القصة ايضا الطبراني وابن حبان وغيرهم مما بالفاظ متقاربة ولم يذكروا انه
صلى الله عليه وسلم قال في آخرها ان من الشعر لحكمة كما عند الناظم مع انه
لا يلائم سياق القصة اذ لم يكن ما صدر من ابن الاهتم شعرا اعني قوله صلى الله
عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم ذكر التبريزي في شرح الحماسة عن
عبد الله بن زيد عن ابيه قال وفد العلاء بن الحضرمي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له اتقرأ من القرآن شيئا قال نعم فقرأ عبس وتولى ثم قال
هل تروي من الشعر شيئا قال نعم قال انشدني فانشده شعرا ه

حي ذوي الاضغان تسب قلوبهم ... تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل
وان دحسوا بالكره فاعف تكرما ... وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه سماعه ... وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا فقوله
فقد يرقع النغل بالتحريك اي قد يصلح الفساد وقوله وان دحسوا الدحس
اصلاح الشيء على كره واصله ادخال الرجل يده بين جلد الشاة ولحمها
ليسلخها ويعبر به عن الافساد ايضا ومعنى البيت انهم اذا ادخلوا في حديثك
فاصفح عنهم ولا تغضب وان قطعوا عنك الحديث فلا تسألهم عن سبب قطعه
وروى ابو داود في سننه عن ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان
سحرا وان من الشعر حكما واخرج البخاري وابو داود وابن ماجه في الادب
عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر

حكمة أي قولا صادقا مطابقا للحق وقيل كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه
وهو معنى قول الناظم تفي أي تمنعكم من الجهل والسفه قال العلامة القسطلاني في
وإذا كان في الشعر حكمة كالمواعظ والأمثال التي تنفع الناس يجوز إنشاده
بلا ريب واختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا
على وجهين أحدهما أنه ورد مورد الذم وتشبيهه بعمل السحر لغلبته على القلوب
وتزيينه الباطل وتحسينه القبيح وتقبيحه الحسن ويكتسب به صاحبه من
الإثم ما يكتسبه الساحر بعمله كما قال صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم أن يكون
ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من
النار وثانيهما أنه ورد مورد المدح بمعنى أنه تمال به القلوب ويترضى به
الساخط ويستنزل به الصعب قال الشيخ اليوسي رحمه الله ويشهد لهذا
قوله في نفس الحديث وإن من الشعر لحكمة هذا قول أكثر أهل العلم وإنما ذهب
لأن الحكمة تعلى مدح البيان وهو شامل للشعر والنثر وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل سأله حاجة فأحسن في سؤاله هذا والله السحر الحلال وقضى حاجته
وفي المعنى قيل

في زخرف القول تزيين لباطله ۞ والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ۞ وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدح وذم وذات الشيء واحدة ۞ سحر البيان يري الظلماء كالنور

وحكى العتبي قال وفد الأحنف بن قيس وعمرو بن الأهتم على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فأراد أن يفرق بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم
قال الأحنف وهو معترض له من سفهائهم

ذوي مدح عن قومه كلوا ما شوى ۞ فلما أتاهم قال قوموا ابغائهم وا

فقال عمرو إنا كنا نحن وأنتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا
دماءكم وسبينا نساءكم ونحن اليوم في دار الإسلام والفضل فيها لمن حلم
فغفر الله لنا ولك فغلب يومئذ عمرو على الأحنف ووقعت القرعة في آل
الأهتم فقال عمرو

وفادة عتني للرياسة منفر ۞ لدى مجلس أفحمتهم بالنجم باديا

شرود

تردت لها اذني وقد كنت قبلها * لأمثالها قدما اشد إزاريا

وكان رحمه الله يقول اشعر الناس من رثى جملة بكلمة وهو من النفر الذين
هموا النمر في الجاهلية مثل قيس بن عاصم المنقري وتوفي عمرو بن الاهتم سنة
سبع وخمسين والله اعلم

لو وعند ما سمع من قتيلة * رثى قتيلها الذي لم يعتق
زاد لها سلبه وقد بكى * شفقة برفعه المتكلي

الاعراب قوله وعند ما سمع ظرف متعلق بزاد اول البيت بعده وما
سمع موصول حرفي اي عند سماعه من قتيلة بالتصغير ياتي خبرها قوله رثى
قتيلها مفعول رثى الميت يرثيه ويرثوه اذا بكاه وعدد محاسنه والاكثر ان
يكون بالشعر وجملة قوله وقد بكى حال من فاعل زاد وشفقة مفعول له خلله وباقيه
واضح وبين قتيلة وقتيلها جناس اشتقاق والله اعلم

ذكر قتيلة رضي الله عنها وبكاء النبي صلى الله عليه وسلم من شعرها

هي قتيلة بنت النضر بن الحرث بن علقمة بن
كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من حديثها ان النضر بن الحرث كان
شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يؤذيه بمكة فلما كانت
وقعة بدر واسر المسلمون بها جماعة كثيرة من كفار قريش كان من جملتهم عقبة
ابن ابي معيط والنضر بن الحرث فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهما
من بين الاسرى فقتل النضر بالصفراء والنبي صلى الله عليه وسلم قافل الى
المدينة وكان الذي تولى قتله علي بن ابي طالب فبلغ ذلك قتيلة وهي اخته
في قول ابن هشام وتبعه جمع منهم النووي واليعمري وبنته في قول الزبير بن
بكار وتبعه ابن عبد البر وابن حزم والزمخشري وغيرهم قال السهيلي وهو الصحيح
فقالت

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق
ابلغ به ميتا بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها واخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * ام كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه * لله ارحام هناك تشقق

صبرا يقاد الى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو لديك وينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن عبد البر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى اخضلت الدموع لحيته وقال لو بلغني شعرها قبل أن اقتله لعفوت عنه ذكر هذا الخبر عبد الله بن ادريس في حديثه وذكره الزبير فقال فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه وقال لابي بكر يا ابا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت اباها قال ابو الفرج الاصبهاني فيقال ان شعرها هذا اكرم شعر موتور واعفه واكفه واحلمه قال ابن المنير وليس معنى كلامه صلى الله عليه وسلم الندم لانه لا يقول او يفعل الا حقا والحق لا يندم على فعله ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها فيه تنبيه على حسن الشفاعة والنظم الحسن ولاسيما الاستعطاف بالشعر فان مكارم الاخلاق تقتضي اجابة الشاعر وتبليغه قصده والاثيل بالمثلثة مصغرا موضع والضنء بالفتح والكسر الولد وقولها اقرب من اسرت اي من اقرب بعض والا فقد كان في الاسرى من هو اقرب منه كالعباس وعقيل وغيرهما قال الواقدي اسلمت قتيلة يوم الفتح قال الزبير وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر رحمة الله هذا ولم ار في شيء مما وقفنا عليه من كتب الحديث والسير ما ذكره الناظم رحمه الله من ان النبي صلى الله عليه وسلم رد لقتيلة سلب ابيها فالله اعلم

(وقد حبا كعبا غداة مدحه ... ببردة لم ترمانه مس اثنو)

الاعراب فاعل حبا ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والكعب مفعول وغداة مدحه ظرف يتعلق به والبردة بالضم كساء صغير مربع ويقال كساء اسود صغير وباقيه واضح

ذكر كعب ومدحه النبي صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك

هو كعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين واسمه ربيعة بن رباح بكسر الراء وياء

تجيبة المزني الشاعر ابن الشاعر كان ابوه زهير من فحول الشعراء وكان عمر
رضي الله عنه لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس الذي يقول ومن ومن
يشير الى قوله في معلقته المشهورة

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله — على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه — ولا يغنها يوما من الدهر يسأم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه — ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وكان كعب من فحول الشعراء ايضا قال له الحطيئة يوما يا كعب قد علمت
روايتي لكم واهل البيت وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعرا
تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك فان الناس لشعركم اروى واليها
اسرع ففعل كعب وكان ابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة كلاهما
من فحول الشعراء وكان من خبره فيما رواه ابن اسحاق وعبد الملك بن هشام وابو بكر
الانباري دخل حديث بعضهم في بعض ان كعبا وبجيرا ابني زهير خرجا الى ابرق
العزاف فقال بجير لكعب اثبت هنا في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي
صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما
زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم ان قد آن مبعثه عليه الصلاة
والسلام ورأى زهير في منامه انه قد مد بسبب من السماء وانه قد مد يده
ليتناوله ففاته فاوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه
واخبر بنيه بذلك واوصاهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلموا
ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب اغضبه ذلك فقال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة — فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية — فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت اسباب الهدى واتبعته — على اي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف اما ولا ابا — عليه ولم تعرف عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست بآسف — ولا قائل اما عثرت لعا لكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المامون قال مامون والله
وكانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المامون والامين وعند ابن هشام
المامور بالراء بدل المامون ولما سمع صلى الله عليه وسلم قوله على مذهب
لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه صلى
الله عليه وسلم من الطائف سنة ثمان فكتب اليه اخوه بجير بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ۞ تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده ۞ فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ۞ من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ۞ ودين ابي سلمى علي محرم

وكتب بعد هذه الابيات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهدر دمك
وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقي من شعراء قريش كابن
الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه وما احسبك ناجيا فان كان لك في
نفسك حاجة فطر اليه فانه يقبل من اتاه تائبا وان كنت لم تفعل فانج الى
نجائك من الارض فلما بلغ كعبا الكتاب اتى من نبئه لبجير وله من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فابوا ذلك عليه فضاقت عليه الارض واشفق على نفسه
وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا
قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف
الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت
بينه وبينه معرفة فغدا به الى المسجد واشار له الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين صلى الصبح فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستامنه فقام كعب
حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان صلى الله
عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامن منك
على نفسه تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال نعم قال انا
يا رسول الله كعب بن زهير فقال صلى الله عليه وسلم الذي تقول ما تقول ثم اقبل على
ابي بكر فاستنشده الشعر فانشده ابو بكر رضي الله عنه * سقاك بها المامور

كأسا روية ه بالراء وكانت العرب تسمي من تابعه الحق مأمونا فقال كعب
لم أقل هكذا وإنما قلت ه
سقاك أبو بكر بكأس روية ه فأنهلك المأمون منها وعلكا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم مأمون والله فقال ابن إسحاق ووثب عليه
رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى
الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا
الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من
المهاجرين إلا بخير ثم أنشد قصيدته اللامية التي أولها ه

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وفيها أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وإن كثرت في الأقاويل إلى
أن قال ه إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

قال في الروض في رواية أنه لما قال هذا البيت نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى من حضر به كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر ه وروى الحاكم
أن كعبا أنشده من سيوف الهند فقال صلى الله عليه وسلم من سيوف الله ه
وعن ابن الأنباري أنه لما وصل إلى قوله إن الرسول لسيف البيت رمى
إليه عليه الصلاة والسلام ببردة كانت عليه وأن معاوية بذل فيها
لكعب عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم فأخذها
منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم يعني الخلفاء قال السهيلي
وإن وجودها لهما الآن والكلام أنها فقدت في وقعة التتار ثم لما ختم كعب
القصيدة مدح قريشا وعرض بالأنصار فقال ه

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل

يعني الأنصار فقال عبد الملك بن مصعب فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم بعد ذلك الذي ذكرت الأنصار يعني قال الأنصار لذلك أهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل ❊ في مقنب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ❊ إن الخيار هم بنو الأخيار

في أبيات أخر مشهورة. **لطيفة** نقل غير واحد عن ابن سيد في طبقات النحاة
أن بردة الأصمعي كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بانت سعاد
وما ذكره الناظم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كعبا مائة من الإبل
لم نر ذلك عند غيره **ولما** منع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الشعراء
وكان فيهم ذا عرض فقال له

فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة ❊ على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الإله المصطفى بنبوة ❊ عليه السلام بالضحى والأصائل

ولما ذكر أبو جعفر الإلبيري رفيق ابن جابر الضرير قصيدة كعب مدحها فقال ما نصه
وبعد فإن القصيدة لها الشرف الراسخ . وأحكمها الذي لم يرد له ناسخ . أنشدها
كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضور أصحابه . وتوسل بها من حال إلى العفو
عن عقابه . فسر صلى الله عليه وسلم خلته . وخلع عليه حلته . وكف
عنه كف من أراده . وأبلغه في نفسه وأهله مراده . وذلك بعد إهدار
دمه . وما سبق من عذر كلمه . فجمعت حسنا نفعا تلك الزيوف . وستر بها عنها
وجه تلك العيوب . ولولا ما تضمنه المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز
على الشعر الأول فمن جهة الشعراء فيما سلكوه . ومما لم يزل فيما ملكوه .
حدثني بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح
مجلسه إلا بقصيدة كعب فقيل له في ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك قال نعم وأنا
أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها في كل يوم
قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها .
ويقتفون آثارها . تبركا بمن أنشدت بين يديه . ونسب مدحها إليه . ولما
قال الفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه

وسلم على وزن بانت سعاد فقال

لقد قال كعب في النبي قصيدة ... وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة ... كرحمة كعب فبنو كعب مبارك

ولذاته سما والعز من قصيدة ... وتعظيم المديح من الرشاد
جحود بقبيلة الشعراء غشي ... وأعلمت كعبه في كل ناد
فمذ بانت سعاد ذنوب كعب ... مشببة بنيل من سعاد
وقد اقتفى النبي إلى قصيد ... وكان إلى المكارم خير هاد
ولا كرسي للشعراء حكما

ووبشر الجعدي وابن ثابت ... بجنة جزاء شعر عشيري

الأعراب فاعل بشر صلى النبي صلى الله عليه وسلم والجعدي ومعه معقوله وبجنة يتعلقون وجزاء شعر معقول به جلية والعشيري كعشر التالغ العشر والله أعلم

خبر الجعدي وابن ثابت وتبشير النبي صلى الله عليه وسلم لهما بالجنة

أما الجعدي فهو أبو ليلى النابغة واختلف في اسمه فقيل حبان وقيل قيس ابن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي وإنما قيل له النابغة فيما يقولون لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه بعد فقالوا فسمي النابغة قالوا وكان شاعرا مجلا فحسبنا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام قالوا وهو أسن من النابغة الذبياني واستدلوا على ذلك بأن الذبياني كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر ابن محرق وقد أدرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه وفي ذلك يقول من قصيدة له طويلة حسانة تشتمل على نحو مائة بيت

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ... ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

قال ابن قتيبة عمر النابغة الجعدي مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان قالوا ومما يدل على كبره أنه قال لعمر رضي الله عنه إنه أفنى ثلاثة قرون

كان قد زاد ستين سنة فى حدود المائة وثمانين ثم عمّر الى زمان ابن الزبير فوفد عليه
فاستماحه ومدحه ثم تأخر عمره الى ان هاجى اوس بن مغراء بحضرة الاخطل
والعجاج وليلى الاخيلية وغيرهم وكان يذكر فى الجاهلية دين ابراهيم
والحنيفية ويصوم ويستغفر فيما ذكروا وانكر الخمر وهجر الازلام والاوثان
وقال فى الجاهلية كلمته التى اولها

الحمد لله لا شريك له ۝ من لم يقلها فنفسه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد والاقرار بالبعث والجنة والنار وصفة
بعض ذلك على نحو شعر امية بن ابي الصلت وقد قيل انها لامية وقد صحح
جماعة من الرواة انها للنابغة قال ابن عبد البر وفد النابغة الجعدي
على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وانشده ودعا له النبي صلى الله
عليه وسلم وكان من اول ما انشده قوله من قصيدته الرائية التى اسلفنا
الحديث عنها آنفا

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ۝ ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

وعنه رضي الله عنه قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشدته قوله

وانا لقوم ما نعود خيلنا ۝ اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا ۝ من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا
وليس بمعروف لنا ان نردها ۝ صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ۝ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة فقال نعم
ان شاء الله فانشدته قولي

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ۝ بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ۝ حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي
فكان من احسن الناس ثغرا وكان كلما سقطت له سن نبتت له اخرى قال
ابن عبد البر وهذه القصيدة من احسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة سباكة
ونقاوة وجزالة وحلاوة قال واسلم النابغة وحسن اسلامه وكان يرد

على الخلفاء وردة على عمر ثم على عثمان وورده أيضا على ابن الزبير كما هو في
الاستيعاب وأما ابن ثابت فهو حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه
وقد تقدمت ترجمته وأما تبشير النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة فقد
ذكره رواة الأخبار فإن حسان رضي الله عنه لما أنشد رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصيدته الهمزية التي أجاب فيها أبا سفيان بن الحارث وانتهى
فيها إلى قوله

هجوت محمدا وأجبت عنه ۞ وعند الله في ذاك الجزاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك الجنة يا حسان فلما قال

أتهجوه ولست له بكفء ۞ فشركما لخيركما الفداء

قال كل من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب فلما قال ۞

فإن أبي ووالده وعرضي ۞ لعرض محمد منكم وقاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار يا حسان وفي
الاستيعاب لابن عبد البر أن امرأتين من قريش كانتا مع عائشة رضي الله
عنها في الطواف فتذاكرتا حسانا فابتدرتاه بالسب فقالت عائشة ابن
الفريعة تسبان إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم بلسانه أليس القائل ۞ هجوت محمدا وأجبت عنه ۞ .
وفيه أيضا في ترجمة عائشة أنه روي أن حسانا استأذن على عائشة
رضي الله عنها بعد ما كف بصره فأذنت له فدخل عليها فأكرمته فلما
خرج عنها قيل لها هذا من القوم فقالت أليس الذي يقول ۞ فإن أبي ووالده
وعرضي ۞ هذا البيت يغفر له كل ذنب وروى أبو نعيم وابن عساكر عن عروة
أن حسانا ذكر عند عائشة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذا حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه إلا مومن ولا يبغضه إلا منافق
رضي الله عنه ونفعنا بمحبته آمين ۞

وكم خامل سما في أفق العلا ۞ بنت مريح من بليغ تدلي
مثل بني الأنف ومثل ... ۞ وكان من يعرف بالجملي

الإعراب قوله كم خامل مبتدأ وجملة سما في خبره والسمو العلو

ونشأ قريع بلا عقل منهما وذَكِل بفتح الذال المعجمة وكسر اللام ككتف يقال
حطب ذكل وذكيل اي صحيح صغير للبسار وريا فيه رائع ه

ذكر بني الانف وهجو الحطيئة وسبب ارتفاعهم بالشعر ه

أما بنو الأنف فهم بنو أنف الناقة وأنف الناقة لقب جعفر بن قريع بالتصغير ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وسبب جريان هذا اللقب عليه أن أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا هذا أمه وهي الشموس النهشلية الى ابيه تسأله حظها من اللحم فأتى اباه ولم يبق من الناقة الا رأسها وعنقها فقال له ابوه شأنك بهذا فأدخل جعفر يده في انف الناقة وجعل يجره الى امه والناس يضحكون منه فلقبوا بأنف الناقة فكان بنو جعفر يسبون بهذا اللقب وتفيئت سبة في عقبه فكان الواحد منهم اذا سئل عن نسبه ينتسب الى جده قريع بن عوف ويتجاوز النسبة الى جعفر فرارا من اللقب فبقوا على ذلك الى ان جاء الحطيئة فجزاهم وأزال عار ذلك اللقب عنهم وكان من حديثه في ذلك ان الزبرقان بن بدر التميمي المتقدم الذكر كان قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فولاه على صدقات قومه ثم أقره على ذلك ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فخرج في سنة مجدبة على عمر ليؤدي اليه صدقات قومه فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه زوجته واولاده ذكورا واناثا فقال له الزبرقان وقد عرفه اين تريد فقال العراق وقد حطمتنا هذه السنة قال وتصنع ماذا قال وددت ان أصادف رجلا يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي ابدا فقال له الزبرقان قد أصبته فهل لك فيمن يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك احسن جوار واكرمه فقال له الحطيئة هذا وأبيك العيش وما كنت ارجو هذا كله قال فقد اصبته قال واين قال عندي قال ومن انت قال الزبرقان بن بدر قال واين محلك قال اركب هذه الناقة واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتي منزلي وكتب الزبرقان معه الى زوجته أن أحسني اليه واكثري له من التمر واللبن وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعي فأكرمت الحطيئة منزلته فبلغ ذلك بني شماس بن لأي بن جعفر وهو أنف الناقة بن قريع فحسدوا الزبرقان عليه فدسوا الى الحطيئة ان تحول الينا نعطك مائة ناقة

ونشر كل ثوب من الثياب بيتا بحلة نفيسة قال وانتهى بذلك فقالوا انهم
يزيدون الشعثة فيتخلف عنهم ثم دسوا الى امرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم
من الشيخ امامة ليتزوج ابنته وكانت ذات جمال فوقع ذلك في قلبها وكلمت
من المرأة للمخبلية بقولها وسمع مع ذلك ترادده فلما احتمل القوم تخلف الحطيئة
عنهم فاحتمله القوم يعثرون فبنوا له بيتا وعمدوه وربطوا بكل طنب من الاطناب
بيته حلة هجرية فلما قدم الزبرقان سأل عنه فاخبر بقصته فنادى في قومه
وجاء الى بغيض فقال ردوا علي جاري فقالوا لست لك بجار وقد اطرحته فاستعدوا
عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحكم عمر بان يخرج الحطيئة حتى يقعد
في موضع بين الحيين ويخلى سبيله ويكون جار ايهما شاء فيفعل به ذلك فاختار
القوم بغيضا وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونه على
ذلك فيأبى ويقول لا ذنب للرجل عندي فكان مما مدحهم به قصيدته التي يقول فيها

قالت امامة لا تجزع فقلت لها | ان العزاء وان الصبر قد غلبا
سيري امام فان الاكثرين حصى | والاكرمين اذا ما ينسبون ابا
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم | شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم هم الانف والاذناب غيرهم | ومن يسوي بانف الناقة الذنبا

فكان هذا اللقب فخرا لهم ومدحا بعد ان كان ضعة وذما فصاروا يفتخرون به
ويقولون نحن بنو انف الناقة ثم عرض بالزبرقان ومدحهم فقال

ما كان ذنب بغيض لا ابا لكم | في بائس جاء يحدو اينقا جربا
جاءت به من بلاد الطور تحمله | حصباء لم تترك دون العصا شذبا

ثم مدحهم بقوله وهي من جيد شعره

الا من فتى بقوم ما يعقوا امنن | وتفرح ان رعوا واستبان لنا غدا
فان التي نكبتها عن معاشر | علي غضاب ان صددت كما صدوا
اتت آل شماس بن لأي وانما | اتاهم بها الاحلام والحسب العد
فان الشقي من تعادي صدورهم | وذو الجد من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون احلاما بعيدا اناتها | وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
اقلوا عليهم لا ابا لابيكم | من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا | وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء عليهم جزوا بها | وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادث | من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى | بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
فكيف وفي أعلامهم خذلوكم | على معظم ولا أديمكم قدوا
متى تبلغ أبناء سعد بأن سعى | إلى السورة العليا لهم حازم جلد
رأى مجد أقوام أضيع فحثهم | على مجدهم لما رأى أنه المجد
وفيها: وتعذلني أبناء سعد عليهم | وما قلت إلا بالذي علمت سعد

ثم قال يمدح آل بغيض ويتعنت على الزبرقان ويتهكمه

ﻫ

وإني قد علقت بحبل قوم | أعانهم على الحسب الثراء
إذا نزل الشتاء بدار قوم | تجنب جار بيتهم الشتاء
هم الأسور أي الرأس فيها | ترى كلها الأحمال وأي سواء
ألم أك نائيا بمرعى فسوقي | فجاءت بي المواعد والرجاء
فلما كنت جاركم أبيتم | وشر مواطن الحسب الإباء
ولما كنت جارهم حبوني | وفيكم كان لو شئتم حباء
فلما أن مدحت القوم قلتم | هجوت وهل يحل لي الهجاء
فلم أشتم لكم حسبا ولكن | حدوت بحيث يستمع الحداء

وقال أيضا وهو يمدح بغيضا ويهجو الزبرقان

ﻫ

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا | في آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم | في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم لو أن درتكم | يوما يجيء بها مسحي وإبساسي
لما بدا لي منكم غيب أنفسكم | ولم يكن لجراحي منكم آسي
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم | ولن ترى طاردا للحر كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله | وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم | وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها | واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

مر

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ويروى الخير من يفعله فاستعدوا عليه فارسل على الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال انه هجاني قال وما قال لك قال قال لي

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فقال عمر ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة فقال الزبرقان اوما تبلغ مروءتي الا ان آكل والبس فقال عمر علي بحسان فجيء به فسأله فقال لم يهجه ولكن سلح عليه فامر به عمر فجعل في قعر بئر ثم القي عليه شيء فجزع الحطيئة جزعا شديدا وتكلم الى عمر وقال شعرا من جملته

فمن علي هداك المليك ... فان لكل مقام مقالا

ولا تاخذني بقول الوشاة ... فان لكل زمان رجالا

فان كان ما زعموا صادقا ... فسيقت اليك نساءي رجالا

فلم يلتفت اليه عمر رضي الله عنه ثم شفع فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو ابن العاصي وغيرهما فاخرجه فلما مثل بين يديه انشد

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

انت الامام الذي من بعد صاحبه ... القى اليك مقاليد النهى البشر

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم ... بين الاباطح تغشاهم بها القرر

فبكى عمر رضي الله عنه لقوله فقال عمرو بن العاصي ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة ثم اراد عمر رضي الله عنه ادمنا ب الحطيئة وكفه عن اعراض الناس فقال علي بالكرسي فاتي به فجلس عليه ثم قال اشيروا علي في الشاعر فانه يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ما اراني الا قاطعا لسانه ثم قال علي بطست فاتي بها ثم قال علي بالمخصف علي بالسكين لا بل علي بالموسى فهو اوحى فقالوا لن يعود يا امير المؤمنين واشاروا عليه ان قل لا اعود فقال لا اعود يا امير المؤمنين فقال له النجاء وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال له اياك وهجاء الناس قال اذا يموت عيالي جوعا هذا مكسبي ومنه معاشي

[illegible]

قال وبأيها ذا المفزع من العذل قال وما المفزع قال أن تغنيا بين الناس وتقول
فلان خير من فلان ومن الفلان خير من الفلان قال وأنت والله أحق منه ثم
قال عمرو والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ولا كراهة عيب فأنت لذو
خزية يا زبير فقال الزبير فارق عنقه عمامة فاقتاده بها وعار فيه عقبا
فقالوا له يا أبا شزر إخوتك وبنو عمك عقبة لنا بن عقبة لئن وأما
هرم فقد بعث بهم بن سنان بن أبي حارثة الذي كان من سادات بني مرة بن عوف
ومنه المراد بقول البوصيري رحمه الله

ولم أرد زهرة الدنيا التي قطفت * يدا زهير بما أثنى على هرم

فكان هرم سيدا كما قلنا ولا كان أخوه خارجة بن سنان كان أسود منه
واشهر فلما وقع لزهير بن أبي سلمى في هرم من المدائح ما وقع أراد أن يشتري بها
وشهرة أعطاه ما أراد وأن بنى عليه بل بنته يكاد البيوع أخوله يذكرون من أفراح
زهير قوله فيه

بل اذكرن خير قيس كلها حسبا * وخيرها نائلا وخيرها خلقا
قال أغر أبيض فياض يفكك عن * أيدي العناة وعن أعناقها الربقا
وذاك أحزم منهم رأيا إذا نبأ * من الحوادث غادى الناس أو طرقا
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا * يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا
قد جعل المبتغون الخير في هرم * والسائلون إلى أبوابه طرقا
إن تلق يوما على علاته هرما * تلق السماحة منه والندى خلقا
وليس مانع ذي قربى وذي رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال أيضا فيه رحمه

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ * كن الجواد على علاته هرم
هو الجواد الذي يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم
وإن أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم
قال فضله من ذوي الأعمام ومنزله * ما إن ينالوا وإن جادوا وإن كرموا
قود الجياد وأصهار الملوك وصبر * في مواطن لو كانوا بها سئموا
ومن ضريبته التقوى ويعصمه * من سيئ العثرات الله والرحم

موروث المجد لا يغتال همته * عن الرياسة لا عجز ولا سأم
كالهندواني لا يخزيك مشهده * وسط السيوف إذا ما تضرب البهم

وقال أيضا يمدح حصن بن حذيفة بن بدر

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه * وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأقصرن منه عن كريم مرزإ * عزوم على الأمر الذي هو فاعله
أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وهي طويلة كتبناه وقال أيضا يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة وابن عمه الحارث بن عوف بن أبي حارثة ويذكر سعيهما في الصلح بين عبس وذبيان من حرب داحس وتحملهما الحمالة وهي آخر المعلقات السبع

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن * بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما * ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت * ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وقال يمدحهما أيضا

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها * وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
فأصبحتما منها على خير موطن * سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل
إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت * ونال كرام المال في الجحرة الأكل

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم … قطينا بها حتى إذا نبت البقل
هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا … وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوههم … وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم … وعند المقلين السماحة والبذل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم … مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

قال ابن الأعرابي أنشد رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير في هرم ابن سنان رحمه

دع ذا وعد القول في هرم … خير البداة وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر … كنت المنور ليلة البدر

فقال عمر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال عمر لبعض ولد هرم أنشدني بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر إن كان ليحسن فيكم القول قال ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء فقال قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم وعن عمر بن شبة قال قال عمر لابن زهير ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر وعن الأصمعي قال بلغني أن هرما كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيى زهير مما كان يقبل منه فكان إذا رآه في ملإ قال عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها فقال لي ذات ليلة يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء قلت ومن هو يا أمير المؤمنين قال ابن أبي سلمى قلت وبم صار كذلك قال لأنه لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه أليس الذي يقول

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية … من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز … سبوق إلى الغايات غير مخلد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ … ـسراع وإن يجهد ويجهدن يبعد
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت … ولكن حمد الناس ليس بمخلد

انشدني

أنشدته له قال فأنشدته حتى بلغت ترى الجود فقال أحسنت الآن أقر إلى الغرة أي
قلت وما أقر قال أقر إلى القوافي بعد انقطاعها وتزايدها رونق وأما المحلق
فهو أبو شميع عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد
وهو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثم الكلابي قال
الجوهري المحلق بكسر اللام والذي في القاموس أنه بوزن معظم فيكون بفتح اللام
وأيضا فالفتح هو الذي يقتضيه وجه تسميته بذلك فإنهم ذكروا أن حصانا
له عضه في وجنته فكانت كالحلقة وقيل أصابه سهم فكواه بحلقة
فقيل له المحلق قالوا وكان رجلا خاملا مقلا فمر به الأعشى في
بعض أسفاره ذاهبا إلى سوق عكاظ فقالت له امرأته إن أبا بصير رجل مجدود
في شعره وأنت رجل خامل مقل ولك بنات قيل عشر وقيل ثمان فلو سبقت إليه
وأكرمته رجونا أن يكون لك منه خير فبادر المحلق إليه وأنزله ونحر له
وسقاه الخمر فلما أخذت منه الخمر شكا إليه حالته وحال بناته فقال له
سأكفيك أمرهن فلما أصبح غدا إلى سوق عكاظ فقام وأنشد قصيدته التي يقول
فيها

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق
ولكن أراني لا أزال بحادث ... أغادى بما لم يمس عندي وأطرق
وكم دون ليلى من عدو وبلدة ... وسهب بها مستوضح الآل يبرق
وإن امرءا أسرى إليك ودونه ... سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته ... وأن تعلمي أن المعان موفق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا ... بأسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه ... كما زان متن الهندواني رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم ... شيوخ وولدان من الحي دردق
فقال أبا مسمع سار الذي قد فعلتم ... فأنجد أقوام به ثم أعرقوا
وإن عتاق العيس سوف يزوركم ... ثناء على أعجازهن معلق

به تنفض الأحلاس في كل منزل ... وتعقد أطراف الحبال وتطلق
يداه يدا صدق فكف مبيدة ... وكف إذا ما ضن بالمال تنفق
كذلك فافعل ما حييت إذا شتوا ... وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق

ثم تغنى بهذا الشعر فتبعهما فلم يفرغ منهما إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه
والأشراف يتسابقون إلى بناته يخطبونهن فما بقيت واحدة منهن إلا في عصمة رجل أفضل
من أبيها بكثير وقد روي خبر المحلق هذا على وجه آخر غير هذا الوجه وقد
ذكره صاحب الأغاني أيضا وزعم أن الأعشى ما ذكره بعض الكلابيين من أهل
البادية قال كان للمحلق شرف فمات وقد أتلف ماله وبقي المحلق وثلاث
أخوات له ولم يترك لهم إلا ناقة واحدة وحلتي برود كان يشهد بهما الحقوق
فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة فنزل الماء الذي به المحلق
فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه فأقبلت عمة المحلق فقالت يا ابن أخي هذا
الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء والعرب تزعم أنه لم يمدح قوما
إلا رفعهم ولم يهج قوما إلا وضعهم فانظر ما أقول لك واحتل في زق من خمر
من عند بعض التجار وأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردي أبيك فوالله لئن
اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين ليقولن
فيك شعرا يرفعك به قال ما أملك غير هذه الناقة وأنا أتوقع رسلها
فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل فكلما دخل على عمته حضته حتى دخل
عليها فقال قد ارتحل الرجل ومضى قالت الآن والله أحسن ما كان القرى
تتبعه ذلك مع غلام أبيك مولى له أسود شيخ فحيثما لحقه أخبره عنك
أنك كنت غائبا عن الماء عند نزوله إياه وأنك لما وردت الماء فعلمت
أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه فإن هذا أحسن لموقعه عنده فلم تزل
تحضه حتى أتى بعض التجار فكلمه أن يقرضه زق خمر وأتاه بمن يضمن له
عنه فأعطاه إياه فخرج بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج
يتبعه فكلما مر بماء قيل له ارتحل أمس عنه حتى صار إلى منزل الأعشى
بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب
لهم فضيخا فهم يشربون منه إذ قرع الباب فقال انظروا من هذا فخرجوا فإذا رسول

عنز

المحلق

المحلق يقول كذا وكذا من خلوا عليه وقالوا هذا رسول المحلق لك فلا جرى اتاه
بكيت وبكينا فقال ويحكم أعرابي وإن أرسل إلي به فدخل والذي ليس أعطي الكبد
والسنام والخمر في جرة ثم قال لكن فيه شعر لا أفلتهم منه من قوافيه العشيان
وقالوا غبت عنا فأطلت الغيبة ثم أتيتنا فلم تطعمنا لحما وسقيتنا
الفضيخ واللحم والخمر ببابك لا نرضى بذا منك فقال لا إذن لوا له فدخل فأدى
الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه فقال
أقرئه السلام وقل له وصلتك رحم وسيأتيك ثناؤنا وقام العشيان إلى
الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها فأخرجوا كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا
بهما فأقبلوا يشوون وصبوا الخمر فشربوا وأكل معهم وشرب ولبس البردين
ونظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول * أرقت وما هذا السهاد المؤرق
حتى أتى على القصيدة قال فسار الشعر وشاع في العرب فما أتت على المحلق
سنة حتى زوج أخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة فأيسر وشرف ه

وكم وكم عطاء النجباء من ماجد ۞ في زمنه فعسا وقد رمسي
مثل الربيع وبيت العقلاء رفع ۞ بنى تميم جمرات الحسرو

الاعراب قوله وكم وكم عطاء النجباء ثم هذا خبرية والمعطوفة عليها
توكيد لما قال الشيخ أحمد الزرقاني إذا جاز العطف في التوكيد اللفظي دون
المقام التوكيد المعنوي لأن التوكيد اللفظي لما كانت ألفاظه متفقة
اغتفر فيه العطف لأنه وإن كان يؤذن بالمغايرة لا يكون الاتحاد ينفي ذلك
بخلاف ألفاظ التوكيد المعنوي فإنها لما كانت مختلفة كان الاتيان بالعاطف
مقويا للمغايرة فلذلك لم يجز الاتيان به فيها هـ ولا يخفى أن هذه العلة
جارية في توكيد الجملة وتوكيد المفرد كان المفرد اسما أو فعلا أو حرفا كما
هنا وقوله من ماجد تمييز كم ولما فصل بينهما وبينه بالجملة وجب الاتيان
بمن قال سعد الدين وإذا فصل بين كم الخبرية وتمييزها بفعل متعد وجب
الاتيان بمن لئلا يلتبس بمفعول ذلك الفعل نحو قوله تعالى كم تركوا من جنات
وعيون وكم أهلكنا من قرية قال وفصل كم هنا النصب على المفعولية ه
وعليه ينزل إعراب كلام الناظم وقد تقدم تكثيرا في قوله كم أزوة عنت

في معلقته من سقط البيت وقوله ذو رثية نعت لحاجر وقعساء نعت للرثية
وقيل هما النابتة ورجل اقعس اي منيع وقصرهما الناظم ضرورة والعراء
بالمد فقط هذا النوع مما لا خلاف فيه من باب مثل احمر وحمراء وهو مطرد وقد
يرد زوده في كلام العرب قوله وقد رسموا في عامر من تبع يقال سموا سموا فالنداء
علا وكلما اريد به في كلام الناظم فهو اعم من ساما للمبالغة على حد قوله

حتى اذا ما رابه تغضبه ودا منه ✿ ما الليث منبعثه من الأقدار

وفي معنى ما ذكره الناظم قول ابن شكرة يهجو بعض الرؤساء وهو غاية في
بابه

تيه علينا ولست فينا	ولي عمير ولا خليفة
فته وزد ما على حمار	يفكك عيني وثاقه وكفيفه
ولا تقل ليس في عيوب	فذ قذفت لغيره العقيقة
الشعر ناو بلا دخان	وللعوافي زفرة كثيفة
كم من ثقيل الحمل ساع	هوت به أخرى خفيفة
لو يمس الهند ومنوا امل	لكل قرح لها رحيقة

ذكر الربيع وبنيه الكملة وبني نمير ونسب انماطهم بالشعر

اما الربيع فهو ابن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هرم
ابن عوذ بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن ... العبسي
امه فاطمة بنت الخرشب الانمارية احدى المنجبات من بغيض اخوته المنجبات كان يقال
لبنيها الكملة وهم ربيع الكامل وقيس الحفاظ وعمارة الوهاب وانس
الفوارس ذكر ابو عبيدة ان فاطمة هذه رأت في منامها كأن قائلا يقول
لها اعشرة هدرة احب اليك ام ثلاثة كعشرة فلم تقل شيئا فعاد اليها
في الليلة الثانية فلم تقل شيئا ثم قصت ذلك على زوجها فقال لها ان
عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة فلما عاد لها قالت ذلك فولدتهم
كلهم غدية ولقيها عبد الله بن جدعان التيمي وهي تطوف بالكعبة فقال
لها نشدتك برب هذه البنية اي بنيك افضل فقالت الربيع لا بل عمارة لا
بل انس لا بل قيس وثكلتهم ما ادري ايهم افضل وفي رواية انها قالت ثكلتهم

إن كنت أعلم أنني أفضل من كان في الغلغلة الجمع غمة أن يبرزوا فيرجموا فأمعنا وفيهم
يقول قيس بن زهير العبسي وقيل حاتم الطائي ۞

بنو جنية ولدت سيوفا ۞ قواطع كلهم ذكر صنيع

وحدّث ابن الأعرابي قال وفد أبو براء ملاعب الأسنة وهو عامر بن مالك
ابن جعفر بن كلاب وإخوته ومعهم معاوية معوّد الحكماء وكطفيل فارس قرزل ونزال
وعامر بن الطفيل وعبيدة ومعهم ابن أخيهم لبيد بن ربيعة المغني وهو
يومئذ غلام فوفدوا على النعمان بن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي
وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من تجار الشام يقال له سرجون بن
نوفيل وكان سرجون حريفا للنعمان يبايعه وكان أديبا حسن الحديث
والمنادمة فاستخفه النعمان وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه
وإلى النطاسي متطبب كان له وإلى الربيع بن زياد وكان يدعى الكامل فلما
قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فإذا خلا الربيع بالنعمان
طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك بهم مرارا وكانت بنو جعفر أعداء
للربيع فصده عنهم فدخلوا عليه يوما فرأوا منه تغيرا وجفاء وقد كان
يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا ولبيد في رحالهم
غلام يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بها
عليهم فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منه فقال
لهم ما لكم تناجون فكتموه وقالوا إليك عنا وقد نهي أن يسأل عن مثل هذا
الكلب يصعب أن يحفظ منا وكانوا هموا أن يسمعهم لبيد فسألهم فكتموه
فقال لهم والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم بعيرا أو تخبروني فيم أنتم وكانت
أم لبيد امرأة من بني عبس يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على
الملك وصد عنا وجهه فقال لهم لبيد هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه
فأزجره عنكم بقول ممض ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبدا فقالوا وهل
عندك من شيء فقال نعم قالوا فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلة كانت قدامهم
دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة
فقال هذه التربة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها

[illegible]

ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل بلدها شاسع :. ونبتها خاشع :.
وآكلها جائع :. والمقيم عليها قانع :. أقصر البقول فرعا :. وأخبثها مرعى وأشدها
قلعا :. فتعسا لها وجدعا :. ثم انتبه الشيخ فقال الغلام أخا بني عبس
:. أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس. فقالوا نصبح فنرى
فيك رأينا فقال لهم عامر ملاعب الأسنة انظروا غلامكم فإن رأيتموه نائما
فليس أمره بشيء وإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره
وإذا رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب
رحلا فهو يكدم وسطه حتى أصبح ويقال إنه نام آخر الليل فاستيقظه عمه
فقبل مرة الا فيروزا فقال الغلام انكرا في ارى اخيك كأن عنقه عنق غزال وأنت
تريد أن تعرض عرضك للمغافص من أهله فأيقظه عمه وقال إنه فإنكم ما تلقى
به الناس غدا فإنه مشهور عنكم فقال له لبيد يا عم أرى تكريمك بربيعة
فما عندي غير هذا فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبنا فحلقوا رأسه
وتركوا له ذؤابة وألبسوه حلة ثم غدوا به معهم على النعمان وقد لبس
كذي بعد زر الغرور فانتهوا إليه ومن ورائه قبة له وحوله الناس ومعه الربيع
ابن زياد يواكله فنادى لبيد من وراء القبة

أتلع أم تسمع رب القبة ... يا أوهب الناس لعنس صلبة
ذات هباب في يديها خذبة ... ضرابة بالمشفر الأذبة
في لاحب كأنه الأكيبة

فلما سمع النعمان ذلك الرجز قال ادخلوا فدخلوا فناداهم أي إنما يراه ويشكو
برأي الصعاليك ويشكو الربيع بريده أيضا فقال لبيد يعاتب النعمان

أكل يوم هامتي مقزعه ... يا رب هيجا هي خير من دعه
يا واهب الخير الكثير من سعه ... نحن بنو أم البنين الأربعه
نحن خيار عامر بن صعصعه ... المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه ... إليك جاوزنا بلادا مسبعه
نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه ... مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
إن استه من برص ملمعه ... وإنه يدخل فيها إصبعه

يدخلها حتى يواري أشجعه ❁ كأنما يطلب شيئاً ضيّعه

فلما فرغ من انشاده التفت النعمان الى الربيع شزرا يرمقه وقال أكذلك انت قال لا والله لقد كذب عليّ ابن الأحمق اللئيم فقال النعمان أفّ لهذا الغلام لقد خبّث عليّ طعامي يا غلام فقال الربيع أبيت اللعن أما اني قد فعلت بامه فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل ومثلك فعل بابنة عمه وربيبة حجره ثم مضى يعد من نسوة غير فعل فقال ضمرة بن ضمرة الدارمي كلاما ينتصر به الربيع فقال له لبيد

❁ ❁

يا ضمر يا عين بني كلاب ❁ ويا ابن كلب عاوياً بالباب

أكان هذا أول الثواب ❁ لا يعلقنّكم كفّي وناب

إني إذا ما فنتت ❁ ذو عقاب ❁

فسكت ضمرة وكان بنو كلاب قوم لبيد قد اسروا ضمرة فمنّوا عليه واطلقوه بغير فداء فلذلك قال له ما قال قيل وكان النعمان اذا غلب الرجل عنده وفلج على خصمه زاد له وسادة وامر ان يطعم عشيّة لغيره قبل ان ياكل الطعام فزاد لبيدا وسادة وامر ان يطعم فطعم ففي ذلك تقول ابنة لبيد

إن أبانا كان خلّا سرّا ❁ يأكل قبل الآكلين عشرا

ثم ان الربيع انصرف من عند النعمان الى رحله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحمله به في كل عام وامره بالرحيل عنه فارسل اليه الربيع اني قد تخوفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد ولست ببارح حتى تبعث اليّ من يجردني فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه النعمان انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلّت به الألسن فالحق باهلك فلحق الربيع باهله وارسل الى النعمان بشعر يقول فيه

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ❁ ما مثلها سعة عرضا ولا طولا

بحيث لو وزنت لخم بأجمعها ❁ لم يعدلوا ريشة من ريش شمويلا

ترعى الروائم أحرار البقول بها ❁ لا مثل رعيكم ملحا وغسويلا

فابرق بأرضك يا نعمان متكئا ❁ مع النطاسي طورا وابن توفيلا

فأجابه النعمان بقوله ❁ ❁

شَمِّرْ برجلك عني حيث شئت ولا ۞ تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله ۞ ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا
فما انتفاعك منه بعدما جزعت ۞ هوج المطي به أبراق شمليلا
قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا ۞ فما اعتذارك من قول إذا قيلا
فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة ۞ وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا

قالوا فلم يزل الربيع بعد ذلك عند النعمان بعدها وأما لبيد رضي الله عنه فعاش عشرا في زمن الإسلام وأسلم وهجر الشعر وقال له عمر رضي الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدني شيئا من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاد له عمر في عطائه خمسمائة وكان قبل ذلك ألفين وقيل إنه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ۞ حتى لبست من الإسلام سربالا

وقوله في الرجز المتقدم مغبر طلبة أي نافذ شديد وصعاب كعقاب أي سريعة وخرقة بجميع الأعضاء أي مرح والذوائب جمع ذؤابة من الشعر والأهبة جمع إهابة بالكسر وكعة من الأدم شبه بها الكمرة وقوله نحن بنو أم البنين الأربعة أم البنين هي ابنة عمرو بن عامر فارس الضحياء وهي إحدى المنجبات كفاطمة بنت الخرشب وذكر أنها ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب عامرا أبا براء ويعرف بملاعب الأسنة وطفيل الخيل فارس قرزل وهو والد عامر بن الطفيل وربيعة المقترين وهو والد لبيد رضي الله عنه وسلمى نزال المضيق وعبيدة ومعوذ الحكماء وإنما قال لبيد أربعة لوزن الشعر والقافية وإلا فهم خمسة كما ترى وأما قوله يهتف البيضة فقال ابن عيسى عن الفراء إنما البيضة وحكى سلمة عن الفراء إنما الفصل المعين في الحرب فائدة وهي غريبة حكى الشيخ أبو القاسم البرزلي نزيل تونس في نوازل النكاح عن شيخه وهو عن الشيخ أبي العباس بن علوان أعرابية المشهور بتونس أنه أتته امرأة يوما فشكت إليه أنه قد تزوجها رجل أندلسي وأساء عشرتها وعسر عليها التخلص منه فقال لها الشيخ إذا جاء عليك أن يراجعك فقولي به برصا فإذا عثر عليه ذلك حكم عليه بأن يكشف وينظر إليه في ذلك الحين فلما رأى الزوج أن الأمر أفضى به إلى منزلة الغاية طلقها وتخلصت

منه بمنزلة القبيلة قلت ولا شك ان هذا البغية انما اشتبه هذا لابن مرقعة لسيدي والله اعلم ❊ وأما بنو العجلان فهم بطن من عامر بن صعصعة وهم العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ولقب ابوهم بالعجلان لتعجيله القرى للضيفان فيما قيل وكانوا يفتخرون بهذه النسبة ويتمدحون بهذا الاسم حتى هجاهم النجاشي الشاعر واسمه قيس بن عمرو الحارثي احد بني الحارث بن كعب بقوله

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ۞ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قبيلة لا يغدرون بذمة ۞ ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية ۞ إذا صدر الوراد عن كل منهل

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ۞ وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

وما سمي العجلان إلا لقولهم ۞ خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فتصرف في اللقب وقلب مدحه ذما وقد اشتملت الابيات على نحو خبيث لما فيه من التعيير والاهانة الى الغاية وابن مقبل المذكور في الشعر هو تميم ابن مقبل العجلاني شاعر مشهور ادرك الجاهلية والاسلام ولا صحبة له فذكر الرواة ان بني العجلان اتضعوا بهذا الشعر بعد رفعتهم وذلوا بعد عز فيهم حتى صاروا يعتذرون من الانتساب الى العجلان وجعل احدهم اذا سئل عن نسبه يقول كعبي مخافة ان يسخر منه واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النجاشي فقالوا يا امير المؤمنين انه هجانا فقال لهم عمر رضي الله عنه فما قال لكم فانشدوه قوله

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ۞ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر رضي الله عنه انما دعا عليكم ولعله لا يستجاب له فقالوا انه قال

قبيلة لا يغدرون بذمة ۞ ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضي الله عنه ليتني من هؤلاء الذين لا يخيسون بعهد ولا يظلمون احدا فقالوا انه قال

ولا يردون الماء إلا عشية ۞ إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر رضي الله عنه ذلك اصفى للماء واقل للزحام فقالوا انه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر رضي الله عنه كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه قالوا فإنه قال

وما سمي العجلان إلا لقولهم ... خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر رضي الله عنه كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين إنه هجانا قال وما أسمع هجوا فقالوا أرسل إلى حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكنه حاول أن يدرأ الحد بالشبهة فلما سمع فيه قول حسان سجن عمر النجاشي وقيل إنه جلده وأما بنو نمير فهم بكر من عامر بن صعصعة أيضا وكانوا من الغزاة المنعة فكانوا يتباهون أنهم جمرات العرب لم يحالفوا أحدا لعزتهم وقوتهم فكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال من بني نمير وفخم بها صوته وأمال عنقه إذ ذاك لعزته وامتناعه حتى هجا جرير شاعرهم الراعي فهجاهم بقصيدته التي تسمى الدامغة التي يقول في أولها

أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبت لقد أصابا

إلى أن قال

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولو وضعت شيوخ بني نمير ... على الميزان ما عدلت ذبابا

فلم يرفعوا بعدها رأسا ولم تلق قبيلة من العرب بمثل ما لقيت بنو نمير من هجو جرير حتى صاروا يفرون من الانتساب إلى نمير وينتسبون إلى عامر أبيهم الأعلى وكان السبب في ذلك ما حكاه الأصمعي عن رجاله قال كان الراعي واسمه عبيد بن حصين النميري ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وإصابته في ذلك يقضي للفرزدق على جرير ويفضله عليه من ذلك قوله في قصيدة له

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا ... غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وقال أيضا من أخرى

رأيت الجحش جحش بني كليب ... تيمم حوض دجلة ثم هابا

وكان الراعي قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير ثم ضربت رأيي فيه ثم خرجت ذات يوم أمشي

ولم اركب دابة قال وو الله ما يسرني ان يعلم احد بشيء اتيته فلقد كان للراعي
والفرزدق وجلساؤهما حلقة باعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت
اتعرض له لألقاه من حيال وجهه كنت ارى انه يمر اذا انصرف من مجلسه وما يسرني
ان يعلم احد حتى اذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له
احوى محذوف الذنب وانسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته
قلت له مرحبا بك يا ابا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت يا
ابا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل على الفرزدق تفضيلا قبيحا وانا امدح
قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي دونك ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا ان تقول
كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة فكان بينا انا كذلك وهو
واقف علي ما رد علي شيئا اذ لحق ابنه جندل فرفع كرمانية كانت معه
فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا اراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى
منه شرا او ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها
قلنسوتي فوالله لو يعوج علي الراعي لقلت سفيه غوي يعني جندلا ابنه
ولاكن والله ما عاج علي فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم اعدتها على راسي ثم قلت

أجندل ما تقول بنو نمير ۝ اذا ما الاير في است ابيك غابا

قال فسمعت الراعي قال لابنه اما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة
قال جرير ولا والله ما القلنسوة باغيظ امره الي لو كان عاج علي فانصرفت
مغضبا حتى اذا صليت العشاء بمنزلي في علية لي قلت ارفعوا الي باطية من
نبيذ واسرجوا لي فاسرجوا لي واتوني بباطية من نبيذ قال فجعلت اهمهم فسمعت
صوتي عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت الي فاذا انا على
الفراش عريان لما هو بي فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا
فقالوا لها اذهبي لطيتك فنحن اعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر
فاذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا في بني نمير فلما ختمها بقوله

فغض الطرف انك من نمير ۝ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

من ذلك البيت كبر ثم قال اخزيته ورب الكعبة ويقال انه لما قال هذا البيت وثب
حتى اصاب السقف راسه وكبر ثم صاح وقال اخزيته والله غضضت منه

وقد وقعت اخويه عليه والله لن يفلح بعدها ابدا ثم اصبح حتى اذا عرف أن
الناس قد غدوا مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلس الراعي والفرزدق دعا بدهن
فادهن واخلع جمته وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام اسرج لي فاسرج
له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان بموضع السلام قال يا غلام ولم يسلم
قل لعبيد يعني الراعي ابعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق اما والذي نفس جرير
بيده لترجعن اليهن بمير يسوؤهن ولا يسرهن ثم اندفع في القصيدة فانشدها
فنكس الفرزدق رأسه واطرق الراعي فلما انتهت له الى زوى لساخ فيهما وارتفع
القوم حتى اذا اجمع منها ما اراد قام الراعي فركب بغلته بشر وعر وتفرق
اهل المجلس وصعد الراعي الى منزله الذي كان ينزله فقال لاصحابه ركابكم ركابكم
فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذلك شؤمك وشؤم
ابنك قال فما كان الا ترحلهم قال الراعي فسرنا والله الى اهلنا سيرا
ما ساروا الى احد وبهم بالشريف وصلوا على دار بني نمير فيحلف بالله راعيها بل
انتم وجزوا عليهم فقرأ عليهم بيته فغض الطرف انك من نمير ه بيتنا شر له
الناس واقسم بالله ما بلغه انسي قط وان جرير به شيئا مما لم يجر فتشاءمت
به بنو نمير وسبوا ابنه وكرهوا ولده وعلم الراعي انه قد اساء وندم فتزعم بنو
نمير انه مات قبل انقضاء السنة ويقول غيرهم انه كمدا فمات كمدا واجاب
بعض بني نمير جريرا عن شعره فقال ٥

نمير جمرة العرب التي لم *** تزل في الحرب تلتهب التهابا
واني اذ سببت بها كليبا *** فتحت عليهم للخسف بابا
ولولا ان يقال هجا نميرا *** ولم نسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب *** وكيف يشاتم الناس الكلابا

فما من ذا يهب كليبنا ولا جر برا ولا نفع نميرا ولكن جبل استمرار الضعة في بني نمير
بقول جرير فقال ابن مناذر يهجو ثقيفا ٥ ٥

وسوف يزيلكم عنه هجاء *** كما وضع الهجاء بني نمير

وقد تنكروا من ذي بعض قبائلهم كان يرد سوق البصرة فيسئل ممن هو فيقول من بني نمير فيذكر
ذلك له من اليه فقالوا له ارفع واخرج منهم فقال له فغض الطرف انك من نمير *

البيت فلما عاد الى الشرق سخروا منه وهزؤوا به فاراد ان يقول البيت بنسبته
فجعل يقول غير غيظ عنبسه وابي جاد ما تكرر فكتبوا عنه وعلموا انه من عرق
فزارة بربيعة ويحكى ان امراة مرت بقوم من بني نمير فاخذوا ينظرون اليها
ويتبعونها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ما امتثلتم من واحدة من اثنتين
في قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولا قول الشاعر فغض
الطرف انك من نمير ۝ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ذكر جمرات العرب وقبائلها

قال ابو عبيدة في كتاب الديباج جمرات العرب ثلاث بنو ضبة بن اد بن طابخة
وبنو الحارث بن كعب بن علة وبنو نمير بن عامر بن صعصعة فطفئت منهم جمرتان
طفئت ضبة لانها حالفت الرباب وطفئت بنو الحارث بن كعب لانها حالفت مذحج
في كل قبيل انضموا وصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم فهم جمرة ومن
حالف غيره من القبائل فليس بجمرة وبقيت نمير لم تطفأ لانها لم تحالف قبيلة
غيرها ولذا قال شاعر منهم

نمير جمرة العرب التي لم ۝ تزل في الحرب تلتهب التهابا

وقيل ان الجمرات ضبة بن اد والحارث بن كعب وعبس بن بغيض ونمير بن عامر والثلاثة
اخوة لام وذلك ان امراة من اليمن رات في المنام كانه خرج من فرجها ثلاث
جمرات فتزوجها كعب بن علة فولدت له الحارث بن كعب ومنهم بنو عبد المدان
ومنهم اشراف اليمن ثم تزوجها بغيض بن ريث فولدت له عبسا ومنهم شاس
العرب ومنهم عنترة بن شداد العبسي ثم تزوجها اد بن طابخة فولدت له ضبة
ابن اد ومنهم مانهم في الشجاعة والاباء وفي ذلك يقول شاعر منهم

نحن بني ضبة اصحاب الجمل ۝ والموت احلى عندنا من العسل

فجمرتان في مضر وجمرة في اليمن فهذا تقسيم قول الناظم رحمه الله جمرات العرب
والله اعلم

(تنبيه) يكثر للشيخ عند من تقدم ذكره فضل علم الكعبة لم يعلق
الا غرابة اعلم ان لفظة اربعة الاجزاء بالشركة في الماء قلنا كلامه
اقوال الاخرين ان تكون للدلالة على ان علة الاستعمال مقصور الاجزاء في المائع حتى

انتفاء مضمون الشرط من غير التفات الى ان علة العلم بانتفاء الجزاء ما هي وهذا هو الكثير المتعارف عند النحاة فيها ومنه قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وما اشبهه اي لاكن لم نشأ فلم نوت كل نفس هداها وقوله لو جئتني لاكرمتك اي لكن لم تجئ فلم اكرمك وقول الحماسي

ولو طار ذو حافر قبلها ۞ لطارت ولاكنه لم يطر

ثانيهما ان تكون للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الاول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات الى ان علة انتفاء الجزاء في الخارج ما هي وهذا هو استعمالها عند المناطقة وهو استعمال العرب ايضا ولاكنه قليل بالنسبة الى الاول ومنه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقول الناظم لو لم يكن للشعر البيت فهو من الكلام الجامع ومن شواهد فضل التمييز له الشاهد وان شئنا لنا السائر وهو من الغير المسمى عند البديعيين بالمذهب الكلامي وهكذا البيت الذي بعده ثالثها ان تكون لبيان استمرار شيء بربطه بابعد النقيضين وهو ايضا عربي كثير ومنه قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ۞

ذكر المعلقات وما قيل فيها

قال ابن خلدون اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب متنافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشان واهل البصر لتمييز سمينه من غثه وجيده من رديئه حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم ابيهم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات وانما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه من مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ۞ وقال بعضهم انما سميت المعلقات لان العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر في اقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احد حتى ياتي مكة في موسم الحج فيعرضه على اندية قريش فان استحسنوه

زوزني وكان من الفضلاء وإن لم يشتهر شهرة كثير ممن يعتنى به قال أبو عمرو بن
العلاء وكانت العرب تجتمع في كل عام بمكة وكانت تعرض أشعارها على هذا
الحي من قريش وقال ابن الكلبي أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس
علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه ثم أحدر وعلقت
الشعراء ذلك بعده وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية قالوا وكانت المعلقات
تسمى المذهبات لأنها كانت تكتب في القباطي بماء الذهب ثم تعلق بها ثم قيل
مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره قال السيوطي في المزهر ذكر ذلك غير واحد
من العلماء وقيل في معنى المعلقات كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول
علقوا لنا هذه لتكون في خزانته وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم
بجمهرة أشعار العرب إن أبا عبيدة قال أصحاب السبع التي تسمى السمط
امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة قال المفضل
من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل وروي
أن المروانيين بعض خلفاء بني أمية أمر من اختار له سبع قصائد سماها
المعلقات الثواني وهي معلقة امرئ القيس وأولها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومعلقة طرفة وأولها

لخولة أطلال ببرقة ثهمد — تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومعلقة زهير وأولها

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم — بحومانة الدراج فالمتثلم

ومعلقة لبيد وأولها

عفت الديار محلها فمقامها — بمنى تأبد غولها فرجامها

ومعلقة عمرو بن كلثوم وأولها

التغلبي

ألا هبي بصحنك فاصبحينا — ولا تبقي خمور الأندرينا

ومعلقة عنترة وأولها

هل غادر الشعراء من متردم — أم هل عرفت الدار بعد توهم

ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري وأولها

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

واعلم أن هذه الحجة التي ساقها الناظم للاستدلال بها على فضيلة الشعر حجة أدبية وليست شرعية لأنها احتجاج بعمل الجاهلية وقد أبطله الله سبحانه ونسخه وعوض خيرا منه والحمد لله قال صلى الله عليه وسلم إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الحديث والله تعالى أعلم ولولا تكرمه بنيل رواية * فائدة في مسائل ابن الأزرق *

من تعرض الكلام في كونها فيه كفاية والآية لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدإ ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عليه مدهامتان فإنها في المعدودة آية إذ ليس فيه جمل ولو تقديرا فالأولى قول بعض الشيوخ في الإتقان هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها للكتبة بعد قوله بالسورة فلا يكون أقل من آية فالأولى أن يقال كطائفة من السورة بدل القرآن وسميت الآية بذلك لأنها علامة على صدق الآتي بها وفي كيفية تعيينها ستة أقوال ذكرها في كتب التعريف

ذكر مسائل ابن الأزرق وما يتعلق بها

نقل جماعة من المحدثين كابن بشير والبيضاوي والفخر الرازي وغيرهم عند قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها يعني الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضي الله عنه أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ه والشعر في آخر البيت بالتعريف المبرد وقال أبو بكر ابن الأنباري قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن قالوا وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث قال

وليس الامر كما زعموه من انا جعلنا الشعر اصلا للقرآن بل اردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لان الله تعالى قال انا جعلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ثم اخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وروى ابو عبيد في فضائله عن ابن عباس انه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال ابو عبيد يعني انه كان يستشهد به على التفسير قال الحافظ السيوطي رحمه الله قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك واوعب ما رويناه عنه مسائل نافع ابن الازرق وقد اخرج بعضها ابن الانباري في كتاب الوقف والطبراني في معجمه الكبير قلت وذكر المبرد في كامله ساق كثيرا منها قال السيوطي في الاتقان وقد رأيت ان اسوقها هنا بتمامها لتستفاد ثم ذكر بسنده الى ابي بكر بن محمد قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الازرق لنجدة بن عويمر قم بنا الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما اليه فقالا انا نريد ان نسألك عن اشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فان الله تعالى انما انزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما فقال نافع اخبرني عن قول الله تعالى عن اليمين وعن الشمال عزين قال العزون حلق الرفاق قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت عبيد بن الابرص وهو يقول

فجاءوا يهرعون اليه حتى ۞ يكونوا حول منبره عزينا

قال اخبرني عن قول الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة قال الوسيلة الحاجة قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت عنترة وهو يقول

ان الرجال لهم اليك وسيلة ۞ ان ياخذوك تكحلي وتخضبي

قال اخبرني عن قوله تعالى شرعة ومنهاجا قال الشرعة الدين والمنهاج الطريق قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت ابا سفيان بن الحارث وهو يقول

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ۞ وبين للاسلام دينا ومنهاجا

وقصر السيوطي بذكرهما مسألة مسألة حتى ملأ منهما نحو الكراسة فانظرهما
في كتابه الافتخار في علوم الفخار والله الموفق

أما مراتب كل الكتابة وما ... تفضلها ابن كثير الأبق
وانما نزه عنهما النبي ... ليبرز ان عجزا بالتفوق

اعجاز التنزيل كما علم والكلام على نفي الشعر وغيرها وعلى معنى الاعجاز مشهور
في كتب الكلام

ذكر فضل الشعر والكتابة وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عنهما

أما الشعر فقد تقدم في فضله من الأحاديث والآثار ما لو اقتصر عليه لكان
من الكفاية ولكننا نلم منها بشيء مما لم نذكره سابقا فمن ذلك ما ورد
ان عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوئ تتقى
وكتب الى ابي موسى الأشعري مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق
وصواب الرأي ومعرفة الأنساب وقال معاوية رضي الله عنه يجب على الرجل
تاديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب وقال بعضهم كنا عند عمار بصفين وعنده
شاعر ينشده فقال رجل أيقال فيكم الشعر وانتم اصحاب محمد واصحاب
بدر فقال عمار ان شئت فاسمع وان شئت فاذهب انا لما هجانا المشركون قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لهم كما قالوا لكم فكنا نعلمه الاماء
بالمدينة وقيل لسعيد بن المسيب ان قوما من أهل العراق يكرهون الشعر
فقال نسكوا نسكا اعجميا وسئل ابن سيرين في المسجد عن رواية الشعر في رمضان
وانها تنقض الوضوء فانشد

نبئت ان فتاة كنت اخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فام الناس وسئل ابن عباس عن الشعر فقال من حدث القول فانشد

وهن يمشين بنا هميسا ... ان تصدق الطير ننك لميسا

وقال انما الرفث عند النساء ثم احرم للصلاة وكان ابو السائب المخزومي
يقول اما والله لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل يوم مرارا يعني الرحبة
التي تقام فيها الحدود وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالادب فانكم ان احتجتم
اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال بعض الشاعر

من فضل الشعر انه لم يكن باحد فخر ان يقول الناس ابن الشاعر فانه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له احسنت والله فلا يشهد له شهادة زور الا ومعها يمين بالله وهو مأخوذ من قول ابي تمام في وصف القصيدة.

محببة ما ان تزال ترى لها ... الى كل افق وافدا غير وافد

وتلقية لها ترد اذن سامع ... بتمرن ابدا عن غير شاهد

واما الكتابة فيكفي في فضلها ان الله تعالى امتن بها على نبيه في خير عباده بقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم قال الزمخشري ودل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها ما استقامت امور الدين والدنيا. واخرج الحكيم وسمويه عن انس والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم بالكتابة قال المناوي في شرح الجامع الصغير اسناده صحيح. وقال ابن خلدون في كتاب العبر الكتابة هنا عدة شريفة اذ هي من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتادى بها الاغراض الى البلاد البعيدة فتقضى بها الحاجات وترفع بها مؤنة السعي لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوا من علومهم واخبارهم. وقال الشيخ ابو محمد عبد الواحد ابن عاشر الفاسي في فتح المنان اعلم ان صنعة الكتابة من اجل الصنائع. ومن افضل ما يتحف به العبد من اسباب المنافع. تجمع من الحكمة اللسان. وتحوي الذكر من الاشعار. وتخلد العلوم والحكم على ممر الازمان. ثم قال وقد قلت في الكتابة على طريق اللغز

لله في خلقه من صنعه عجب ... كادت حقائقه في الوجود تنقلب

كلم بغير فم لا الاذن تسمعها ... فكلها عاجم والمعاني معربة

ثم ذكر خلافا كثيرا في اول من اخترعها فقيل ادم وقيل ادريس وقيل هود وقيل اسماعيل عليهم السلام وقيل حمير بن سبا وقيل مرامر بن مرة وقيل غير ذلك والذي يظهر في ذلك انها كانت عليه الاقفال والادراك النظر

أن آدم عليه السلام أول من خط فكتبها ما كان يتعبد به مع بنيه وأول من أجاد الخط
والكتابة إدريس عليه السلام بعد ذلك ونقل في كنوز الخفا عن مسند الإمام أحمد أن
أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس وأول من وضع الخط العربي على الحروف
هود عليه السلام علمه بوحي من الله تعالى حسبما تعرفه في الإشارات التي
عند الكلام على يعرب بن قحطان وكانت حروفه منفصلة كلها وسمي الكتابة
العربية بحميرية وكانت تسمى المسند وزعم ابن مسلم أن أول من كتب الخط العربي
حمير بن سبا علمه مناما وقال ابن خلكان كانت لحمير كتابة تسمى المسند حروفها
منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها إلا من أذن
بإذنهم والقول بأن أول من كتب الخط العربي إسماعيل عليه السلام معناه
أنه أول من تصرف في الخط الحميري ونقله عن حالة الانفصال إلى حالة الوصل أخ
رج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أول من وضع
الكتاب العربي إسماعيل وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابا واحدا
مثل الموصول حتى فرق بينه ولده يعني أنه وصل جميع الكتاب ليس بين الكلم فرق
هكذا بسم الله الرحمن الرحيم نقله في الإتقان ثم جاء مرامر بن مرة ففصل الكلم
بعضها من بعض وجعل كل كلمة مستقلة بنفسها والله أعلم وقد حكى ابن
قتيبة في كتاب المعارف أن أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة من أهل الأنبار
ومن الأنبار انتشرت في العرب وفيه أن خالد بن الوليد لما فتح الأنبار وسأل
أهلها ممن تعلمتم الكتابة قالوا من إياد وحكى إمام القراء والنحويين أبو عمرو
الداني أن أول من كتب بها مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فمرامر
وضع الصور وأسلم وصل وفصل وعامر وضع الإعجام وفيه أن الإعجام إنما
حدث في الكتابة بعد الإسلام وأن المصاحف العثمانية كانت غير منقوطة
ولا مشكولة والحاصل أنه أرجح ما ورد عن كعب الأحبار من أن آدم أول
من كتب جميع الحروف على أنه كتب كتابة تليق بلغته التي كان يتكلم بها مع بنيه
في ذلك العصر ومنه التي تفرعت عنها الخطوط كما أن من لغته تفرعت اللغات
ثم تفنن في ذلك إدريس عليه السلام والكتابة ثم جاء هود عليه السلام
أو حمير بوضع الخط العربي مفصولا كله ثم جاء إسماعيل عليه السلام فوصله

كلّه ثمّ تفرّقت بيد حكماء العرب وقادتهم فاصطلحوا على فصل الكلم بعضها
من بعض وفصل بعض الحروف دون بعض حسبما هو الموجود اليوم وعليه يحمل
ما ورد ان اول من كتب بالعربية ملوك مدين او رجال من طيّ او غير ذلك وكان حرب
ابن امية يتردد في تجارته الى العراق فتعلم الخط العربي من اهل الانبار وعاد
به الى قريش بمكة فتعلموه منه قال الجعبري والخط الذي علمه حرب بن امية قريشا
هو الخط الكوفي ثم استنبطت منه انواع نسبت الى ابن مقلة ثم آخر نسبت الى ابي
الحسن بن البواب ه قال ابن خلكان ولم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب
مثل ابي الحسن بن البواب ولا قاربه وان كان ابو علي بن مقلة اول من نقل هذه الطريقة
من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه
ايضا في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة و
بهجة ولما انشد ابو عبيد البكري الاندلسي صاحب التصانيف العجيبة خط
ابن مقلة انشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته ۝ ودت جوارحه لو انها مقل ۝

والكل معترفون في الحسن بالتقدم وعلى منوالهم ينسجون وليس فيهم من يلحق
شأوهما ولا يدعي ذلك مع ان في الخلق من يدعي ما ليس فيه ومع هذا فما
رأينا ولا سمعنا ان احدا ادعى ذلك بل الجميع اقروا لهما بالسابقة وعدم
المشاركة ه كلام ابن خلكان وقد تطورت الخطوط العربية في الاقطار وتعددت كما
تطورت لغتهم في الاقطار وتعددت حسبما اسلفناه في هذا الكتاب وربك
يخلق ما يشاء ويختار **تتمة** ذكر ابن خلكان ان جميع كتابات الامم
من سكان المشرق والمغرب اثنا عشر خطا وهي العربية والحميرية واليونانية
والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية
والاندلسية والهندية والصينية فخمسة منها اضمحلت وبطل استعمالها
وذهب من يعرفها وهي الحميرية واليونانية والقبطية والبربرية والاندلسية
وثلاث بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي
الرومية والهندية والصينية وبقيت اربع هي مستعملة في بلاد الاسلام وهي
العربية والفارسية والسريانية والعبرانية ه وهذا الكلام يخبر

انه لا يخفى معه، وانت تعرف ان الخطوط تساوي اللغات او تكاد، وقد شرع
في اتساع اللغات وكثرتها كثرة لا تقف عند الحصر ولا التيسير وفي الخبر
وقد نقل ابن خلكان بنفسه ان ابا نصر الفارابي كان يحسن اكثر من سبعين لسانا
والخطوط ان لم تكن مساوية لها فلا تنقص عنها الا باليسير، والقوم في اليوم قد
اولعوا باحياء اللغات الدائرة، وتجديد الخطوط الغابرة، فلا تزال ترى من ذلك بالعجب
وعثروا من ذلك على غرائب تعز الا على من جد في الطلب، واعلم ان الكلام في
الكتابة طويل الذيل، منهمر السيل، اذ لها تآليف تخصها، وقد يشتغل بتصنيف
فيه عن عوارضها، وبه يتضح لك هذا ان تعلم ان القلم احد اللسانين، وكما ان
للغة قوانين واحكاما تخصها كذلك للكتابة قوانين واحكام تخصها هي
مذكورة في دواوينها والله اعلم. واما تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن الشعر والكتابة فقد قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له، قال
الزمخشري اي ما يصح له ولا يتطلب لو طلبه، اي جعلناه بحيث لو طلب قرض الشعر
لم يتات له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض. وذكر صاحب المواهب اللدنية ان من خصائصه صلى الله
عليه وسلم حرمة الكتابة والشعر عليه، قال وانما يتجه القول بحرمتهما من يقول
انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما، والاصح انه كان لا يحسنهما اه
قال وهل منع الشعر خاص به عليه السلام او بنوع الانبياء، قال بعضهم نعم
عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له، فانه لا يكون فيه للخصوصية
نكتة اه. وقد وصفه الله في القرآن وغيره من كتبه التي انزلها على انبيائه
بالنبي الامي، وقال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون، هذا وقد ورد في صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية ما
ظاهره يقتضي انه صلى الله عليه وسلم كتب، فقد روى فيه عن البراء بن عازب
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا كتب الكاتب وهو علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا لا نقر بها ولكن
انت محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امح رسول الله، فقال
علي والله لا امحوه ابدا، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب

هذا

هذا ما قاضى محمد بن عبد الله الى آخر القصة قال العلقمي فمن تمسك بظاهر هذه
الرواية أبو الوليد الباجي فادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد
أن لم يكن يحسن أن يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة
وأن الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ۝ وقال إن رسول الله قد كتبا ۝

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير هذا
لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن
قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد أن تحققت أميته
وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد
ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى وذكر غير العلقمي أن الباجي صنف
في ذلك رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة إذ ليس
من عرف أن يكتب اسمه فقط يخرج عن كونه أميا لأنه لا يسمى كاتبا وجماعة
من الملوك قد مهروا على كتابة العلامة وهم أميون والحكم للغالب لا للصور
النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام إنا أمة أمية أي أكثرهم كذلك
لندور الكتابة في الصحابة وقال تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
وبعضهم بالمعنى وقال اليعمري في عيون الأثر إن أبا الوليد بعث الى الآفاق
يستفتي بمصر والشام والعراق وغيرها في ذلك فكلهم قال لم يكتب بيده قط وراوا
ذلك محمولا على المجاز وأن معنى كتب أمر بالكتابة ومثلت كما يقال بنى بيتا أو صنع
كتب قال وحضرت هذه المسألة يوما بحضرة شيخنا الإمام أبي الفتح القشيري
يعني ابن دقيق العيد فلم يقبلها بقول من قال كتب وقال عن الباجي من قبل الخروج
الى أن يستفتي بالعلماء من الآفاق انتهى قال العلقمي وذكر ابن دحية أن جماعة
من العلماء وافقوا الباجي في ذلك منهم شيخه أبو ذر الهروي وأبو الفتح
النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية وغيرها واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه
ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله قال ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال
صدق قد سمعت من يذكر ذلك ثم ساق أحاديث وقال بعدها وأجاب الجمهور

بعض هذه الاحاديث ثم قال قال الشميلي وغيره وهذا وان كان ممكنا ويكون
آية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب وبهذه الآية التي قامت بها الحجة
وافحمت الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يقال انه يكتب بعد ذلك لعادت
الشبهة وقال المعاندون كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك قال الشميلي
والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب اي امر
عليا ان يكتب ه ثم قال وقال الاقلاع الحقير الحق عندي في هذه المسألة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر على وصف الامية كما هو كذلك في القرآن
ولقوله انا امة امية وحديث البراء في صحيح البخاري في قصة الحديبية مصرح
بانه صلى الله عليه وسلم غير محسن للكتابة ولهذا قال في الرواية الاخرى لعلي
لما امتنع من محو اسمه ارنيه فلو كان يعرف موضع الحروف او التهجي لما سأله
اراءته فلما اراه علي موضع المكتوب مكان اسمه وهو محمد رسول الله فكأنه صلى الله
عليه وسلم محا بيده الشريفة لفظ رسول فقط وابقى الجلالة مكانها ومحمد
مكانه وامر عليا ان يصور له كيفية ابن عبد يصورها له في شيء فنقله صلى الله
عليه وسلم الى ذلك الموضع الممحو كما شاهدناه مع عدم معرفته باوضاع الحروف
وقواعد الخط فقال فيه كاتبا كما هو مشاهد في كثير من العوام ممن لا يعرف الحروف
ولا اوضاع يكتبون خطا حسنا ينقلونه نقلا كما ينقلون الاشكال والصور
ولم ينقل الينا من طريق صحيح ولا ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب شيئا بخط يده غير هذا في هذه القصة وانما كان له صلى الله عليه وسلم كتاب
يكتبون له الوحي وغيره وهذا الذي ظهر لنا انه هو الصواب الذي لا محيد عنه
والله اعلم ه كلام الاقلاع الحقير قال العلقمي وما قاله هو الوجه
الذي ينبغي ان يعول عليه ولا يلتفت الى ما ابداه غيره من الحجج فان كثيرا منها
في غاية الشذوذ لا يحتاج الى جواب وهذا الذي قاله هو الذي نعتمده وندين
الله به والله اعلم ه مختصرا **لطيفة** حكى المقري في نفح الطيب عن
القاضي ابي الفضل عياض قال حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصيقل الشاطبي
من لفظه قال حدثني ابو الحسن بن مفوز قال كان ابو محمد بن احمد بن الحاج السواري
من المنازعين ... شغف ممن لازم الباجي وتبعه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز

في أراءته

مباشرة

مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده في حديث المقاضاة الى سـع
الحديبية على ما جاء في كلام بعض رواته ويتعجب به وكنت انكر ذلك عليه
فلما كان بعد مدة اتاه فذكر ذلك على عادته واعلمني ان رجلا من اخوانه رأى
في النوم كأنه بالمدينة وانه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم اماه فتحرك له فيقشعر بدنه ويصيبه عظيمة ثم يراه ينشق ويخرج
ولا يستقر فيفزع به منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت اخشى
على صاحب هذا المنام ان يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته
او يحمله ما ليس له باهل او لعله يفتري عليه فسألني بالله من اين قلت
هذا قلت من قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله ان دعوا للرحمن
ولدا فقال لي ذلك يا سيدي واقبل يقبل رأسي ويبدي دهشته ويبكي مرة ويضحك
اخرى ثم قال لي انا صاحب الرؤيا واسمع منا مما يشهد لك بصحة تاويلك
قال انه لما رايتني في ذلك الفزع العظيم كنت اقول والله ما هذا الا في
اقوالي واعتقادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت ابكي واقول انا
تائب يا رسول الله واكرر ذلك مرارا قال ابن العربي فقد عاد الي بيته او دنا
وسكن فاستيقظت ثم قال لي وانا اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كتب قط حرفا وعليه القى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي اراك البرهان
فاشكر له كثيرا ه وقال ابن الابار حدثني بهذه الحكاية ابو الربيع بن سالم
بقراءتي عليه عن الكاتب ابي بكر عبد الرحمن بن مغاور وقرأته عليه عن
القاضي ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن ابي الحسن هشام بن معوز قال
كان ابو محمد الباجي اخا مها وفيها اتم من هذه ه ما نقله المقري رحمه الله

(وفتن به فانه لاشك عنوان الجهل والبخل والتدلس)
اللغة قوله فتن به اي من الفتن بالتحريك وهو العشق والمراد اقبل
على الشيخ واعتكف عليه عكوف العاشق على معشوقه وهذا زيادة في قوله
فيما مر فقلده غير مكترث منه البتا وكأنه لما تحقق بمنزلة الادلة في مدح
الشيخ ووضوح فضيلته انتقل عن ذلك الى المذهب وقال فتن به للاكثر تقدم ان قوله
فقلده غير مكترث منه هو فساد العربية لان مكترث حرف احرف فيحتاج يريد خير له

هذا أن يتلقى شعرا في الصواب أن هذه في البلاغة غير مقصودة له، والمعول عليه
ما قدمه من أن كل شاعر قد لا يشعر به غالبه ويكفي له وجه لغات افهمها فا
نكبر به أئمتنا هم مضموم الشين ويجيء بالكسر والفتح العقل والفطنة والتغزل
بالغين المهملة والزاي المعجمة مصدر تغزل الرجل إذا اهتم بالغزل وزاد غير اكثر
مما عنده لتغزل وعن محمد بن موسى بن حماد قال قال الخليفة المهدي يوما في
أبي العتاهية أنت انسان متغزل معتوه فمن ثم قيل له أبو العتاهية والمعتوه
كالمعتوه الغافل المختل العقل فلأنه في الغالب مرسل وإنما كان الشعر عنوانا للحجا
وما عطف عليه لمن يرد كلام الشعراء ويفطنتهم على غيرهم فالشعر دال على
جودة الفهم وصحة التفكر وتمام الذوق وكمال الإنسانية وما سمي الشاعر
شاعرا إلا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ولذلك يفتخر في مواقع المدح
والهجاء ويتقلب في أفانين الكلام فيأتي بالسحر الحلال ويفتن ويجل من
سمع الكلام ومن أن يقول شيئا يعجز عنه غيره حتى لو وجدنا من يحسن
العربية والعروض ويتكلم الأبيات متساوية الأجزاء إلا أنها خالية عن نكت
البلاغة ودقائق الصناعة الشعرية لما صح لنا أن تسميه شاعرا كما قال
القائل إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده * فقل أنا وزان وما أنا شاعر *
ولذلك ما سمى العلماء من يتكلم الأراجيز ونحوها في فنون العلم ناظما ولم
يسموه شاعرا فافهم * *

ومثله الإكسير وترتيب ليس * زاغ افتكياه ورد يوزن
من غير تفكيك وتصغير وتكليس وتركيب وقتل زئبق

يقول إن صناعة الشعر من الصناعات التي تستحق أن تسمى بصناعة الإكسير
للصناعة الكيمياء التي يتعاطاها أرباب هذا الفن يحصلون منها على طائل
وهذا من الناظم رحمه الله إنكار لصنعة الكيمياء وستأتي تتمة الكلام في هذا
الفصل وكلامه مأخوذ من قول أبي بكر بن النكاج في أجد له النعلي

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم * ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

يذكر أنه اشتغل على مذهب النيتين عشرين في اللازم ثم زاد له مثلها
ومثله قول أبي بكر ابن البناء في حول الشمع إذ ينادي لغب مزوجه

ما صح علم الكيمياء لغيرهم ... فيما رأينا من جميع الناس
تحكيم البزر الثقال إذا امتحن ... رفعوا إليك الشمع في قرطاس

وقول ابن خلاف من الاسكندرية

ما صح علم الكيمياء لغير من ... قراح الإقلام أن يتيمم أنحاء وقع
يحكيهم الأقوال إذ يحكمونه ... لفكنا وما منهم لعجز اللادق

قال العقبي بعد أن أنشد هذه الأشعار ليس هذا من هذا عقد الكيمياء في شيء بل هذا من باب الرفق والعزائم فإن هو من فساد التخييل أو من اتصل بماهية الكيمياء قلت وهذا الانتقاد الذي أبداه العقبي صحيح ويؤيده قول أبي العتاهية في عمر بن العلاء وكان قد أبطأ عليه بالجائزة

أصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر
أصابتك عين في سماحك صلبة ... ويا رب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فإن لم تفق منها رقيناك بالسور

والعرب تسمي الشعر رقية الشيطان والغناء رقية الزنى فلأجل هذا مدح عم ابن عبد الحق بن مرزوق قد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانه من الجن راقيا

والمراد بهذا كله فرضوعه على انتقاد العقبي بما ذكر التعصب عنه وجانس بين الورق والورق ولحيل أن المفتوح في استعمال أدق المكسور فيكون من باب الكيمياء وهو حسن إذ أن بعض الأشكال فرحرتبه أرباب السيمياء فلم يتم له ما أراد والله أعلم ومما يناسب هنا ما كتب به الفقيه البارع أبو مرزوق لفقيه قدره كبير وأثنى من جارية له سوداء من جملة أبيات

وخضت رب العزيز منها بتوقع ... ومن كلمات الخير تستخرج الدرر
وأبدت أهمي وأرتنا علم جابر ... فأعملها من الفائدة الشمس والقمر

وجابر الذي ذكره هو جابر بن حيان المنسوب إليه علم الكيمياء قالوا وهو

رجل معروف الاسم مجهول الرسم والله اعلم

ذكر نبذة تتعلق بالكيمياء اصلا وعلما

معسكر الحكماء

اعلم ان عالم الكون والفساد من العناصر الاربعة وما تولد منها دون
الافلاك وما اشتملت عليه فاما العناصر فهي النار والهواء والماء والتراب
فاما النار فكرتها تلي فلك القمر تتدرج فيه وتماس سطحه الباطن وتنفعل
لفعله ثم واما الهواء فكرته تلي كرة النار ومنزله الاعلى يلي فلك القمر واما
الماء فكرته تلي الهواء كذلك واما التراب فكرته دون الجميع وهي جرم
الارض وهو مركز العالم باسره الا ان الماء انحسر عن بعض جوانبها فانعمر
بالعناية لخلق قابل للتفصيل على الاكمل وهو عنصر التراب وهو بارد يابس ويليه
في الثقل عنصر الماء الذي فوقه وهو بارد رطب والخفيف على الاطلاق هو عنصر
النار وهو حار يابس ويليه في الخفة عنصر الهواء الذي تحته وهو حار رطب
وكل منها يستحيل الى ما يجاوره صاعدا او سافلا فهذه هي العناصر الاربعة
وكيفياتها واما ما تولد منها فهي المواليد الثلاثة وهي المعدن والنبات
والحيوان وذلك ان المتولد ان كان ذا نمو وشعور فهو الحيوان واشرفه الانسان
صاحب العقل والنظر وان كان ذا نمو ولا شعور له فهو النبات وان عدم النمو
والشعور معا فهو المعدن ثم المعدن اجناس كثيرة من جملتها المنطبع فلذات السبعة
التي هي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصين
فانوا وكلها ترجع في تركيب خلقتها الى معدنين احدهما الكبريت وهو الذكر
لانه حار يابس والثاني الزئبق وهو الانثى لانه بارد رطب فان كان الكبريت اكثر
من الزئبق والقوة ووجدت الحرارة النارية الطابخة ولم يعقها عائق عن فعلها
تخلق منهما الذهب وان كان الزئبق اكثر من الكبريت وعدمت الحرارة الطابخة
تخلقت الفضة وهكذا اذا كان الزئبق قليلا او رديا او حصل عائق على وجه مخصوص
تخلق عن ذلك معدن آخر من باقي السبعة كالقصدير والنحاس وغيرهما بحسب
اختلاف المقادير ووجود العائق في الفاعل او القابل او فيهما ونقل الصغير عن
علماء الطبيعة ان علة تخلق الذهب ان الزئبق اذا كمل نضجه في معدنه جذبته
اليه كبريتة المعدن فاجنه في جوفه ومنعه من السيلان لركونيته فلما احتلها

والبرودة أثبتت الحرارة في كيفيتهما وانضاجهما انعقد منهما عند ذلك ضروب
المعادن فإن كان الزيبق مائيا والكبريت نقيا واختلطت أجزاؤهما على النسبة
التي قدرها الحكيم العليم وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من
البرد واليبس ولا من الملوحة والمرارة والحموضة انعقد من ذلك على طول
الزمان الذهب الإبريز قال ابن خلدون والمدة التي يتم فيها تخلق الذهب
في معدنه من ألف سنة وثمانون سنة وهي مدة الدورة الكبرى للشمس وما
ذكره في دورة الشمس خلاف ما عند جماعة من الفلكيين من أن الدور الأعظم للشمس
ينتهي في أربع عشرة مائة سنة وأحدى وستين سنة ونصف والله أعلم إذا
علمت هذا فاعلم أن الناس قد اختلفوا في الذهب والفضة هل يمكن التوصل
إلى صنعتهما بأن يجعل النحاس مثلا ذهبا والرصاص فضة أم لا ومنشأ الخلاف
عندهم مبني على أن المعادن السبعة هل هي أنواع مختلفة بالفصول كالإنسان
والفرس والكلاب والسمك وعليه فلا يمكن تصيير النحاس أو الحديد مثلا ذهبا
بالصنعة والمعالجة كما لا يمكن تصيير الإنسان فرسا وبالعكس أو هي أصناف
مختلفة بالعوارض كالإنسان البربري والرومي والعربي وعليه فيمكن تصيير
النحاس ذهبا بالمعالجة كما يمكن للبربري أن يتخلق بأخلاق العرب ويتزيى بزيهم
حتى يصير كواحد منهم كما تراه في جل قبائل الشاوية من الإيالة فإنهم عجم
في الأصل وحصلت لهم الملكة العربية على أتم الوجوه فأربوا على أبناء
العرب الصرحاء كما هو معلوم واعلم أن هذه الصناعة التي يتوصلون
بها في زعمهم إلى تخليق الذهب والفضة تشتمل على أعمال تسمى التدبير والعلم
بتلك الأعمال هو علم الكيمياء قال ابن ساعد لفظ الكيمياء عبراني معرب
أصله كيم يه ومعناه أنه من الله قال الصفدي والأشبه أنه فارسي بمعنى
كي مياتي تجيء على الاستعداد قلت الأقرب هو الأول لأن الناقل
أمير ولأن المعنى الذي ذكره ابن ساعد هو المعنى الذي تقتضيه هذه الصناعة
إذ الأذن وهذه الأعمال هي الحل والعقد والمزج والتشميع والتفكيك والتصعير
والتكليس والتركيب والتصغير وغير ذلك وكل عمل يشتمل على قوانين
وكيفيات يطول ذكرها وقد شرحها أرباب الصناعة في كتبهم وتعريف

الكلام فيها انه قد علمنا ان المواليد الثلاثة مركبة من العناصر الاربعة
متفاوتة فمنزلة الصناعة يتصور منزلة المركبات من الجمادات والنباتات
والحيوانات وفضلاتها وامتزاجها كي يعثروا على المادة التي يستخرجون منها
الاكسير ومواده يستخرجونه بالاعمال التي ذكرناها فاذا تم على الوجه
المطلوب واخذ منه شيء والقي على قدر معلوم من النحاس او الحديد او غير ذلك
على كيفية معلومة احاله ذهبا ابريزا او فضة خالصة فهو عندهم بمنزلة
الخمير الذي يحيل العجين الى كيفيته ويقلبه الى حقيقته فلذا اذا اردنا ان نستخرج
مادة الزئبق للانتفاع به فانا نجعله في القرعة ونركب الانبيق ونشعل
بحرارة النار فيسيل منه بالضرورة جزء مائع ويبقى جزء مترب وينعقد ءاخر
ويصعد ءاخر فالمائع عنصر الماء والمترب عنصر الهواء والصاعد عن عنصر
النار والثابت عنصر التراب فقد انفصلت صورة الزئبق الى الاركان الاربعة
وحصل التحليل والتصعيد فيها بالنار واذا اردنا ان نستخرج من عناصر العود
الهندي للتطييب به فانا نضعه على النار فيتحلل منه الحرارة وينفصل منه جزء
مائع من فوق النار ويصعد منه دخان كثيف ويبقى منه جزء كالفحم او
يستحيل رمادا فالمائع والمترب من الماء والهواء والصاعد عن النار وربما
خالطه بعض اجزاء الهواء والماكث في النار الذي هو على هيئة الفحم من التراب
فقد انحلت صورة العود الى العناصر الاربعة ايضا فحصل عمل التحليل والتصعيد
فيها والفائدة في ان الحرارة من خاصيتها ان تفرق الاجزاء المختلفة
وتجمع الاجزاء المتماثلة والبرودة بالعكس كما هو مبين في محله واما
التكليس والتركيب فان المادة التي يراد استخراج الاكسير منها مثلا قد
لا تتم صلاحيتها لذلك الا باضافة شيء ءاخر او اشياء اليها او تكون حلتها
فيتوقف العمل على تليينها او نحو ذلك فتؤخذ تلك المادة وتسحق سحقا
بليغا ويضاف اليها ما يلطفها ويوالى عليها بالسحق والمزج بالماء او غيره
شيئا فشيئا حتى يصير الشيئان او الاشياء في صورة الشيء الواحد بحيث
يتعذر انفصال بعضها عن بعض بقدرة الانسان بكل وجه وهكذا مبنى سائر
اعمالهم من الحل والعقد والمزج والتشميع وغير ذلك دائرة على تفريق الصورة

الواحدة اي مزج فيها او تركيب المواد المتعددة وردها الى صورة واحدة وتحقيق
تلك العقاقير وترقيقها يرجع في عمله الى التعفين والتصعيد من باب تفريق
الصور الواحدة اي اجزائها والتكليس والتركيب من باب جمع المواد في صورة
واحدة واما مثل الزئبق فهو قرعا يجعله بالنار على الوجه المعروف عندهم حتى
تفنى رطوبته ويصير متحجرا كالحجر المعادن المذكورة قالوا ومن اصعب العمل حيلة
له في حقيقة اذ بذلك يتأتى الصلاحية ويحصل فيه المراد واعلم ان
كيفية العمل مبنية على اعمال صعبة والعمل شاقة واحكامها للتلبيس بها
الى من عانت عليه قيوده وسهل عليه دينه فان جل ما يعانونه ويشتغلون
بمعالجته وتصفيته انما هي الارواث والازبال وسائر النجاسات نسأل
الله العافية وان خسة ابعدهم من خسة من يتعاطى ذلك ويتلبس به ثم
لا يرجعون من ذلك الا بالخيبة ولا تكون عاقبة اكثرهم الا الفقر والضلال
عن الصراط المستقيم وما يرجى نفعه في المعاش والمعاد ولله در ابن نباتة حيث قال

فدت كسرانهم اسرار اهل الكيميا جملا ... وفكروا اذ دعاهم بعض ما سمعوا
ان يجعلوا الكتبا للدرس بينهم ... اضحوا ملوكا وان لم يجربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع ... وكم فتى منهم من غرة العمر

فان قلت فما عندك في حكم هذه الصناعة ونجاح سعيها قلت الذي عندي
منع الاشتغال بها شرعا وعقلا وعادة اما شرعا فقد سئل الشيخ ابو اسحاق
التونسي عن صناعة الكيمياء فقيل هل هي حلال ام لا فقال العرق في النحاس او غيره
من الاجساد حتى صار فضة مباحا لها لما ناله شك فيه فمن اشترى ذلك بعد صنعه
منها كان غاشا او عسرا من الاجساد من ذهب حتى صار ذهبا كما ترى كان
غاشا من لبسا فات الا ومن ذكر انه لم يشتر احد ذلك منه بقليل ويقول انما ذهب
حتى صار ذهبا وكذلك ليربي له عينه حتى يعوده الى اصله من لم يسر فيها
بصورة الحق في قوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس منا فتكون صناعته
حراما ومن عمل لا شك فيه واما عقلا فان ابن عتاب ويتعين التعليم انه
ان المعادن انواع اختلفت بالصور واذا كان كذلك فمحال ان ينقلب الحديد
ذهبا او الرصاص فضة لانه من باب قلب الحقائق وهو محال وقد افاد العلماء

في القوم الذين مسخهم الله قردة وهذا زعم مع أنه يقال الله الذي جلت قدرته
وعز سلطانه إنه تعالى مسخ أعضاءهم الظاهرة وأما الحقيقة الانسانية
فلم تنعدم بل قال أفها من أقها كانت ثم ختمها وكتبها على قلوبهم بعدم الايمان
فقط وذكر المسخ مجاز عنه فكيف يسلم للانسان العاجز أيضا مع أنه يقدر على
قلب حقيقة الحديد إلى حقيقة الذهب اللهم إلا الهرجة والتدليس فمن ذلك
فسلم له وما أظن ثمت كشبهة وأما القول بأن المعادن نوع واحد اختلفت بالعوارض
فمردود بأنها متى لم تكن بينهما من شرك المباينة خاصية وفصلا ونتيجة وغير
ذلك والتباين في اللوازم يؤذن بالتباين في الملزومات

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ۞ حتى يروا عنده آثار إحسان

وقد لا يتوهم أن الفضة والذهب نوع واحد وقد أجاز الشارع صلوات الله
عليه بيع الذهب بالفضة متفاضلا وبالعكس ومن ثم في أنهما نوعان مع أنه
ليس بينهما من المباينة ما بين الفضة والذهب مثلا وأيضا فقد قدمنا أن الذهب
إنما يتم تخلقه في معدنه إلا بعد أن يمضي عليه أكثر من ألف سنة وإذا كان كذلك
فكيف يحيط الانسان إلى تحقيق الأطوار التي تتعاقب عليه في تلك المدة وكيف
يتأتى له حصر مقادير الحرارات والبرودات التي تعتوره وتفعل فيه على زعمهم
وكيف يضبط مراتب القوى الفاعلة فيه عليه شيئا فشيئا حتى يتم كونه فإن
الانسان لن يحكم أمر الصنعة إلا إذا كان عالما بجميع ما تتوقف عليه بل
ليس ذلك إلا للعليم الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى والانسان عاجز
فيقطع عن الاهتداء إلى الحيلة التي بها يتم تخلق الذهب فإن قلت البشر
أرباب الفلاحة قادرون على إيجاد الثمرات قبل أوانها بضروب من الحيلة
وقادرون على تلقيح الأشجار فيحيلون بعضها إلى بعض كما هو مشاهد فلم
لا يجوز في الكيمياء أن يحيلوا الحديد ذهبا والرصاص فضة قلت
أطوار النباتات والحيوانات ليست كأطوار المعادن فإن أطوار الأولى
كلها أو جلها تنتهي في مدة قريبة من سنة إلى عشر سنين فسهلت التجربة فيها
وأمكن استقراء أطوارها وضبط أقدارها وبذلك تأتى للناس استنباط
علمي الفلاحة والطب إذ مسائلهما ومسائل سائر علوم الطبيعة كلها

مبنية على الخرق بخلاف الصنائع المعتادة من جنسها طويلة جدا ان تنقضي الاعمار
والاجيال ذوي السنين فلا تمكن فيها التجربة والمحنة واذا كان الذهب لا يتم الا في اطوار
الابعاد انسلاخ اكثر من الف سنة فلا تمكن التجربة فيه حتى ان الشخص يعيش
فلا يتمشى له ذلك سنة لان الامور العادية لا تنضبط الا بالتكرار والتجربة المرة
بعد المرة حتى يغلب على الظن الحصول عقب سببه لارتباطه فرد الله تعالى
بينهما ثم على سبيل الاتفاق وتابعه ولانها عادة فلان المعتمد المعلوم سرى
الحاصل في العادة والعيان والتكرار كل من تعاطى من هذه الصناعة لا ينجح سعيه
ولا يتم امره بل لا تكون عاقبة امره الا الخيبة والفقر والخصاصة وسقوط
الهمة والمروءة. وقال الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى الذي جعل
لكم الارض فراشا والسماء بناء ما نصه تامل فان البشر استخرجوا الحرف
الرقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحر واستنزلوا
الطير من اوج الهواء ثم عجزوا عن ايجاد الذهب والفضة والسبب في ذلك
انه لا فائدة في وجودهما الا الثمنية ومعنى الثمنية لا تحصل الا عند
العزة فالقادر على ايجادهما يبطل معنى الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما
بابا تنسد دونه الهمم لاجل الحكمة وانتفاع الخلق بالنعمة ولذلك فان ما لا
مضرة على الخلق فيه مكنهم منه بقدرته ومكنهم من اتخاذ الشبه من النحاس
والزجاج من الرمل واذا تامل العاقل في هذه الكائنات والعجائب افكر
في افتقار هذه التراكيب الى صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا اه. قلت ويؤيد ما ذكره الفخر رحمه الله ان اهل العصر
اليوم قد بلغوا الغاية في علوم الطبيعة وبرعوا فيها واستنبطوا من المعادن
والنبات تآليف وغيرها مما يكاد العقل يحيله ولا يصدق به الا من شاهده ولو
كان امر الذهب والفضة ممكنا لكانوا اسرع الناس اليه من غيرهم لتعلق النفوس
به وتوفر الدواعي عليه فعدم تعاطيهم ذلك والاهتمام به دليل
واضح على ما قاله الفخر رحمه الله ومما يؤيده ايضا ما حكاه ابن خلكان في
تاريخه في ترجمة ابي بكر محمد بن زكرياء الرازي الطبيب المشهور من انه صنف
كتابا في اثبات صناعة الكيمياء واهداه الى المنصور بن نوح الساماني

اقدر مثله فما وراء النهر فاعجبه وشكره عليه ووصله بالف دينار وقال له
اردت ان تخرج هذا الذي ذكرت في كتابك الى الفعل فقال له الرازي ان ذلك مما
تتمون له المؤن ويحتاج الى آلات وعقاقير صحيحة والى احكام صنعة ذلك
كله وفي ذلك كلفة فقال له المنصور كل ما احتجت اليه من الآلات وما يليق
بالصناعة احضره لك كاملا حتى تخرج ما ضمنته كتابك الى الفعل فلما حقق
عليه ذلك كاع عن مباشرته وعجز عن عمله فقال له المنصور ما اعتقدت ان حكيما
يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها الى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم
فيما لا يعود عليهم بمنفعة ثم قال له قد كافأناك على قصدك وتعبك بما
صار اليك من الالف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فحمل السوط
على رأسه ثم امر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره
الى بغداد فكان ذلك سبب نزول الماء في عينيه حتى عمي هـ فلا حاصل للاشتغال
بهذه صنعة الكيمياء فمناف للمروءة والعقل والدين وفيما ذكرنا الكفاية والله
الموفق ۞ ذكر له زاوية كالاصمعي ۞ والجهل اولى بالذي لم يتقن
الفاء في قوله زاوية للمبالغة والاصمعي ياتي الكلام عليه والجهل انتفاء
العلم بالمقصود وقيل تصور المعلوم على خلاف هيئته ومعنى قوله والجهل
اولى الخ ان من لم يتقن في طلب العلم بنية خالصة وعزيمة صادقة وبصيرة
نافذة فالجهل اولى به منه كقول صاحب المقنع المشغاني ۞

لكن سر الله في ذوي الطلب ۞ كم زاد في الجهل به من العجب

والاصل فيه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية عن
ابي سليمان الداراني رضي الله عنه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
الى ما لم يعلموا ومصداقه الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم
يعلم

التعريف بالاصمعي رحمه الله

هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمع الباهلي والى
جده اصمع المذكور ينسب وباهلة امرأة من همدان تزوجت معن بن اعصر بن
سعد بن قيس عيلان بن مضر فنسب ولده اليها وكان الاصمعي قد نشأ بالبصرة
واخذ عن المشايخ كابي عمرو بن العلاء وغيره وسمع شعبة بن الحجاج والحمادين

وسمع من كرام وغيرهم، وروى عنه ابو عبيد القاسم بن سلام وابو حاتم
السجستاني وابو الفضل الرياشي وغيرهم. قال ابن خلكان كان الاصمعي
صاحب لغة ونحو اماما في الاخبار والنوادر والملح والغرائب، وقال غيره
كان الاصمعي حافظا مكثرا عالما متقنا عارفا باشعار العرب واخبارها كثير التطواف
بالبوادي فيها من علومها وتلقي اخبارها، وهو صاحب غرائب الاشعار
وعجائب الاخبار ونوادر الفضلاء ونبلاء الادباء، وقد استوفى علم اللغات
في حفظ اللغات ومتبع العلوم الادبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان
هاهنا بالرشيد حظيا عنده آخذ الصلات، ولما قدم عليه ببغداد هو
وابو عبيدة معمر بن المثنى قيل لابي نواس قد اشخص ابو عبيدة والاصمعي الى
الرشيد فقال اما ابو عبيدة فانهم ان امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين
والآخرين، واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته. وقال عمر بن شبة سمعت الاصمعي
يقول احفظ ستة عشر الف ارجوزة. وقال اسحاق الموصلي ان الاصمعي يزعم
شيئا من العلم فيكون احد اعلم به منه. وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي
رضي الله عنه يقول ما عبر احد عن العرب باحسن من عبارة الاصمعي. وقال ابو
بكر النحوي لما قدم الحسن بن سهل العراق قال احب ان اجمع قوما من اهل الادب
فاحضر ابا عبيدة والاصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم، فابتدأ الحسن
ينظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم ويوقع عليها فكانت خمسين رقعة
ثم امر فدفعت الى الخازن، ثم اقبل علينا فقال قد فعلنا خيرا ونظرنا في
بعض ما نرجو نفعه من امور الناس والرعية فلنأخذ الآن فيما نحتاج اليه
فافضنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا، فالتفت ابو عبيدة
فقال ما الغرض ايها الامير في ذكر من مضى وبالحضرة منا من يقول ما قرأ
كتابا قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج منه، فالتفت
الاصمعي وقال انما يريد بهذا القول ايها الامير، والامر في ذلك على ما حكى
وانا اقرب عليك قد نظر الامير فيما نظر فيه من الرقاع وانا اعيد ما فيها وما
وقع به الامير على رقعة رقعة، فامر فاحضرت الرقاع فقال الاصمعي سأل
صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة

حتى مر في نيف وعشرين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي فقال ايها الرجل ابق
على نفسك من العين وكفى الاصمعي **وقال** ابن خلكان قال الاصمعي حضرت انا
وابو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لي كم كتابك في الخيل فقلت مجلد واحد
فسأل ابا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدا فقال له قم الى هذا الفرس
وامسك عضوا عضوا منه وسمه فقال لست بيطارا وانما هذا شيء اخذته
عن العرب فقال لي قم يا اصمعي وافعل انت ذلك فقمت وامسكت بناصيته وشرعت
اذكر عضوا عضوا واضع يدي عليه وانشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغت منه
فقال خذه وكنت اذا اردت ان اغيظ ابا عبيدة ركبته اليه **وقد** روي من
غير هذا الطريق ان ذلك كان عند الرشيد وان الاصمعي لما فرغ من كلامه في اعضاء
الفرس قال الرشيد لابي عبيدة ما تقول فيما قال قال اصاب في بعض واخطأ في
بعض فالذي اصاب فيه مني تعلمه والذي اخطأ فيه لا ادري من اين اتى به وكان شديد
الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة فاذا سئل عن شيء منهما قال العرب تقول معنى
هذا كذا ولا اعلم المراد منه في الكتاب والسنة اي شيء هو وبلغ ابا عبيدة
ان الاصمعي يعيب عليه كتاب المجاز ويقول يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه
فسأل عن مجلس الاصمعي في اي يوم هو فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقته
فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له يا ابا سعيد
ما تقول في الخبز اي شيء هو فقال الذي تخبزه وتأكله فقال ابو عبيدة فقد
فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال وقال الآخر اني اراني احمل
فوق رأسي خبزا فقال الاصمعي هذا شيء بان لي فقلته ولم افسره برأيي فقال
ابو عبيدة والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا
وقام وركب حماره وانصرف وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني ان طلبة
العلم كانوا اذا اتوا مجلس الاصمعي اشتروا البعر في سوق الدر واذا اتوا
مجلس ابي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر لان الاصمعي كان حسن الانشاد
والزخرفة لرديء الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح وان الفائدة مع
ذلك عنده قليلة وان ابا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة
وعلوم جمة وقال ابو احمد العسكري لغزر حرصا انهم قدموا على الاصمعي وموالي البصرة

ان

ان يفسر اليه فلم يفعل واحتج بقعوده وكبره فكان انما يفرق بجميع المشكل من
اللسان ويتسمح مما اليه ليجيب عنها وحكي عن ابي الفرج قال ركب الاصمعي
حمارا زاد فيها فقيل له بعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت إلا انصرافا بوجهها ... وتنكر من ما الشيء الذي كان صافيا
شربنا برنق من هوى غير مخلص ... وليس يعاف الرنق من كان صاديا

هذا واقواله في هذا الباب التي من ذا كله مع فضله واخباره ونوادره كثيرة وكانت
ولادته سنة اثنتين وعشرين ومائة وتوفي في صفر سنة ست عشرة ومائتين
بالبصرة وقيل بمرو رحمه الله ومما رثي به

لا در در نبات الارض اذ فجعت ... بالاصمعي لقد ابقت لنا اسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ... في الناس منه ولا من علمه خلفا

وله من التصانيف كتاب خلق الانسان وكتاب الاجناس وكتاب الانواء وكتاب
الهمز وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفرق وكتاب الصفات وكتاب
الابواب وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب
الابل وكتاب الشاء وكتاب الاخبية وكتاب الوحوش وكتاب فعل وافعل
وكتاب الامثال وكتاب الاضداد وكتاب الالفاظ وكتاب السلاح وكتاب
اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب اصول الكلام وكتاب القلب
والابدال وكتاب جزيرة العرب وكتاب الاشتقاق وكتاب معاني الشعر وكتاب
المصادر وكتاب الاراجيز وكتاب النخلة وكتاب النبات وكتاب ما اتفق لفظه
واختلف معناه وكتاب غريب الحديث وكتاب نوادر الاعراب وغير ذلك

(لو ولدت بمن كان مثل الاصمعي في اشتغاله بما افتن وكل تعني)

اللغة الاصمعي نسبة الى اصمع بن عبد شمس ومنه بضم الهمزة على الياء من بعضهما
على غير القياس ونحو الاشهر عندهم فلانة في المصباح والاشتغال بكسر الهمزة
وتعني كالغزوة وزنا ومعنى والافتنان الاتباع وتعني كغنى حقيقة بالوزن
والقافية ومعنى الكلام هنا امر من رواية الشيخ للزوبية بما ليس تشتغل
وما سوى تشتغل كما قال عمر رضي الله عنه اشتر ما يذكرك الآن ويشهد له قوله
ولد بمن كان مثل الاصمعي البيت ذكر الاخفش ونبذة من اخباره

أمّا الاموي فهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس
وأمّا من افتروا به فهو المأمون بن الرشيد العباسي رحم الله الجميع وكان من خبر
ذلك ما حكاه ابن كثير في درر الغرر فقال ان الرشيد قال يوما ليحيى بن خالد
ابن برمك ليس يخفى عليك من ولدي بعلمي بحيث تلك ان أم جعفر وبني هاشم الى
الامين ويقولون انه يكون من ابيها وان له مقدارا على ولد بنيها فحكم في حبهما فاستحق
الرشيد المأمون والامين وهما صبيان فأغرى بينهما فأسرع الأمين الى المأمون
فكان المأمون يغلبهما ثم انه امر بينهما ان يتصارعا فوثب الامين وسكن المأمون
فقال له الرشيد ما لك لا تقوم يا عبد الله أخفت ابن الهاشمية أما إنه
لين فقال المأمون معاذ الله يا امير المومنين ولكني لم اخفه وانما قبضت يدي
عنه ما قبضت لسابق خبر سمعته فقال له الرشيد وما الذي قبض يدك ولسانك
قال قول الاموي لبنيه

انفوا الضغائن بينكم وتواصلوا ... عند الأباعد والحضور الشهّد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ... ودماركم بتقاطع وتفرّد
فلمثل ريب الدهر ألّف بينكم ... بتواصل وتراحم وتودّد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم ... لمسوّد منكم وغير مسوّد
إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بدّدت ... فالوهن والتكسير للمتبدّد

فرق الرشيد رقة شديدة واغرورقت عيناه بالدموع فقبّلهما ثم اقبل على الامين
فقال يا محمد ما انت صانع ان صرف الله اليك امر هذه الأمة فقال أكون عند ظنك
يا امير المومنين فقال الرشيد ان تفعل فأهل لذلك أنت ثم اقبل على المأمون
فقال يا عبد الله ما انت صانع ان صرف الله اليك امر هذه الأمة فابتدرت
دموع المأمون فبكى الرشيد لبكائه فلم يملك عينيه فأرسلهما وبكى يحيى بن
خالد وبكى الأمين حتى كادوا ان يغلبوا من البكاء ثم عاد الرشيد لمسألة المأمون
فقال ابكيتني يا امير المومنين فقال الرشيد عزمت عليك لتقولن فقال ان قدّر الله
ذلك جعلت العدل شعارا والحزم دثارا واتخذت سيرة امير المومنين مشعرا
لن تشتعل حرماته ولا تبدل كلماته فأشار الرشيد الى الأمين والمأمون

بالانصراف فانصرفا ثم أقبل على يحيى فأنشده بيت حمزة بن عمرو بن الشريد

أمنت بأمر الحزم لو أستطيعه ⁂ وقد حيل بين العير والنزوان

فقال يحيى حياك الله يا أمير المؤمنين من امرئ رشدا قال ابن كمبع الأبيات المذكورة لعبد الملك بن مروان يخاطب بها بنيه

(ممن أتى الخبر الأصيل فاتبع ⁂ سبيله على الجميع ترتقي)

الإعراب قوله ممن أتى الخبر الإشارة ترجع إلى جميع ما تقدم من قوله واستمع إلى نظم الحكيم إلخ أي المعقول في حقنا وقوله فاتبع سبيله جواب شرط مقدر أي وإذا كان كذلك فاتبع سبيله وقوله ترتقي مجزوم في جواب الأمر ومعناه تعلو وترتفع وعلى الجميع أي جميع أبناء عصرك فالأعرف عمر المعلى أن يه كقوله تعلو وعليه أي في الأشياء كلها أي أسماء المسميات والله أعلم

(وإن أردت أن تكون شاعرا ⁂ فحلا فكن مثل أبي الشمقمق)

(ما خلت في العصر له من مثيل ⁂ سواء في مغرب ومشرق)

الإعراب قوله وإن أردت شرط وقوله فكن مثل أبي الشمقمق جوابه قال الجاحظ يقال للمجيد من الشعراء فحل وحرة وفحلوت شاعر ثم شويعر ثم شعرور وقيل الفحل من إذا عورض غلب قوله ما خلت فعل وفاعل ومعناه ما ظننت ومن مثيل مفعوله الأول وله مفعوله الثاني أي ما ظننت مثيلا كائنا له وفي العصر متعلق بكائن ويحتمل أن يكون في العصر مفعولا ثانيا لخلت وله متعلقا بمثيل وفي مغرب ومشرق بدل من في العصر وسواء استثناء من مثيل فإن قلت كيف صح الإبدال من قوله في مغرب ومشرق من قوله في العصر والأول زمان والثاني مكان قلت لأنهما متلازمان فإن أحدهما يقوم مقام الآخر فإن قلت المستثنى منه في بيت الكرخي وهنا منفي ليس كذلك لأنه مفقود قلت لما كان المقصود منفيا أتى به على سبيل التعميم وكان أبين أنص على ذلك المقصود بحسب العرف فجاز الاستثناء به من المستثنى منه على أن يكون المستثنى منه في بيت الكرخي إنما هو غالب الأزمنة والله أعلم

التعريف بأبي الشمقمق والد الناظم رحمهما الله

أما أبو الشمقمق فهو أبو محمد مروان بن محمد الكوفي الشاعر المشهور بأبي الشمقمق وهو مولى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية قال المبرد في كامله وهو على ما زعم

التوزي عن ابي عبيدة من اهل خراسان من بخارية قرية من قرى خراسان وبها كان
عبيد الله بن زياد ايام كان واليا على خراسان فقال وكان ابو الشمقمق بها يحمي
وينم كثيرا ويهجر مكثرا من ابنه فلك وكان البحتري من اهل عصره يتقون بجاءه
ويخافونه وله في ذالك ملح ونوادر فمنها ان بشار بن برد كان يعطيه
في كل سنة مائتي درهم فاتاه في بعض السنين فقال له هلم الجزية يا ابا معاذ
فقال ويحك اوجزية هي قال هو ما تسمع فقال له بشار يا احمق انت افصح
مني قال لا قال فاعلم مني بمثالب الناس قال لا قال فاشعر مني قال لا قال فلم
اعطيك قال لئلا اهجوك قال ان هجوتني هجوتك فقال له ابو الشمقمق اوكذلك هو
قال نعم فقل ما بدا لك فقال ابو الشمقمق

اني اذا ما شاعر هجانيه ✽ ولج في القول له لسانيه
ادخلته في است امه علانيه ✽ بشار يا بشار

واراد ان يقول يا ابن الزانية فوثب بشار فامسك فاه وقال اراد والله ان يشتمني
ثم دفع اليه مائتي درهم وقال لا يسمعن هذا منك الصبيان وحكي
ان ابا الشمقمق جاء الى سلم الخاسر يستميحه فمنعه فقال اسمع اذن ما قلته فانشد

حدثوني ان سلما ✽ يشتكي جارة ايره
فهو لا يحسن شيئا ✽ غير ايره في است غيره
واذا اشتهى يوما ✽ يا خليلي نيل خيره
قم وقع راسك الا ✽ قلع بقرع باب ديره

فبعث اليه سلم واعطاه خمسة دنانير وقال احب جعلت فداك ان تشرف
راسي الا قلع عن باب دبرنا وجاء يوما الى ابن خوان فقال ابيات هي ببت دبر قبل
المنزل واخرج اليه رقعة فيها

اخرت بابي يغل حيرة لي ✽ فوثوق الباب كالجزع المشرق
فبلا رزلك امر سعد بكيي ✽ الابار كالسهم المفرق
فليما ان عنا زمنا وانرى ✽ جلرش بعد هراع ابي الشمقمق

فوقعت منه الابيات في اقوال الصبيان واخذ بعد ابو الشمقمق بابيات اخر فلم يتم شيء
فيها ومر مجنونه انه جاء يوما الى ديوان الخراج فقام على بابه وانشد على صوته

يا معشر الكتاب جاء الشتاء / وليس لي برد ولا جبة
فلا تم من فضل في كسوتي / منكم جميعا فرد له فجبة
فما عمك لا كل واحد منهم بردا وجبة وقال يهجو سعيد بن سلم ه
هيهات تضرب في حديد بارد / ان كنت تطمع في نوال سعيد
والله لو ملك البحور باسرها / واتاه سلم في زمان مدود
يبغيه منها غرفة لطهوره / لابى وقال تيمم بصعيد
وقال يهجو اوفى بن منصور ه ه
ما كنت احسب ان الخبز فاكهة / حتى نزلت على اوفى بن منصور
الحابس الروث في اعفاج بغلته / خوفا على الحب من لقط العصافير

وحكى ابن خلكان ان خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني كان قد ولي الموصل من قبل المامون وهو صغير وفي صحبته ابو الشمقمق المذكور فلما دخل خالد الموصل نشب لواؤه في سقف باب المدينة فاندق وتطير خالد من ذلك فانشد ابو الشمقمق ارتجالا

ما كان مندق اللواء لريبة / تخشى ولا امر يكون معجلا
لكن هذا الرمح اضعف متنه / صغر الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ الخليفة ما جرى فكتب الى خالد بن يزيد قد زدناك ديار ربيعة كلها لكون رمحك استقل الموصل ففرح بذلك واجزل صلة ابي الشمقمق كذا ذكر ابن خلكان هذا الخبر ومقتضاه ان ابا الشمقمق ادرك زمان المامون وكانت خلافة المامون على راس المائتين وهذه الثالثة من الهجرة والذي في كامل ابن الاثير ان هذه القصة اتفقت لخالد بن يزيد بن حاتم المهلبي وصاحب الشعر هو ابو الهيثم وكان ذلك في خلافة الرشيد والله اعلم بالصواب واخبار ابي الشمقمق وملحه كثيرة اقتصرنا منها على هذا القدر خشية السآمة واطالة الغرض

واما والد الناظم فيقول الاديب ابو عبد الله محمد بن محمد بن ونان قال ابو عبد الله الحميري كان والد الناظم على ما بلغني نادرة زمانه واعجوبة دهره في ظرفه وفكاهته وجده وهزله ذا سجية اروح من نسيم الاسحار وبديهة تغلب الفكر والافكار ومكاتبة تجري العقلاء الوقار ودعابة تفعل في النفوس فعل العقار وكان شديد الصمت كثير الحشمة والتكرم وكان مع

ذلك تفهم بلطيف الإشارة، فلا يفهمه غيره بصريح العبارة، حتى إنه
ليجيب عما يكتبه الكاتب على أعضائه في الكلام، وعما يرمزه الرامز في الهواء
بما وافق الكلام، من غير أن ينطق في الجواب، ويخطئ غيره الصواب، فهو كما قال
الشاعر ۞ تشير له بالمعنى من بعيد ۞ فيفهم حرفه عند الإشارة
قال وحدثني بعض من يعتني بأخباره، ممن بلغ الغاية في اختباره، أنه كانت
له مشاركة في الأدب، ومعرفة بالتاريخ وأيام العرب، وأنه لو تفرغ للتحصيل
وجرى على طبعه الأصيل لكان بحر علم لا يجارى، وفارس براعة لا يبارى،
لعزيز ذكائه، وغزير فطنته، رحمه الله. هـ كلام الحبر ببعض تغيير في اللفظ
قلت ولجودة قريحته وغزارة مادته وحسن بديهته لقبه أمير المؤمنين
الآتي ذكره بالشمقمق وعلق إليه نسبه ولذا متخلصا لمدح المعقود بالتاج
من إنشاء هذه الأرجوزة فقال

لذا لقد كناه به سيدنا الـ ۞	ـشمقمق عز الدين تاج المفرق ۞
محمد سبط الرسول خير من ۞	ساد بحسن خلقه والخلق
أعني أمير المؤمنين بن أمير ۞	المؤمنين بن الإمام المتقي

الإعراب قوله لذا لقد كناه به علة لما سبق من جملة لقبه والدال الناظم للأب
الشمقمق، وقوله عز الدين وصف بالمصدر للمبالغة أي معز الدين وناصره، وقوله
تاج المفرق تشبيه بليغ بحذف الأداة، والمفرق بالكسر ولذا أفرد جمعه أشباه
وبحسن خلقه والخلق أي بمحاسن المعنى، وفي قوله أعني أمير المؤمنين البيت النوع
المسمى بالتكرار وهو أيضا من نوع الاطراد، قال في التلخيص هو أن يأتي الشاعر
باسم الممدوح وأسماء آبائه على الترتيب في الولادة من غير تكلف في السبك
وقال الشيخ معين الدين الحلبي في شرح بديعيته الاطراد عبارة عن ذكر اسم
الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته
لتزداد الممدوح تعريفا وشرطه أن يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا
تكلف فيزداد في التعريف قوة أعلى ما في التلخيص وغيره، ومن شواهد الاطراد
قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقول محمد بن

عبو

عبد الملك الزيات

قد كان يغفرنا ويؤمن سربنا ۞ ويجيرنا من شر كل مخيف
الا مقام خليفة لخليفة ۞ لخليفة لخليفة لخليفة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور وانما اراد انه معروف بالخلافة ليس حديث العهد وللخبر بالشرف والمجد قالوا ولا يكون مع فاحشي يكون الثالث بما نوفيه فلنث وسنذكر ذلك في ممدوح الناظم على ما يتبين بعد ان شاء الله

ذكر السلطان الممدوح بهذه الارجوزة وبعض مآثره

هو الامام الاعظم والكهف الاحمى امير المومنين وقائم الملة والدين ابو عبد الله سيدي محمد بن امير المومنين المولى عبد الله ابن امير المومنين المولى اسماعيل ابن الشريف بن علي الشريف المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي ينتهي نسبه الى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال الشيخ ابو علي اليوسي رحمه الله شرف السادة السجلماسيين مقطوع بصحته كالشمس الضاحية في رابعة النهار وهذا الامام من اعز ملوك فاس العظمى ومراكش الحمراء وسائر بلاد المغرب الاقصى بويع له بالخلافة بعد وفاة والده رحمه الله اواخر صفر الخير سنة احدى وسبعين ومائة والف وكان رضي الله عنه من اعاظم الملوك ومشاهير الخلفاء وقد بسطنا اخباره وسيرته في تاريخنا الكبير الموسوم بكتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى فلينظره فيه من اراده وكانت وفاته رحمه الله يوم الاحد الرابع والعشرين من رجب سنة اربع ومائتين والف بوادي شراط قرب رباط الفتح من ارض سلا ودفن بالرباط المذكور يوم الاثنين ثاني يوم الوفاة وضريحه مشهور يتبرك به الى الآن على غاية من الاجلال والتعظيم وكان رحمه الله عالي الهمة يحب المجد ويركب سنامه ويحب ملوك الترك لجدهم في مكافحة الاعداء ويكاتبونه بمكاتبة السادة ويجيزهم بالاموال والهدايا حتى ملا صيته عندهم وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ويضع الاشياء مواضعها ويعرف مقادير الرجال ويؤدي حقوقهم ويتجاوز عن هفواتهم ويراعي لهم مثل السوابق من سوابقهم وكان له اعتناء كبير بالعلماء لا يغيبون عن مجلسه الا في وقت الضرورة يشغلهم بسرد

كتب التعريف والسير وقام هو بتحرير المسائل وتصفية الدفاتر وتحصيل المهمات
في العشرة وله دواوين كثيرة شهيرة بالمغرب فمن استوعبها فقد كفته في تاريخنا المذكور
وبالجملة فبسط أخبارهم يحتاج الى تآليف مستقل ولنمسك عنان القلم :: مخافة
الوقوع في الملام ::

(خير ملوك الغرب من أشرافه ... وغيرهم على العموم المتكلف)

الأعراف قوله خير ملوك الغرب خبر مبتدأ محذوف والغرب بفتح الغين المعجمة
والمراد به الأقصى أي المغارب في عرف أهلها ثلاثة أدنى وهو القيروان وتونس
وما بين بلاد افريقية وأوسط وهو تلمسان والجزائر وأعمالهما والأقصى وهو
فاس ومراكش وأعمالهما وأسرة الرجل بضم الهمزة رهطه الأدنون من الأسر
وهو الشد لأنه يشتد بهم ويتقوى بهم

ذكر ملوك الغرب من الأشراف السادات السجلماسيين رضي الله عنهم

أما ملوك الغرب من أولاد الأشراف وغيرهم فيكون ذكرهم وأقدم من أولاد
الأشراف فقط فأول من اجتمعت له الكلمة بسجلماسة المولى الشريف بن علي
نشأ بها وجيها زاهدا دينا ممتثل الأمر متورع العقب ثم بايعه أهل سجلماسة عن
رضى منهم ورغبة فيه سنة احدى وأربعين وألف ثم تخلى عن الرياسة بعزلة
لأمور يضيق المحل عن بسطها وكان له من الولد أربعة عشر أو أكثر من أفضلهم
المولى محمد بن الشريف فبويع له في حياة والده سنة خمسين وأربعين وألف فضبط
أمر سجلماسة واستولى على درعة وأعمالها ثم على فاس وأعمالها ثم رجع
عنها وشن الغارات على عرب المغرب الأوسط وأحواز تلمسان ثم توفي
المولى الشريف سنة تسع وستين وألف بسجلماسة فحينئذ قام المولى الرشيد
ابن الشريف أخا المولى محمد بن الشريف ثم خرج عليه بعزلة وتقدم لقتاله
فكان اللقاء ببسيط أنكاد فأصابت المولى محمد بن الشريف رصاصة في نحره
كانت فيها منيته وذلك يوم الجمعة التاسع من محرم سنة خمس وسبعين وألف
واجتمع الناس على بيعة المولى الرشيد فاستتب أمره وتتبع ثوار المغرب فاستأصلهم
بالسيف حتى لم يبق له فيه منازع وكان أول ملوك هذه الدولة الشريفة في الحقيقة

ثم وافته منيته بمراكش ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس من سنة اثنتين وثمانين
وألف ثم نقل إلى فاس فدفن بضريح الشيخ أبي الحسن بن حرزهم وبويع أخوه المولى
اسماعيل بن الشريف وهو يومئذ بمكناسة الزيتون وسنه يوم بويع عشرون سنة
فنهض بأعباء الخلافة وضبط الأمور ورتبها واستمر ملكه إلى أن علا على أثبت
الدعائم وأرسخ القواعد واتخذ مكناسة الزيتون دار ملكه وابتنى بها الآثار
التي تعجز عنها بناتها أعاظم الدول وامتد ملكه من وادي تافنا شرقا إلى أطراف
السوس غربا ودخل في طاعته البربر وجبالها واتخذ من جنود العبيد ما لا يكاد
يأخذه الحصر يقال إنه توفي وفي ديوانه نحو مائة وخمسين ألف جندي منهم
كلهم بالخيول المسومة والأسلحة السابغة وبنى بأطراف المغرب وتلوله ما ينيف
على سبعين قصبة وشحنها بالجنود والعدة وكانت مدة ملكه ما يقارب الستين
سنة ثم توفي بمكناسة الزيتون دار ملكه يوم السبت السابع والعشرين من رجب
سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ولما توفي السلطان المذكور استفحل جند العبيد
أولاده واستبدوا عليهم فصاروا يولون ويعزلون حسب أغراضهم وطوع شهواتهم
فبايعوا أولا ابنه المولى أحمد بن اسماعيل المعروف بالذهبي فمرج أمر المغرب واختلفت
أحواله وكثر الهرج واستمر الحال على ذلك نحو السنة فخلع العبيد المولى أحمد
وبايعوا أخاه المولى عبد الملك بن اسماعيل في شعبان سنة أربعين ومائة وألف
ثم بعد أشهر يسيرة خلعوه وأعادوا أخاه المولى أحمد المذكور في أواخر السنة
المذكورة ثم توفي يوم السبت رابع شعبان من سنة إحدى وأربعين ومائة وألف
وقيل سنة اثنتين وأربعين وكان قد أمر بخنق أخيه المولى عبد الملك فقبل ذلك بيومين
أو ثلاثة وبايع العبيد والكافة أخاهما المولى عبد الله بن اسماعيل وكانت
أيامه مضطربة وكان رحمه الله عديم الشوكة ماضي العزيمة كثير السفك وأمعن
في قتل العبيد حتى كاد يأتي على جميعهم لتمالئهم على قتل أخيه المولى عبد الملك
كما مر فخلعوه سنة سبع وأربعين ومائة وألف وبايعوا أخاه المولى أبا الحسن
علي بن اسماعيل وفر المولى عبد الله إلى السوس وقدم المولى أبو الحسن المذكور من
سجلماسة واستقر بمكناسة وكان مشغوفا بالعلم منتميا إلى أهله متوقفا في
الدماء فاستمر على ذلك نحو من ثلاث سنين ثم إن المولى عبد الله أقبل من السوس

بسمع بما فعله من العبيد فاغتالوا بتصله ومولاي الاتي وخلع العثمن كما فعله اخرى
واقتحم الامر بمكناسة وقويت شيعة المولى عبد الله وثار المولى ابو الحسن
امره في ادبار من الى عرب الاخلاف فاقلع عنهم واغرم عبد الملك لاخواته
منبثة بغير مرة كمولية واما المولى عبد الله فانه فرغ من مكناسة ولم يرد خلعها
بل بقي مقيما بقصبة ابي بكر ابن الغازي من اعمالها وبعث من ما تبقى وبين اهل فاس خلعوه
وبايعوا اخاه سيدي محمد بن اشقا عبد الغزواني بابن عربية بالتفقه وتبعهم على
ذلك العبيد ثم امره فعاد المولى عبد الله الى جبال البربر واشتغل سيدي محمد
ابن عربية الى مكناسة فكان امره سريع الاضمحلال وعجز عن القيام بامر الملك لقلة
النفقة واختلاف الكلمة وكثرة الفتن ثم لما كان اواخر صفر سنة احدى وخمسين
ومائة والف وثب العبيد على سيدي محمد بن عربية فقبضوا عليه وبايعوا اخاه المولى
المستضيء بعد ان استقدموه من سجلماسة وتبعهم الناس على ذلك وكانت ايام المولى
المستضيء اشد افكرا لا يراد من قبله ولما كان مستهل ذي القعدة من سنة
اثنتين وخمسين ومائة والف ثار العبيد على المولى المستضيء فخرج من مكناسة الى
كلميمة ثم منها الى مراكش وراجع العبيد طاعة المولى عبد الله المقيم ببلاد البربر
فقدم مكناسة اواخر رجب سنة ثلاث وخمسين فلم يصطلح ما بينه وبين العبيد وعاودوا
خلعه مرة ثانية الى بلاد البربر في ربيع الاول سنة اربع وخمسين وبايع العبيد اخاه
المولى زين العابدين وتوقف عن بيعته الودايا واهل فاس ثم قلب العبيد له ظهر
المجن فخلعوه وقويت شوكة اخيه المولى عبد الله فقدم من بلاد البربر وجدد
الودايا واهل فاس بيعته وتبعهم العبيد واجتمعت الكلمة عليه واقلع برا ابن
الترشيع من فاس وجرت بعد هذا الخطوب مع المولى المستضيء يطول ذكرها واستمر
الحال الى ان توفي المولى عبد الله المذكور سابع عشر صفر الخير سنة احدى وسبعين
ومائة والف وقد دبر بقبور الاشراف من بلد الجديد واجمع اهل المغرب بعده على بيعة
ولده سيدي محمد بن عبد الله ونحو المخروج بمنزل الازعوزل وكان رحمه الله واسطة
عقد الدولة جم المناقب كثير المحاسن شهير الذكر بعيد الصيت جواد ذو لين
في الحلم واقلع اردنا بعد ان شرفت على الاه جملا ولا يسعنا استيفاؤه الان
ولا اشارة اليه وقد قدمنا ان وفاته رحمه الله كانت يوم الاحد الرابع

والعشرين

والعشرين من رجب سنة اربع ومائتين والف وبويع ابنه المولى يزيد بن محمد وكان
رحمه الله جوادا سمحا وبطلا شهما وسيرا فرما الا ان مدته كانت قصيرة
فان اهل الحوز من مراكش واعمالها لما كانوا قد بايعوا اخاه المولى هشام بن محمد
والعكوف جمعة كلمتهم وتبادروا الى حضرته ورفضوا طاعة اخيه المولى يزيد
فزحف المولى يزيد الى مراكش ودخلها عنوة ثم زحف اليه المولى هشام وكان
اللقاء باحواز مراكش فاصابت رصاصة المولى يزيد من حملتها وعاد الى مراكش فتوفي
بها اواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين والف ودفن بقبور الاشراف قبلي
جامع المنصور من قصبة مراكش وافترقت الكلمة بالمغرب فاهل مراكش والحوز
اجمع على بيعة عمه المولى هشام بن محمد وتابع اهل الهبط وجبال غمارة المولى مسلمة بن محمد
وتابع اهل فاس المولى سليمان بن محمد فتشتت الامر وبقي امر اخويه المولى هشام
والمولى مسلمة في اضطراب يطول ذكرها وكان المولى سليمان رحمه الله من العلم والحلم
والعدل والتقوى والدين بالمحل الذي لا يجهل والسبق الذي لا يلحق وكانت ايامه
مواسم لانتشار الامن وامتداد ظل العدل ورخاء الاسعار وتيسر نيل الاوطار
وتتبع ذلك يطول الا انه رحمه الله قاسى شدائد في اواخر عمره بينها عليه في
كتاب الاستقصاء اجزل الله بها ثوابه واعلى بها درجته الى ان وافته منيته
بمراكش ثالث عشر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف وكان رحمه الله
قد عهد بالخلافة الى ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام وعدل بها عن جميع
اولاده لما يعلمه من بر ابن اخيه المذكور وورعه فكان في ذلك منقبة للعاهل
والمعهود اليه انظر الاستقصاء وقام المولى عبد الرحمن بن هشام بالخلافة
نهضا باعبائها اتم نهوض واصلح المستور منها والمعروف وحاول احياء سنة
الجهاد في البحر فلم يساعده الوقت لامور يطول شرحها ومن اراد استيفاءها
فعليه بالاستقصاء واستمرت حياته رحمه الله الى ان توفي يوم الاثنين التاسع
والعشرين من المحرم فاتح سنة ست وسبعين ومائتين والف ودفن بضريح جده
السلطان الاعظم المولى اسماعيل من مكناسة الزيتون واجمع الناس بعده على
بيعة ابنه المولى محمد بن عبد الرحمن وكان هذا السلطان سالكا سنن ابيه في العدل
والورع والزهد في سائر اموره على مقتضيات الشرع الكريم وله آثار كثيرة

بالمغرب ذكرنا بعضها في تاريخنا المذكور وكان رحمه الله حازما في امره عالي
الهمة راميا بها الغرض الاقصى الا ان الوقت لم يساعده كل المساعدة وكانت
همته اجل من زمنه وعلى كل حال فقد بذل المجهود في حسن القيام بامر المسلمين حتى
لقي الله على ذلك جزاه الله خيرا وكانت وفاته بين الظهر والعصر يوم الخميس الثامن
عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين والف ودفن ليلا بفاس في جوار
المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي ابي الفضل عياض رحم الله الجميع واجمع
المسلمون بعده على بيعة ولده المولى الحسن بن محمد وكان رحمه الله اماما عادلا
متقيا لله تعالى محبا بكليته على امور الدين وتدابير الجيوش مداوما موافقا صابرا على
مضض الزمن فتحملا في اعباء الخلافة وامر المسلمين على ما ينبغي وفوق ما ينبغي
فمن اكرم الله تعالى به هذا القطر المغربي وانعم به الانعام الجزيل اذ كان ذا
شفقة ولين جانب وهمة قد ازرت على الشمس وجاوزت حد المنتهى وسعادة
قد سلبت المشتري سعوده واكسبتنا من رونق الملك العلوي ما زاد له وارفت عهوده
وسياسة زرعت محبته في قلوب الرعية وانقمعت منه عن كل خلق كريم وسجية
مرضية وقد ذكرنا جملة وافرة من اخباره في تاريخنا المذكور وخلدت آثارا
كثيرة بثغور الغرب وغيرها منها وحاول احياء سنة الشرع في البحر وبحر بين مراسيها
اذ كانت معطلة من لدن اعوام الخمسين من ايام جده المولى عبد الرحمن رحمه
الله واشترى عدة بابورات من قدها على مراسي المغرب بعضها كبير وبعضها صغير
لوسق السلع ووضعها وبنى ابراجا هائلة بثغر طنجة ورباط الفتح وشحنها
بمدافع تناسبها واتخذ من العسكر قباطنة وغيرهم منها متعلمين ارسلهم الى بر النصارى
يتعلمون اللسان وعلوم الالات اجمالا فيه ادراك ان الذي يفهم له كبير فائدة
اذ كان ذلك يحتاج الى تقديم مقدمات وتمهير اصول ينبني الفرع في تلك العلوم
والعمل بها عليها كما انه رحمه الله كان مغرى بهذا الفن الكيمياء وسائر
من ذلك جلب فنه وقبلها بكثير واعتنى بنسخ كتبها وجلب اليه كل من يشار اليه
بشيء من فهمها واجاز عليهم الاموال الكثيرة وصب عليهم العوائد الطائلة
ولم يحصل من ذلك على طائل وكانت نيته في ذلك رحمه الله ان يستعين
به على تقوية جيش المسلمين وثغورهم اذ كان دخل المغرب الان فيها الاقل وقد بدد

ضعيفا

ضعيفا بالنسبة الى غيره من المطالب ولما حاول احياء البحر والسير فيه
كتب الى عامل سلا كتابا يقول فيه بعد الافتتاح والطابع السلطاني فاقصد
خديمنا الارضى الحاج محمد ابن سعيد السلاوي وفقك الله وسلام عليكم ورحمة
الله وبعد فينبغي ان تبحث في الثغر السلاوي عمن له خبرة بالرياسة البحرية
ويعرف كيف يستعمل في البحر بفابور الكرشطة فانه ابذالك بحيث لا يخفى عليه
شيء من امر تلك الرياسة فاذا وجدت من فاقت فيه الصفة المذكورة فلا يخلو اما
ان يكون متعددا واما ان يكون منفردا وعلى فرض التعدد فلابد ان يكون البعض اقوى
مهارة من البعض فلتبينهم لنا باسمائهم وانسابهم ومراتبهم في الرياسة وما
يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد مع كونهم بلديين او افاقيين او البعض
بلديا والبعض افاقيا حتى نكون على بصيرة من امرهم ونجعل بالنا عليهم وليكونوا
على الصفة لما يرد عليك من قبلنا بحيث اذا ورد عليك امرنا الشريف بما يكون
فيهم كانوا متيسرين وان لم تجد من فاقت فيه تلك الصفة متعددا بان وجدت واحدا
فقط فسمه ايضا باسمه ونسبه ورتبته في الرياسة وليكن متهيئا لما يرد عليك
من حضرتنا الشريفة وان لم تجد من فاقت فيه تلك الصفة ولكنه اذا اريد تعليمه
يقبل التعليم بسهولة اما لتقدم معرفة له بذلك واما لكونه فطنا فكذلك
بينهم لنا باسمائهم وانسابهم ومراتبهم في الذكاء والفطنة افاقيين او بلديين
واطلع علمنا الشريف بكل ذلك على تفصيله عزما والسلام في ثاني صفر
الخير عام تسعة وتسعين ومائتين والف ه‍ بعض الكتاب نسخته انه رحمه الله
اتخذ عددا وافرا من شباب اهل العدوتين اعني سلا ورباط الفتح فاستخدمهم
بحرية ومتعلمين بالفابور الاعظم الحسني من سنة كذا ولا زال بعضهم به الى
هذا العهد وكان رحمه الله كثير الحركات والغزوات بفاس والمغرب الاقصى
فردة وفي افكارات ورد عليه المقاعة من صحراء قليم وراء بلاد السوس غربا الى
ما جاور زاز غرو وجرارة واعظمها واشرفها غزاة تلك الى فقعاء منها بعدها وغزا
قبائل البربر بفازاز والصحراء وغير ذلك مما دوخ ارضهم وتغلغل في بلادهم واتى
صبغة الطاعة ومرّوا النية بالديات فعاد من عندهم اخراجهم وكانت خاتمة مكانه
وداخل غزواته غزوة تافيلالت التي وقع فيها قبائل البربر على اختلاف

اجتنابهما وكثرة انواعهما وزاد جميعا ترقية حين المولى على الشريف وسائر معاصريه
اشتغاله بالكرام وغلاء انتم من اكثر على كل من القبائل فاختلت الاسواق سنة احدى
عشرة وثلاثمائة والف ثم خرج منه في اخر السنة المذكورة غازيا في ايت
شغشار من برابرة فازاز البربر ونزول بقتل ابن عمه المولى سرور بن ادريس بن سليمان رحمه
الله فلا ذكره اجله واصابته منيته بمحلته بوادي العبيد من ازغار تادلا ليلة
الخميس ثالث في الحجة الحرام سنة احدى عشرة وثلاثمائة والف وحمل الى رباط
الفتح فدفن بازاء جده الاعلى سيدي محمد بن عبد الله رحم الله الجميع بمنه واجمع
المسلمون بعده على بيعة ولده المولى عبد العزيز بن الحسن فهو اليوم سلطان
العصر ومالك ازمة النهي والامر نصره الله نصرا اعز به وفتح له فتحا
مبينا امين

وردة وجه الخد التي اغتصما نعما ٥ بها الارامل فوق نعشي

الاعراب والبيان قوله وردة الخد معطوف على قوله خير ثقلوا الغرب
اي وحمرة وجه الخد والروعة الشجرة العظيمة اي شجرة كانت والجمع دوح وهي
هنا مجاز عن كون الممدوح من اهل المجد وينتفع به من لجا اليه من اهله وغرسه فهو من
باب الاستعارة التصريحية فان قلت الشيء لفظه دوحة خبر مبتدا محذوف واذا كان
كذلك فالممدوح في قوله المذكور وحينئذ فتمتنع الاستعارة اذ لا يجمع فيها بين
ركني التشبيه **قلت** مجازيته ليست بالتنكير اي ذاك المبتدا بل بالتنكير
لكونه عبر به عن اهل المجد مرتبا وقوله التي اغتصما نعما يحتمل ان يكون مجازا
عن ابناء الممدوح وحفدته ويحتمل ان يكون ترشيحا فقط ولك ان تجعل الكلام من
باب التمثيل اي حال الممدوح في انعامه على ذوي الحاجة وتعلق الارامل به بحال الشجرة
ذات الاغصان والاكرار التي يحتمي بها الطير وبالارامل الانثى منها والله اعلم والارامل
قال ابن السكيت المساكين رجالا كانوا او نساء ورمل فيه والجمع

وله بعيني من ذي اروج الزهرا ٥ سناء مثل القمر المتنسي
وراحة تغار من سيولها ٥ شبر ودة رودز كل مكتسي

اللغة والبيان قوله له محيي الخ المحيي بصيغة اسم المفعول ما عدا الوجه
او جزء من التحية لانه يفخر بها عند المواجهة وقوله ضاء فعال الاستغفار

وهو تلألؤ في مرآة، قال ويقال ايضا امرأة زيا عيا وأوج الرجا ارتفاعه وصعوده والسنا مقصورا الضوء والكمد المتسع الممتلئ وذلك عند ظهوره ورقته بزوالها كاملا قال الله تعالى والنهار اذا اظلم والفجر وليال عشر وبين لفظتي تلك المناسبة والراحة الكف والجمع راح قال جرير

ألستم خير من ركب المطايا ۞ وأندى العالمين بطون راح

والسيول جمع سيل الماء السائل بكثرة فهو مصدر في الاصل والودق والمطر تسمية بالمطر ايضا مزنة وادقت قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ۞ ولا أرض أبقل إبقالها

والركام بالضم السحاب المتراكم بعضه فوق بعض وفي التنزيل ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله والمصبوب المنصب لوجود الازهر والتقسيم في قوله سيول لها يعود على الراحة وسيول لها مجاز عن عطاياها المتواترة وبذلها المتكاثر فهو استعارة تصريحية وسيول ودق وبال على تغاير وفيه استعارة بالكناية وإثبات الغمام تخييل وفي الكلام قلب لغة انقلبت الى غير الغلو وهو مع ذلك ماخوذ من قول ابي الطيب

لم تحك نائلك السحاب وإنما ۞ حمت به فصبيبها الرحضاء

ولا كرامات الناظم حسن التعليل الذي اشتمل عليه كلامه في البيت والله اعلم

فاق الرشيد وابنه بحلمه ۞ وعلمه ورأيه الموفق

يقول الناظم رحمه الله فزاد في رأيه وسداده ونظره على رأي هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور العباسي وفي حلمه وعلمه فزاد على حلم ابنه المأمون وعلمه رحم الله جميعهم ففي الكلام لف ونشر معكوس وكان الرشيد يوصف بحسن الرأي وجودة النقيبة وتمكن من الخلافة وقد دفع خاتمه الى يحيى بن خالد البرمكي قال ابراهيم الموصلي في ذلك

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة ۞ فلما أتى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى ۞ فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقال ابو الحسن بن النقيب يمدح الخليفة القائم لله

وإذا أمير المؤمنين أهاب بي ۞ ألفيت نزلت على الجواد المفضل
رأي الرشيد وهيبة المنصور في ۞ حسن الأمير ونعمة المتوكل

وكما كان يوصف بحسن الرأي كان يوصف أيضا بحسن الحكم وجودة المذاكرة وفيه يقول ابن الخطيب في رقم الحلل

فحكم الخلافة ذا الرشيد ... وكمل التوفيق والتسديد
وكان غزاء في جوده ... وغزوة غزاة في وجوده
وأعلم الناس بشعر وخبر ... يعجب منه الأصمعي إن حضر

وأما وصف المأمون بالعلم والحلم فأمر مشهور قال ابن الحكم وكان المأمون ممن أوتي الحلم طبعا لا تكلفا ومنح العفو خلقا لا تخلقا فكان يقول إني لأشتهي العفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتي في العفو لتقربوا إلي بالذنوب وقال أيضا وجدت النفس عند الله تعالى ولو أساء إلي أحد بأكبر من الإخوان لقبلت منه أكثر ما له فكيف لا أقنع عن عقابه بسواه وفيه يقول الحسن بن رجاء

صفوح عن الأجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

وقصته مع إبراهيم بن المهدي معروفة في خروجه عليه وعفو المأمون عنه شهيرة من رسوخ قدمه في العلم رحمه الله وأما أمير المؤمنين المنصور فهو بمنزلة الأرجوزة بعد ذكرنا في كتاب الاستقصاء من علمه وحلمه وحسن إدارته للأمور ما يغني على كل محب في منزلة الدولة الشريفة العادلة له مراجعته والتملي منه إذ المحل مما يضيق عن بعضه والله الموفق

(وساد كعبا وابن سعدى وابن جحر ... عمرا وحاتما ببذل النوال)

معنى الكلام قوله ببذل النوال في باعلمه يتعلق بساد أي سادهم بالإنعام المعروفة وليس مراده أنه إنما سادهم من جهة الحيثية فقط وإنما مراده أن الأولين إنما كانوا أجوادا كانوا عربا بادية وكانت نعمهم وجودهم أن ينحروا الإبل للضيوف أو يعقروها للعفاة ومثل المنصور فقد أضاف إلى أصالة العروبية مزية الشرف وأبهة الملك ورونق الحضارة فعطاياه إنما هي سبائك الذهب والفضة وبدر الدنانير والدراهم كما قال المتنبي في ابن العميد

من مبلغ الأعراب أني بعدها ... جالست رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني ... من ينحر البدر النضار لمن قرى

وسمعت

وسمحت بكف لبموسر دار سر كتيبه ... فتملكا فتبريا فتحيرا

ذكر كعب وابن سعدى وابن جدعان وحاتم وبعض اخبارهم

اما كعب فهو كعب بن مامة الايادي احد اجواد العرب المشهورين المضروب بهم المثل قال ابو الحكم العلامة تكلم بأن حاتما الطائي اجود العرب ولو وقف منه على كعب بن مامة ربما افترق عليهما ولا كان الذي يعرف به عن حاتم لا يبلغ مقدار ما روي له عن كعب بن مامة لأن كعبا بذل النفس حتى اعقبه الكرم وبذل المجهود في الماء فيما ووجد حاتما من هذا النوع وباينه ببذل المهجة هو وكان من حديثه في ذلك انه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط يقال له شمر بن قالد وقال الكراع اسمه جنيد وقيل غير ذلك فضلوا عن الطريق وكان ذلك في شهر ناجر فعطشوا فتصافنوا ماءهم والتصافن ان يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمرها فيشربوا لئلا يتغابنوا وتلك الحصاة تسمى المقلة بفتح الميم قال الشاعر

قذفوا سيدهم في ورطة ... قذفك المقلة وسط المعترك

فقعدوا للشرب فلما دار القعب وانتهى الى كعب ابصر النمري يحدد النظر اليه فآثره بمائه وقال للساقي اسق اخاك النمري فشرب النمري ونصيب كعب من الماء ذلك اليوم ثم نزلوا من غد منزلهم الآخر فتصافنوا بقية ما بقي فنظر اليه النمري كنظره امس فقال كعب كقوله امس وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقيل له رد كعب انك وارد فعجز عن الجواب فلما ايسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السباع ان تأكله ووردوا الماء فلما رجعوا اليه بالماء وجدوه قد مات فقال ابوه مامة يرثيه وقيل بل قاله ابو دواد الايادي

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ ... خمرا بماء اذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب ثم عي به ... زو المنية الا حرة وقدا

اوفى على الماء كعب ثم قيل له ... رد كعب انك وراد فما وردا

الناجود اناء الخمر والناجود ايضا وزو المنية قدرها وقال الاصمعي زو المنية ما يحدث من هلاكها وعي به زو المنية اي عييت به من احداث الدهر تقتله والحرة بالفتح العطش والوقد بالتحريك التوقد وكان العزة من سادتهم في ركب فقل ماؤهم

عطشا

فتصدا بنوله وساقه رجل من بني العنبر ان يوثره بحظه من الماء فيفعل ذلك
البرزه وقد كان يجود ان ساقه ان يوثره من الاخر وفا بني وقال

وكنا نهابا قبله البلاد ولة اجتهشت · ابن عمور العنبري انجراهم
وجاء بجلمود له مثل راسه · ليسقى عليه الماء بين الصراهم
وداني ثم ما رايت الريد به · على النفس اخشى لاحقات الملاوم
على حالة لو ان في الفوم حاتما · على جوده ضنت به نفس حاتم
وكنا كاصحاب ابن مامة اذ سقوا · اخا النمر العكشان يوم الجماجم
اذا قال كعب هل رويت ابن قاسط · يقول له زدني بلال الحلاقم
وكنت ككعب غير قنيتي · تاخر عني يومها بالاخارم

وقال ابن تمام واشار الى خبر كعب المذكور

كعب وحاتم اللذان تقاسما · خطط العلى من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا · في الجود ميتة خضرم صنديد
ان لا يكن فيها الشهيد فقومه · لا يسمحون به بالف شهيد

وقد اكثر الشعراء من ذكر كعب هذا وقصته مما لكه في سبيل الجود فاتوا وكان من عادته اذا جاوره رجل فمات وداه وان هلك له بعير او شاة اخلف له مثلها فجاوره ابو دواد الايادي ففعل معه ذلك فضربت العرب به المثل فقالوا جار كجار ابي دواد وقد تقدم هذا الخبر مستوفى وذكر الميداني عند قولهم في المثل هذا اقصر من ان اول من تكلم به كعب بن مامة وانه كان راسيا في عنزة فاقام ثم امر صاحبه ان يقيم لما اقام فيهم فلا قتيه على غيرة اياما فقال هذا بغير ير انه لا يصنع الا ما نفنع الكرام واتي عند غيرك ان هذه العقدة انقعت مكانهم واما ابن سعدى فهو اوس بن حارثة بن لام الطائي الجواد المشهور قال ابو عبيدة اجواد العرب الذين ضربت فيهم الامثال بالجود كعب وحاتم بن عبد الله الطائي واوس بن حارثة بن لام منهم وفيهما قال ابو تمام الطائي في الجود والكرم

لكل من بني حواء عذر · ولا عذر لطائي لئيم
يباهي الناس بالكرم ان قل · بنو اباهم واهل كريم

بن عدي بن اوس وحاتما وبن ابرام لا على عمرو ابن هند بن عدي اوسا وقال له انت

افضل ام حاتم فقال ابيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة
ثم دعا حاتما فقال له انت افضل ام اوس فقال ابيت اللعن انما ذكرت باوس ولاحد
ولده افضل مني فقال النعمان والله ما ادري ايكما افضل وما منكما الا سيد كريم وهما
يوثرون من شرفها بقمة اوس قال وروي ان النعمان بن المنذر وفدت عليه اشراف العرب
فجلس النعمان وعليه حلة مرقمة مكففة بالزبرج ثم احتبس منها ثم اذن لهم بالدخول
فلما اخذوا مجالسهم جعلوا يعجبون من حسن الحلة واوس مطرق وعينه اخذه في ذلك
فقال له النعمان ما ارى قد دخل عليك امر يستحسن هذه الحلة على نفاستها فوددتها
بعلم غير لي يا اوس فقال اشعر الله الملك انما تستحسن هذه اذا كانت في بدن تاجر
فاما اذا لبسها الملك وتحلل بها وجهه المشرق فالابصار مقصورة عليه
دونها فاستحسن من عقله واستحسن جوابه فلما كان وقت انصرافهم قال لهم النعمان
احضروا غدا كلكم فاني ملبس هذه الحلة سيد العرب فانصرفوا وكل طامع متشوف
وتاخر اوس عن الحضور فلامه اصحابه على تاخره فقال ان شاء الله ان كنت المراد
فسينيلني الحظ وذلك اروع لشأني وان كان المراد غيري ثم تلحقني غضاضة في اخذي
لها وانا غائب فلما دخلوا على النعمان نظر فلم ير فيهم اوسا فاستخبر عن تخلفه
فحكاه نيته وانفته لئلا يتبع واخبر بمن اختلطا به فجاء ذلك بما رفع منه من القول فعجب به
فقال امضوا اليه وقل له ان الملك يستدعيك فجاء في الثوب الذي كان عليه بطرافي
وقد كانت وفود العرب سرت بغيبته خشية ان تدفع اليه الحلة فلما استدعاه
النعمان وعظمه رفع مجلسه وقربه ودنا اليه وقال ان الذي تغني لباسك
في هذا اليوم هذه الحلة وحمل بعدها بثر من حلل من جود الحجاب فلبسها
وجلس في اقرب مكان من النعمان فحسدته العرب وقالوا لبشر يتنقصه ابن الحياء
ولبشر له ابن جرول يعنون الحطيئة فكلموه في ذلك وقالوا له نسابق في اموالنا
فقال كيف اهجو رجلا حسيبا لا ينكر بيته كريما ثاقبة بعثت محاسنه وما هذا بي يخفى
على رايه فيها عاد بعض بنارك ووقع منها ملاذا بشيء شيئا الذي من اخلاقه ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لام بظهر الغيب تاتيني

فسمع بذلك بشر بن ابي خازم الاسدي اسير في حبه من عبس في البزل وما تاخر وقال انا اهجو
لكم فبذلوا له ثلاثمائة ناقة فهجاه واحتبس القول فيه شعره فبعث اوس

إغارة على الإبل التي أغفلوها والتي كانت عنده فتلفها فاكتسبوها وأتوه بها
ومن بشر بن أبي خازم فجعل يشبب بسعدى من أحياء العرب الذين كانوا لوالده فراجع ناسا
من البحر فأبى نسب الأمر أوس فلم يلبث بشر أن أسر أخذه أسرا وجيء به إلى أوس فدخل
أوس على أمه سعدى وأخبرها بما بلغه في بشر واستشارها في قتله فقالت والله
لئن قتلته ليبقى كلامه في العمر وليس يمحوه إلا عفوك الأكرمين فامنن عليه
واردد عليه ما أخذت له فاستحسن رأيها وأحضره وقال ما تراني صانعا بك
قال تقتلني فقال أنت مستحق لذلك ولكن سعدى أشارت علي بأمر أنا فاعله
فأطلقه ورد عليه إبله وزاده مثلها معها وكساه وحمله وقال أتعرف الذي
أطلقك رأسا فرفع بشر يديه وكفيه إلى السماء وقال اللهم اشهد على بشر أنه
لا يمدح أحدا غير أوس بن حارثة فأمدت له في العمر مدحه بقصائد من شعره التي
مثبتة في ديوانه منها قوله

إلى أوس بن حارثة بن لأم ... ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها

نقل هذا الكلام كله صاحب ثمار القلوب وصاحب نظم الدرر والعقيان وغيرهما
ومن التقى جري بذكر كعب بن مامة وابن سعدى في كلمته التي مدح بها عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فقال

يعود الفضل منك على قريش ... وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد أمنت وحشهم برفق ... ويعيي الناس وحشك أن يصادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلى ... وتكفي الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى ... وتذكر في رعيتك المعادا
فما كعب ابن مامة وابن سعدى ... بأجود منك يا عمر الجوادا

وأما ابن جدعان فهو بضم الجيم وسكون الدال المهملة وهو أبو زهير عبد الله بن
جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي ثم التيمي الجواد
المشهور المضروب به المثل في حسن القرى فيقال أقرى من حاسي الذهب وإنما قيل
له حاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من ذهب وهو ابن عم أبي بكر الصديق
رضي الله عنه يجتمع معه في عمرو بن كعب وكان من أشراف قريش في الجاهلية

ولما اجتمعت قبائل من قريش في حلف الفضول قبيل الإسلام كان اجتماعهم في دار
ابن جدعان وقد حضره النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة
وقال لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في
الإسلام لأجبت وكان ابن جدعان قد اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بالسلم
ويأكل منها القائم والراكب على البعير وسقط فيها صبي يوما فغرق ومات
وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل
بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي يعني الهاجرة وكان له منادٍ ينادي بأعلى
مكة وفي شعرها أحدهما يقول ألا من أراد الشحم واللحم فليأت دار ابن جدعان والآخر
يقول ألا من أراد الفالوذج فليأت دار ابن جدعان وهو أول من أطعم بمكة الفالوذج
كما يأتي قالوا وكان في ابتداء أمره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريرا فاتكا
لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه
أبوه وحلف أن لا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرامات وحمله من الديات فخرج
يتنقل في شعاب مكة حائرا بائرا يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا في جبل فظن
أن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه
فإذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب
عنه مستديرا بدارة عند بيت ثم خطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان وأقبل
إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه أيضا فوقف ينظر إليه ويفكر في أمره
فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب
وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على
سرر لم ير مثلهم طولا وعظما وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا
هم رجال من ملوك جرهم وإذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر
كالهباء من طول الزمان وفي اللوح شعر مكتوب يشتمل على حكمة قال ابن هشام
كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل
ابن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام
وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن
ذلك ينجيني من الموت وتحته مكتوب

ثم طوفت البلاد في طلب الثر | وة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفرا إلى القفر | بفتياني وقوتي واكتسابي
فأتاني الردى بنات فؤادي | بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتي وأقصر جهلي | واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما | نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براع | رد في الضرع ما قرى في الحلاب

ويروى في العلاب جمع علبة ونسب بعض هذا الشعر في الأغاني لإسماعيل بن يسار النسائي والله أعلم بحقيقة الأمر قال وأراد في وسط البيت كوم عظام من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم الشق بعلامة وأغلق الباب بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف وحكى الدميري عن ابن عشيرة كان ابن جدعان سيدا في قريش وقدم على كسرى فأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له هذا الفالوذج فقال وما الفالوذج قيل لباب البر يلبك مع عسل النحل فقال ابغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه ثم أمره فصنع له الفالوذج بمكة فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد الفالوذج فليحضر فحضر الناس فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت الثقفي فقال فيه

له داع بمكة مشمعل | وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردح من الشيزى عليها | لباب البر يلبك بالشهاد
لكل قبيلة هاد ورأس | وأنت الرأس تقدم كل هادي

وقيل في سبب اتخاذه الفالوذج بمكة غير هذا ولأمية بن أبي الصلت في ابن جدعان مدائح كثيرة من ذلك قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني | حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما | كفاه من تعرضه الثناء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع | لك الحسب المهذب والسناء
تباري الريح مكرمة ومجدا | إذا ما الكلب أحجره الشتاء

فأرضك كل مكرمة بنتها ... بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أخلفت عبد الله فاعلم ... بأن القوم ليس لهم جزاء
كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الكريم ولا مساء
فبرز فضله حقا عليهم ... كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير ... وهل بالشمس طالعة خفاء

عن الحسين المروزي قال سألت سفيان بن عيينة فقلت يا أبا محمد ما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء فقال لي أعرفت حديث مالك بن الحارث يقول الله جل جلاله إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين قلت نعم أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث قال فهذا تفسير ذلك ثم قال أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله قلت لا أدري قال فقال

إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان فهذا مخلوق ينسب إلى الجود قيل له يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا فكيف بالخالق وكان ابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية على نفسه وكان سبب ذلك كما في الأغاني عن ابن أبي الزناد أن أمية بن أبي الصلت شرب معه ليلة فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له ما بال عينك فسكت فلما ألح عليه قال له أنت صاحبها أصبتها البارحة فقال أو بلغ بي الشراب أن أبلغ معه من جليسي هذا لا جرم لأدينها لك ديتين فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام أبدا وفيها ابتلي وتركها من يومئذ وفي كتاب ري الغلة وأنيس الجلاس أن ابن جدعان كان سبب ذلك أنه سكر ليلة فجعل يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا فلما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فإذا فعل ذلك أعطته

بن تيم من قبل ابن جدعان وأخباره في الجود كثيرة شهيرة وذكر الزبير بن
بكار عن بعض شيوخه قال دخل أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان وهو
يجود بنفسه فقال له أمية كيف تجدك أبا زهير قال إني لمدابر في ذاهب فقال
أمية علم ابن جدعان بن عمـــرو * وأنه يوما مدابر

ومسافر سفرا بعيــــدا * لا يؤوب به المسافر
فقدوره بفنائه * للضيف مترعة زواخر
تبدو الكسور من انفهـــا * ق الغلي فيها والكراكر
فكأنهن بها حميــــر ورقا شبيهن بها قراقر
بذل المعاشر كلهــــا * بالفضل قد علم المعاشر
وعلا علو الشمس حتـــى ما يفاخره مفاخر
دانت له أبناء فهـــر من بني كعب وعامر
أنت الجواد ابن الجوا * د بكم يناجي من يثابر

وفي شرح الاكتفاء لما حضرته وفاة ابن جدعان سمع هاتفا يبكي بالشام
وهو يقول * ألا هلك البهلول غيث بني فهر * وذو المجد والعز التليد وذو الفخر
فسمع بذلك النباش بن زرارة وهو مسافر في رفقة إلى الشام فقال النباش
ألا أيها الناعي أخا المجد والندى * من المرء تنعاه لنا من بني فهر
فقال الهاتف
نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى * وذا الحسب المذكور والمنصب الفخر
فقال النباش شيئا يستخبر الهاتف كيف كان موته فقال الهاتف
مررت بنسوان بتيم سوافرا * عليه صباحا بين زفر والعبر
فقال النباش شيئا يستخبر به الهاتف عن تاريخ موته فقال الهاتف
ثوى منذ أيام ثلاث كوامل * مع الصبح أو في الصبح في وضح الفجر
قال فلما استيقظت الرفقة وهو يتراجع بنعي ابن جدعان وهذا يقتضي ذكر الهاتف
بالكفر من هذا واشتراكه مع بكاء الجن لابن جدعان وذكر شيئا من بكاء الانس
له … فتنبيه روى الامام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم

المشركين مع ما ذكرنا بعده فان صلى الله عليه وسلم لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين قال السنوسي رحمه الله اذ لم يكن مصدقا بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل قال القاضي عياض رحمه الله وقد انعقد الاجماع على ان الكفار لا تنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم اشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم ه كلام عياض وقد ذكر البيهقي في كتاب البعث والنشور نحوه عن بعض اهل العلم قال وقد يجوز ان يكون حديث ابن جدعان وما ورد من الايات والاخبار في بطلان خيرات الكافر معناها انه لا يتخلص بها من النار ولكن يخفف عنه من عذابه الذي استوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات ه كلام البيهقي وفي شرح عقائد الرسالة لابي عبد الله جسوس الفاسي رحمه الله ما نصه وقيل ان الكافر يجازى على حسناته في الدنيا بالصحة والمال والولد وفي الاخرة بتخفيف العذاب ويؤيده حديث اخرجه البزار وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احسن محسن مسلم او كافر الا اثابه الله قلنا يا رسول الله وما اثابة الكافر في الدنيا قال المال والولد والصحة واشباه ذلك قلنا وما اثابته في الاخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ ادخلوا ءال فرعون اشد العذاب انظر الدر المنثور قلت ويؤيده ايضا ما جاءت به عادة الله التي لا تكاد تنخرم من ان الكفار اذا سلكوا سبيل العدل والرفق ثبت ملكهم وصلحت احوالهم واذا سلكوا سبيل الجور والعسف تلاشى امرهم وضعفت شوكتهم نسأل الله العافية فالعدل احسان وصلاح حال الكفار عليه مجازاة من الله لهم عليه في الدنيا فافهم بل قد وردت في القرءان ءايات تقتضي بظاهرها اثابة كل محسن من مسلم وغيره من ذلك قوله تعالى ان الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد اولها العلماء وفقا مع الاجماع وانظر الكتاب الناصري وتفسير من الانسان الكامل للشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه تر العجب وقيل انه يجازى منهم في الاخرة ان اثا منى

يخفف عنه وورد فيمن النقل كحاتم الكرماء فيما نقل البناجي وغيره أنه لما أسلم
ولده عدي قال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد رفع عن أبيك العذاب
الأليم بسبب سخائه وكذا في أبي لهب لأنه لما بشرته مولاته ثويبة بمولده صلى
الله عليه وسلم أعتقها فيخفف عنه العذاب في يوم الاثنين وورد أنه يسقى
في نقرة الإبهام وكذا في أبي طالب فإنه لما مات قال العباس يا ابن أخي إن أبا طالب
كان يحوطك وينصرك أينفعه ذلك قال نعم إني وجدته في ضحضاح من النار ولولا
أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وأما غيرهما ولذا الثلاثة فأعمالهم
مردودة عليهم والقول الوسط أوسطها والخلاف في أمثال العتق معروف
يتكلم في محله وأما حاتم فهو أبو سفانة بالتشديد وأبو عدي حاتم بن عبد الله
ابن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم الطائي الجواد المشهور أجود
العرب على أنه كذلك ويضرب به المثل في السماحة والعارفة وسبب مدح الشعراء
أنه كان له في الجود خلق غريب وشيمة قلما تثبت سجايا غيره من أن جواده
لا يشق غباره في ذلك ومن تتبع أخباره وطالع ديوان شعره علم همته في
الجود وعزه في السخاء قال ابن الأعرابي كان حاتم من شعراء العرب وكان
جوادا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله
وكان مظفرا إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح
فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحد أمه
وكان إذا أهل الشهر الأصم أي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم
عشرا من الإبل فيطعم الناس وكان ممن ورث الجود من أمه وهي عتبة بنت
عفيف بن عمرو بن امرئ القيس المذكور في نسبه وكانت لا تدخر شيئا ولا يسألها
أحد شيئا فتمنعه فلما رأى إخوتها إتلافها في مالها حجروا عليها ومنعوها
مالها فمكثت دهرا لا يدفع إليها شيء منه حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت
ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها
في كل سنة تسألها فقالت لها دونك هذه الصرمة فخذيها فوالله لقد عضني
من الجوع ما لا أمنع معه سائلا أبدا وقالت

لعمري لقدما عضني الجوع عضة ☙ فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا

فقولا

ـب فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني ٥ فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
ويذكر أن أم حاتم أتيت وهي حبلى في المنام فقيل لها أغلام سمح يقال له حاتم
أحب إليك أم عشرة غلمة كالناس ليوث ساعة البأس ليسوا بأوغاد ولا
أنكاس فقالت حاتم فولدت حاتما فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من
يأكله معه أكل وإلا طرحه فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له الحق
بالإبل فخرج إليها ووهب له جارية وفرسا وفلوها فلما أتى الإبل جعل يبغي
الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحدا فبينما هو كذلك إذ بصر بركب
على الطريق فأتاهم فقالوا يا فتى هل من قرى فقال تسألوني القرى وقد ترون الإبل
وكان الركب الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني
وكانوا يريدون النعمان بن المنذر فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عبيد إنما أردنا
بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكرة إذ كنت ولا بد متكلفا لنا شيئا فقال حاتم قد
عرفت ولكني رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير
واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا
امتدحوه بها وذكروا فضله فقال حاتم أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل
علي وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقوموا إليها
فتقتسموها ففعلوا فأصاب الرجل منهم تسعة وثلاثين بعيرا ومضوا على
سفرهم إلى النعمان ثم إن أبا حاتم سمع بما فعل ابنه فأتاه فقال أين الإبل
فقال يا أبت طوقتك بها مجد الدهر طوق الحمامة لا يزال الرجل يحمل بيت
شعر أثنى به علينا عوضا من إبلك فلما سمع أبوه ذلك قال أبإبلي فعلت
ذلك قال نعم قال والله لا أساكنك أبدا فخرج أبوه بأهله وترك حاتما
ومعه جاريته وفرسه وفلوها وقيل إن هذه القصة اتفقت له مع جده
سعد بن الحشرج لأن أباه هلك وهو صغير فكفله جده ثم اجتاز ركب
من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا له إنا تركنا قومنا
يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا إليك رسولا برسالة قال وما هي فأنشده
الأسديون شعر العبيد ولبشر مدحا فيه وأنشده القيسيون شعر النابغة فلما
أنشدوه قالوا إنا نستحيي أن نسألك شيئا وإن لنا لحاجة قال وما هي قالوا صاحب

لنا فرا وجملا فقال حاتم خذوا من هذا فاحملوا عليهما ما احببتم فاخذوهما وربطت
الجارية فلوها بذنبهما فافلتت فتبعته الجارية فقال حاتم ما تبعكم من شيء فهو
لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية وحدث الهيثم بن عدي عمن حدثه عن
ملحان بن أخي ماوية وقيل النوار وهي امرأة حاتم قال قلت لماوية يا عمة حدثيني
ببعض عجائب حاتم فقالت كل أمره عجب فعن أيه تسأل قال قلت حدثيني ما شئت
قالت أصابتنا سنة أذهبت الخف والظلف فأتت علينا ليلة قد سهرنا فيها
من الجوع فأخذ هو عديا وأخذت سفانة وجعلنا نعللهما حتى ناما ثم أقبل علي
يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام فرققت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه
لينام فقال لي أنمت مرارا فلم أجب فسكت فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل
فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية
يتعاوون كالذئاب جوعا فقال أحضريني صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت
فقمت سريعا فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل
فقال والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها
ثم قدح نارا ثم أججها ثم دفع إليها شفرة وقال اشتوي وكلي ثم قال لي أيقظي
صبيانك قالت فأيقظتهم ثم قال والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الصرم
حالهم مثل حالكم فجعل يأتي الصرم بيتا بيتا فيقول انهضوا عليكم النار قالت
فاجتمعوا حول ذلك الفرس وتقنع هو بكسائه فجلس ناحية فما أصبحوا ومن
الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر وإنه لأشد جوعا منهم
وما ذاقه مما ذكرناه وهذا الخبر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني وذكر غير
بعض فضائله وكان حاتم إذا اشتد برد الشتاء وكلب الجوع وقلت الأطعمة
أمر غلامه يسارا أن يوقد النار في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضل
الطريق بالليل فيقصد نحوها فيصيب من قراه وهو القائل يخاطب غلامه المذكور

أوقد فإن الليل ليل قر ۞ والريح فيها برد وصر
عسى يرى نارك من يمر ۞ إن جلبت ضيفا فأنت حر

وقد نقل الرواة عن العرب أن حاتما قرى أضيافا بعد موته حين باتوا عند قبره
والحكاية في ذلك مشهورة تركناها اختصارا وقد ذكر ذلك سالم بن داود

الخطاب في شعره الذي مدح به عدي بن حاتم رضي الله عنه فقال

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل ... لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الأمثال في الجود ميتا ... وكان له إذ كان حيا مصاحبا
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ... ولم يقر قبر قبله قط راكبا

ومن شعر حاتم في الجود والعتاب قوله

فأقسمت لا أمشي إلى سر جارة ... مدى الدهر ما دام الحمام يغرد
ولا أشتري مالا بغدر علمته ... ألا كل مال خالط الغدر أنكد
إذا كان بعض المال ربا لأهله ... فإني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويؤكل طيبا ... ويعطى إذا من البخيل المصرد
إذا ما البخيل الخب أخمد ناره ... أقول لمن يصلى بناري أوقدوا

وقال أيضا

أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر
إذا أنا دلاني الذين أحبهم ... بملحودة زلج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم ... يقولون قد دمى أناملنا الحفر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني ... وأن يدي مما بخلت به صفر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

وأشعاره في هذا المعنى كثيرة ولولا التطويل لذكرت منها جملة صالحة وفي مثل هذا الشعر قال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وروى كميل بن زياد النخعي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال يوما يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في الخير عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة فقام رجل فقال فداك أبي وأمي يا أمير المومنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية جميلة فأعجبت بها فقلت لأطلبنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليفعلها من قبلي فلما تكلمت انسيتني جمالها لما سمعت من فصاحتها فقالت
يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تخلي عني فلا تشمت بي احياء
العرب فاني بنت سيد قومي كان ابي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع
الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب
حاجة قط انا بنت حاتم طيء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية
هذه صفة المومنين لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها
كان يحب مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق وزاد في الاكتفاء ان
النبي صلى الله عليه وسلم كساها وحملها واعطاها نفقة فخرجت حتى
قدمت على اخيها عدي بن حاتم بالشام فذكرت له حال النبي صلى الله عليه وسلم
ورغبته في الاسلام فاسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمه
ورفع منزلته وكذا كان الخلفاء من بعده يعرفون منزلة عدي بن حاتم رضي
الله عن جميعهم وقد تقدم ما نقله الباجي وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم في جود حاتم وبفضل الله به يفضل الفاضل وبه يسأل عما يفعل ومنه
يستفضلون ومما قالته الشعراء في جود حاتم قول بعضهم

وحاتم طيء ان كان اودى جسمه ... فبنشر اسمه في الجود عاش مخلدا

وقال ابو الشمقمق يهجو بخيلا

ما شاء الله كذا شيئا ... بدلت رشدا بغي
ممن تعلمت هذا ... ان لا تجود بشي
اما مررت بقبر ... لعبد حاتم طي

وقال اخر

للجود حاتم طي ... وحاتم البخل عوف
له قفا ابيض ... والعرض اسود جوف

وقال ابو تمام الطائي يفتخر بجود طيء وذكر جماعة من مشاهيرهم فقال

انا ابن الذين استرضع الجود فيهم ... وسمي فيهم وهو كهل ويافع
فما بين اوس في السماح وحاتم ... وزيد القنا والاثرمان ورافع
وكان اياس ما اياس وعارق ... وحارثة اوفى الورى والاطائع
مضوا وكان المكرمات لديهم ... لكثرة ما اوصوا بهن شرائع

(وقد بدع في معنى لمعن في الندى ۞ وقد بكى كمثله في المجلس)

معنى البيت كما يبين معنى وبين معن وهذا الجناس التام لأن الأول ان كان زيادة اسما
انه كان مقصورا منونا ساوت صورته صورة الثلاثي المنصوب فتأمل ومن
سبق الى هذا الجناس الشيخ جمال الدين ابن نباتة بقوله في الملك المؤيد

لنا ملك فرقا سمعنا بما قد ۞ بنشر العطايا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده ۞ ونثني له الفكر فننشي لنا معنى

۞ ذكر معن وجوده ۞

هو ابو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب
بضم الصاد المهملة وبالموحدة في آخره واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام
ابن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الشيباني ينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار المضروب
به المثل في الجود فيقال احدث عن معن ولا حرج قال ابن خلكان كان معن جوادا
شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وكان في دولة بني امية
متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري امير العراقين فلما
انتقلت الخلافة الى بني العباس وجرى بين ابي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة ما هو مذكور من
محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور ابلى معن يومئذ مع ابن هبيرة بلاء حسنا
فلما قتل ابن هبيرة خاف معن من ابي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة حتى كان يوم
الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور ووثبوا
عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين اصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة
بناها السفاح بالقرب من الكوفة فخرج معن متنكرا معتما متلثما وتقدم الى القوم
وقاتل قدام المنصور قتالا ابان فيه عن نجدة وشهامة وردهم فلما افرج عن
المنصور قال له من انت ويحك فكشف لثامه وقال انا طلبتك يا امير المومنين
معن بن زائدة فامنه المنصور واكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه
وجرى لمعن في مدة اختفائه غرائب فمنها ما حكاه شاعره مروان بن ابي حفصة
قال اخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ يتولى بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبه وجعل
لمن يحمله اليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس حتى لوحت
وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية

ابن قيس بعد قال فلما اخرجنا من باب الرحبة ومضوا حتى اتوا باب بغداد تبعني اسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض على يدي فقلت له وما بك قال انت طلبة امير المومنين فقلت ومن انا حتى اطلب قال انت معن بن زائدة فقلت له يا هذا اتق الله عز وجل واين انا من معن فقال دع هذا فاني والله لاعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي باضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي قال هاته فاخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسالك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت اظن اني قد فعلت هذا قال ما ذاك بعظيم انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت يا هذا والله لقد فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته اليك فاني غني عنه فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا آخذ على معروف ثمنا ابدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته ومن اخبار معن في الحلم والكرم ما حكاه ابن الكلبي في نزهة الالباء قال دخل اعرابي على معن بن زائدة وكان كريما حليما فقال له

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن أذكر ذلك ولا أنساه فقال الأعرابي

فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن سبحان الله ذلك من فضل الله فقال الأعرابي

فلا والله ما إن عشت دهرا ... على معن أسلم بالأمير

فقال له معن أنت بالخيار فقال الأعرابي

سأرحل يا ابن ناقصة بحال ... فإني قد عزمت على المسير

فقال

فقال معن اعطه يا غلام الف دينار فقال الاعرابي

قليل ما قنعت به واـــــــني ... لأطمع منك بالشيء الكثير

فقال معن اعطه يا غلام الفا اخرى فقال الاعرابي

فبلت بفضلك ملكت الارض طرا ... بلا ادب ورب حسب خطير

فقال معن يا غلام اعطه الفا اخرى فقال الاعرابي لله درك والقيافي فرزق فغث
عن الابيات لاختبر بها حلمك فاذا حلمك لو قسم على اهل الدنيا لكفاهم فقال
معن يا غلام كم اعطيته قال ثلاثة آلاف دينار فقال اعطه مثلها وزد له الفا اخرى
ليلا يقول انا بين نعم وبين المنع والعطاء من اختيار لي ايضا فاحكاه في المستطرف
قال خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للتصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في
طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن اصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى
شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من اين واين
اين قال اتيت من ارض لها عشرون سنة مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعتها
مقثأة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة
لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور فقال وكم
املت منه قال الف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير
قال ثلاثمائة قال فان قال لك كثير قال مائتان قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال
لك كثير قال فلا اقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل قوائم حماري في حر
امه وارجع الى اهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ودخل
منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخله علي فاتى بعد ساعة
فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في
دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال
ما الذي اتى بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاء في غير اوان فقال كم
املت فينا قال الف دينار فقال كثير فقال في نفسه والله لقد كان ذلك الرجل
مشوما علي ثم قال خمسمائة دينار فقال كثير فما زال الى ان قال خمسين دينارا فقال
له كثير فقال له فلا اقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي
ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على وساده

على

ثم دعا بوكيله فقال اعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائة
دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودفع الجميع وكأنه يتسلم الأعرابي المال
وانصرف ومن أخباره أنه كان في بعض السنين عاملا على العراق وكان بالبصرة
بعض الشعراء فكان يلم به مدة يريد الوصول إليه فلم يتيسر له ذلك فقال
يوما لبعض الخدم إذا دخل الأمير البستان فنبهني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب
الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن
جالسا على فم القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فليس إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فأتي به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها
وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت
البساط ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتي به فقال كيف قلت فأنشده
البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما
كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علي بالرجل فأتي به إليه فقال له
كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وفكر الرجل في نفسه فخاف
أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب معن الرجل
فلم يجده فقال لقد أنساني والله كثيره ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت
مالي درهم ولا دينار وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي عثمان المازني النحوي
قال حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع فقال
معن ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه لا تحجبه فجاء حتى مثل بين يديه
وأنشد

أصلحك الله قل ما بيدي ... فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله ... فأرسلوني إليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الأريحية لا جرم والله لأعجلن أوبتك ثم قال يا غلام
ناقتي العلانية وألف دينار فادفعها إليه وهو لا يعرفه **قلت**
وكانت للوزير لسان الدين ابن الخطيب وفادة على صاحب المغرب السلطان أبي عنان
المريني فمثل بين يديه وأنشده أبياتا على نمط البيتين وقدمها وضمنها البيت
الأخير منهما فقضى أبو عنان حاجته قبل أن يجلس ذكر ذلك ابن خلدون في كتاب

والعبر

العبدي والمفضل في نعت الكلب وغيرهما وكان مروان بن أبي حفصة الشاعر مختصا بمعن وله فيه غرر القصائد وأبكار المعاني فمنها قصيدته اللامية الغراء التي فضل بها شعراء زمانه وفيها يقول

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم ندى الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغر محجل
تجنب لا في القول حتى كأنه ... حرام عليه قول لا حين يسأل
بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لهم في بطن خفان أشبل
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم ... وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

ودخل معن يوما على أبي جعفر المنصور فلما نظر إليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وقال له يوما يا معن ما أكثر وقوع الناس في قومك فقال يا أمير المؤمنين إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين فقال وإنك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وفيك بقية فقال هي لك يا أمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الواحد بن زيد الزاهد البصري فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وأخبار معن ومحاسنه كثيرة وفيه جرى المثل حدث عن معن ولا حرج وكان قد ولي سجستان في آخر أمره وانتقل إليها وله فيها آثار وقصدها الشعراء بها فلما كانت سنة إحدى وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان بمدينة بست منها ومعن

يغتنمهم ثم تبعهم ابن اخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فقتلهم كلهم وكان قتل معن رحمه الله ورثاه الشعراء باحسن المراثي فمن ذلك قول الحسين بن مطير الاسدي وهو في الحماسة

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن انت اول حفرة ... من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم اجدعا

ومن رثائه ايضا قول مروان بن ابي حفصة بقصيدة هي من اجود الشعر واحسنه واولها

مضى لسبيله معن وأبقى ... مكارم لن تبيد ولن تنالا
هو الجبل الذي كانت نزار ... تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن ... وقد يروى بها الأسل النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها ... مصيبته المجللة اختلالا
كأن الشمس يوم أصيب معن ... من الإظلام ملبسة جلالا
أصاب الموت يوم أصاب معنا ... من الأحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي ... إلى غير ابن زائدة ارتحالا

ومن جملة من احسن المراثي ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء ان مروان بن ابي حفصة دخل على جعفر بن يحيى البرمكي فقال له ويحك انشدني مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل انشدك مديحك فيك فقال جعفر بل انشدني مرثيتك في معن فانشدها الى قوله

وكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ثم قال لمروان هل اثابك على هذه المرثية احد من اولاده او اهله شيئا قال لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعتها منك كم كان يثيبك عليها قال اصلح الله الوزير اربعمائة دينار قال جعفر فانا نظن انه كان لا يرضى لك بذلك فقد امرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف

في كتب وزرائه أعمر مثل ذلك فإنه قد أقبض من الخزائن ألفا وستمائة دينار قبل أن
تنصرف إلى رحله فقال من قال من زواره يذكر جعفرا وما سمح به عن معن ٥

نعمت فكان فينا عن فتى معن ... لنا مما تجود به سجالا
بفعلك العلمية يا ابن يحيى ... لنا دينه ولم ترد الكمالا
بكاف عن معن ومعن جواد ... بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى ... بناء في المكارم لن ينالا
كأن البرمكي بكل مال ... تجود به يداه يغير مالا

ومن كان كهلا والسماح ذا أبه ٥ وغير ما أخذ الثناء لم يعشق
نشأ في حجر الخلافة وقد ٥ شب فتى بغير ما لم يعلق
فبما يعطيه الناس كراه فعل ٥ لم يك فيما أعز بالأشبق
وأعطيت فوق العلا من تربى * أعوادها عارية للآلي
فما رقى في العز في زمانه ٥ فنشن أمثل انتشار الشرق

الإعراب والمعنى قوله ومن كان كهلا كان عامله محذوف تقديره إذ
تجاوز من كان كهلا **فإن قلت** من أين لك دليل التقدير ولما جعلته معمولا
لقوله ولم يرع في البيت قبله **قلت** أما دليل التقدير فالسياق وأما إن لم
أجعله معمولا لما في البيت السابق فلأن الكلام مستأنف إذ المقام مقام مدح
ولا يليق به إلا الاستئناف واشتمل منه أن يكون جملة والسماح ذا أبه مستأنفة
ومن كان متعلقا بغير عامل والكهل بالكسر الولد الصغير من الإنسان والدواب
ومن يكون بالفتح واحد للذكر والأنثى والجمع **قال الله** تعالى أو الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء وجملة والسماح ذا أبه حال من اسم كان على الأعم
الأول وقوله وغير ما أخذ الثناء الواو داخلة على قوله لم يعشق والجملة
معطوفة على الجملة الحالية وغير مفعول مقدم بيعشق وما أخذ الثناء موضع
أخذ تفتوا لأن الموصول ذو صفة لبشر له أي في ما يكسبه حمدا وشكرا ومعنى
ذا أبه وعاده أنه من كان صبيا وهو مأخوذ من قول في الكتب ٥
بصير بأخذ الحمد من كل موضع ٥ ولو خبأته بين أنيابها الأشر
وقوله نشأ في حجر الخلافة في بعض الخلافة استعارة بالكناية وذكر

زعم ابن الفتاه ناص

الجمر تخييل ومن شأن كثير التعلق بالشيء يغلو في الشيء وهذا الكلام مأخوذ من قول
المأمون في مجالسه دعبل الشاعر قبح الله دعبلا فما اوقحه كيف يقول عني هذا
ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها وقال الخوارزمي في حق
الصاحب ابن عباد نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها ورضع افاويق
درها وقال الشاعر

مسترضع في ثدي المجد مفترش * حجر المكارم مقطوع عن البخل

قوله فيما يعتقده الناس كثر البيت من كذلك فان هذا الممدوح رحمه الله
كان معروفا بعين الجلالة والتعظيم عند الخاص والعام منذ كان صغيرا وكان رجال
الدولة وجيش البخاري وفحول المغرب فربما يتعلقون بالخلافة في حياة والده
المولى عبد الله بن اسماعيل ويولونه كما علمته من أخبارهم وليجبوا به في
بواديهم وحواضرهم الا انه رحمه الله لبروره بوالده وكمال عقله وشرف
نفسه رد عليهم بيعتهم وتنصل منها وجاء من مراكش الى فاس حتى استرضى
والده واصلح بينه وبين اعيان الجيش وكبار الدولة وقد استوفينا خبر ذلك
في كتاب الاستقصا فلما توفي والده رحمه الله لم يتخلف عن بيعته احد من اهل
المغرب فكان منه في خلافته رحمه الله ما سارت الركبان به واشتهر بين الناس
شرقا وغربا قوله وامضيت قوس العلى من قد بري افواقها هذا مثل الاول
قاله الحطيئة الشاعر وذلك انه دخل على امير المدينة سعيد بن العاص وهو
يعشي الناس فاكل اكلا جافيا ثم خرج الناس وبقي هو جالسا فاتاه
الشرطي يخرجه فامتنع وقال اترغب بهم عن مجالستي اني بنفسي عنهم لارغب
فقال له سعيد دعه واخذ سعيد مع اهل سمره في حديث الشعر والشعراء فقال لهم
الحطيئة والله ما اصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء ولو اعطيتم القوس باريها
لوقعتم على ما تريدون فانتبه له سعيد واستنسبه فانتسب فقال له حياك الله
ابا مليكة الا اعلمتنا بمكانك ولم تحملنا على الجفاء بتضييع حقك وبخس
نفسك ثم ادناه واستنشده ووصله وقال الشاعر

يا باري القوس بريا ليس يحسنه * لا تظلم القوس اعط القوس باريها

وقال آخر [illegible] صلاح الدين [illegible]

الله أكبر هذا إن الغوث بالربح ... وإن اسمه دين الله رابحا

وقوله فصار رضي في العدل إضافة في إلى العدل من إضافة المشبه به إلى المشبه أو هو استعارة بالكناية وقد تقدمت نكتها مرارا والفيء ما يكون بعد الزوال والظل ما يكون أول النهار والشرق بالتحريك الشمس كما في القاموس ومعنى البيت واضح والله أعلم

(وشاد ذكر الدين بالسيف وقد ... حاز بتقوى الله رضى الموفق
وفاز من في ملكه مجاهدا ... لم يثن عن نيل الغايات تقي
ورد أرواح المكارم إلى ... أجسادها بعد فناء الرمق
واستنقذ المجد عصا تشتيته ... بفعله ونصحه لمعشق)

اللغة والبيان قوله وشاد ذكر الدين بالسيف في يقال شاد البيت يشيده من باب باع إذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص بفتح الجيم وتشديد الصاد المهملة وهو مشيد كمبيع وشيده تشييدا إذا طوله ورفعه ونقل المصباح ومنه قوله تعالى وقصر مشيد قوله أعرف مما إن معنى إن المصدر في إن الجص بالمدينة يسمى الشيد والبناء إن ومعنى إلى المرفوع المكول في قوله الدين استعارة بالكناية وإثبات الذكر تخييل والموفق بصيغة اسم الفاعل هو الله تعالى وهذا الاسم وإن لم يرد إطلاقه عليه تعالى في الكتاب والسنة لكن شاع في كلام الأئمة والعلماء حتى كاد يكون إجماعا منهم والله الموفق ولعل ذلك على قول الأشعري إن أسماء الله تعالى توقيفية بلا خلاف فيه ويجوز أن يقرأ بصيغة اسم المفعول ويكون المراد به جنس الموفق ومعنى إضافة الرضى إليه حينئذ الرضى الذي يستحقه الموفقون ويليق بهم كقوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده أي الرشد اللائق به وبأمثاله من كبار الرسل عليهم الصلاة والسلام والمراد من الكلام أن هذا الممدوح قد جاهد في سبيل الله وبلغ الغاية في تقوى الله حتى استوجب من الله الرضى الذي هو غاية الكمال البشري ومنتهى منية الزاهدين قال الله تعالى ورضوان من الله أكبر وأما ج والبناء عليه بهذا مع أنه غيب فإن الأعمال أمارات وفي الحديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله عز وجل يقول إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله وفاز من في ملكه مجاهدا المجاهد جمع مثنا

مجاز عن مراتب الشرف والمجد فهو استعارة تصريحية وفعل الرقي المعنوي مفتوح
العين في الماضي كما تكون في الثاني فهو من باب رضي وفعل المحسوس مكسورها فهو
من باب رضي قاله ابن حجر الهيتمي عند قول البوصيري * كيف ترقى رقيك الانبياء * زاد
محشيه المحقق وهذا بخلاف علا فانه في المحسوس مفتوح تقول علا يعلو وفي المعنوي
مكسور تقول علي يعلى بفتح عينه وقوله وردة ارواح المكارم في المكارم استعارة
بالكناية واثبات الارواح والاجساد تخييل وقوله بعدما باد الرفيق ترشيح
ومعنى البيت ماخوذ من قول الافاضل

سألت الندى والمجد هل انتما — ومن عيشتما من بعد آل محمد
فقالا نعم متنا جميعا وضمنا — ضريح واحيانا دبيس بن مزيد

وقال آخر في مدح الوزير بن مز الدولة محمد بن حبيب

أعدت الى جسم الوزارة روحها — وما كان يرجى بعثها ونشورها
اقامت زمانا عند غيرك طامثا — وهذا زمان قد بدا فيه طهورها

وقوله والشعر قد القى عصى تسيار الخ التسيار بفتح التاء مصدر كالسير وكل
مصدر على تفعال فهو بفتح التاء كالتذكار والتكرار والتعداد والترداد الا التلقاء
والتبيان فانهما بالكسر وفي الشعر استعارة بالكناية والقاء العصا تخييل ثم
هو ايضا كناية عن الاقامة وعدم التحول اي ان الشعر غير بارح من مغنى هذا الممدوح
واكد ذلك بقوله وخصه بمعشر والمعشر بفتح الميم العشيرة قال الاعشى

ارقت وما هذا السهاد المؤرق — وما بي من سقم وما بي معشق

وتنكيره اما للتعظيم واما للنوعية اي وخصه الشعر بمحبة عظيمة او بمحبة
راسخة بحيث كانه من المحبات التي يغير بها ما قدم العهد وطول الصحبة وبيت الناظم
هذا يشبه قول ابي تمام يصف نفسه بالاقتدار على الكلام والاخذ بناصية البلاغة
والبدع

وقصائد تسري اليك كانها — حبر تفاقت او ممنوع كمرق
من شاعر وقف الكلام ببابه — واكتن في كنفيه ذل المنطق

واما الكناية عن الاقامة بالقاء العصا فهو مثل سائر واصله ان المسافر ياخذ
العصا بيده فاذا اقام رماها قال معقر بن الحمار البارقي

وعلقت سلمى في مغاني واتكئ — فلبست عليها يوم ذلك فادر

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وقد تمثل بهذا البيت جماعة من السلف ومن أكثرهم حاجة إلى الاستدلالة بها وقد أحسن

أبو الحسن الباخرزي في عكس هذا المعنى حيث قال يصف الشيخ والكبر

حمل العصا للمبتلى ♦ بالشيب عنوان البلى

وصف المسافر أنه ✱ ألقى العصا كي ينزلا

فعلى القياس سبيل من ♦ حمل العصا أن يرحلا

وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذي قال خرجت مع المنصور يعني العبيدي صاحب إفريقية يوم هزم أبا يزيد الخارجي فسايرته وبيده رمحان فسقط أحدهما مرارا فمسحته وناولته إياه وتفاءلت له فأنشدته ♦ ♦

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فقال لي هلا قلت ما هو خير من هذا وأصدق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فقلت يا مولاي أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما عندك من العلم ه ثم تخلص الناظم رحمه الله للختم فخاطبا للممدوح ووقع هنا بالقلب على عادة الشعراء فقال ♦ ♦

ويا ملك الدنيا النضير على ♦ تكبيرك في عزبنا لم تحتبس

كلاب الحريب بيكم وازدار في ♦ وجاشر هدى بالعمر بين المومني

الإعراب والمعنى قوله يا ملك الدنيا النضر إنما نصبنا المنادى وإن كان مفعولا للوصف بالجملة بعده فكان في التسهيل ويجوز نصب ما وصف من معرف بمضمر وإقبال وحكاه في شرحه عن الفراء وأيده بما روي من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده يا عظيما يرجى لكل عظيم وجعل منه قوله

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة ♦ فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وأوجب النصب جماعة ذا ميسر القرائن من قبيل الشبيه بالمضاف انظر شروح الخلاصة وقوله الدنيا النضر مبتدأ وخبر وجملة لم تحتبس خبر له والمجرور الذي قبله متعلق به والجملة الكبرى نعت للمنادى ويجوز في تحتبس ضم الباء وكسرها لأنه من باب ضرب وقتل والكلام من باب الكناية إذ يلزم من كون الدنيا النضر لم تحتبس على نضره

انه لا تكلف له من باب اولى وبناء قل وقوله كتاب التمريح الى كنز وعز وقوله وارد ال
اهله ارتضاب افتعال من الرضب ضد الشيب فالمراد التأدي الى التناسب الذي في
معنيها التي هي الخمر وقوله وجاش مزيده مجاز عن كثرة معاني الشعر بكثرة
وتواترها الزائد واصله من جاش الوادي اذا زخر وامتد وجاشت القدر اذا غلت
ففيه استعارة تبعية تبعية والقرينة ترجع لما ذكر وفيه ايضا مجاز عن غزارة الكلم
المستحسنة وابكار المعاني المستحسنة واصل الغدير الترقرق اذا انكسر وقيل بغير
ويقال غرائر الدر كبارها والثمر المعجب وزنا ومعنى يقول فن يستعمل على من زعم
ووجدت فيه نشاطي وراحتي وتبسم في مزهر الكلام وتربيع البنكلام قطع يكى
يتبسم على من قبلي ومن هذا من الناظم رحمه الله مزج كبير وتنويه بقدر الممدوح حكم
بن زيد تعريضا بكثرة معاني له ووضوح ما ذكر وهو من المعنى ما روي انه
قيل للفرزدق ومن اشعر الكميت في انشاداته فقال وجدة امية اوجه ما قبلي يعني
ان كثرة معانيهم تشتت عليه من عندهم وقال اذا اخو جودة دال المطلب تركهم امرا ابا
للمديح وقال ابو الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحه ... وان لم اشأ تملي علي وأكتب

وقال الحمز بن عامر

اذا نحن حكنا الشعر فيك تسلطت ... علينا معانيه وذلت صعابها
فما انتكثت ان عليك غزولها ... ولا انتشرت الا عليك ثيابها

وقال ابن الرومي

كرمتم فجاش المفحمون بمدحكم ... اذا عجزوا فيكم أبيتم فعذروا
كما افترشت جنات عدن وأثمرت ... فأفصحت وعجم الطير فيها تغرد

وله ايضا

عجبت لمن ينبري للشعر في مدحكم ... وتسكعه آباؤكم وهم قبلهم

وقال نصيب الاصغر

فما لقينا من جود فضل بن يحيى ... ترك الناس كلهم شعراء

ومفعولا وفي كلام الناظم ايضا براعة المطلب وهو ان يلوح الشاعر بما يطلب
بالفاظ عذبة مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل
تشعر بما في النفس دون كشفه وهذا المعنى موجود في كلام الناظم فان حصول

منه

كمال

كان البلاء في مزج المجروح يشعر بأن معناه نفعا حاصلا أو مزجرا كما مر النقاد
وفي المثل إن اللهى تفتح اللهى أي إن العطايا تفتح الأفواه بذكر المنعم أي يحكى
أن المعتمد ابن عباد الأندلسي أنشد يوما في مجلسه بيت أبي الطيب المتنبي

إذا كلفت منه العيون تنكرا ... أتاك بما يغني الحكيم وزاده

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي
فأنشد ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطايا واللهى تفتح اللهى
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعره لتألها

ولولا ما كنت للغريب تاركا ... لعزم البواعث والمشوق
ترنا الغزال الكلف نزاهل ... للدار وابن توله للملوق

إلى غرائب والمعنى فقوله لولا ما كنت للغريب تاركا لولا حرف امتناع لوجود ممتنى
دافتنا عنه قال ابن هشام وإذا وليها ضمير فحقه أن يكون ضمير رفع نحو لولا أنتم
لكنا مؤمنين وسمع قليلا لولاي ولولاك ولولاه خلافا للمبرد ثم قال سيبويه
والجمهور هي جارة للضمير مختصة به كما اختصت حتى والكاف بالظاهر ولا تتعلق
لولا بشيء وموضع المجرور بها رفع بالابتداء والخبر محذوف وقال الأخفش الضمير
مبتدأ ولولا غير جارة ولكنهم أنابوا الضمير المخفوض عن المرفوع كما عكسوا إذ قالوا
ما أنا كأنت ولا أنت كأنا ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي إسحاق الغزي

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والأكثر أنه مسبوق بهذا المعنى فإن أبا الطيب قال

كذا ابن فاعلة يقول لابن عمه ... ما في الكرام وأنت حتى ترزق

مع أنه أفرغ علم إبراز أشعار وقول الناظم ترنا الغزال الكلف فيعول مفعول معزل
لتاركا وهو مثل مشهور في الميزان الكلام فيما ابتكرنا مراد يتمثل به في
ترك الغير فيما فيه الكلام يرتقيه فلا يعود إليه يضرب لمن نفر من شيء وتركه تركا
لا يعود إليه ويضرب في تخير الرجل ما هو أوفق منه فلذا قال الشيخ أبو حيان

النحو

ابن نصيرة يمدح بها الأقرع الشاعر رضي الله عنه ويفضل الفقه على النحو

ألا إن علم النحو قد باد أهله ... فما إن ترى في الحي من يعرب حيا
سأتركه ترك الغزال الخليه ... فلا تبغه فخرا ولا سعة نائيا
واسموا إلى الفقه المبارك إنه ... لزين فيك في الآخرة ويعليك في الدنيا

وأما ترك واصل للراء فسيأتي وقد اتبع ابن نصيرة فرغت بها بعض أشياخي رحمهم الله وذكرت الرمز وأمليته فقلت

فخرت بنبيه وأنا حدث ودادهم ... كفخر الغزال الكفيل أو واصل للرا

وأما ترك ابن تولب للحلق فمعناه تركه للمديح وإنما عبر عن المديح بالحلق لأن معناه أن تحلي بالحسان ما النشر في القلب به ذا الله شأن الشعراء في مدحهم قال ذهب اللمع

لقد مدحت عبيرا إذ كمعت به ... وقد تملقته لو ينفع الملق

واعلم أن ابن تولب كان تاركا للمديح والهجاء معا كما يأتي قريبا وإنما اقتصر الناظم على المديح بيانا للمعادلة ولأن ترك الهجاء يؤخذ منه بالأحرى لأنه إذا ترك المديح تكرما فلأن يترك الهجاء تدينا أولى والله أعلم

ذكر واصل وابن تولب وبعض أخبارهما

أما ابن تولب فهو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن عبد بن كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل واسم عكل عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر العكلي الصحابي قال أبو الفرج الأصبهاني النمر بن تولب شاعر مشهور فحل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فحسن إسلامه ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا فكان عند ابنه أملكه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ثم ذكر الأصبهاني لفظ الكتاب والحديث وكذا ذكرهما ابن عبد البر في الاستيعاب فانظرهما إن شئت قال الأصمعي كان النمر بن تولب العكلي أحد المخضرمين في الشعراء وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره وحسنه وقال أبو عبيدة كان النمر بن تولب شاعر الرباب في الجاهلية ولم أحدا ومن ميلاده وأدرك الإسلام وهو كبير وقال محمد بن سلام كان النمر بن تولب جوادا لا يكاد يمسك شيئا وكان فصيحا جريئا على المنطق وهو الذي يقول

فيمدح

لا تغضبن على امرئ في ماله ... وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وإذا

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب
كذا رواه محمد بن سلام وغيره ويروى ومتى تصبك وعن محمد بن حبيب قال كان
ابو عمرو يشبه شعر النمر بشعر حاتم الكذابي فمن ذلك قوله اعني النمر بن تولب

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة … بعيدا نآني صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه … وأن الذي أنفقت كان نصيبي
وذي إبل يسعى ويحسبها له … أخي نصب في رعيها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يقودها … وبدل أحجارا وجال قليب

اتجال الناحية ومن شعر النمر قوله

ه ه

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت … فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

واخبار النمر بن تولب كثيرة ذكرنا الاشهر منها وابن عبد البر وغيره منها وفيما
ذكرته كفاية **واما واصل** فهو ابو حذيفة واصل بن عطاء مولى بني ضبة
وقيل مولى بني مخزوم المعروف بالغزال شيخ المعتزلة ورأسهم قال ابن خلكان
كان احد الأئمة البلغاء المتكلمين في علم الكلام وغيره وكانت ولادته سنة
ثمانين من الهجرة بالمدينة المنورة وانتقل الى البصرة قال ابن السمعاني في كتاب
الأنساب ان واصلا كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر
الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بانهم مومنون
وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه
الأمة لا مومن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل
عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة وقال ابو عمرو كان
قتادة الأكمه التابعي العالم المشهور يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير
قائد فدخل مسجد البصرة فاذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن
البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم فأمهم وهو يظن انها حلقة الحسن فلما
صار معهم عرفهم فقال انما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم فمن يومئذ سموا المعتزلة
[illegible] وكان واصل يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال المبرد في الكامل في حقه كان
واصل بن عطاء احد الأعاجيب وذلك انه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان
يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة الفاظه

عليه وفي ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدح أبا حذيفة واصل بن عطاء الغزال بإطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا في تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد وكان يهجوه فقال أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون إلا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا الأعمى ولم يقل الضرير وقال المكتني بأبي معاذ ولم يقل بشار ولا ابن برد وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لأن بشارا كان يتولى بني عقيل وذكر بني سدوس لأنه كان نازلا فيهم فكان واصل يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا من ذلك قول أبي محمد الخازن من قصيدة يمدح بها الصاحب ابن عباد

نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وقال آخر يتغزل في ألثغ

ولما رأيت الشيب راء بعارضي ... تيقنت أن الوصل لي منه واصل

الراء هنا شعر له نور أبيض يشبه به الشيب وقال آخر وأجاد

أجعلت وصلي الراء لم تنطق به ... وقطعتني حتى كأنك واصل

وقال آخر

فلا تجعلني مثل همزة واصل ... فيلحقني حذف ولا راء واصل

وقال البوصيري رحمه الله

أن حبيب يقع منه وهو في ... لبكري واصل وكيف ذا راء

وقال آخر في اللثغ وأحسن وإن لم يكن من التمثيل بواصل بن عطاء في الموضوع

أمتري الذي عيرته فكأنما ... كالشعر لكن يحذف الشكرا

ويحذف الراء التي شفتيه ... بين الحروف تجنبا إغرا

لولا اشفاه ونعاه لما ... ذاقا الثمر المعسول والخمرا

بالماء والراء من سبب * كان الوصال له من أجله أحرى
بمحو وبمحو الراء يثبتني * أن التكرر يوجب التحيرا

وإنما قال هذا لأن النحاة والقراء يقولون إن الراء من صفاتها التكرر على اللسان عند النطق بها قال ابن بري في الدرر

والراء في النطق بها تكرير * ومنه إذا شدد فيها كثير

وقال الآخر وأبدع

أما وبياض الثغر من أحبته * ونفحة خال الخد في صفحة القرع
لقد قتلتني لثغة وأمليحة * رقتني في قيار من ورد اللثغ
ومستعجم الألفاظ عذب مذاقه * مسلسله دون الأنام على الزغ
يكاد أحد الصم عند حديثه * إذ اللثغة الغناء من لفظه يصغي
يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان ابن أمور ونلت الذي أبغي
وقد نقضت كأس الحيا وأكثرت * على خده من لونها أحسن الصبغ
تعشق بشعب الخمع من كم غيفتي * يزيد عند الشغب شغفا على شغغ

وتوفي واصل بن عطاء سنة إحدى وثمانين ومائة والله أعلم

وكنت في ترجمته كابن أبي * ربيعة النادر عتق العشق
وقد بدا الرحمن من لم يزل * بكرى في عبد النساء ذا عشق

الإعراب والمعنى قوله وكنت في ترجمته جملة معطوفة على قوله كنت للعربي تاركا والضمير في له يعود على العربي واللام معنوية وابن أبي ربيعة هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر الغزل المشهور وقد تقدمت ترجمته فيما مر من هذا الكتاب والعشق كفعل الوصف من الغلمان والرحمن من أسماء الله تعالى وقيل معناه عليه سبحانه ويكتب بدون الياء بعد الميم وقوله في عبد النساء من إضافة المشبه به إلى المشبه وذكر الغدير تشبيه والله أعلم

ذكر خبر ابن أبي ربيعة في غزله وعشقه

قد قدمنا أن عمر بن أبي ربيعة كان قد تنسك في آخر عمره وترك ما كان عليه من الشعر والغزل وأناب إلى الله في القول والعمل فروى أبو الفرج الأصبهاني عن الزبير بن بكار وغيره أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف

فعاب عليه ذلك وانكره فقال له انما اخذته عمي فقال انك اشنع من قدرها
فقال اني خطبتها الى عمي فابى علي الا بصداق اربعمائة دينار وانا غير مطيق
لذلك وشكا اليه من حبها وكلفه بها امرا عظيما وتحمل به على عمه فسار
معه اليه فكلمه فقال له هو مملق وليس له ما يصلح به امره فقال له عمر
وكم الذي تريده منه قال اربعمائة دينار فقال له هي علي فزوجه ففعل ذلك
وقد كان عمر حين اسن حلف ان لا يقول بيت شعر الا اعتق رقبة فانصرف عمر الى
منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جوابا فقالت
له ان لك لامرا واراك تريد ان تقول شعرا فقال

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت قد اقصرت حينا
اراك اليوم قد احدثت شوقا ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذو عزاء ... اذا ما شئت فارقت القرينا
بعيشك هل اتاك لها رسول ... فشاقك ام لقيت لها خدينا
فقلت شكا الي اخ محب ... كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص علي ما يلقى بهند ... فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة اعرضت عنها ... لغير قلى وكنت بها ضنينا
اردت بعادها فصددت عنها ... وان جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فاعتقهم لكل بيت واحدا ثم دعا للممدوح فقال

لا زلت فردا في بروج السعد ... تشرق بنورك ظلمة الغسق
ولا برحت بابك ما به كفا برا ... وقد زكا بما تشا من انس
بجاه جده الرسول المصطفى ... خير الانام الهاد والمهدي
وسورة الفتح وكهف والضحى ... وآية الكرسي وآي الفلق

الاعراب والمعنى قوله لا زلت فردا الخ دعاء من الناظم لهذا الممدوح
بطول العمر في سعادة وثبات ملك وقد جرت عادة الشعراء بالدعاء في آخر
قصائدهم للممدوح بذلك وهو معروف من حسن الختام بل ذلك احسنه قال ابو
الطيب

فلا ملكت لك الهيجاء سرجا ... ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء ۝

ولا تزال بك الدنيا ممتعة ۝ بالآل والمال والعلياء والعمر ۝

وقال آخر ۝ ۝

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ۝ وهذا دعاء للبرية شامل

والكلام من باب التشبيه أي لا زلت مثل البدر والمراد لا زالت حالتك مثل
حالة البدر في بروج السعد وقوله تنسخ بنورك أي بطلعتك أي نورك كالنور فهو
استعارة تصريحية وظلام الغسق مجاز عن الجور وما يحدث بين الرعايا من التواثب
والتكالب ونحو ذلك مما ينشأ عنه الشحناء فإن العدل يذهب بالشحناء وإلا يذهب
بالغزوات ويجوز أن يكون مراده بنورك علمك وبظلام الغسق البدع والشبه والأول
أنسب بحال السلطان والثاني أنسب بحال العالم الداعي إلى الله وقوله ولا برحت
بالأفناء نعم إلخ دعاء آخر معطوف على ما قبله والأفناء جمع أفنية وهي ما
يمتد له الإنسان وحقيقتها التماثيل بها لا مزورة وقوله لما تشاء بقوله فارع
أصله تشاء للأكثر وصله بنية الوقف فسكن همزته ثم أبدلها ألفا فاجتمع ألفان
الأولى التي هي عين الكلمة والثانية التي هي مبدلة من الهمزة فحذفت إحداهما
تخفيفا فبقي تشا كما تقول في وقد تقدم مثل هذا عند قوله مضى لسبيله كالنبا البيت
وأراد بالتغريد الفرح والسرور وقوله بجاه جدك الباء فيه للاستعانة
ولا يبعد أن يقال فيها ما قيل في باء باسم الله من المصاحبة ومتعلقها محذوف دل
عليه المقام أي أتوسل في دعائي لك بجاه جدك والكلام أن هذا العامل وإن
كان خاصا فهو واجب الحذف لأن هذا التركيب كثير الدوران على الألسنة جار مجرى
المثل فهو كقولهم للمعرس بالرفاء والبنين والكلام في التوسل والقسم ويعضده
ومن النبي وما في ذلك من الخلاف بين العلماء مذكور في محله والمصطفى مفتعل من الصفو وهو
الخالص وأبدلت تاء الافتعال فيه طاء لتناسب الصاد في الإطباق والاستعلاء
والأنام كسحاب الخلق وقيل ما على وجه الأرض ولعل هذا لا يدخل فيه الملائكة
لأنه قد انعقد الإجماع على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقات وإنما فضله
على الملائكة وما وقع للزمخشري في سورة التكوير مخرق للإجماع قال المحقق في إضاءة
الدجنة ۝ وانعقد الإجماع أن المصطفى ۝ أفضل خلق الله والخلف انتفى

وما اقتضى الكشاف في التكرير * خلاف اجماع ذوي التنوير

والقاضي وابن حجر وصغار للنبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم
هادي في اقواله واحواله ومصدق من الله بالمعجزة لانها منزلة من الله منزلة
قوله صدق عبدي في كل ما يخبر به عني ويجوز ان يقرأ بصيغة اسم الفاعل لانه صلى
الله عليه وسلم مصدق اي مومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
تصديقا فوق تصديق كل احد قوله وسورة الفتح معطوف على حمد وخص
اية الكرسي للضرورة وقوله واي الفلق يعني والناس وانما اكتفى بالاولى
للقافية واتكالا على ظهور المراد اذ لم ترد في الكتاب والسنة الا مقترنتين
المعوذتان وانما خص هذه السور والاي لما ورد فيها مما يقتضي تفضيلها
على غيرها فمما خصوصها سورة الفتح واية الكرسي والمعوذتين وجلب ذلك يطول
مع انه معلوم غير خفي ثم اختلف الائمة هل في القران شيء افضل من شيء
ام لا فذهب ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني الى انه لا يفضل بعضه
على بعض لان الافضل يشعر بنقص المفضول وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص
فيها وقال قوم بالافضلية لظواهر الاحاديث الواردة في ذلك انظر ارشاد
الساري وغيره من كتاب فضائل القران من صحيح البخاري رحمه الله ثم شرع في
مدح منظومته والحض ايضا كغيره من فحول الشعراء فقال

اليكها ارجوزة حسانه * مثلها ذو ادب لم يبتني
كانها اسلاك در وبدا * فيث تضي كالبدر والحلي
اعز من بنت الانوق ومن له * عنقا ومن نيل عقوق ابتلي

الاعراب والمعنى

قوله اليكها ارجوزة اي خذها ارجوزة فـ اليك
اسم فعل بمعنى خذ او امسك او ما اشبه ذلك ومما ضمير يعود على
المنظومة مفعول به وهذا على ما زعم الكوفيون وابن السكيت من ان اليك الذي
اسم فعل يكون متعديا فتقول اليك زيدا اي امسك زيدا والبصريون يقولون انه
لازم ومعناه تنح تقول اليك عني اي تنح عني وارجوزة بالنصب جماعة الابيات
من بحر الرجز كالقصيدة من غيره وحسانه بوزن فعالة صيغة من الحسن وهو ابلغ
من حسنة وقوله ذو ادب مبتدا سوغ الابتداء به ما فيه من العموم وجملة لم يسبـ

خبرها وجملتها متعلق به فإن قلت ذوات نكرة في سياق الإثبات فمن أين أتاها
العموم قلت أصل الكلام لم يشترط ذوات في مثلها إلا لكن أريد أنه لم
ألمبالغة في هذا المعنى إذ أن غير المخاطب ارتكب ما يقتضيها بحذف المستثنى تأكيدا على
المشير ليعبر بعموم الحكم بنفي الشخصية وقدم منهما لم يشترط ليعبر أن نفي الشخصية
عن هذا الذي إنما هو بالنكرة المنفية أي غير ما من الأزواج التي لم تعلق بأذيال
بلاغتها ولا شغفت بغبار ركضها في النكرة أي الذي ذات الأهل فإن قوله ذوات عام
لأنه جمع منكر في سياق النفي وأنهم قوله كأنها أشلاء ذي رحم هذا التماس
منه على الجوزتيه وهو فرس مكرور للشعراء كثيرا وقد فهم في ذلك مرأى ثم رام
فإنه قلما قال قصيدة في امرأة ولم يتغزل بنشرها بالشلاء عليها وإنما الغة في
أكثرها وذلك موجود في ديوانه فلا حاجة إلى الإطالة به وقوله قطب بزور
حمزة يعني في تخفيفه ما قرره في قوله جا تقتصى في الأزمان قبل هذه الأدوار وما أبرك
معناه إليها بين الميتا بأي وهو واضح قوله أعز من بيض الأنوق هذه ثلاثة
أمثال لا بد من الكلام عليها بفصل

ذكر العنقاء وبيض الأنوق والأبلق العقوق وما قيل فيها

أما العنقاء فقال في القاموس العنقاء الداهية وطائر معروف الاسم مجهول
الجسم أو طائر عظيم يبعد في طيرانه وقال أبو البقاء في شرح ديوان المتنبي
قولهم عنقاء مغرب يقال على الوصف والإضافة قال وهو اسم للذكر والأنثى
فلهذا لم يقولوا مغربة بالهاء كالرابعة والحميد وقد قال لنا العرب العنقاء المغرب
على النعت وعلى الإتباع ثم إن التي بها يقصد للإخبار لا كون قوله فلهذا لم يقولوا مغربة
خلاف ما في القاموس وقال الميداني في مجمع الأمثال قال الخليل سميت عنقاء
لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ويقال لها العنقاء عنقاء قال ابن الكلبي
كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمخ مصعده
في السماء ميل وكانت تنتابه طائرة كأعظم ما يكون لها عنق طويل من أحسن
الطير فيها من كل لون وكانت تقع منتصبة فكانت تكون على ذلك الجبل تنقض على
الطير فتأكله فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت
عنقاء مغرب بأنها تغرب بكل ما أخذته ثم إنها انقضت على جارية فضمتها إلى

جناحيها بصغير بن وكانت بها فشكوا إلى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا في أشعارها وأنشد لعنترة بن الأخرس الطائي في مرثية خالد بن يزيد

لقد حلقت بالجود فتخاء كاسر كفتخاء دمخ حلقت بالحزور

وقال المسعودي في مروج الذهب تحت العنقاء فقال بعد أن ذكر النقول بوجود العنقاء والنسناس والعرب من صورته ولنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما نقلوه ثم ذكر بسنده إلى سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق كان في الزمان الأول من أحسن الطير وجعل فيه من كل حسن قسطا وخلق وجهه على مثال وجه الإنسان وكان في أجنحته من كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب عظيم الأصل وخلق له أنثى على مثاله وسماها بالعنقاء وأوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أني قد خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وأنثى وجعلت رزقهما في وحوش بيت المقدس وآنستهما بك ليكونا مما أفضلت به على بني إسرائيل فلم يزل الأمر كذلك حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبني إسرائيل التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى توفي موسى وهارون عليهما السلام في التيه ومات جميع من كان معهما من بني إسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم في التيه ثم أخرجهم الله منه مع يوشع بن نون تلميذ موسى عليه السلام ووصيه فانتقلت إلى الكناس بأرض نجد والحجاز وبلاد قيس عيلان فلم تزل هناك تأكل الوحوش وتخطف الصبيان وغيرهم من البهائم إلى أن ظهر نبي من بني عبس يقال له خالد بن سنان العبسي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فشكا إليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها وسأله أن يقطع نسلها فقطع الله نسلها فبقيت صورتها تحكى في البسط وغيرها مما قلت وفي ذلك يقول أبو نواس يهجو بعض الرؤساء

وما خبزه إلا كعنقاء مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل

يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما إن تمر ولا تحلي

ثم قال المسعودي وقد ذهب جماعة من أهل الرواية إلى أن قول الناس في أمثالهم

عنقاء مغرب إنما هو للأمر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب
يريدون أنه جاء بأمر عظيم قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبيا في بني عبس
مبشرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لقومه
إذا أنا مت فادفنوني في حقف من حقاف الأحقاف وهي تلول عظام من الرمل
واحرسوا قبري أياما فإذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذي فيه قبري
فاجتمعوا ثم انبشوا قبري وأخرجوني وضعوني على شفير القبر وأحضروني كاتبا وما
يكتب فيه حتى أملي عليكم ما يحدث ويكون إلى يوم القيامة فحرسوا قبره بعد وفاته
ثلاثا ثم ثلاثا ثم ثلاثا فإذا الحمار يدور حول الحقف قريبا من قبره فاجتمعوا عليه
لينبشوه فلما أراد بعضهم نبشه وشهروا سيوفهم وقالوا والله لا نترك أحدا ينبشه
أتريدون أن نعير بذلك غدا تقول العرب هؤلاء بنو المنبوش فانتهوا عنه وتركوه
فقال شاعر من بني عبس

بني غالب لو أنكم إذ حضرتم ❁ نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لأبقى لكم في آل عبس ذخيرة ❁ من العلم لا تبلى على سالف الدهر

قال ابن عباس ووردت ابنة لخالد عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم
فتلقاها نبينا وأكرمها فأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه قال
المسعودي وقد رويت عن ابن عباس أخبار كثيرة في هذا وأشباهه قال وهذا
من موضوعات العامة واختلاقها فيما ورد في ذلك الأحاديث عن ابن عباس وغيره وإنما
هي أخبار واهية لا تفيد علما ولا توجب عملا ولا غناء اه قلت ومرى
المسعودي رحمه الله فلا ينبغي لذوي العلم والتحصيل أن يلتفتوا إلى ما ينقله
المؤرخون وكثير من القصاص عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه من أخبار
الجن والإسرائيليات ونحوها من أخبار الأمم السالفة فإن جلها مكذوب
عليهم متقول فيه عليهم وهم رحمة الله عليهم بريئون من تلك الخرافات إذ
لا تصدر إلا عن الحمقى وكفى بالمرء عيبا أن يحدث بكل ما سمع وكفى به جهلا
وحمقا أن يشتغل بما لا يعنيه وفي كتاب الله وما صح من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنية عن ذلك وكيف لا يكون حديث العنقاء مكذوبا على
ابن عباس فضلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أن الله تعالى قال لموسى

عليه السلام وجعلت رزقهما في حوش بيت المقدس وقيل بنى بيت المقدس ان
سليمان بن داود عليهما السلام بعد وفاة موسى عليه السلام باكثر من
خمسمائة سنة وفي الذيل للقزويني دين الاسلام من ما ولاء الكذابين فامر عجيب
انا لله وانا اليه راجعون وقال العلامة الدميري في ترجمة العنقاء قال بعضهم
هو كان من غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه وقيل سميت بذلك لانه
كان في عنقها بياض كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس وقال
القزويني انها اعظم الطير جثة واكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة
الفار وكانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها الى ان سلبت يوما عروسا
بحليها فدعا عليها حنظلة النبي عليه السلام فذهب الله بها الى بعض
جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها
حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والنمر وسائر انواع السباع وجوارح
الطير وعند طيرانها يسمع لاجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف
والسيل وتعيش الفي سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسمائة سنة فاذا كان
وقت بيضها يظهر بها الم شديد ثم ذكر في وصفها وذكر ان سكونها ليس
في النعوت ان عنقاء مغرب قرنت داود فيصنع من جناحيها افراخ عظام للشرب
قال وكيفية صيدها انهم يوثقون ثورين ويجعلون بينهما عجلة ويثقلونها
بالحجارة العظام ويجعلون في بيت العجلة بيتا يختبئ فيه رجل معه نار
فتنزل العنقاء على الثورين لتختطفهما فاذا انشبت اظفارها في الثورين ارادت
اخذهما لم تقدر على اقلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة ولم تقدر على
الاستقلال لثقلهن فعند ذلك فيخرج الرجل بالنار فيحرق اجنحتها قال والعنقاء
لها يعظم كعظم الثور وعظام كعظام السبع وهي من اعظم سباع الطير انتهى
قلت وهذا كله من باب ولذلك درج العلماء ابلغ حيث قال

ارى العنقاء تكبر ان تصادا ... فعاند من تطيق له عنادا

وكان الغاية في الفاضل كثيرا ما ينشد

واذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقولهم في المثل اعز من العنقاء يريدون لأنها تسمع ولا ترى قال الشاعر
الجود والغول والعنقاء ثالثة   اسماء اشياء لم توجد ولم تكن
وقال آخر
لما رأيت بني الزمان وما بهم   خل وفيّ للشدائد اصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة   الغول والعنقاء والخل الوفي
واما قولهم اعز من بيض الانوق فقال الرياشي الانوق على وزن فعول الرخمة او
كما قيل اسود له شيء كالعرف او اصلع الرأس اصفر المنقار وعزة بيضها من
انه لا يظفر به لان اوكارها في رؤس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة قال الاعشى
من الغانيات الحور متكلب سيرها   كبيض الانوق المستكنة في الوكر
وقال عنترة
وكنت اذا استودعت سرا كتمته   كبيض الانوق لا ينال له وكر
واما قولهم اعز من الابلق العقوق فقال الميداني يضرب لما يعز وجوده وذلك
لان العقوق في الاناث ولا تكون في الذكور يقال اعقت الفرس فهي عقوق اذا حملت
ولا يقال معق والابلق لا يحمل لانه وصف للذكر قال المفضل ان المثل لخالد بن مالك
النهشلي قاله للنعمان بن المنذر وكان اسر ناسا من بني مازن بن عمرو بن تميم فقال من
يتكفل بهؤلاء فقال خالد انا فقال النعمان وبما اضرتوا فقال خالد بن نعم وان كان
الابلق العقوق فذهبت مثلا واراد انك تسمي الوفاء الابلق العقوق لعزة
وجوده وقال رجل لمعاوية افرض لي قال نعم قال ولولدي قال لا قال ولعشيرتي
فتمثل معاوية بهذا البيت
طلب الابلق العقوق فلما   لم ينله اراد بيض الانوق

فما روضة بينانة غناء قد * جادت لها السحب بماء غدق
فابتسمت اغصانها عن ابيض * واحمر واصفر وازرق
يوما بابهى للعيون منظرا * منها ولا كلفتها المروق

الاعراب والبديع قوله فما روضة بينانة فما نافية حجازية ترفع
الاسم وتنصب الخبر وروضة اسمها وما بعدها صفات لها وقوله بابهى للعيون
في خبرها مجرور بالباء الزائدة ومنظرا تمييز والروضة المكان المعشب بالزهور

بحيث لا يبقى ريب في تفسير الغزل أنه الأفعال والأقوال والأحوال الجارية بين
المحب والمحبوب نفسهما أي أنه نفس التغازل والتعلق بما يجلب المودة لا بقائل من
غزل إذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء من الشمائل الحلوة والكلام
المستعذب وبهذا التحرير تبين أن ذلك المرتب متشابه أي متشبه بمن شغله الحب وأما
التشبيب فهو الإشارة إلى ذكر المحبوب وصفاته والإعلان بذلك واشتقاقه
والتصريح به من شببت النار إذا رفعت سناها وزدتها ضياء أو من شبب النعيم
وجه الجارية إذا أجلاه ووصف ما تحته من المحاسن قال الشاعر إذا أعلن بذكر
المرأة وأظهر محاسنها وشيم صفاتها فقد شبب بها وأما النسيب فثلاثة
أنواع **الأول** ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية كحمرة الخد ورشاقة القد
والمعنوية كالتمنع وحلاوة الغزل **والثاني** ذكر ما في المحب من الصفات مما يتعلق
بحالة العاشق كالنحول والذبول وما يتعلق بباطنه كالحزن والشغف **والثالث**
ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب معا من هجر ووصل ووفاء وإخلاف وما يتبع ذلك
من ذكر الوسائل والرقباء وقد تقدم عند رسم الكتاب شيء من الكلام في النسيب
فلا نكرره

ذكر جرير وجميل وبعض غزلهما

أما جرير فهو أبو حزرة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة جرير بن عطية
ابن الخطفى واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة
ابن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم اليربوعي الشاعر المشهور كان من فحول
شعراء الإسلام وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وأجمع علماء الشعر
أن جريرا والفرزدق والأخطل هم المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية
على أن الأخطل دونهما واختلف في جرير والفرزدق أيهما أشعر واحتج لكل واحد منهما
كما يجب وقد تبع ذلك بكلام وكان يونس يقول ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير
والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقيا وعن حماد الراوية
قال أتيت الفرزدق فأنشدني ثم قال لي هل أتيت الكلب يعني جريرا قلت نعم قال
فأنا أشعر أم هو قلت أنت في بعض الأمر وهو في بعض فقال لم تناصحني فقلت هو
أشعر إذا أرخي من خناقه وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت فقال وهل الشعر
إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر قالوا وهاجى جرير ثمانين شاعرا فغلبهم

وبقيتهم ولم يبق له إلا الفرزدق، وكانا يتواردان على الشعر ويقولانه من غير أن يعلم أحدهما بصاحبه، وكان جرير يقول للفرزدق: وإن شيطاننا واحد. وعن العتبي قال: قال جرير: ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى، ولولا أني أخاف أن يستنكر شيء لكثرت منه. وقال محمد بن سلام: رأيت أعرابيا من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته، فقلت له: أيهما عندكم أشعر، الفرزدق أم جرير؟ فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلها غلب جرير، قال في الفخر قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ۞ حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا ۞ وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير ۞ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله:

إن العيون التي في طرفها حور ۞ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ۞ وهن أضعف خلق الله إنسانا

قال محمد بن سلام: وبيت النسيب عندي قوله:

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ۞ ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقال الحاتمي: كان الفرزدق مشتهرا بالنساء، ومع ذلك ليس له بيت واحد في النسيب، وكان جرير عفيفا لم يعشق امرأة قط، ومع ذلك هو أغزل الناس شعرا. قلت: ومثل هذا هو الذي أوجب على الناظم أن يذكر جريرا بالغزل والنسيب تبعا للحريري في المقامة التبريزية، وقد اعتذر عن الحريري في ذلك وأن الذي اشتهر بالغزل في ذلك الزمان هو عمر بن أبي ربيعة وجميل وقيس بن ذريح وكثير عزة وأمثالهم ممن عشقوا وأعفوا، وأما جرير فإنه لم يعشق قط، وإنما أجل ما عنده في الشعر المدح والهجاء، ولا ريب أنه أيضا جاء في شعره من الغزل الرقيق شيء كثير كما تعرفه، وقد شهد له الفرزدق بذلك حين سئل عنه فقال: قاتله الله، فما أخشن ناحيته وأشرد

فأبيته والله لو تركوك لأبكيت العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم
[illegible] عند الفراش نابها وعند الفراء فارها ولكن قال أبيتا أن لا يكون
ذلك أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

إذا غضبت عليك بنو تميم ۞ حسبت الناس كلهم غضابا

وأخبار جرير كثيرة انظرها في الأغاني ومات عام مات الفرزدق وبلغ خبر موته جريرا فبكى
وقال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد
منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه وكان كذلك
فإنه توفي سنة عشر ومائة وفيها مات الفرزدق وقد كانت وفاة جرير باليمامة
عن نيف وثمانين سنة رحمه الله وأما جميل فهو أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر
ابن صباح بضم الصاد المهملة ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون
ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بالنون ابن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد العذري الشاعر
المشهور صاحب بثينة العذرية أحد عشاق العرب وفتيتهم ومتغزليهم جميل بن معمر
الجمحي الصحابي أبو يزيد نزل فيه قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فإنه ليس
بين جميل هذا وبين معمر أب وأما جميل الشاعر الذي نحن بصدد الكلام عليه فهو جميل
ابن عبد الله بن معمر العذري وقد كان فيه عشق بثينة وهو غلام فلما كبر خطبها
فرد له أبوها فقال الشعر فيها وكان يأتيها [illegible] ذكره الحافظ ابن عساكر في
تاريخ دمشق وقال قيل له لو قرأت القرآن كان أعود عليك من الشعر فقال هذا
أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من
الشعر لحكمة والجمال والعشق في بني عذرة كثير قيل لأعرابي من العذريين
ما بال قلوبكم كأنها قلوب الطير تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون
فقال إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها وقيل لآخر ممن أنت فقال من قوم إذا
عشقوا ماتوا فقالت جارية سمعته عذري ورب الكعبة فلهذا المعنى ضرب المثل
بالهوى العذري وقال المتنبي رحمه الله

يا لائمي في الهوى العذري معذرة ۞ مني إليك ولو أنصفت لم تلم

وقال أبو مسلم الآخر من اجتمع له الشعر والرواية فيه كثير وكان راوية جميل وجميل
راوية هدبة بن خشرم وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير وتذاكر

عبد الرحمن بن الازهر وعبد الرحمن بن حسان رأى جميل فقال ابن الازهر هو اشعر
اهل الاسلام فقال ابن حسان نعم والله واشعر اهل الجاهلية والله ما لاحد
منهم مثل هجائه ولا نسيبه فقال ابن الازهر صدقت وعن محمد بن سلام قال كان لكثير
في النسيب حظ وافر وجميل مقدم عليه وعلى اصحاب النسيب في النسيب وعن الاصمعي
قال كان كثير راوية جميل وكان يقدمه على نفسه ويتخذه اماما واذا سئل عنه
قال وهل علم الله ما تسمعون الا منه قلت فلهذا اختار ائمتهم رحمهم الله
جميلا بالذكر في النسيب فانه كان لا يشق له فيه غبار واشعاره في الغزل كانها
قطع الرياض وعقود منتثرة في ديوانه وقد ذكر صاحب الاغاني منها شيئا كثيرا
من ذلك قوله

وخبرتماني ان تيماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنوى ترمي بليلى المراميا

ومنها

وما زلتم يا بثن حتى لو انني ... من الشوق استبكي الحمام بكى ليا
وما زادني الواشون الا صبابة ... ولا كثرة الناهين الا تماديا
وما احدث النأي المفرق بيننا ... سلوا ولا طول الليالي تقاليا
الم تعلمي يا عذبة الريق انني ... اظل اذا لم القَ وجهك صاديا
لقد خفت ان القى المنية بغتة ... وفي النفس حاجات اليك كما هيا

ومن شعره

واني لارضى من بثينة بالذي ... لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبان لا استطيع وبالمنى ... وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... اواخره لا نلتقي واوائله

واخباره مع بثينة كثيرة ذكر منها صاحب الاغاني وغيره وذكر الزبير بن بكار
عن عباس بن سهل الساعدي قال بينا انا بالشام اذ لقيني رجل من اصحابي فقال
هل لك في جميل نعوده فانه ثقيل فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر الي
وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم
يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا وارجو له الجنة فمن هذا الرجل
قال انا قلت له والله ما احسبك سلمت وانت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة
قال لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم واني لفي اول يوم من ايام الآخرة

وذاك يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قال فما برحنا حتى مات
وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي مات منه فدخل
عليه عباس بن سهل الساعدي وذكر الحكاية والله أعلم بالصواب نقله ابن
خلكان وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته
الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل
شيئا أعهده إليك قال فقلت اللهم نعم فقال إذا أنا مت فخذ حلتي هذه واعزلها
جانبا وكل شيء سواها لك وارحل إلى رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل
ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه
الأبيات وخلاك ذم

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر البرد في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

قال ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها
بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى أتتني وقالت يا هذا والله لئن
كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت والله ما أنا إلا
صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع
نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة
ثم قامت وهي تقول

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ وكانت وفاة جميل رحمه
الله سنة اثنتين وثمانين تنبيه تقدم أن جميلا أقسم عند موته أنه ما
وضع يده على بثينة لريبة فكان من أجل هذا اشتهر عنه وعن سائر عشاق
العرب الذين عرفوا بتعاطي الغزل من النساء والتشبيب بهن والإنشاد
بما سمعه الأفاضل من أنهم يعتبرون في هذا الباب وقد تقدم شيء من أخبارهم
أثناء هذا الكتاب إذ كانت العرب تستحسن العشق مع العفاف وتستقبح

ما وراء ذلك من الوقاع ومقدماته وكان لا باس عندهم ان يختلي العاشق
بعشيقته ويتلذذ بمحادثتها ومغازلتها ان لم تكن ريبة بل كان عندهم لا يستقبح
من ذلك الا الابتذال واجابة كل داع قال المفسرون في قوله تعالى محصنات غير
مسافحات ولا متخذات اخدان المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات
الاخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني بغيره وكانت العرب في الجاهلية
تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الامر مغتفرا عندهم لاجرم حرم
الله الامرين معا وحرم الشارع صلوات الله عليه الخلوة بالاجنبية
والتلذذ بمحادثتها ووقع الاجماع على ذلك واذا كان كذلك فامر جميل حينئذ
مشكل اذ كان يختلي ببثينة ويغازلها ويشبب بها ويصرح باسمها في شعره
وكل ذلك حرام بالاجماع والجواب انه لما جاهد نفسه في حبها وحبس
بدنه حتى عن لمسها كان ذلك مكفرة تجاوز الله عما صدر منه من الخلوة
والمحادثة ونحو ذلك قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم الاية قال المفسرون الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات
مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة وما اشبه ذلك ومصداقه في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كتب على ابن ادم نصيبه من الزنى ادرك ذلك لا محالة العينان
زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق
ذلك او يكذبه ه

فلو دام املا الاصمعي خطها — كي يستعين بسواد الحدق
او بقي الفتح عليها كرقه — سالم فلا يرى بالتمزق

الاعراب قوله فلو دام املا الاصمعي الفاء عاطفة سببية والاصمعي
تقدمت ترجمته وقوله خطها اي كتبها وفي التنزيل ولا تخطه بيمينك —
وبسواد الحدق يتعلق به وكي يستعين علة له واللام مقدرة مع كي على انها
مصدرية ويجوز ان تكون كي جارة وان مقدرة بعدها وفي الكلام تقديم وتاخير
اي خطها بسواد الحدق كي يستعين وقوله او بقي الفتح جملة معطوفة على جملة

وذات يوم من ايام الدنيا اذ كنت وقعت من عليهما لرؤيته قال فما برحنا حتى مات
وقال محمد بن احمد بن جعفر الاهوازي من قبر جميل بمصر من قصة الذي مات منه وبرحل
عليه عباس بن سهل الساعدي وذكر الحكاية والله اعلم بالصواب ونقله ابن
خلكان وذكر في الاغاني عن الاصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته
الوفاة بمصر انه دعا به فقال له هل لك ان اعطيك كل ما اخلفه على ان تفعل
شيئا اعهده اليك قال فقلت اللهم نعم فقال اذا انا مت فخذ حلتي هذه واعزلها
جانبا وكل شيء سواها لك وارحل الى رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل
ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه
الابيات وخلاك ذم

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد اجر البرد في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

قال ففعلت ما امرني به جميل فما استتممت الابيات حتى برزت بثينة كانها
بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى اتتني وقالت يا هذا والله لئن
كنت صادقا فلقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت والله ما انا الا
صادق واخرجت حلته فلما راتها صاحت باعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع
نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة
ثم قامت وهي تقول

وان سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... اذا مت باساء الحياة ولينها

قال الرجل فما رايت اكثر باكيا ولا باكية من يومئذ وكانت وفاة جميل رحمه
الله سنة اثنتين وثمانين تنبيه تقدم ان جميلا اقسم عند موته انه ما
وضع يده على بثينة لريبة قط ومثل هذا المشهور عنه وعن سائر عشاق
العرب الذين عرفوا بالعفاف في الغزل بالنساء والتشبيب بهن والانشاد لهن
فما سمعنا الا قليلا ممن تعرض بفحش من هذا الباب وقد تقدم شيء من اخبارهم
اثناء هذا الكتاب اذ كانت العرب تستحسن العشق مع العفاف وتستقبح

ما وراء ذلك من الوقاع ومقدماته وكان لا بأس عندهم أن يختلي العاشق
بعشيقته ويتلذذ بمحادثتها ومغازلتها ان لم تكن ريبة بل كان عندهم لا يستقبح
من ذلك الا الابتذال واجابة كل داع قال المفسر في قوله تعالى محصنات غير
مسافحات ولا متخذات أخدان المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات
الأخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني بغيره وكانت العرب في الجاهلية
تحرم الأولى وتجوز الثانية فلما كان زمن الاسلام ومعتبرا عندهم لا حرج حرم
الله الصورتين معا وحرم الشارع صلوات الله عليه الخلوة بالأجنبية
والتلذذ بمحادثتها ووقع الاجماع على ذلك واذا كان كذلك فما وجه قول جميل حينئذ
مشكل اذ كان يختلي ببثينة ويغازلها ويشبب بها ويصرح باسمها في شعره
وكل ذلك حرام بالاجماع والجواب انه لما حجر نفسه في حبها وحبس
بدله حتى عن نسيمها كان ذلك مكفرة فتجاوز الله عما صدر منه من الخلوة
والحديث ونحو ذلك قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم الآية قال المفسر الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات
مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة وما اشبه ذلك ومصداقه في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى أدرك ذلك لا محالة العينان
زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق
ذلك أو يكذبه هـ

فلو ان ما الاصمعي خطها ... كي يستعير بسواد الحدق
او بغى الفتح عليها كرقه ... سلع فلا برده بالتمزق

الاعراب قوله فلو ان ما الاصمعي الفاء عاطفة سببية والاصمعي
تقدمت ترجمته وقوله خطها أي كتبها وفي التنزيل ولا تخطه بيمينك —
وبسواد الحدق يتعلق به وكي يستعير علة له واللام مقدرة مع كي على انها
مصدرية ويجوز ان تكون كي جارة وان مقدرة بعدها وفي الكلام تقديم وتاخير
أي خطها بسواد الحدق كي يستعير وقوله او بغى الفتح جملة معطوفة على جملة

رواه الأصمعي ولو بغير دال معناه واحد وأما جملة سالع فلا بد له وضمير سالع يعني
عما قبل بعده ما أي النائي بالنبأ وقد تفرع له نكتة هذه العبارة وأما بعد فقال
الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقلائد بدل يوم ابن وردة بعد العطاء وتفرع
إنما لغة وكان من حقه أن يقول بالتمز بدل لكن لما كان التمز يدو والتمز مثلا زويني
أفلم أعد بهما مطلع اللدغ وعكس هذا قوله تعالى وتبتل إليه تبتيلا والأصل تبتلا
وفي الكلام مبالغة انتهت إلى حد الإغراء وفي بيع والفتح جناس الاشتقاق والله
أعلم

ذكر الفتح وقلائده ۞

هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي
الأديب المشهور له عدة تآليف منها كتابه الموسوم بقلائد العقيان وهو كتاب
بديع موجود بأيدي الناس وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كبيرة وتكلم على
ترجمة كل واحد منهم بأحسن عبارة وألطف إشارة وله أيضا كتاب مطمح الأنفس
ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى وهو
كتاب كثير الفائدة لكنه قليل الوجود وكلامه في كتبه يدل على غزارة فضله
وسعة مادته وكان كثير الأسفار سريع التنقلات وقال الحافظ أبو الخطاب
ابن دحية في كتابه المطرب من أشعار أهل المغرب إني لقيت جماعة من
أصحابه وحدثوني عنه بعجائب وعجائب وكان خليع العذار في دنياه لكن
كلامه في تآليفه كالسحر الحلال والماء الزلال قتل ذبيحا في مسكنه بفندق
من حضرة مراكش سنة تسع وعشرين وخمسمائة رحمه الله وكان الذي أشار
بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين هذا كله نقله وأمير
المسلمين المذكور هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف له
أبو النصر المذكور قلائد العقيان وقد ذكره في خطبة الكتاب نقله ابن خلكان

أو وصلت للموصلي فيما مضى ۞ عند الغنا بغيرها لم ينكر

الإعراب قوله أو وصلت تقدير أداة لو وصلت وقوله لم ينكر جواب لو
المقدرة وعند الغنا وبغيرها متعلقان به وخفف ياء الموصلي وقصر ألف الغناء
ضرورة وفي وصلت والموصلي شبه الاشتقاق والله أعلم ۞

التعريف بالموصلي وذكر الغناء وما قيل فيه

وأما الموصلي فهو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي ولاء
أرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي كان من ندماء الخلفاء من بني العباس
وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء الذي انفرد به وإنما قيل له ولأبيه
الموصلي لأن أباه إبراهيم كان قد سافر إلى الموصل وأقام بها مدة فنسب إليها
قال أبو الفرج الأصبهاني ومكان إسحاق الموصلي من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه
في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف وأما الغناء
فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه
فإنه كان له في سائره نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير فإنه لحق
فيه بمن مضى وسبق من بقي ونهج للناس طريقه فأوضحها وسهل عليهم سبله
وأنار منها فهو إمام أهل صناعته جميعا ومعلمهم يعرف ذلك منه الخاص والعام
ويشهد به الموافق والمفارق على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضا
لأن يدعى إليه أو يسمى به وكان يقول لوددت أن أضرب كلما أراد مريد مني
أن أغني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني عشر مقارع لا أطيق أكثر من ذلك
وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه وكان المأمون يقول لولا ما سبق
على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي فإنه
أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وقد روى الحديث
ولقي مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد
وأبي معاوية الضرير وروح بن عبادة وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز وكان
مع كراهته للغناء أضن خلق الله به وأشدهم بخلا به على كل أحد حتى على جواريه
وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسبا إليه ومتعصبا له فضلا عن غيرهم وهو الذي
صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق
به أحد بعده فجعل الثقيل الأول أصنافا فبدأ فيه بالإطلاق والوتر في مجرى البنصر
ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ثم جعل
ما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ثم جعل الثقيل الأول صنفين الصنف
الأول منهما هذا الذي ذكرناه والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأول
وأجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الأصابع والمجاري وألحق جميع الطرائق

وإبراهيم

والأجناس بذلك وأخذ أمثلة على هذا الترتيب ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحد بعده
فضلاً عن أن يصنفه في كتابه هذا كله فعله إسحاق واستخرجه بطبعه حتى أتى
على ما قد رسمته الأوائل مثل أقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى
ووافقهم بطبعه وذهنه فيما فرّعوه فيه الدهور من غير أن يقرأ لهم كتاباً
أو يعرفه قال أبو الفرج وهذا من أعجب شيء يؤثر عنه وإنه استخرج بطبعه
علماً رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب أقليدس الأول في
الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى وعلم ذلك وتوصل إليه
واستنبطه بفطنته فوافق ما رسمه أولئك ولم يشذ عنه شيء يحتاج إليه
منه وهو لم يقرأ له ولا له مدخل إليه ولا معرفة ومن عجيب أمره أنه كان يأخذ
العود وهو مشوش الأوتار ليس فيه وتر يستوي بالآخر ولا له به نسبة فيضرب
به ويغني عليه غناء صحيحاً مستقيماً كأحسن شيء سمعته وكان الواثق يقول
ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي وقال محمد بن عمر الجرجاني
كان والله إسحاق غرة في زمانه وواحداً في دهره علماً وفهماً وأدباً ووقاراً
ووفاء وجودة رأي وصحة مودة كان والله يخرس الناطق إذا نطق ويحير
السامع إذا تحدث لا يمل جليسه ولا تمج الآذان حديثه ولا تنبو النفوس عن
مطالبته إن حدثك ألهاك وإن ناظرك أفادك وإن غناك أطربك وما كانت
ترى خصلة من الأدب ولا جنس من العلم يتكلم فيه إسحاق فيقدر أحد على مجاراته
ومباراته وقال محمد بن عطية العطوي الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم
فوافى إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم ثم
تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر ثم أقبل
على القاضي يحيى فقال له أعز الله القاضي أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص
أو مطعن قال لا قال فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وأنسب إلى
فن واحد قد اقتصر الناس عليه يعني الغناء قال العطوي فالتفت إلي القاضي
يحيى وقال لي الجواب في هذا عليك وكان العطوي من أهل الجدل فقلت للقاضي
نعم أعز الله القاضي الجواب علي ثم أقبلت على إسحاق فقلت يا أبا محمد أنت
كالفراء والأخفش في النحو فقال لا فقلت فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي

وأبي عبيدة. قال ابن فقلت فما أنت في علم الكلام؟ قال كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي. قال قلت فما أنت في الفقه؟ قال كالقاضي، وأشار إلى القاضي يحيى. قال قلت فما أنت في قول الشعر؟ قال كأبي العتاهية وأبي نواس. قال فما يمنعك منهما؟ قال ما نسبتني إليه بنيّة لا نكير لك فيه، وأنت في عشيرة ذوي رؤساء أمثاله فتقصيه، وقال وأنتم فقال القاضي يحيى للعسكري لعن وفيت الحجة حقها، وفيه كلام قليل من شعرا وقلّ أنه مثل يقل في الزمان نظيره. وقال أحمد المكي كان المغنون يجتمعون مع أبيه وكلهم أحسن صوتا منه ولم يكن فيه عيب إلا صوته فيجتمعون فيه فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم ويقرون له جميعا ويفضلونه ويتقدمهم. قال وهو أول من أخرج التجزئة في الغناء ليتوافق صوته، وتشبّه الناس به، فجاء منه عجب من العجب، وكان في حلقه نبوّ عن الوتر. وله شعر غاية في الكياسة في كل فن، فمنه في الفخر

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائم

ومنه في الجود

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له في العالمين خليل
فعالي فعال المكثرين تكرما ... ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميل

ومنه في الغزل وقد انحدر من بغداد إلى البصرة في سفينة ثم عاد فيها

ما كنت أعرف ما في البين من حزن ... حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها ... فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت علي تفديني وترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن
لما افترقنا على كره لفرقتنا ... أيقنت أني رهين الهم والحزن

وأخباره وأشعاره ومحاسنه كثيرة ذكرها في الأغاني، وكانت ولادته سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين، ورثاه بعض أصحابه ببغداد

أضحى الموصلي تحت عفر التراب * ثاويا في محلة الأحباب
إذ مضى الموصلي وانقرض الأنـ * ـس وحثت مشاعر الأطراب
بكت المطربات حزنا عليه * وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى * رحم العود عبرة المضراب

وقيل إن هذه المرثية في أبيه إبراهيم وكان يرى إبراهيم زريب في صناعة الغناء لا انعح يبرزه شأوا وأبعد أسماء والله أعلم وإذ قد ذكرنا بعض ما يتعلق بالموصلي فلنذكر بعض ما يتعلق بالغناء فنقول اعلم أن صناعة الغناء قديمة في نوع البشر حدثت في عهد آدم عليه السلام أو بعده بيسير وإنما قلنا هذا لأن من الأمر الواضح جدا أن الغناء أمر طبيعي في الإنسان لا ينفك عنه بحيث إنه إذا أصابه حزن بكى وناح كذلك إذا حصل له سرور امتد وترنم وربما صفق ورقص فهذا أمر جبلي في الإنسان منذ برأه الله إلا أن غناء كل أحد بحسب طبعه ومعرفته فمنهم المجيد ومنهم المقصر على أنهم ذكروا أن أول من وضع العود للغناء بعد لامك بن قابيل بن آدم عليه السلام فإذا كانت آلة الغناء قد حدثت في ذلك العصر فالغناء بدون الآلة متى كان حدث البشر يكون قد حدث في عصر آدم عليه السلام أو عصر بنيه لأن الزيد رأيت في التوراة عند الكلام على يوبال بن لامك وهو من ذرية قابين بينه وبينه خمسة آباء فانظره ويوبال كان أبا للضاربين بالكنارة والأرغن فالكنارة آلة معروفة والأرغن كأنه الآلة المسماة بزامر الشعب ونقول قد قال المسعودي في مروج الذهب أن كثيرا من الحكماء أخبرت في أيام بارد بن مهلاييل أخرجها ولرفاه من ذرية آدم فلعله وقد قيل هذا هو قابيل قاتل هابيل المذكور في سورة المائدة واعلم أن ما ذكر من أن لامك أو بعض بنيه هو الذي أحدث العود ينبغي أن يحمل على أنه وضع آلة تشبه العود مثل الكنارة ونحوها وأما العود المصطلح عليه اليوم فالمشهور أن الذي وضعه حكيم من حكماء الفرس وسماه البربط بفتح الموحدتين بينهما راء مهملة وفي آخره طاء مهملة وتقسيمه باب الخيال كأنه مأخوذ من صدر باب الحكمة وجعل أوتاره أربعة بإزاء الطبائع الأربع فالزير بإزاء الصفراء والمثنى بإزاء الدم والمثلث بإزاء البلغم والبم بإزاء السوداء فبان بهذا أن الغناء صناعة قديمة قبل نوح عليه السلام

بكثير وقول ابن خلدون ان صناعة الغناء آخر ما يحدث في العمران انما كلامه فيه
وأول ما يذهب منه عند اختلاله في بلد فقد ذكرنا في أن من ذلك العجم كانوا
قرونا من عمرانهم وتمدنهم قبل الكماليات فأحدثوها فسيحا لما نشر الله الخلق
بعد نوح عليه السلام وتعددت الأمم واختلفت لغاتها وتنوعت أزياؤها
وتحليها اخترعت كل أمة غناء يليق بها وأحدثت لذلك في الآلات ما يناسبها
فكان السابقون لذلك والمبرزون فيه أمتين عظيمتين وهما اليونان والفرس فأما
اليونان فكان منهم فيثاغورس الحكيم المشهور واضع علم الموسيقى وضبط أنواع الغناء
بقوانين هندسية وأفرد لذلك كتابه المسمى بكتاب الدوائر الثمانية وما قيل
من أنه أول من أحدث العود غير صحيح لما قدمنا من أن العود من مخترعات
الفرس ولأنه لو كان من مخترعات يونان لكان معروفا في الآلات الافرنجية لأن
الذين ورثوا ملك اليونان وحضارتهم هم الروم والذين ورثوا ملك الروم وحضارتهم
هم الافرنج فكيف يخفى عليهم أمر العود مع شدة اعتنائهم بأخبار من هم من
قبلهم خصوصا الروم ويونان وما نعلم أحدا من الافرنج في جيل ما يعانونه من الصنائع
والغرائب فلذا قلنا ان العود ليس من مخترعات يونان نعم قد كانت لهم آلات
أخر معروفة مذكورة في كتب الأخبار وغيرها وأما الفرس فإنهم تفننوا في
الغناء أيضا وضبطوا أنواعه بالقوانين الحسابية والنسب الهندسية
ووضعوا فيه التآليف فأتوا في ذلك من وراء الغاية وناهيك أنهم استنبطوا
العود ومثله لم يوجد له مثيل في سائر آلات الغناء ولما كان غناء العرب
تابعا لغناء الفرس وناشئا عنه لأنهم الذين ورثوا ملكهم وحضارتهم
وجب أن نتوسع فيه قليلا ونبين أصوله وفروعه وكيفية صدوره على سبيل
الاجمال ليكون كالتوطئة لبيان غناء العرب وفهم موضوعه وأقسامه
في الجملة فنقول اعلم أن الفرس لما أرادت ضبط أنواع الغناء عمدت
أولا الى النغم فقسمتها الى سبعة أصول ومعنى النغمة الصوت الساذج الذي
الذي يترنم به الانسان على هيئة مخصوصة وقال العلامة شمس الدين
ابن ساعد في رسالته النغمة صوت لابث زمانا ما يجري من الالحان مجرى الحروف
من الالفاظ وجعل الفرس النغمات الصوتية على طبقات بعضها أرفع من

بعضٍ وقد تبيّن هنا ترتيب العدد المشرود فأخفض النغمات نغمة اليكاه وبعدها
الدوكاه وبعدها السيكاه ثم الجهاركاه ثم البنجكاه ثم الششكاه ثم الهفتكاه
وهي أعلى النغمات وأبعدها وهي السابعة وكل واحد من هذه الأسماء السبعة
مركّب من كلمتين فارسيتين آخر أحدهما وهي كاه بالكاف الفارسية التي بين مخرجها من
مخرج الجيم بمعنى مقام والأخرى وهي يك في الأول بمعنى واحد ودو في الثاني بمعنى
اثنين وسه في الثالث بمعنى ثلاثة وجهار في الرابع بمعنى أربعة وبنج في الخامس
بمعنى خمسة وشش في السادس بمعنى ستة وهفت في السابع بمعنى سبعة وقد
تقدّمت هذه الألفاظ عند الكلام على الفرد من أجمعها وهذا التركيب إنما هو
بمعنى مقام الواحد ومقام الاثنين ومقام الثالث أي ذاهما وأما وضعه بمعنى المقام
الأول المقام الثاني المقام الثالث وهكذا جريا على عادة العجم في تقديم المضاف
إليه على المضاف والنعت على المنعوت ثم سموا المقام الأول وهو اليكاه الراست
كلمة فارسية اجتمع فيها ساكنان الألف والسين المهملة ومعناها المستقيم
وهو الذي عربته العرب فقالوا الرهو وإنما زادوا هذا الاسم على اسم مقامه
الذي هو اليكاه نكتة أن تركيبه اعتبار على الترتيب الطبيعي حيث يبدأ فيه بالأول
بخلاف الباقيات إذ ابتدئ في الدوكاه بالثاني وفي السيكاه بالثالث وهكذا
إذ هذه المقامات تصوّر في الخمسة بدائرة كدائرة العروض ثم تفكّك البحور منها
كتفكيك بحور الشعر فكان البحر الأول بسبب ما هو زائد من تلك الدائرة جرى أبدا
بزيادة هذا الاسم الدال على الاشتقاق دونها حيث لم يكن التركيب في شيء منها
جاريا على الترتيب فهو منزل من سائر البحور منزلة بحر الطويل من سائر البحور
فتأمل ثم إن هذه الأصوات السبعة تدخل في ثلاثة أدوار وذلك أنك إذا
بدأت بنغمة اليكاه التي هي الدرجة الأولى وصعدت درجة درجة حتى وصلت
إلى نغمة الهفتكاه التي هي الدرجة السابعة ثم أخذت ترقى درجة درجة
أيضا كانت الثامنة عين الأولى في حكمها حكمها في صناعة الغناء وكانت
التاسعة عين الثانية حتى لو وصلت إلى الرابعة عشرة لكانت عين السابعة
ولو ترقيت إلى الخامسة عشرة لكانت عين الثامنة التي هي الأولى بعينها
وهلم جرا فتسمى نغمات الدور الأول تنزل من نغمات الثاني منزلة نغمة البم

ح

م

من نغمة الزير وهكذا الحكم بين الثاني والثالث فافهم ولذا جعلوا الديوان الثاني
جوابا للاول والثالث جوابا للثاني وبيانه انه اذا كان شخص له صوت حادّ
كالصبي والمرأة وكان يغني في المرتبة الثامنة ولم يقدر غيره ان يغني معه فيها
لكون صوته لا يصل حدّه على ذلك كغالب اصوات الرجال فان كل من يريد السير معه في
ذلك الغناء والمساعدة له عليه صار يخفض صوته الى المرتبة الاولى التي هي
مرتبة الكمال ويغني معه فيستقيم الغناء حينئذ بخلاف ما لو غنى في المرتبة الثالثة
او الخامسة او السابعة مثلا فان الغناء يفسد ويقبح اذ لا نسبة بين هذه
المراتب فان قلت ارأيت اذا غنى احدهما في الثامنة وغنى الآخر في الثانية
او الرابعة مثلا هل يستقيم الغناء لان النسبة بين المرتبتين موجودة او يفسد
لان احدى المرتبتين وقعت في اول ديوان والآخر في اثناء آخر قلت لا يستقيم
على وجه لان صاحب الثامنة يكون مغنيا في اصل وصاحب الثانية مثلا يكون مغنيا
في فرع كما يأتي بيانه قريبا فتحصل من المقامات السبعة التي اصطلح العجم على
جعلها اصولا لغنائهم وتسمى البردات واما الفروع فهي احد وعشرون وهي
تنقسم بالقسمة الثلاثية الى عربات ونيمات عربات وتيكات عربات تذكر الى
مقادير مسافة النغم فيما بين الدرجات وبيان هذا ان مسافة النغم فيما بين
كل اثنين من السبعة المتفرقة قد تكون كاملة وتسمى بردة وقد تكون ناقصة
وتسمى عربة او نيم عربة او تيك عربة فاذا رفعت صوتك فتنقل من درجة من
درجات الاصول السبع فاما ان تقطع جميع مسافة النغم بينها وبين الدرجة التي
تليها واما ان تقطع نصف المسافة او ربعها او ثلاثة ارباعها فقط وتقف
ثمه فان انت قطعتها كلها وانتهيت الى الدرجة الاخرى كنت واقفا على البردة
وكانت مسافة النغم كاملة وان قطعت نصفها ثم وقفت كنت واقفا على العربة
او قطعت ربعها فقط كنت واقفا على نيم العربة اي نصفها ونصف النصف ربع
او قطعت ثلاثة ارباعها كنت واقفا على تيك العربة وكانت المسافة في الجميع
ناقصة وبهذا يتبين ان عدد العربات سبع وكذا عدد كل من النيمات والتيكات
وذلك واضح وينبني على هذا ان يكون ترتيبها كترتيب الاصول وكل منها يسمى
باسم خاص فاسم العربة الاولى زنكلاه ومعنى اسمه فارسي مركب من كلمتين

إحداهما كلاه بمعنى تاج والاخرى زن بفتح الزاي المعجمة وسكون النون بمعنى
بنت والتركيب اضافي اي تاج البنت ومنزلة النغمة من الواقعة بين اليكاه والدوكاه
واسم الثانية الكردي ومن الواقعة بين الدوكاه والسيكاه واسم الثالثة
بوسليك ومن الواقعة بين السيكاه والجهاركاه واسم الرابعة الحجاز ومن
الواقعة بين الجهاركاه والبنجكاه واسم الخامسة الحصار ومن الواقعة بين
البنجكاه والششكاه ومنزلة الاسماء الاربعة كلها عربية ولم ادر من اين
اتى معنى ذلك واسم السادسة النيروز ويقال النوروز وهو في الاصل اسم يوم اول
يوم من السنة الفارسية ومن الواقعة بين الششكاه والهفتكاه واسم السابعة
النهفت اسم فارسي كانه مضاف الى الهفتكاه ومن الواقعة بينها وبين اول
مرتبة من الدور الثاني وهكذا ترتيب النغمات والتبكات على هذا المنوال ومن
اسمائها الحجازية والزيركند والبزرك والرمل والاصبهان والرهاوي والتجرد
والصبا والشوري والعشيران وغير ذلك مما يطول وهذه الاسماء بعضها
فارسي وبعضها عربي كما ترى والسبب في ذلك انا فرضنا ان الغناء العربي متولد
من الفارسي وناشئ عنه بالتبعية اختلطا بالاسم وتداخلت الاسماء بعضها على
بعض ثم لا يخفى عليك ان كلا من العربيات والنغمات والتبكات ثمانية واربعة
ثلاثة كالبردات فيكون مجموع ادوار الغناء الفارسي اربعة وثمانين دورا من
ضرب ثلاثة عدة الدوائر في ثمانية وعشرين عدة المقامات الاصول والفروع
ومن هنا يهتدى الى كيفية تركيب نغم الآلة المسماة عند العرب اليوم بالبيانو
فان نغمها قد ترتب على هذا النحو بكثير وهو وكل في علم عليه واما كيفية
تاليف اللحون وتركيبها من النغمات وتمييز اللذيذ منها من البشيع والمستحسن
من المجموج وتنزيل الاشعار على ما يصلح منها وكم حد ما لا يصلح حتى يتاتى
الغناء بكل لحن منها على وجه مخصوص فمن علم الموسيقى الذي يتوقف الخوض
فيه على اتقان القواعد الحسابية والنسب الهندسية والاسرار على علوم
الطبيعة وغير ذلك ثم لا تحصل الملكة فيه على ما ينبغي الا بالمشاهدة وكل
ميسر لما خلق له ثم اعلم ان الغناء بالصوت او الآلة لابد له من ايقاع
ينضبط زمانه به ويتميز حتى لا تحصل فيه زيادة ولا نقصان ومعنى الايقاع

نقرات على الكمان او غيره يسمى وفي معنى الغناء حال الترنم بعد تكرر كما نقلنا له
فيقع في مبدا الانغام وتكون الازمنة المتخللة لتلك النقرات معروفة بنسبة
هندسية ملذوذة في السمع لا تتفاوت اجزاؤها تفاوتا ومنزلة الايقاعات من
موازين الشعر التي تميز صحيحها من فاسدها قال ابن ساعد وقد انقسمت الفرس
من الايقاعات على اربعة اضرب ضرب يعرف بضرب الاصل وهو قريب من الثقيل
الاول عند العرب وضرب يعرف بالخمس وهو قريب من الماخوري عندهم وضرب يعرف
بالتركي وضرب يعرف بالفاختي وهو من الهزج ه وهذا ما اردنا من الكلام
على غناء العجم واما غناء العرب الناشئ عنه والتابع له فاعلم ان
العرب قبل الاسلام لم يكونوا يعرفون غناء بديع الصنعة ولا محكم الاجزاء قال
ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني كان غناء العرب جاريا مجرى الانشاد الا انه
يقع بتكلف ما وترجيع يسير ورفع للصوت ونقل صاحب المستكفي عن هشام بن محمد
الكلبي ان غناء العرب على ثلاثة اوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب
فغناء الفتيان والركبان واما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات واما الهزج
فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم ه والكلام ان هذا غناؤهم
بعد الاسلام واما قبل الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين فلم يكن في غنائهم كثرة نغمات ولا ما يستفز القلوب بل كان جاريا
مجرى الانشاد كما قال ابو الفرج وهو الذي رخص فيه بعض السلف وقال ابن خلدون
وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق
في اخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد ه واعلم ان هذا القدر
من الغناء الذي كان للعرب قبل الاسلام قد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدون من بعده واقروا عليه وهو خارج عن خلاف الفقهاء في الغناء
هل هو ممنوع او مباح ثم لما جاء الاسلام واتسع ملكه ووقعت الفتوحات
واستولى العرب على ملك فارس وسبوا ابناءهم وورثوا حضارتهم سمعوا
غناء الفرس ووافاهم منهم بمكة والمدينة وغيرهما من الامصار وتفشوا
لانه كان اللازم في غنائهم بكيفية مجردة احرف وحملوا عليه اشعارهم من غير
ان يراعوا على وجهه بل ينوع من الحداء كذلك فنغمات العجم كانوا يتغنون غناء

منه شيئا والعرب كانوا يغنون غناء طبيعيا الا انه جاء الذ واطرب من غناء
الفرس بكثير كما سنبينه فالاول من غنى بهذا الغناء العربي الحميري فاما
بالمدينة فطويس المخنث وكان قد اخذ ابن الغناء عن سبي فارس وذلك
ان عمر رضي الله عنه كان قد جعل الفيء [illegible] في السبي فيشترون فيهما من الفيء
فكان طويس يغشاهم حتى فهم كلامهم وغنى غناء يشاكل غناءهم وقال
ابو الفرج كان اول من غنى بالمدينة غناء يدخل تحت الايقاع طويس وكان مولده
يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطامه يوم توفي ابو بكر رضي الله
عنه وختانه يوم قتل عمر رضي الله عنه وبناؤه باهله يوم قتل عثمان رضي
الله عنه وولد له يوم قتل علي رضي الله عنه فلذا قيل فيه اشأم من طويس
واما بمكة فسعيد بن مسجح مولى بني جمح او مخزوم وذلك انه مر بالفرس وهم
يبنون المسجد الحرام في زمان ابن الزبير فسمع غناءهم بالفارسية فلحن عليه
شعر العرب قال ابو الفرج ثم رحل الى الشام واخذ الحان الروم وانقلب الى فارس
فاخذ بها غناء كثيرا وتعلم الضرب ثم قدم الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم
والغى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي في غناء الفرس والروم
خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب فكان اول من اثبت ذلك وتبعه
وتبعه الناس بعد ذلك ه واعلم ان هذا الغناء الذي استمرت العرب في صدر
الاسلام جاء الطف وابدع والذ من غناء الفرس بكثير فمن وجوه منها انهم حذفوا
ما لا يوافق طباعهم من رنات الفرس ونبراتهم وابدلوها بغيرها مما يوافق
الطبع ويلذ في السمع ومنها ان الفرس كانوا متقيدين في جل اغانيهم بالقواعد
الهندسية التي ضبطوا بها الحانهم متقيدين لها ومن شأن من كان كذلك ان لا يكون
غناؤه ملكة بل انه يغني بحسب ذلك لا بحسب ملكته وذوقه بخلاف العرب
فان احدهم انما كان يغني على حسب ما عنده من القريحة المتمكنة والملكة الراسخة
فيتوسع في ذلك كيف ما شاء من الطبع وما يقتضيه الذوق فمهما خطرت له نبرة
مناسبة ولو قلت او عرضت له رنة ملائمة ولو دقت الا ربطها والحقها بلطف
طبعه ويتمهر فيها بحسن ملكته وجودة قريحته حتى يستوعب ما عليه منها
فيغني غناء حاذقا غناء فعال فيأتي غناؤه على احسن الوجوه واكملها وعمله

الرنات اللطيفة فهي لا تدخل تحت قواعد الموسيقى لخفائها ولطفها الا ترى انهم
انما تكلموا على النغمات وانصافها وارباعها ولو فرضنا انهم تجاوزوا ذلك
الى الاثمان والاعشار مثلا لكان فرضنا لما فوق ذلك وهو الادق مما لا يدرك به
الا الطبع السليم فمثل غناء العربي بطبعه وجودة ذوقه في صنعته مثل القارئ الماهر
الذي ضبط احكام الاداء وتجويده فيها من روم واشمام واطالة وقصر وهمز
وتسهيل وتحقيق وتفخيم وترقيق وغير ذلك لا يعرف من الحشو زوائد وصعبا لانه
يقيده بالمشافهة حتى فهم فيه ولله ولكتابه المثل الاعلى ومثل غناء العجمي
المستتر في غنائه الى قوانين الموسيقى مثل القارئ الذي يشا وله جزءا من المصحف
فيقرأ فيه قراءة متكلفة اتباعا للنقوش المرسومة فيه فهذا الذي لا يتولد ان يأتي
بالروم والاشمام وغيرهما من وجوه الاداء لانه تابع في قراءته للكتابة وهي
لا تثبت ذلك مثل الخطابي وانما التعبير فيها بالفهم وايضا مثل المستتر في غنائه بالطبع
مثل المجتهد الذي ينظر الاحكام بحسب ما يعطيه علمه وبعد معه نفسه ومثل المستتر
في غنائه لقوانين الموسيقى مثل المقلد في الاحكام لغيره فهو ينظر اقوال غيره ولا خبر
له عن نفسه وقد رأيت من تكلم من المتأخرين على غناء العرب وتوقفا في علة كونه
لا يطرب اطراب غناء العجم مع ان العرب اعرف منهم بهذا الفن وبسائر الفنون
العقلية والصواب ما قررته لك في هذه الفذلكة وايضا فقد ذكر ابن خلدون ان ملكة
اللغات تقتضي ان لا تكون لامة من الامم الا على غنائها دون غناء غيرها بالنظر
فان قلت الغناء الطبيعي لا يؤمن عليه من الفساد والخروج عن النظام اذ
ليس مستندا لقانون يضبطه قلت اما كونه لا يؤمن عليه من الفساد فانما
ذلك في حق من لا ذوق له اولا طبع وكثيرا ما ذو الذوق السليم والملكة الراسخة
فلا والسر في ذلك ان قوانين الغناء مركوزة في طباع الناس معجونة في طينتهم
يوم خلقها الله فمن كثف طبعه وتكدرت انسانيته عن ذلك علم وانه يحتاج
فلا يهتدي الى تلك الموازين ومن لطف طبعه وقويت انسانيته رأى تلك الموازين
ممثلة في مرآته يتصرف فيها بمقتضى ذوقه كيف شاء ونكتة هذا ما ذكروه في قواعد
المنطق واقيسته وانها مركوزة في طباع الناس لانه فريق من للقوة المعتبرة
بعض علمهم فاختلاف العلماء فيما اشتهار منه بتدوين فيها بل قبل المنطق بان في

عن هذا وتقول الحكماء ان النفوس البشرية لما ليست من هذا العالم الكثيف الكدر
المظلم بل هي من عالم النور والصفاء والبهجة التي رسمت فيه صور الموجودات
بأسرها وامثلتها على ما هي عليه في نفس الأمر كما ترسم صور المرئيات في المرآة
الصقيلة فلو فرضنا ان نفسا شخصية تجردت وزكت وزالت عنها الظلمات الكثيفة
السفلية وكانت قابلة للكمال فيها كل شيء على ما هو عليه كصور روحانية
جسمانية وهو الكشف الذي يحصل للأولياء رضوان الله عليهم ومن جملة
الموجودات تلك النغم والالحان فإذا فهمت هذه فحقيقة الغناء البحث وجه
التطريب والتحريك كما قيل الشعر نور والعلم نور والله يتم لنا بالحسنى بمنه
وأما ان الغناء العربي ليس له قانون يحصره وتعتبر مسائله بل قانونه في ذلك
ايضا كما تقدم فيما نذكر هنا بعد ان شاء الله فقد رأيت بعض ان غناء العرب
كان في صدر الاسلام طبيعيا كما كان شعرهم طبيعيا واعرابا كلا منهم
كذلك ولم تكن انما هي تؤدى بصورة في نوع او عدة كما كانت الحان الفرس
وانما كان الحداء فمنهم اهل الذوق السليم والفكرة الوقادة يعمدون الى
البيتين والثلاثة من الشعر فيختارون فيه لحنا خاصا وغناء مكيفا متساوي
الاجزاء متناسب المقاطع والمبادي حسن التوقيعات على الكل
وطول الغناء والنغمات ثم يغنون بها وتروى عنهم وتنسب اليهم ومثال ذلك
مثل معبد وابن سريج من المتقدمين وابراهيم الموصلي واسحاق ابنه من المتاخرين
وكان كل من اخترع صوتا يعني ينسب اليه ويحفظ عنه فيقال هذا صوت
معبد وهذا صوت ابن سريج وهذا صوت الموصلي وهكذا وهذه الكيفية هي
التي الف فيها ابو الفرج الاصبهاني كتابه وبناه على المائة صوت
التي اختارها الرشيد رحمه الله وكان المغنون اذا حضروا مجلس
الخليفة او غيره من مجالس الانس يمكثون سكوتا حتى اذا اراد افراح
النفوس واخذوا في الشرب اخذ المغني واحدا او تعدد اعواده وهكذا به وغنى
البيتين او الثلاثة بالصوت الذي يختاره من الاصوات التي كانت متداولة عندهم
فيكون ذلك من الدواء يسمع ويطلب الاريحية والسرور ثم اذا اراد
الافراح ثانية غنى بغيرهم صوتا آخر ومثل هذا ولم يكن غناؤهم كغناء اهل

اليوم متصل العمل من تركها بعضه ببعض ويتنقل فيه من شعر الى توشيح الى
زجل الى غير ذلك حتى يأتي على آخر النوبة وانما كان عملهم كما وصفنا لأن اغلب
ان الحانهم واغانيهم وان كانت غير محصورة كما قلنا لاكن ايقاعاتهم التي
كانوا يوقعون عليها الحانهم كانت منحصرة وهي ثمانية الثقيل الاول وخفيفه
والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه وربما زادوا تاسعا
يسمى الماخوري نسبة الى الماخور وهو بيت الريبة زعموا ان ابراهيم الموصلي
ان ابليس ناوله ولقنه اياه وقد اشار في ذيل التذكرة الى ضبطها نعم اما الخفيف
والثقيل في الجملة فقال انه لا بد في كل نقرتين من سكون فاصل وزعم انه زمان
النقرات الواقعة قبله وبعده فهو الخفيف المطلق وان زاد زمان السكون
على زمانها فان كان ما زاد قدر نقرة اخرى فهو الخفيف الثاني وان كان الزائد
قدر نقرتين فهو الثقيل الاول وان قدر ثلاث فالثقيل الثاني وما زاد على ذلك
تغير فيستلزمه واستمر الحال بالمشرق على هذا العمل الى زمان انقراض الخلافة
العباسية من بغداد وقد كان ابو نصر الفارابي الحكيم المشهور في اواسط
المائة الرابعة معاصرا لابي الفرج الاصبهاني بالعراق وقد اتقن فن الموسيقى
وهذبه واخترع الالة المسماة بالقانون فيما حكى ابن خلكان ومع ذلك لم
يأخذ الناس بقوانينه حتى درس امر الخلافة كما قلنا وذلك اواسط المائة
السابعة وتغلبت امم الترك على بلاد المشرق فمال الناس الى غناهم واختلطت
اغانيهم باغاني العرب فحدث في الغناء اصطلاح جديد بين العربي والفارسي
والتركي وقسموه تقسيما غير ما تقدم فجعلوا الاصول اولا اربعة وهي الرصد
الذي كان يسمى عند الفرس الراست ثم العراق وهو الذي كان يسمى عند الفرس
المعتكاه ثم الزركفكند وهو الذي تسميه المغاربة الزوركند وكأنه تركي الاصل
ثم الاصبهان نسبة الى اصبهان بلد بعراق العجم ثم قالوا ان كل واحد من هذه
الاصول الاربعة قد نشأ عنه اثنان فاما الرصد فنشأ عن الرصد الزنكلاه
والنيروز وقد تقدما ونشأ عن العراق الحسيني وهو الذي يسمى عند الفرس
النيشكاله والاوشاق ونسبة الى الاوشاق بالفم بلد بالجزيرة العراقية ونشأ عن
الزركفكند بوسليك والحجاز وقد تقدما معا في الغربات ونشأ عن الاصبهان

النوى وسواهن تسمية الفرس البنجكاه والعشاق وقد نظم بعضهم هذه الأصول وما نشأ عنها فقال

ه

الحمد لله ولي النعمه ... قد خصنا منها بعلم النغمه

الرست اصل الاصل يا فتى اعلما ... فروعه البزرك ثم الزنكلا

أما العراق فخص بالعجمي ... منه الرهاوي مع الحسيني

والزير فليكن ما به تشكيك ... له الحجاز وبوسليك

والاصفهان رابع وما حوى ... فروعه العشاق وكذا والنوى

ثم قال الوانشريسي فقد تولد من بين كل اثنين من هذه الأصول الاثني عشر فرع واحد فجاءت الفروع ستة وهي على ما في ارشاد القاصد الشهناز والنوروز والحجاز والكردانية والسلمك والكوشت وهي اسماء فارسية فالشهناز مركب من كلمتين احداهما شاه بمعنى الملك والاخرى شاه بمعنى ملك وحذفت الهاء تخفيفا والتركيب اما باضافة او للمبالغة والنوروز اسم في الاصل لليوم من السنة العجمية وهكذا واما ما اختاره الفرس في ترتيب الاصوات والفروع لمناسبات تكون مما تتكلم في علمها الجملة وهي نوع الغناء عندنا ولذا اهملنا وفروعها ثمانية عشر واما ايقاعاتها فثمانية عشر ايضا على ما ذكره الشهاب محمد ابن اسماعيل في سفينته وهي الخفيف والثقيل والمربع والمخمس والمجمر والمدور والمخمودي والفاختة والورشان والسنبر والادوم والرمل والنوخت والزراباتي والستة عشر والاربعة والعشرون والسماعي والافرنجي وقد يزاد على ذلك السربند والدارج وغيرهما وقد نظمها فقال

ضروب مزامير الاغاني نظمتها ... ومنها ميزان العربي بعده ستة كذا

خفيف ثقيل سنبر ومربع ... كذا ورشان فاخت ومجمر

وزد رملا فيما يليه مخمس ... كذلك مخمودي ثما والمدور

ومن بعد ضرب الست عشر اربع ... وعشرون ايضا والزراباتي اذ رم

ويعقبها كذا نوخت وبعد ذا ... يجي السماعي ومنه عنها يدوم

واذ جمعت فيما ذكرت باسرها ... وعدتها في سبع عشرة تحصر

برونداتها وقد زيد واحد ... عن ذاك الافرنجي فيما يحصر

والذكر

ولكن هذا الفن حقه اضافة — فيما أنه فيما يعد وأكثر
ومن جمعها كلا الى الموشحات التي — بها تزدان الاشعار حيث تحرر

وأعمل بالمشرق وعلى هذا الاصطلاح الى الان وقد فرغنا من غناء اهل المشرق
فلنرجع الى غناء اهل المغرب وبيان اقسامه وحدوده وقال ابن خلدون في المقدمة [margin note: في المقدمة]
بالذات من هذه النسخة فنقول لما فتح العرب جزيرة الاندلس في خلافة الوليد
ابن عبد الملك بن مروان وادركهم ما ادركهم وتناسلوا بها كان لهم غناء بسيط كغناء
سلفهم وقد تقدمنا عليه فيما مر وربما غنوا اغناء يشبه غناء العرب من وجه
فيما ورثهم اياه وفيما اخترعوه لهم ولم يكن بالكثير وذلك المقر واستمر الحال على ذلك
الى هذه المائة الثانية بقدوم الاندلس حينئذ على بن نافع مولى المهدي العباسي
المعروف بزرياب وكان من كبار المغنين والمبرزين في تلك الصناعة تعلم من العراق
عن قيام من الموصليين في فن كثير وانتقل بالاندلس عند اميرها عبد الرحمن بن الحكم
الاموي فاقبل عليه وحباه وغنى زرياب بالاندلس غناء اهل العراق وورث بها
ثم بقية الموصليين وازرى عليهم فيما يترك الناس ما كانوا عليه واخذوا بمذهبه
ثم ترقى هذا الحد واحدث في الغناء اصطلاحا جديدا وذلك انا قدمنا ان غناء
العرب في صدر الاسلام وايام الخلفاء انما كان بانشاد الشعر والثلاثة حال
الشرب او الا على نغم منظوم وهكذا ثانيا وثالثا حتى تنقضي مجلس الانس فلما
قدم زرياب الاندلس احدث هذا الغناء المتسلسل المتصل بعضه ببعض الى تمام
النوبة وتبعه الناس على ذلك بالاندلس والمغرب قال المؤلف في نفح الطيب استمر
العمل بالاندلس ان كل من افتتح الغناء يبدأ اولا بالنشيد باي نغم كان ويأتي
اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب ثم تعدد اهل
الاندلس بعد زرياب في ابن غناء خصوصا اهل اشبيلية وغرناطة منهم من عبروا
فيها الى طريقة العجم من التلاحين والترجيع وتقسيم كل صنف منه بطبيعة من
الطبائع الاربع وتوزيع البحور على ساعات الليل والنهار الى غير ذلك ومن هذه
الطريقة بعد من انتقلت من غرناطة حين استيلاء العدو عليها الى فاس والمغرب [margin note: انتهى]
ولا زالت بقية منها بايدي الناس اليوم ولنذكر ما لابن منه من ذلك ليوقف
عليه فنقول ذكروا ان ... يدور على النسبة المغنين من اهل الاندلس والمغرب

فصول راجع الى خمسة اصول وتسعة عشر فرعا فالمجموع اربعة وعشرون فاما
الاصول فهي الذيل والزيدان والماية والمزموم والغريبة المحررة فاما الذيل فيتفرع
عنه ستة فروع وهي رصد الذيل ورمل الذيل ومجنب الذيل واستهلال الذيل
وعراق العرب وعراق العجم واما الزيدان فيتفرع عنه ستة فروع ايضا وهي الاصبهان
والحصار والزوركند والحجاز الكبير والحجاز المشرقي والعشاق واما الماية
فيتفرع عنها اربعة فروع رمل الماية وانقلاب الرمل والرصد والحسين واما
المزموم فيتفرع عنه ثلاثة فروع وهي حمدان وغريبة الحسين والمشرقي الصغير
واما الغريبة المحررة فلم يتفرع عنها شيء وانت اذا تاملت اسماء هذه الطبوع
ظهر لك ان بعضها ماخوذ من الحان الفرس وبعضها ماخوذ من الحان العرب من
الاسلام وانما وقعت المخالفة في التاصيل والتفريع باعتبار انتقاله اجيال
حسبما نبهنا عليه في اصطلاح المشارقة وقد وقع ذكر المزموم والاستهلال وغيرهما
في كتاب الاغاني لابي الفرج فيظهر من هذا ان غناء العرب من الاسلام ماخوذ
من غناء الفرس ثم انتقل الى الاندلس على ضرب من التغيير ثم انتقل الى فاس والمغرب
كذلك وقد وقفت على تاليف صغير منسوب الى محمد بن الحسين الحايك فرايت له
في بيان ما اشتبك من هذه الطبوع ووجه تسميتها بهذه الاسماء كلاما يظهر ان الا
من الحاكة وقد لاح في ذلك اثار القدماء من قدماء الفرس وذلك من الزم ما يلي
على التوسع بعض الشيء في هذه المسودة مع غرابة الفن وانه من المهم واعلم
انهم ذكروا ان طبع الذيل وما تفرع عنه يوافق خلط السوداء وطبع الزيدان وما
تفرع عنه يوافق خلط البلغم وطبع الماية وما تفرع عنه يوافق خلط الدم
وطبع المزموم وما تفرع عنه يوافق خلط الصفراء فينبغي لكل واحد ان يوافقه
ما يناسب ذلك والا فيعتبر هذا اذ هو بين المجالس وقد جرت عادتهم ان يسموا منها
صورة تسمى كذا وصورة جزولية فيها الاصول والفروع من هذه الطبوع ولكن لم
نقدر ان نرسم شيئا من ذلك لعدم فائدته مع ما بيناه واما الالات فهي في هذه
الطبوع خمسة البسيكة والطابع ونحوها والبكماجة والدربوكة والقراقب والكلام
في ضبط نغماتها وبيان ما يدخل فيه من الطبوع وما لا يدخل في النوبة المستعملة
والمهملة وغير ذلك يطول جدا فائدة ذكر الاديب ابو عبد الله العلمي

في انيسه ان الأديب الكاتب ابا عبد الله البوعصامي ثم المكناسي كانت له
قدم راسخة في صناعة الغناء وانه املى عليه ان اول ما يجب الاعتناء به في هذه
الصناعة معرفة النغمات الثمان التي عليها مدار الغناء وان قدما ان كلها
قلت ومن السبع المعروفة في الديوان الاربع الاولى من الديوان الثاني حسبما مر
فالكيفية اخذها على سبيل الترتيب من الاوتار الاربعة ان تعرف انها متفاوتة
في الثقل فاول نغمة نغمة البم وهو الوتر المسمى البوم بالذيل وتليها نغمة المثلث
وهو وتر الماية من غير دس عليه بالبنصر من يد اليسرى ولا بالسبابة
وتليها نغمته ايضا مع الدس بالسبابة ثم تليها نغمته مع الدس بالبنصر ثم
نغمة المثنى وهو الرمل ثم الزير وهو الحسين من غير دس ثم نغمته ايضا مع الدس
بالسبابة ثم نغمته مع الدس بالبنصر وبذلك تتم النغمات الثمان وقد يكاد
يتخلل مراتب هذه النغمات نغمة اخرى يعرفه اقرب بل لكل نغمة استخرجت من سائر
الاوتار والاصوات فهي راجعة الى هذه النغمات المذكورة يعني انها اصول لهذا
فتارة ضبطها بعضهم بحروف ابجد بان تجعل الالف للنغمة الاولى التي هي اقرب
النغمات واخفضها ومن نغمة الذيل والباء للتي تليها ومن ارفع منها بقسيم
واخفض من التي فوقها بقسيم ومن نغمة الماية من غير دس والجيم للتي تليها
ومن نغمة الماية ايضا مع الدس بالسبابة والدال للتي تليها ومن نغمة الماية
ايضا مع الدس بالبنصر والهاء للتي تليها ومن نغمة الرمل والواو للتي تليها
ومن نغمة الحسين من غير دس والزاي للتي تليها ومن نغمته ايضا مع الدس
بالسبابة والحاء للتي تليها ومن نغمته ايضا مع الدس بالبنصر وصورة
العود وكيفية العمل فيه هكذا

مثنى مثلث زير بم
رمل مايه حسين ذيل

ج ز
د ح

ه ب و ا

بالضرب والدشر في ترتيب استخراج النغمات على مواضع حروف ابجد في
الموضوعة على الاوتار قبل الضرب بحيث الألف والواو والباء والهاء والدسر

بالسبابة بحيث الزاي والجيم وبالبنصر بحيث الفاء والذال وترتيب النغمات على
ترتيب الحروف ينتقل معها حيث انتقلت فالوتر الذي عليه حرف واحد فيه إشارة
إلى أنه النقرة بالضرب على الوتر من بدايته تعلم أن الزير ليس فيه سوى نغمة واحدة
من أخفض النغمات ومثله الرمل في انفراده بنغمة واحدة يضرب على كليهما ولا
يزاد شيء وفي كل من الماية والحسين ثلاث نغمات واحدة بالضرب وحده واثنتان فيه
مع الزير بالسبابة أو بالبنصر فإذا علمت مراتب منازل النغمات وهذا اصطلاح منا
عند الضرورة وجرت بدلها فيها على الأوتار من غير توقيف سهل عليه أخذها ترتيبا
من الوتر بأحرف الأبجد الثمانية والعادة جارية بتفريق نغمات الرمل في التعليم لغرب
ما حرزه وخففه مثوبته ونحو البحر المركب من فاعلاتن مستفعلن مرات نحو

يا رسول الله يا نعم الوفا ۞ يا شفيع المذنب والمعتري

وقد كان يرسم حروف نغماته لكن تخلفها غالبا من كثرة التنغيم والتحليل
فلذلك ومن ذلك الكتب بقية بعينها هي كتب بقية الإفرنج في تعليم أولادهم صناعة
الغناء فإنهم قد وضعوا حروفا وأشكالا ونقطا كثيرة مختلفة بعضها يدل
به على النغمات وبعضها يدل به على رناتها وبعضها يدل به على نبراتها ومقاديرها
ثم رتبوها في أوراق على وجه منظومة ترتيبا هندسيا جاريا على قوانين
الغناء وحملوا المتعلم على تهجيها والترنم بها كما أنه ينتقل في تلك النغمات
مترنما بها كما ينتقل المتهجي في حروف الكلمات فإذا مرن عليها نصب تلك
الورقة أمامه ثم أخذ الآلة من عود ونحوه وغنى بها غناء مستويا ينظر
في تلك الأشكال ويضرب ويشير بحسبها فإذا أخذت الورقة من أمامه وغابت
عن عينيه انقطع حالا كما ينقطع القارئ الذي لم يحفظ ما معه بأخذ المصحف من
يده بغتة فهم إنما يغترفون تبعا لتلك النقوش لا عن قريحة وسجية فلذا يكون
غناؤهم غير مطرب غالبا وقد تقدم من افتتان قومنا في استخراج النغمات
المذكورة من الأوتار بجميع الأصابع عارفين بتقويم العود وتسوية أوتاره
من غير احتياج إلى ضابط في ذلك ولا بأس بذكر ما عندي يستعان به على تقويمه
قبل معرفة مواضع النغمات ومواضعها وذلك أن تقوم الماية أولا على طبقة
معتدلة ثم تضع سبابتك على موضع البنصر منها وتضع البنصر حيث تقتضيه

المرتبة بعده الى ان يكون بعد الرمل فيقوم عليه حتى يتم ثلاثة ثم تضع سبابتك
على موضعها من الرمل فيكون بعد الحسين فيقوم عليه ثم تضع سبابتك على
الحسين بموضعها حال العمل وتضع بعدها البنصر بموضعه فيكون بعد الذيل
الى انه شيخ فيقوم عليه حتى يلتئم شاب الحسين مع شيخ الذيل ولك ان تقدم
الاولى تقويم الذيل على صفة معتدلة وتضع سبابتك على موضعها منه فيكون
بعد الماية فيقوم عليه وقس على بقية العمل كما تقدم فبين الذيل والماية بعد
طنيني وبين الماية والرمل وبين الحسين والذيل بعد بالاربع وبين الرمل والحسين
بعد طنيني فنسبته من الرمل كنسبة الماية من الذيل واما ترتيب الاوتار بحسب
تركيبها في محالها وترتيبها في الوضع فقد رمزوا له باربعة احرف وهي زحمر
فالزاي للذيل وهو المفرع والحاء للحسين وهو المولي له والميم للماية وهو
الثالث والراء للرمل وهو الرابع والنكتة في هذه الاحرف الاربعة ترتيبها
في الوضع لا في جمعة عددها وكل حرف منها ماخوذ من اول الوتر المشار اليه به
تتمة نذكر فيها بعض اصطلاح اهل الفن في غنائهم وهذا الفصل نقلناه
عن صاحب كتاب الرغائب وهو الاديب ابو العباس احمد بن [illegible] الفسكنكيني حياه
الله فانه ذكر ان غناء اهل الفن اليوم على اربعة انواع **الاول** وهو احسنها ما
يتغنى به في الملاهي مثل الموشحات عند تمام مد الصوت وترجيعه وخفضه ورفعه
وترقيقه وتفخيمه ويدخل فيه نبرات تدل على الحماسة والتطريب والتسجيع **والثاني**
وهو قريب منه ما يرتل به في الكنائس ولا يكاد يكون فيه ترجيع **والثالث** ما
يتغنى به في المآتم والحزانات وفي هذا النوع يستعملون غناء رقيقا رخيما اشبه
بالنحيب من سمعه فهم المراد منه وان كان جاهلا باللغة كما اذا رأيت شخصا
مجهشا بالبكاء فانك تعلم اجهاشه بالبديهة وان لم تعرف سببه **والرابع**
ما يتغنى به في المضحكات والمحاورات وهذا يقل فيه الترجيع ويكثر فيه النبر
والاكثر ابدا انما هو من حيث انهم يوقفون عليه الفاظا غريبة ويتلونه بحركات
مضحكة وهيئات مختلفة فيضحكون فيه ويتغامزون ويتكورون ويتثاءبون ويتكسرون
ويحاكون به صوت الدجاجة وزقزقة العصفور ونحو ذلك وفي كل من هذه الانواع
يستعملون المساجلة اي المناوبة وهي قليلة جدا واكثر ما في النوع الاخير

وكذا

وكما ان لهم غناء مضحكا كذلك لهم رقص مضحك ينسي الثكلى حزنها ثم قال
والفرق بين غناء العرب والافرنج من جهة وجوه احدها ان الافرنج ليس لهم صوت
يصلح للانشاد دون تغيير بالنقرات ولذا انهم جعلوا ترجيع الصوت وايقاعه
والحلقة تحت حيز المشاهدة بان دلوا عليه بنقرات ورسوم معلومة كما دلت
الحروف على الالفاظ فلم يكن تحصيله متوقفا على الذاكرة وذوق وتحكيم فقط مثلا
كما في غناء العرب وكذا يشترط فيه الذكاء والحذق فمن عرف منهم مخارج النغم
ورأى تلك العلامات امكنه ان يخرج على نمطها اي صوت كان واذا اجتمع منهم عشرون
رجلا وكانت آلة كل منهم تلك النقرات رايت منهم متابعة واحدة فلو فرضت
على احدهم مثلا ان يغني ببيت كما يفعل عندنا في القصائد والموالية من دون
نظر الى تلك العلامات لما جاد بشيء ومن غريب بالنسبة الى براعتهم في هذا
الفن قلت لا غرابة في براعتهم انما هي في العلم به في العمل وفرق بين العلم
الادراكي والعلم الذي هو عمل فيهم ثم ذكر صاحب كتاب الرغائب ان اوائل
اخترع لهم تلك النقرات رجل ايطالياني حديث العهد قلت بل هو مشهور ولذا
لما علمت من ان مراتب النغم يدل عليها عندنا بحروف ابجد كما هو مبين في
كلام ابن عصامي وقد مر بعض هذه المسودة في كلام العلامة ابن ساعد ان
النغمة غير ثابت زمانا فاخبر من الاوتار بحروف والحروف من الالفاظ وهذا
يدل على اختراع ذلك قديم والخزانة ماخوذ من العرب او يونان ولكنه ينسب
اختراعه الى هذا الايطالياني وتوقف تحصيله عليه نعم من يكون زاد في المراتب
وتوسع فيها الفرق الثاني بين غناء العرب والافرنج انه اذا اجتمع من الافرنج
عشرة مغنين مثلا وارادوا انشاد موشح اخذ بعضهم في بعض اركانه من مقام
واخذ بعضهم في ركن آخر من مقام آخر وهكذا فاذا كانت الاغنية مثلا من رصد
غنى واحد جزءا من هذا المقام بصوت اجش وآخر جزءا من النوى بصوت رخيم
وآخر جزءا من الحجاز بصوت عال فيسمعه السامع من جهات متعددة الثالث
ان غناء الافرنج مثل قراءتهم في انه يخلو عن حماسة وتهييج زيادة على
التصفيق والتشويش فاذا سمعه الانسان ولا سيما من الآلات العسكرية ملكت
عليه نفسه اما غناء العرب فكله تصفيق وتشويش وآخره يمكن ان يكون جامعا

بمعانيه الهى؛ الرابع ان الصوفية لا يقرون ان اصواتهم دالة على المقام الاول الذي
هو الرمل مع ان الالحان تشتمل على جميع المقامات بل توجد فيها ايضا انها لما
وارتباطها بها الا ان اصواتهم لا تقع الا على المقام الاول قال وقد سمعت منهم
بعض الاغاني نقلوها عن اغانينا واوقعوها على الحانهم فكانت كلها من الخامس
ان اصحاب الاذكار من الصوفية لا يستحسنون اخراج انصاف النغم وارباعها مما لا تكون موزونة
لهم في الآلة التي تعزف بالرباب والكمنجة قال وهذه الانصاف والارباع في النغم
مثل الاشمام والروم في الحركات وبالجملة فان للصوفية في هذا الفن حركات خارجة
عن قوانينا واخرى لا تمكن فيها كانهم فيها فلتة وقد من كشف النقاب عن هذا الحجاب
فيه كفاية قال ومن الغريب انهم مع كثرة ما عندهم من الآلات لهذا الفن وعرفانهم
العود على كثرة مباشرته فقد على حقيقة كلامه وقد بقي علينا امر مهم وهو حكم السماع
في هذا الغناء واستعمال آلاته والخلاف في ذلك شهير وان اردت ان تقف على
نصوص العلماء ومذاهب الائمة في الغناء والسماع والرقص فعليك بكتاب الموسوم
بنفح الشذية فيه ما يكفي ويشفي واما المناسب هنا فلا بأس ان نقتصر على ابيات
نظمها في ذلك شيخنا ابو عبد الله محمد بن اسماعيل وابنها في شعيبيته ونقل الغرض
المحتاج اليه منها

فقم بنا يا صاح نحو الحانة ۝ واجل الهم وغن بالالحان
واشرب وكب برنة الملاهي ۝ ولا تكن عن حكمها بالساهي
هذا الغنا افتى بحله الائمة ۝ وقد جرى الخلاف في الأئمة
ونص على اباحته من قد عبر ۝ جمهور النبيذ للتمر
ثم ابن حزم ونحوه في المعازف ۝ قد جوزت في قولها المعازف
وعنده قد حللت الاوتار ۝ والزمر والطنبور والمزمار
كذلك البوق والربابة ۝ والناي والمزهر والشبابة
ولا جناح في الجناح عنده ۝ فاسمع لنا واكتم وتابع عنده

العلماء قال

فهاك كاسات النبيذ هات ۝ واشرب على ترنم الآلات
وان تكن تابع الحجازي ۝ فقلت بالتحريم لا الجواز

وحيث ما بعدت أخذا بالحزم ... ولم تكن لتتبع ابن حزم

فاجزم به وشبه الخمسة معا ... واشرب وكن في العفو عنك طامعا

ودع سفينة الذنوب فاجرة ... في بحر فضل الله عشر ابن خيرة

وقوله بالنبيذ أفتى الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ومذهبه في النبيذ معروف وقوله بالحجازي الإمام مالك رضي الله عنه ومن يقول أن كل ما أسكر كثيره فقليله حرام كان من عصير العنب أم من غيره وعلى مذهب أبي حنيفة يحمل ما كان يفعل في مجالس الخلفاء من بني العباس من الشراب فإنهم على مذهبه والله يتغمد الجميع برحمته آمين

لو ابن بسام رد املا لنا ردا * ردّ الزمخشري لها بها عن فلس

الإعراب ابن بسام فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده من باب الاشتغال والأصل الكلام أو لو رد املا ابن بسام لنا ردا وجملة لنا ردا جواب لو المقدرة والزمخشري لا مفعوله وبها يتعلق به والضمير للأرجوزة

ذكر ابن بسام وخبره

هو أبو الحسن علي بن بسام الأندلسي الشنتريني الأديب المشهور وشنترين بكسر الشين كورة من الكور الغربية بالأندلس من أعمال بطليوس وابن بسام هذا غير ابن بسام البغدادي الذي كان في دولة المتوكل العباسي فإن ذلك قديم ومن أهل العراق وهذا الذي عناه الناظم حادث ومن أهل الأندلس وكان رحمه الله من حسنات بلاده جدا ومن أهل التبريز في فني النظم والنثر إلا أن شعره كان دون نثره ومن شعره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للأدب ... ربيع العلاء وربيع الحسب

أبى لي ريب الزمان الخؤون ... ويعرب عنك لسان العرب

وأنت بكر أفقنا واحدا ... فبيكم منا شمل من ذا الأدب

ومن شعره وقد زار روضا بشاذروان شراب، فبا ذا الروض قد كنت ضبابا يختشي أن يعلم بما يحمد بالجمال ويشبكه ذا الذي عن الوصال وكيف التبسم

ألا بادر فما الدنيا سرور ... وما عمرت الكاس والبدر اللامع

ولا تكسل بروضته ضبابا ... تغرد به الحديقة والمراتع

فإن الروض ملتثم السواري نواحيه بمنعطف اللثام

ومدحه أبو بكر بن عبادة القزاز أيضا بموشحه المشهور بقوله

ه

يا مقبلا على السماك كبير مقام هززت غصن الصبا وعمر بسلام

إن تغزلت من جهة فأنت زعيم أو قست بعروة بن حزام

أو شاكيه صبر التميمي فابن حجر أو تبكي الديار فابن خذام

أو ترع الزمار ومن معين فأبو الطيب البعير المرام

وابن خذام المذكور في هذا الشعر بالخاء والذال المعجمتين شاعر قديم قبل من بكر بن وائل وقيل إن حذام بن معبد وفيه يقول امرؤ القيس

ه

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

والأبيات مشهورة معروفة وكان ابن بسام قد ألف الذخيرة في سنة اثنتين وخمسمائة وكان السبب في تأليفه إياها أن الأديب الفاضل أبا محمد عبد الله هارون بن علي بن يحيى المنجم البغدادي كان قد ألف كتابه البارع في أخبار الشعراء المولدين واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وهو من الكتب النفيسة وكان ذكر فيه واستوفى فرقة من الأدباء وذلك في المائة الثالثة فجاء بعده الشيخ أبو منصور الثعالبي رأس المؤلفين وإمام المصنفين فنسج على منواله وألف كتابه الموسوم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها وفيه يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الإسكندري

ه

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

فاشتهر هذا الكلام اشتهارا لم يبق له شيء وألفت بعده ذيول فمن ناسج على منواله ومن مذيل عليه فيماثله فكان ممن نسج على منواله أبو الحسن بن بسام المذكور فألف كتاب الذخيرة الذي يقول في خطبته أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله فإن ثمرة هذا الأدب العالي الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تنثال تلك انثيال القطار على صفحات الأزهار وتتصل هذه اتصال القلائد في نحور الخرائد وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين

من

نوع بهم ما بهم كئيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبثوا
بأطراف الكلام المشقق لعب الدجنة بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المنمق
حدو الأعشى ببنات المحلق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم
وباهوا غرر الضحى والأصائل بعجائب الأشعار والرسائل نثر لو رآه البديع
لنسي اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا
مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل
المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق
بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا
ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباطلة وأشعارهم السائرة مرمى القصية
ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني
منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري
وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة
وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا
العلم وأهله ورب محسن مات إحسانه قبله وليت شعري من قصر العلم على بعض
الزمان وخص أهل المشرق بالإحسان وقد كتبت لأرباب هذا الشأن من أهل
الذكر والزمان محاسن تبهر الألباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشيء
من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية إذ كان ابن فرج الجياني قد
رأى رأيي في النصفة وذهب مذهبي من الأنفة فأملى في محاسن أهل زمانه كتاب
الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للأصبهاني فأضربت أنا عما ألف ولم أعرض
لشيء مما صنف ولا تعديت أهل عصري بما شاهدته بعمري أو لحقه أهل دهري إذ
كل مردد ثقيل وكل متكرر مليل السنى إن قال أبو عمر ذكر أنه يسوقها بغية من
المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم
فاقصرته وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم
بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ه المقصود منه ولما كمل كتاب الذخيرة
عشقته نفوس الفضلاء وصغت إليه قلوب النبلاء حتى قال فيه أبو
عبد الله ابن أبي الخصال إن كتاب الذخيرة لمنفرد بالإبداع في هذه الملة الخ

وممن نسج على منوال اليتيمة من أهل المغرب أمية بن أبي الصلت الأندلسي الداني
الشاعر المشهور فإنه صنف كتابه المسمى بالحديقة على ذلك النمط بعده
وممن ذيل كتاب اليتيمة من أهل المشرق أبو الحسن الباخرزي ألف كتابه المسمى
دمية القصر وعصرة أهل العصر ذيلا على اليتيمة وجمع فيه خلقا كثيرا وقد
وضع أبو الحسن علي بن زيد البيهقي على هذا الكتاب كتابا سماه وشاح الدمية وهو
كالذيل له وتلاه أبو المعالي الحظيري المعروف بدلال الكتب فألف زينة الدهر
ذيلا على دمية القصر أيضا وجاء العماد الأصبهاني بعد هؤلاء كلهم فألف
خريدة القصر وجريدة العصر وجعلها ذيلا على زينة الدهر وبالجملة فلا
زال الناس يؤلفون على هذا المنوال إلى اليوم يذكر الرجل منهم أدباء قطره
ومصره وشيوخ زمانه وعصره فمنهم المطيل ومنهم المقل ومنهم المتأني
ومنهم المولع والله يجعلنا من أهل العلم وأهله ويبرئنا من الجهل وشمله آمين
وقد تأخرت وفاة ابن بسام إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد أن مضى عليه
من يوم تأليفه كتاب الذخيرة أربعون سنة فكان يحتاج إلى ذخيرة أخرى لأن
هذا جيل آخر لا ابن بسام عرف فيه ولا من بكر حدث فيه والله الموفق

ولا أديب من قرى أندلس ۞ جرت بها أقلامه في مهرق

الأعراف قوله ولا أديب مرفوع بالعطف على المعمول لأن في قوله فلم
يروا أنها من صحيح كلام معناه النفي لأن ما بعد لم ممتنع بمعنى الكلام لم يرو
الأصمعي مثلها ولا الفتح ولا الموصلي ولا ابن بسام ثم عطف عليه قوله ولا أديب
ومن منثورا وقوله جرت بها أقلامه خبره والمهرق كمكرم قال الأصمعي الصحيفة
التي يكتب فيها فارسي معرب والجمع مهارق والأندلس قطر معروف كثير التربة
معتدل الهواء كثير الفواكه قليل الهوام يقال إنه آخر المغرب إلا قصدا والأوسط
من جهة الجنوب ويتصل بالبر الكبير من جهة الشمال وطوله ثلاثون يوما وعرضه
عشرة أيام إذا كان يشقه أربعون نهرا كبارا وبه من قواعد المدن نحو الثمانين ومن
المدن السكنية أزيد من ثلاثمائة وفيه من القرى والحصون والبروج ما لا يحصى كثرة
حتى قيل إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألف قرية فلهذا قال الناظم
رحمه الله من قرى أندلس لتميزها عن غيرها من البلاد فكان بذلك وكثير في معمورها زمن

فتحها بجزائر المساجد فيه ثلاث قرون وأربعا من بعد ما ابتدأ بالاندلس ومن بركتها أن
المسلمين لم يبادوا منها في سنين وزمن اقلا وفيها سار من الف نهار بحر الفوانيه
في الفلوات والعيون في الاودية ورؤوس الجبال لنبع الخير والفواكه والحبوب
والثمار وغير ذلك من ضروب الاطعمة افتتحها المسلمون سنة اثنتين وتسعين من
الهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك فاوطنوها وتحصنوا بها بحر العلم والادب وقويت
شوكة المسلمين بها الى الغاية فكان العدو لا يقدر ان يطمع لهم في كراع الشاة بل
كان يخافهم ويطلب السلم منهم جبرا ثم حدثت الفتن بين المسلمين واختلفت
كلمتهم وجعل بعضهم يقاتل بعضا والعدو فيما بين ذلك يستغنم الاذى من اطرافها
ويستولي عليها قرية قرية وحصنا حصنا حتى تم استيلاؤه على جميعها باخذ
غرناطة في عام سبعة وتسعين وثمانمائة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(وقد كان يرجو من سواه مثلها ۞ رجاء من الغربة رشح العرق)

عرق الغربة كما في القاموس كناية عن الشدة والجهد والمشقة لان الغربة اذا
عرقت خبثت ريحها او لان الغربة لا تفعل عرقا وكانه تجشم فعلا او عرق الغربة
منقبضها كانه تجشم حتى احتاج الى عرق الغربة ومثلها قاله ولا شك ان المعنى
المناسب لكلام الناظم هو الثاني وقال الناظم هذا اعتمادا على غلبة الظن
ومشاهدة حال الزوار والقادمين من بلدهم في تحصيل العلم والادب وكسلهم عن
التعلم عن جهة سيرهم مع انه لا يحتاجون الى فهم الكتاب والسنة الا بالتحصيل من
ذلك والنظر فيما هنالك على انه قد عارض الناظم في هذه الارجوزة الفقيه
الاديب ابو عبد الله محمد بن الطيب بن عمرو الاندلسي الرباطي بارجوزة على
بحرها ورويها يقول في مطلعها

قسمت في الادلاج كل غيهب ۞ براد شمس بيان شملي
وجبت كل هائم سمسر ۞ مثل دموس واسع المشرق

ومضى فيها على هذا المنوال واكثر فيها من الغريب وتعلق بمدح رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان الفضيلة من هذه الحيثية وارفع مما اتى به الناظم من
فنون الادب وتوابع الامثال وبدائع الحكم والله تعالى يثيب الجميع بمنه امين
وهنا انتهى بعد عنه حمدها بجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتوسل اليه

والعيون

بنحو فيهما قوله

فالفيلقان اذ دهمن بعلية ۞ لم يكسهما شيء إلا الشمسي

وحدا الزلازل بكل معتبرا ۞ علما بينوا على الفرزدق

ثم قال الناظم رحمه الله

(حففتها بشرارة النجم إذا ۞ هوى من المنتجل المشترق)

أقول كان للناظم رحمه الله حسدة يحسدونه على ادبه وفضله ويفصحون بمكانه من براعته ونبله فيزل على ذلك غير ما موضع من كلامه في هذه المنظومة فلاجل ومهما ولا سيما الحسدة التي فمنظومته هذه التي يبرز بيهما على الاقران ويبز بيهما ابناء الزمان فغلبوهما وبغضوهما واستنكروا منها وغيروها وجعلوا عاليها سافلها ونحا رحمه الله اخلفها حتى لا يكاد يوجد منها نسخة صحيحة الا بعد البحث الشديد والفحص الجميل وقد وقفنا على هذا المعنى حين نسخ هذا الكتاب ومع ذلك فقد تدارك الله ان بما بركة الشرارة التي حففناها بها حتى عادت والحمد لله الى نشأتها الاولى وشبابها وفي كلام الناظم رضي الله عنه اي ان منظومته هذه سماء من السموات التي يتطلع فيها الاطماع وهما ولا الحسدة شياطين يريدون ان يخيروا منها تقفا عن الاستماع ففي الكلام استعارة مكنية تبعتها تخييلية وفيه ايضا الاقتباس والتلميح تأمل والله أعلم

(فيا حمد لله الذي هيأ ما ۞ أتمن عليّ فيه من توفيق)

(والحمد لله الذي جعلها ۞ فرزق بتيسير الخاسر المتعلق)

ختم بالحمد لانه آخر دعاء الجنة وبان تيسير هذه المنظومة واكمالها على هذا الوجه البديع وما احتوت عليه من العلوم من اجل النعم التي تجب حمد الله تعالى عليها لان صاحبها يستوجب بها جميل الذكر في الدنيا وجزيل الاجر في الاخرة فقد حصل على الحياتين وما زاد الكرامتين والاذ بكسر الهمزة والنيم حمد الكمال معروف والعزو ما يقع في العين وفي الشراب معروف ايضا والمتعلق كمطلس الضعيف الاحمق وما فيه واضح

(ثم الصلاة والسلام ما نعقت ابو ۞ حمزة بن زهر فورق)

(على النبي وآله وصحبه ۞ وتابعيهم من تقي ومن نقي)

أي من ركبته الحمامة فيه من علم جنس وغناؤها سجعها والعرب تجعل سجع
الحمام مرة غناء ومرة بكاء قال المعري ٥

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

وسئل أبو الحسن بن سراج عن هذا المعنى فقال إنما تكون أصوات الحمام على قدر
أحوال المستمعين فإذا سمعها من يكره وينشكه سميت أصواتها غناء وإذا
سمعها من يغتم ويحزن سميت أصواتها بكاء ونظم هذا المعنى ابن قاضي ميلة فقال

لقد عرض الحمام لنا بسجع ٥ إذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقال غنى ٥ وبرح بالشجي فقال ناحا

ومن أبدع ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم ٥

نسب الناس للحمامة حزنا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد ٥ وغنت وما الحزين كذلك

والكلام في الحمام وما يتعلق به كثير وختم الناظم رحمه الله تعالى نظمه
بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه الواسطة العظمى
في كل خير وصل من الله إلينا فيما هذا الشرح الكريم وما يوصل إليه من العلوم
التي من جملتها هذه المنظومة وما اشتملت عليه ولا شك أن شكر الواسطة
واجب بالشرع اللهم اجز عنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو
أهله وقد اقتصر الناظم رحمه الله حين استوعب ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم والآل والصحب والتابعين لهم بإحسان إنما هي والتابعين في بيت واحد
وما هي بالإبلا غمائه رحمه الله وبرد مضجعه والكلام في الحمد والصلاة
والآل والصحب كثير شهير فلنكل الأمر فيه إلى غيرنا ولنكن هذا آخر
ما كتبته من هذا الشرح المبارك جعله الله خالصا لوجهه الكريم وسببا
نتوصل به إلى جنة النعيم ونسأله سبحانه أن لا يؤاخذنا بما تصنعنا فيه
لضعف أو خلل ووهم أو زلة نكبتنا إلا فيه من قواعد نرجعه وأن ينفع لنا
ولوالدينا ولشيوخنا ولكل من له حق علينا نفعا تاما عامة كاملة شاملة
عامة دائمة آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين وكان
الفراغ من تأليفه زوال يوم الجمعة السادس والعشرين من محرم الحرام فاتح سنة



ثلاثمائة وألف رزقنا الله خيرهما ووقانا ضيرهما والحمد لله أولا وآخرا
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم
الوكيل وكان الفراغ من استخراج هذه النسخة المباركة عشية
يوم الخميس عاشر محرم الحرام فاتح سنة ثلاث عشرة
وثلاثمائة وألف وفي زدت فيها زيادات
يسيرة ∴ وأسقطت منها بعض ما هو نزع
البيع مزورة ∴ وكذا الخ خفيفة
فليكن العمل على هذه النسخة والله
ينفعنا وبه جميعنا
بالحسنى وآمين
والحمد لله رب
العالمين
ه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يا من زينت حديقة الآداب بزهر أفنان الألباب وبينت
أسرار وضع البيان بشرح التلخيص لمعاني أنواع مواقع الإيجاز والتبيان ونشكرك
على أن أجريت سلسبيل الألفاظ في رياض البيان والمعاني فأصبحت أفنان
أهل الأدب تميس عجبا من أزواج التلطف من النسيم وأغنى في الأزهار من ماء
التسنيم **ونشهد** أنك الله الفتاح الوهاب تمنح من تشاء ما تشاء بغير
حساب **ونشهد** أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبدك ورسولك أفصح
العرب وأبلغ من نطق بالصواب صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام
وصحابته الأعلام ما برزت نقاب الأوهام ونم عرف مسك الختام
وبعد فإن بغية طالب علم الأدب من أفضل ما تسابقت في حلبته جياد
العقول وتنافست في دركه عقول الفحول مقدار ما فيها للسرح الأفنان
حلبة المكارم ومن الفاتح للسير الحسان بعزائم العلا والمعالي وأن من

ابدع الفصحاء من الذين كادت ان لا تخفى لغيرهما في البلاغة دقيقة فقصيدة اديب
عصره ابي العباس احمد بن الونان الموسومة بالشمقمقية فهي اليتيمة العصماء
في فن الادب ومن العقيلة الغراء من بنات افكار العرب جمعت من فنون الاداب
كل المفاخر فصارت ثمرتها مجنية من جميع الازاهر وما كان احقها واجدرها
بشرح يشرح اشاراتها ويفتح مغلقها تماما ويفصل مجملها ويبين مهملها
وقد كنت عثرت لها على شرح جميل للعلامة المشارك ابي عبد الله محمد الجبير
السلاوي وكان العلامة بدرا تمم بالعينة المعمل الصالح والفهم الجامع الحاوي
غير انه لم يسلم من التطويل في الفنون الاجنبية وان كان يشفي الغليل في الفنون
الادبية مع عدم توغله في الشرح على بيان النكات التي هي مقتضيات علم
المعاني ومن الاسرار عند البلغاء في التراكيب والمباني على ان الشرح المذكور
اغرب من غراب واعز من مخ الذباب فكنا لما نشرنا هاته وظفرت بالشيخ
المنيف جادته حثوا يعقني بالاطلاع عليه بعض الاعيان من اهل
الفنون من حرى بعرة خادم المجد السامي وخادم العلوم جزاه الله عني خيرا
واولاه مثوبة واجرا والآن قد من الله على الوجود بالشرح العجيب الصنيع
البديع الترصيع والترشيح المسمى بزهر الافنان من حديقة ابن الونان
للعلامة الاوحد الفهامة الاقعد المشارك النقاد ذي الهمة العالية
الوقاد ابي العباس سيدي احمد بن خالد الناصري السلاوي ابقى الله به الانتفاع
وزاده من الشفوف والارتفاع فجاء بشرح جامع لفنون الادب مع التوفية
بحق المقام مما هو غاية المنى والارب فما شئت من بيان لغة بقدر الحال الشرح
تمام وتمام مما يسلمه النحوي والجعبري العبري وزمانه وما اردت من اغراب
عن تعقيب في فن العربية جليل مما يستشهد به سيبويه ويستحسنه الخليل وما رمت
في اوضاع غريبة من حسن التصريف مما يغني معاذ بن مسلم الهراء بانه غاية القصد
ونهاية التشكيك والتصريف وما حاولت في فن البيان والمعاني فما تقر به عين
عبد القاهر الجرجاني وما قصرت من تلميح اثر في البديع مما يقول فيه ابن المعتز
انه استنباط بديع فان استطلعت على بسط الاخبار مما تضمنته اشارة النظم
من الامثال والاشعار فاستمع السمع والفؤاد لتمكن مما املت بالمراد نسمع

ان تشوقت للمعنى وتشوفت للمغنى. فمن كشفه بأفصح عبارة وأوضح اشارة
يصير الراوي لهذا المعاني أوانس ووحش كتباء الفوائد كوانس فلله در مؤلفه
ما أوسع باعه وأبدع اطلاعه وما أعذب نظامه وأزهى نثره اشتمل على درر
والجواهر بتنقيحه على كنوز التحرير وأحاط بالفضل للمتفرج لذكر الثنا فأوفى
عنبر الناشر البهي ولما طلع هذا الشرح بدرا في سماء المعالي وسطع غرة
في جبين الأيام والليالي وأذاعت اسراره ديار الطبع واطلعت أقماره
سماء النفع قلت في تاريخ كماله وانتهاء اكماله فوا منزع للشعر
عن الأديب العالي المؤيد بالنظم والنثر ٥

بقدير ومنزل بث معاني ... مذ تولت بشائر بالتهاني
أم تراءت البدر في الصبح شكل ... مع وصل وعكعكة أم معاني
في رياض يخالها جنة الفرد ... دوس ينفي عوارض الأحزان
قد تبدت بدائع الزهر فيه ... وتدلت ثمارها كالجمان
وتغنى الطيور فلاح على الغصـ ... ـن فيغدو بالطيب الألحان
أو لذكر مطالع من علوم ... قد بدت في بروج هالة الأفنان
يا لها نفحة لقد هب منها ... عرف مسك عبيرها أحياني
فسلا خاطري بما عن ديار الـ ... ـكرم والعيد والحما والغواني
غير بدع ومن سلا شاد شاد الـ ... ـبشر منها براحة دادانى
لم يزل يغرف مما الجود قنيعا ... من بحار الطبع متحفا بأن قناني
مورد ارتاد بالعلم نزوى فريدا ... وحديثا رياضتنا الحي باني
هذه نفحة سرت من حماها ... طاب منها حديقة الريحان
عين مجد ومنبع الحب منها ... من سما في النهى جواد البنان
أحمد البنان من فيه سماء مجد ... وسماء العلوم دون تواني
علم العلم هاديا للبعث من الـ ... ـعلماء وأوحد الأعيان
لم نوار نبوغ انفاسا من يحيي ... بيده الحلو وصفه أعياني
ليت كل الأعضاء مني لسان ... كي تؤدي تاريخ شرح سباني
هذه الشرح الأنام جميعا ... شكرت منه شيا من الإحسان

بالله

يا أيها شارحا القرظ شرح الهمز ... ويشرح فرقا وبالاتقان
للوزان منبعه ابن دنان نبادي ... يا سميي اغربت عن الوزان
نزل العين في نهال وشنف ... بهلال بمراكش لا ابن ذان
وادخر كنزه ودع تسل عنه ... بنزاله فز على كل فنان
وانى طبعه التبريع تساقف ... بمم من شميم ذكر وشان
فبدا طبعه بالطبع شكل ... وصنيع يروق في الاعيان
فلقد لما تكامل الطبع منه ... قوله صب بتشنيف القتان
ارخ ختم طبعه ودبيبي ... تم طبع لزهر الأقنان

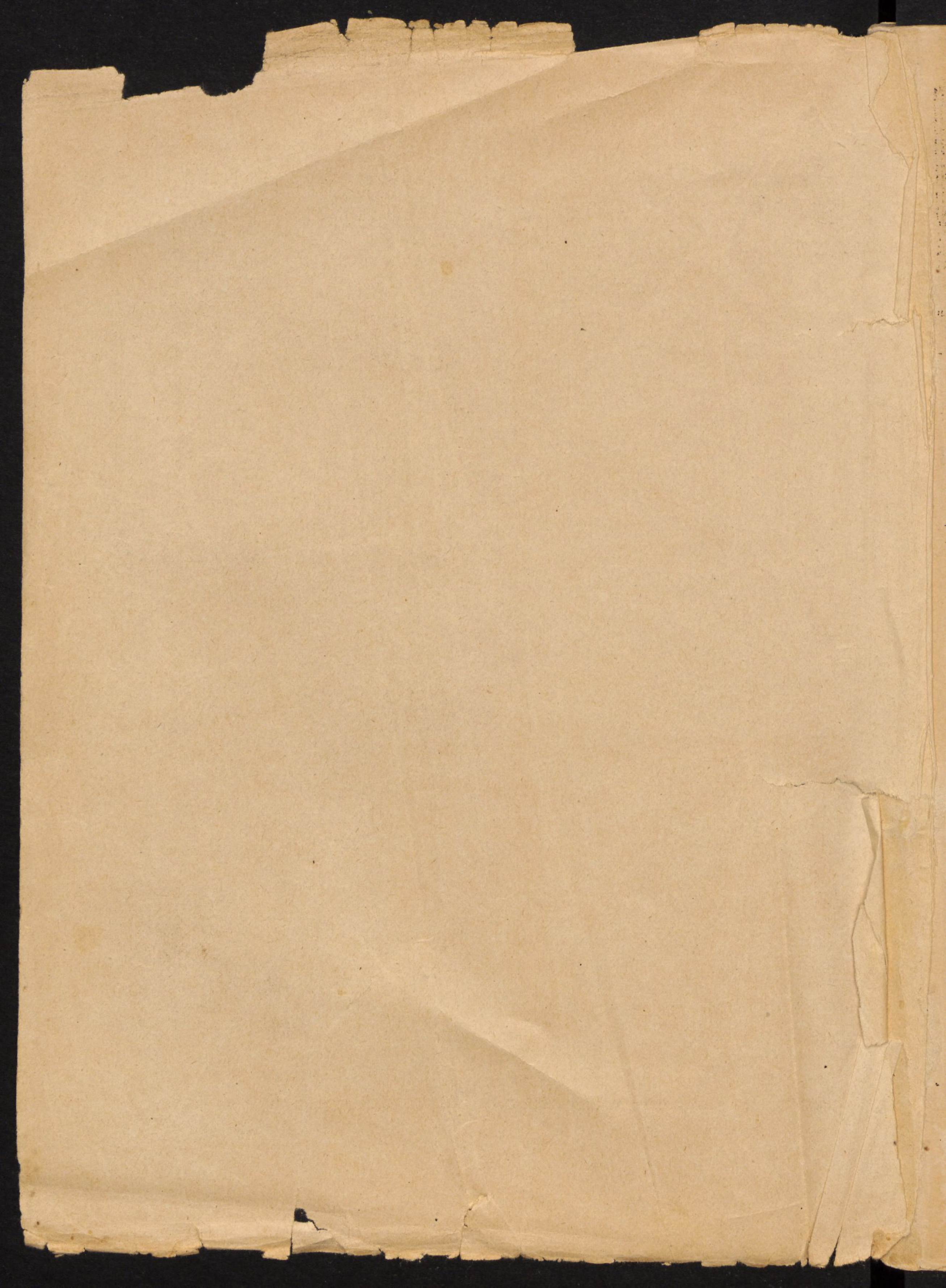
62 ... 213 642 :81 440

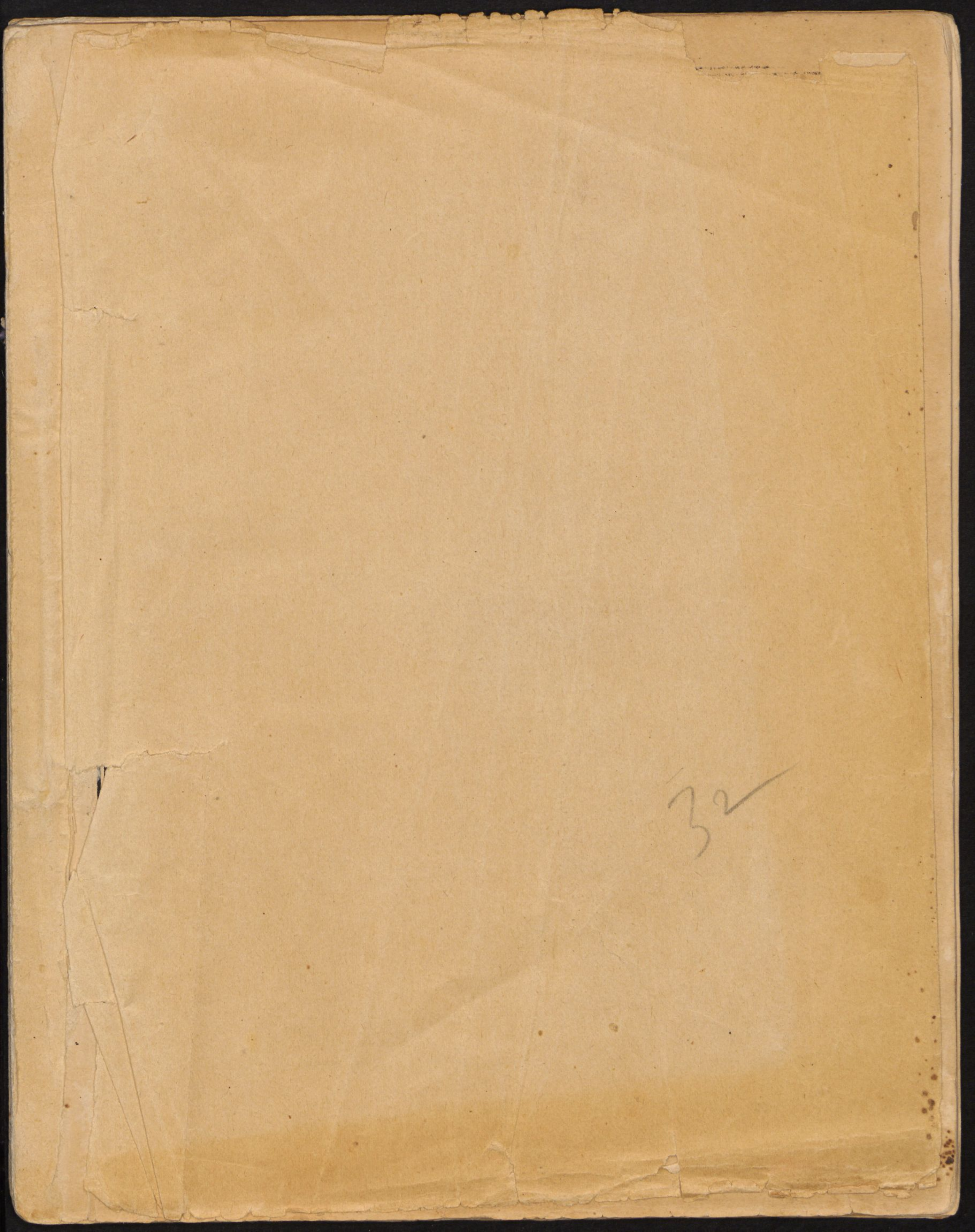
قال واضعه عبد ربه أحمد بن المأمون البلغيثي كان الله له هذا التاريخ يعني من عدد تم بالمستثنى وبيانه منه ان عدد قولي تم طبع ب 376 اذا اخرجنا منه عدد بين ومن 62 بقولي ودبيبي يبقى 1314 وهو المراد والله اعلم

فهرسة الجزء الثاني من هذا الكتاب المبارك

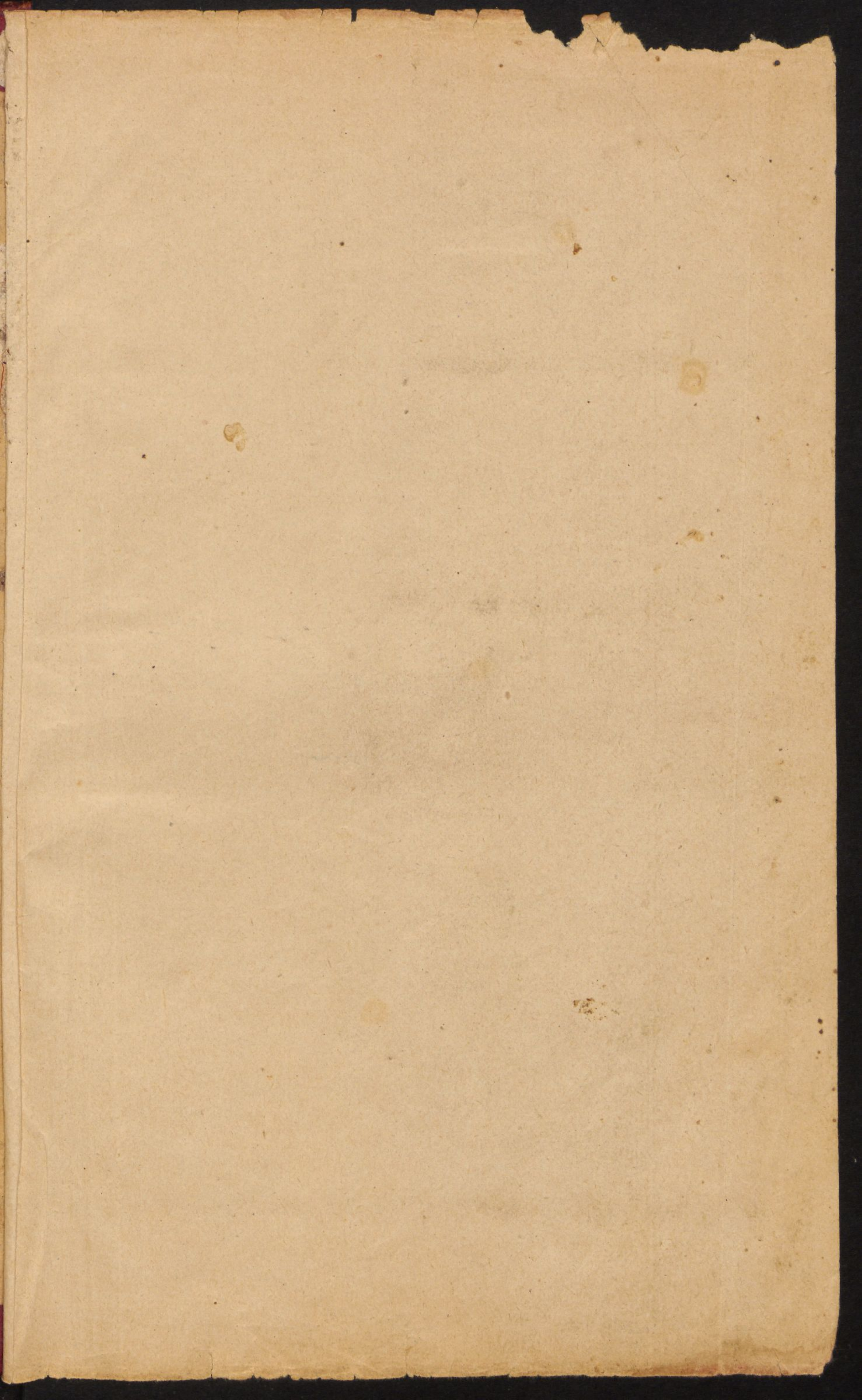
انتهت النسخة المباركة بحمد الله وعونه وكان تمام الطبع في رابع جمادى الاولى عام اربعة عشر وثلاثمائة والف والحمد لله رب العالمين

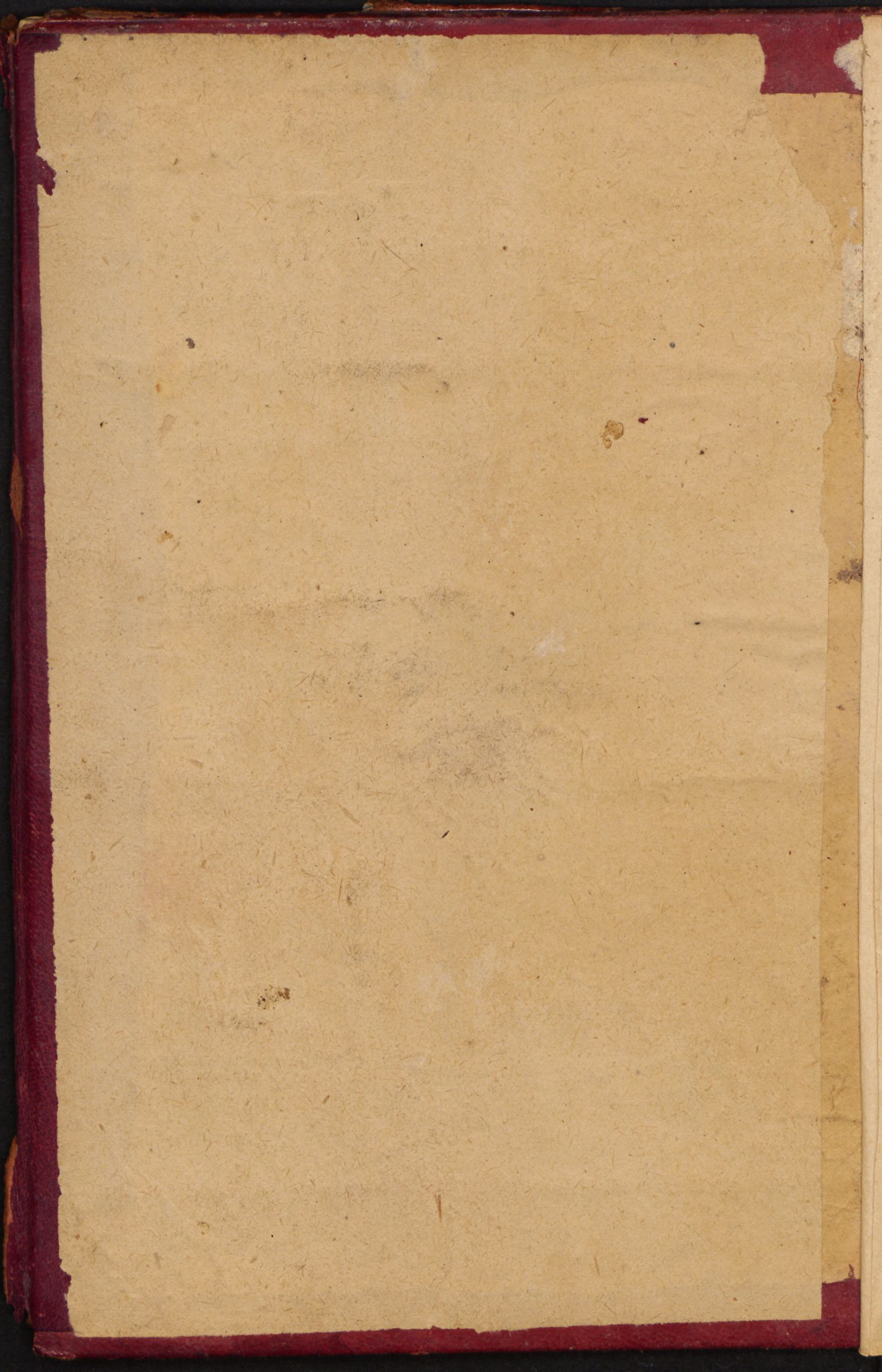
ه

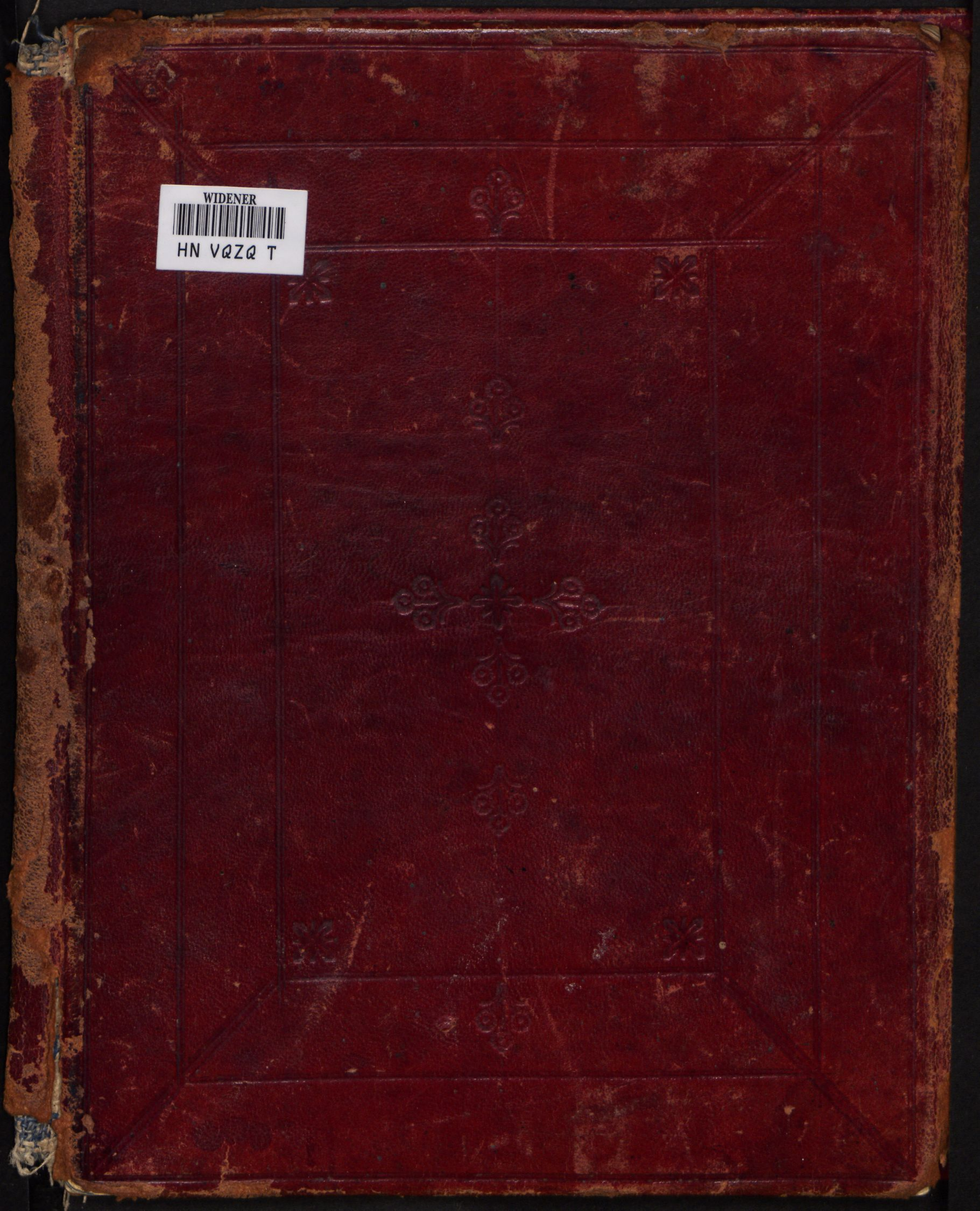











WIDENER
HN VQZQ T